نموذج رقم (٨)*

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية
بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الإسم (رباعي) : حفصة أحمد حسن منشي الكلية : التربية القسم : التربية الإسلامية والمقارنة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه التخصص : التربية الإسلامية والمقارنة

عنوان الأطروحة : أصول تربية المرأة المعلمة المعاصرة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،،،

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عاليه والتي تمت مناقشتها في يوم الأربعاء الموافق ١٤١٨/٢/٢٧هـ بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة ،وحيث تم عمل اللازم ...

فإن اللجنة توصي بإجازة الأطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه بتقدير ممتاز ، والله الموفق ،،،

أعضاء اللجنة

المشرف :	مناقش من القسم :	مناقش من القسم :	مناقش من خارج القسم :
الإسم : أ.د.ماجد عرسان الكيلاني	الإسم : د.محمود محمد كسناوي	الإسم : د.نايف حامد الشريف	الإسم : أ.د.عبد اللطيف عبدالله بن دهيش
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد / رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة

د.حامد بن سالم الحربي

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة .

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٢٩٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
مكة المكرمة
جامعة أم القرى - كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

UMM AL-QURA UNIVERSITY

أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة

إعداد
الطالبة: حفصة أحمد حسن منشي

إشراف
الدكتور: ماجد عرسان الكيلاني

الجزء الأول

بحث مكمل لنيل درجة الدكتوراه في التربية الإسلامية والمقارنة

1418هـ - 1997م

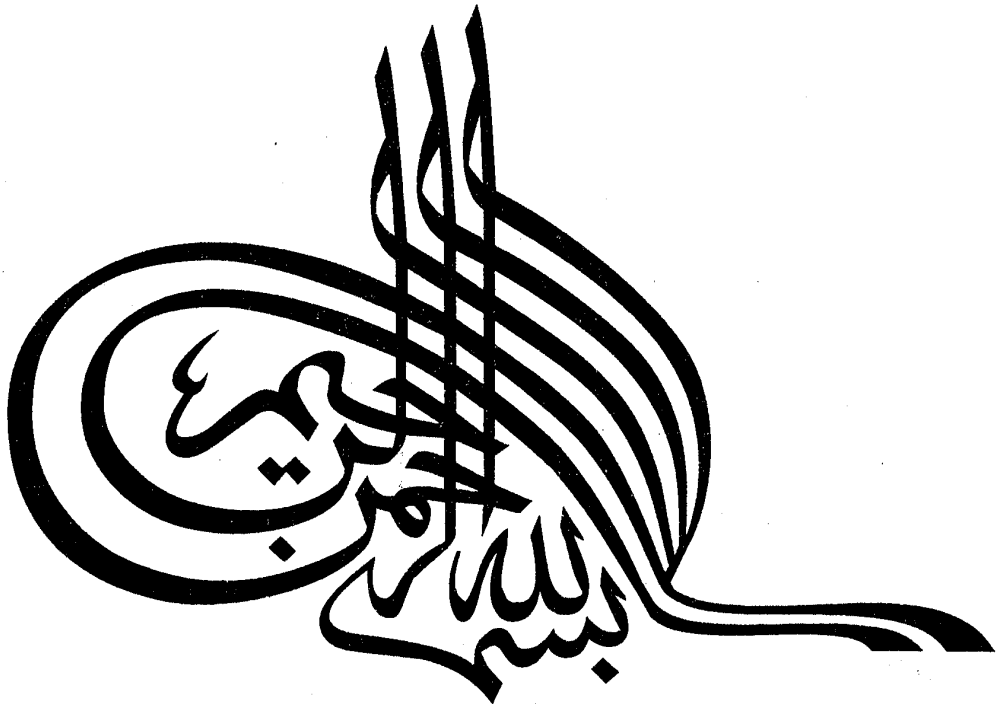
بسم الله الرحمن الرحيم

الفهـــــرس

صفحـة

ملخص الدراســـــة . . . . . .

إهـــــــــداء . . . . . ١.

شكـــــر وتقديـــر . . . . . ٢.

الفصل التمهيدي: أهمية البحث في أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة ٤

١. مقدمـــــــــة . ٥

٢. موضوع الدراســـة ٩

٣. أهميـــة الدراســـة ١٢

٤. أهـــداف الدراســة ١٧

٥. تســاؤلات الدراســة. ١٨

٦. منهـــــج الدراسة. ١٩

٧. حـــدود الدراســة. ١٩

٨. مصطلحات الدراســة. ٢٠

٩. الدراســات السابقــة. ٢٢

الفصل الأول: الأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة : . ٢٥

المبحث الأول : المظهر الديني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة " علاقة عبودية " . ٢٧

أولاً : المفهوم الحقيقي لعلاقة العبوديـــــة . . ٢٧

ثانياً : أثـــر الإيمـــان على ســـلوك المـــرأة. ٢٩

ثالثا: الصنميـــات الحديثـــة وأثـــرهـــا على سلوك المرأة . ٤٤

المبحث الثاني : المظهر الكوني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة" علاقة تسخير". ٥١

أولاً: التفكـــــر فـــي الكـــون . . . ٥٣

ثانياً : مؤهلات اكتشاف السنن الكونية ٥٩
١- الحـــواس ٦٠
٢- العـــقـــل ٦١
٣- الوحـــي ٦٣
ثـــــالثاً : أمثلة لإبداع الخالق في خلقه. ٦٣
رابعـــــاً: الاستمتاع بمسخرات الكون. . . . ٦٤
خامساً: الالتزام بالقيم الإسلامية في أثناء التعامل مع الكـــــون. ٦٧
سادساً: بعض سلبيات الحضارة المعاصرة على مستـــوى الكـــون. . ٧٠
١- التلوث البيـــــئي. ٧٠
٢- استنزاف الثروات. ٧٥

المبحث الثالث: المظهر الاجتماعي للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة " علاقة العدل والإحسان-علاقـــة الابتـــلاء-علاقة المسئولية والجزاء"

٧٩
أولاً : علاقة إنسان التربية الإسلامية بالإنسان: علاقة عدل وإحسان. ٧٩
١- العـــــدل ٧٩
٢- الإحسان. ٨٢
٣- كيف تحقق المرأة المسلمة علاقة العدل والإحسان في واقع حياتها. ٨٥
ثانياً : علاقة إنسان التربية الإسلاميـــة بالحياة: علاقـــة ابتلاء. . ٨٧
١- معنـــــى الابتلاء. ٨٨
٢- الحكمة من الابتلاء. ٨٩
٣-أشكال الابتـــــلاء ٩٠
أ: الابتلاء بالخيـــــر. ٩٢
ب: الابتلاء بالشـــر ٩٩

٤- وسائل النجاح في الابتلاء . ١١٠
أ: الحفـاظ على الفطـرة. ١١١
ب: الاستخدام الصحيح لأدوات المعرفة. . ١١٢
ثالثاً: علاقة إنسان التربية الإسلامية بالآخرة: علاقة
مسئولية وجزاء . ١١٦
١- معنى المسئولية ١١٦
٢- مسئولية المرأة المسلمة المعاصـرة. . . ١١٧
٣- الجزاء الإلهي على تحمل المسئولية. . . ١١٩

الفصل الثاني: الأصول التاريخية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة. ١٢٥

المبحث الرابع: تربية المرأة المسلمة في صدر الإسلام. ١٢٧
المبادئ التي وجهت تربية مسلمة صدر الإسلام. . . ١٣١
١- التعلـم فريضـة ١٣١
٢- التعليم فريضة على كل قادر عليه. . . . ١٣٣
٣- تكـريم المرأة واحترامـها. ١٣٦
٤- مراعاة الخصائص المشتركة والفروق بين الذكور والإناث ١٣٩
٥- التربيـة الذاتـية. ١٤٠
٦- الاستمرار في طلب العلم. ١٤٢
٧- الرفـق بالمتعلمـين. ١٤٢
٨- الصحبة في طلب العلم. ١٤٣
٩- التربية بالممارسة والعمل. ١٤٣
١٠- التربيـة المتكاملـة. ١٤٤

المبحث الخامس: تربية المرأة المسلمة في
عصور الازدهار ١٤٦
أولاً: تطـور الحركـة العلميـة في عصـور الازدهار.. . ١٤٧
ثانياً: تربيـة المرأة المسلمـة في عصـور الازدهـار. .. ١٤٨

ثالثاً: المبادئ التي وجهت تربية مسلمة عصور الازدهار:. . ١٥٢
١- عدم تحديد سن لبدء التعليم. . . . ١٥٢
٢- إلزاميـــة التعليـــم.. . . . ١٥٢
٣- تركيز الاهتمام على الجانب الأخلاقي. . ١٥٦
٤- الفصـــل بـــين الذكور والإنـــاث. ... ١٥٧
٥- التدرج في التعليم. ١٥٧
٦- التعلـــم الذاتـــي. ١٥٧
٧- شمول المنهاج لجميع الحقول المعرفية المتاحـــة. . ١٥٧

المبحث السادس: تربية المرأة المسلمة في عصور الركود والتقليد. ١٦٠

أولاً : الحالة الفكرية للمجتمع الإسلامي في عصور الركود والتقليد ١٦٠
١- شيوع ظاهـــرة التقليد. . . . ١٦٠
٢- انتشار الحزبيـــة المذهبية. . . . ١٦١
٣- تسرب الأفكار والمعتقدات الضالة. . . ١٦٢
٤- ضيـــق مفهـــوم المنهـــاج. . . ١٦٢
ثانيا: تعليم المرأة المسلمة في عصور الركود والتقليـــــد. ١٦٢
ثالثاً: مبادئ وجهت تربية مسلمة عصور الركود والتقليـــد. ١٧٠
١- التعلـــم الذاتـــي . . . ١٧٠
٢- الجمع بين الذكور والإناث في مراحل التعليم الأولي. ١٧٠
٣- إعداد الفتـــاة لتكون ربة بيـــــت. . . ١٧١
٤- الإيمان بالخرافات والدجل والشعوذة.. . ١٧٢
٥- تعدد المؤسسات التربوية التي يمكن أن تلتحق بها مسلمة عصور الركود والتقليد. ١٧٣
٦- ضيق المنهاج و محدوديته ١٧٦
٧- الاعتماد عـــلى التلقـــين ١٨١
٨- الدراسة شبـــه المنظمـــة . . . ١٨٢
٩- إسهام المؤدبين في تعليم النساء التعليم المتخصص. ١٨٥

١٠ – إسهام المرأة المسلمة في إنشاء وإدارة المؤسسات .
التعليمية والإنفاق عليها. ١٨٦

المبحث السابع: محاولات صياغة أصول تربية المرأة المسلمة في العصر الحديث. ١٩٠

أولا: الرواد من الرجال: ١٩٢
١. رفاعة الطهطاوي.. . . . ١٩٢
٢. أحمد فارس الشدياق. . . . ١٩٣
٣. علي مبارك. . . . ١٩٤
٤. محمد عبده. . . . ١٩٥
٥. قاسم أمين . . . ١٩٦
٦. الطاهر الحداد . . . ١٩٩
ثانيا: الرائدات من النساء ٢٠١
١. عائشة تيمور. . . . ٢٠١
٢. زينب فواز. . . . ٢٠٣
٣. أنيسة شرتوني. . . . ٢٠٤
٤. ملك حفني ناصف. . . . ٢٠٥
ثالثاً : ما بعد الرواد: ٢٠٨
١. بداية تعليم المرأة في مصر. . ٢٠٨
٢. بداية تعليم المرأة في لبنان.. . ٢٠٨
٣. بداية تعليم المرأة في السودان. . ٢٠٩
٤. بداية تعليم المرأة في إيران .. . ٢٠٩
٥. بداية تعليم المرأة في تونس .. . ٢١٠
٦. بداية تعليم المرأة في الجزائر. . ٢١٠
٧. بداية تعليم المرأة في فلسطين. . ٢١٠
٨. تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية. . ٢١١

المبحث الثامن: واقع تعليم المرأة المسلمة في

الوقت الحاضر . ٢١٧
أولاً : انعدام الأصالة في تعليم المرأة المسلمة في العصر الحديث . ٢١٨
ثانياً : اقتصاره على إعداد المرأة للعمل
وإهمال وظيفتها الإنسانية. ٢٢٠
ثالثاً: آثار التعليم الحديث على سلوك
المرأة المسلمة المعاصرة : ٢٢٦
١. التبعيـــة والتقليد . . . ٢٢٦
٢. الازدواجية المتنافرة بين الاعتقاد والسلـوك ٢٢٧
٣. فقدان التوازن في نمو القدارت والاستعدادات. ٢٢٩
٤. السطحية في التفكيـــر. ٢٢٩
الفصل الثالث: الأصول الاجتماعية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة ٢٣٠
المبحث التاسع: التربية وثقافة المرأة المسلمة المعاصرة ٢٣١
أولاً : مفهـــوم الثقافـــــة. . . . ٢٣١
ثانياً : العلاقة بين التربية وثقافة المرأة المسلمة المعاصرة. . ٢٣٣
ثالثاً : وسائـــط تثقيـــف المرأة المسلـــمة المعاصـــرة ٢٣٥
١. الكتب العامـــــة . . ٢٣٦
٢. الكتـــب الدراسيـــة . . . ٢٣٧
٣. الأســـــــرة. . . . ٢٣٧
٤. السينما والمســـرح. . . . ٢٣٨
٥. الصحـــافـــــة ٢٣٨
٦. الأقمار الصناعيـــة . . . ٢٣٩
رابعاً: موضوعات واتجاهات تركز على تناولها وسائط تثقيف
المرأة المسلمة المعاصرة : ٢٤٣
١. تعميم الثقافة الرأسمالية. . . . ٢٤٣
٢. الفـــن والفنانيـــن ٢٤٦
٣. المـــرأة جســـــد. . . . ٢٤٨

خامساً: موضوعات واتجاهات ينبغي أن تسلط وسائط تثقيف المرأة .
المسلمة المعاصرة الضوء عليها: ٢٤٩
١. تصحيح الأفكار والعادات والتقاليد الخاطئة
المتعلقة بالمرأة: ٢٥٠
أ: النظر إلى المرأة من خلال الجنس وإنجاب الأطفال. ٢٥٠
ب : الزواج المبكـــر. . . ٢٥١
ج : تأكيد تفوق الرجل. . . . ٢٥١
د : تحديد دور المرأة باعتبارها ربة بيت وزوجة فقط. . ٢٥١
هـ: عـدم الاعتـراف بـدور المرأة الإنتـاجـي ٢٥٢
٢. التعريف بحقيقة الدعايات بمختلـف أنواعـها. ٢٥٢
أ: الترويج للبضائع. ٢٥٢
ب: ترويج أفكار مضللة عن الشعوب الأخرى. . ٢٥٣
ج: الترويج للأشخاص. . . . ٢٥٤
د: الترويج المغرض لبعض المصطلحات. . ٢٥٨
١-الاصوليـة ٢٥٨
٢ -الإرهاب ٢٦٠
٣. الغزو الثقافي ٢٦٢
أ : مؤتمـــرات المـــرأة. . . . ٢٦٤
ب: المناداة بحقوق الإنسان. . . . ٢٦٧
٤. النظام العالمي الجديد. ٢٧١
٥. تفاعل الحضـارات. . . . ٢٧٢
٦. الأمـن الثقافـي. ٢٧٤
٧. أزمة إنسان الحضارة الغربية. . . ٢٧٧
٨. الاتجـاه نحـو المستقبـل.. . ٢٨٠
٩. المساعـدات الدوليـة . . . ٢٨٣
١٠. صورة الإسلام ووضع المسلمين في الغرب. . ٢٨٨

المبحث العاشر: التربية الاقتصادية للمرأة المسلمة المعاصرة. .. ٢٩٤

أولاً : دور التربية في إعداد المرأة للإسهام في التنمية. . ٢٩٤

ثانياً: المـــــرأة و الاستهـــلاك. . . ٢٩٩

١. من هي المرأة الاستهلاكية. ٣٠١

٢. العوامل التي تساعد على وقوع المرأة في أسر الاستهلاك.. ٣٠٢

أ: العوامل الاقتصادية : ٣٠٢

ب: العوامل النفسية : ٣٠٣

ج: العوامل الثقافية : ٣٠٣

٣. الأوقات التي يكثر فيها الاستهلاك.. . . ٣٠٦

٤. دور التربية في ترشيد الاستهـــلاك . . . ٣٠٧

٥. الآثار السلبية المترتبة على الاستغراق في الاستهلاك . ٣١٢

ثالثاً: دور التربية في تدريب المرأة المسلمة المعاصرة على التخطيط والإدارة داخل المترل. ٣١٣

ا- أمور مساعدة على التخطيط. . . . ٣١٤

أ: جـــرد مـــوارد الأســـــرة . . . ٣١٤

ب: إحسان الاستفادة من الوقت. . . ٣١٥

ج: التنظيـــــم والترتيـــــب. . . ٣١٦

د: الاستفادة من وقت الفراغ. . . . ٣١٦

هـــ: توفيـــــر الجهـــــد. ٣١٨

رابعاً: اتجاهات ومهارات اقتصادية ينبغي على التربية أن تعمل على تنميتها لدى المرأة المسلمة المعاصرة. ٣٢٠

١. الاقتصـــاد في المظاهـــــر . . ٣٢١

٢. الاقتصاد في اللباس والزينة.. . . ٣٢٤

٣. التعـــــود على البساطـــة . . ٣٢٦

المبحث الحادي عشر : التربية وتطور المجتمع والمرأة المسلمة المعاصرة. . ٣٢٧

أولاً: حقيقة التغير الاجتماعي في واقع المرأة المسلمة المعاصرة. ٣٢٧

ثانياً: حركة تحرير المرأة الغربية . . . ٣٣٠

ثالثاً: حركة تحرير المرأة المسلمة ٣٣٢

رابعاً: دور التربية في تحرير المرأة المسلمة المعاصرة. ٣٣٧

خامساً : أثر التغير الاجتماعي على الأسرة المسلمة المعاصرة ٣٤٣

سادساً : . دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة لمسئولياتها الاجتماعية ٣٤٥

١- مسئوليتها داخل المنزل : . . . ٣٤٥

أ: مسئولية المرأة المسلمة المعاصرة تجاه بيتها ٣٤٧

ب: مسئولية المرأة المسلمة المعاصرة تجاه زوجها: . ٣٤٩

ج: مسئولية المرأة المسلمة المعاصرة تجاه أولادها. . ٣٥٩

٢- مسئولية المرأة المسلمة المعاصرة خارج المنزل: . . ٣٦٧

أ: الإسهام في الأنشطة الاجتماعية . ٣٦٩

ب: الإسهام في إحياء التكافل الاجتماعي . ٣٧٠

ج: الإسهام في تزكية البيئة الاجتماعية. . ٣٧٢

سابعاً: قضايا اجتماعية ينبغي على التربية أن تعمل على توعية المرأة المسلمة المعاصرة بها. ٣٧٤

التكامل بين النوعين . . . ٣٧٤

الفرق بين النوعين. . . . ٣٨٢

الحجاب ٣٨٨

الاختلاط. ٣٩٣

التبرج. ٣٩٦

١. تحديد النسل. ٣٩٨

٢. قضايا معاصرة تتعلق بالزواج ٤٠٣

تاسعاً : من مظاهر تكريم الإسلام للمرأة: . . ٤١٠

أ:حرية الاختيار. ٤١٠
ب: المهـــــر. ٤١١

المبحث الثاني عشر: تربية المرأة المسلمة المعاصرة والتقنية العلمية الحديثة: . ٤١٣

أولاً: مفهـــوم التقنيـــــة ٤١٣
ثانياً: الثورة العلمية والتقنية الحديثة. . . . ٤١٥
ثالثاً: آثار الثورة العلمية والتقنية الحديثة على واقع حياة الإنسان. . ٤١٥
١. في المجـــــال العلمـــي. . . . ٤١٥
٢. في المجال الاجتماعـــــي. . . . ٤١٧
رابعاً: أمثلة لبعض منجزات التقنية الحديثة ذات الأثر على حياة الإنسان. . . . ٤٢٠
التقنية الحديثة في مجال الإنجاب. . . ٤٢٠
١. التقنية الحديثـــة والغـــذاء. . . . ٤٢٨
٢. التقنية الحديثة والجمـــــال. . . ٤٢٩
٣. الأشعة بمختلف أنواعـــــها. . . ٤٣٣
٤. التقنية الحديثة ووقت الفراغ. . . ٤٣٦
خامساً: دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصر بما يساعدها على مواكبة العصر. ٤٣٨
سادساً: اتجاهات ومهارات ينبغي أخذها بعين الاعتبار في تربية المرأة المسلمة المعاصرة. ٤٤٣
١. التدريـــب على الإحســـان في استخدام الطاقة.. ٤٤٣
٢. إمداد المرأة المسلمة المعاصرة بالمهارات اللازمة التي تساعدها على الإحسان في أداء مسئولياتها. ٤٤٤
٣. إمداد المرأة بالخبرات والاتجاهات التي تعينها على الإحسان في اختيار ما يتعلق بأطفالها من أجهزة وألعاب. ٥٤٤

٤. توجيهها إلى أهمية الالتزام بالأصالة في الاستفادة
من منجزات التقنية الحديثة. ٤٤٦

المبحث الثالث عشر : التربية وطبيعة المرأة بين الإسلام وعلم النفس الحديث. ٤٤٩

أولاً : حقيقة الاختلاف بين النوعين (الذكر والأنثى): ٤٤٩
١. الفروق الجسمية بين النوعين. ٤٥٠
٢. الفروق العقلية بين النوعين. ٤٥١
٣. الفروق الوجدانية بين النوعين. ٤٥٢
ثانياً: دور التربية في توجيه المرأة المسلمة المعاصرة عبر مراحل نموها
المختلفة. ٤٥٥
١. مرحلة ما قبل البلوغ. ٤٥٥
٢. مرحلة البلوغ. ٤٥٨
٣. أ- صفات المرأة بعد البلوغ. ٤٦٠
ب- الميل إلى التزين ٤٦٠
ج- التفكير في الزواج ٤٦٧
٤. مرحلة الأمومة. ٤٦٨
ثالثاً : صفات نفسية اختصت بها المرأة ٤٦٩
١. قوة العاطفة. ٤٧٠
٢. الحياء. ٤٧٢
٣. الغيرة. ٤٧٣
٤. القدرة على احتمال الألم. ٤٧٤
٥. استعدادها للتضحية. ٤٧٦
رابعاً: دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يساعدها
على التمتع بالصحة النفسية : ٤٧٧
١. تدعيم اعتزاز المرأة المسلمة المعاصرة بكونها أنثى،
والارتقاء بمفهومها عن الذات. ٨٧٤
٢. تحقيق البناء السليم لشخصية المرأة المسلمة المعاصرة. ٤٨٠

٣. حمايتهـــا من التقليـــد والتبعيـــة للآخريـــن. . ٤٨٤
٤. احتـــرام إنسانيتـــها وكرامـــتها .. ٤٨٧
٥. تدعيم صمود المرأة أمام الإبتلاءات.. . ٤٩٣
خامساً: بعض القضايا التي تهم المرأة المسلمة المعاصرة . ٤٩٦
١. الزواج المبكـــر. ٤٩٧
٢. أثر العمل على الصحة النفسية للمرأة المسلـــمة المعاصـــرة ٤٩٨
٣. بعض الشبهات التي يثيرها المغرضون للقول بدونية وضع المرأة في الإسلام . ٥٠٠
خاتمة (ملاحظات وتوصيات ومقترحات). . . ٥٠٥
المراجـــــــــع ٥٢٤

ملخص الدراســة

إسم الباحثة : حفصة أحمد حسن منشي

عنوان البحث : أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة

الحمد لله الذي فرض العلم على كل مسلم ، والصلاة والسلام على خير معلم وعلى آله وصحبه وبعد: فإن الناظر في مبادئ التربية الإسلامية ؛ يجدها تتوجه إلى المرأة لتعدها بما يناسب دورها في الحياة. وهو الدور الذي أدركته مسلمة صدر الإسلام ، وعصور الإزدهار ؛ التي أسهمت بعمق في مسيرة الدعوة والجهاد وبناء المجتمع ، موجهة في ذلك بنظام تربوي جسد أصالة التعاليم الإسلامية وهيأها لمعايشة عصرها ومواجهة تحدياته وإفرازاته. لكن خلف ذلك أجيال تأثرت بثقافة العصبيات المختلفة، وانعكس أثر ذلك على تعليم المرأة الذي تقلص كثيراً عما كان عليه ومن ثم انحسر دورها في المجتمع. واستمر ذلك حتى مطلع العصر الحديث؛ حيث أحس نفر من المهتمين بأهمية تحرير المرأة من سجن الجهل لتسهم في إزالة ما حل بالأمة الإسلامية من تخلف. إلا أن محاولاتهم في غالبيتها كانت تعاني من عدم وضوح الأصول التي يجب أن تقوم عليها تربية المرأة المسلمة إلى جانب تأثرها بالتمدن الغربي . وهكذا أصبح تعليم المرأة المسلمة المعاصرة يعدها وفقاً لأصول رأسمالية غربية .

وفي ظل التطورات السريعة المعاصرة في مختلف المجالات ، والإهتمام العالمي بالمرأة ، وأهمية دور المرأة في استعادة الأمة الإسلامية لدورها في الشهادة على الناس، فقد تمثلت محاولة الباحثة في بلورة الأصول اللازمة لإخراج المرأة المسلمة المعاصرة لتكون إنساناً صالحاً منتجاً، يعطي ويأخذ، يدرك مسؤولياته قبل المطالبة بحقوقه، يعمل لأمته قبل نفسه.

وقد قسمت الباحثة البحث إلى أربعة فصول؛ فصل **تمهيدي** وثلاثة فصول أساسية وخاتمة. وعرضت في **الفصل الأول** للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة وذلك من خلال الحديث عن مظاهرها والمتمثلة في علاقات : العبودية، والتسخير، و(العدل والإحسان- الإبتلاء- المسئولية والجزاء) . وعرضت في **الفصل الثاني** للأصول التاريخية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة وذلك من خلال الحديث عن الأصول التي وجهت تربية المرأة المسلمة في صدر الإسلام، وحتى عصور الركود والتقليد مروراً بعصور الإزدهار، ثم محاولات صياغة أصول تربية المرأة المسلمة في العصر الحديث ، وواقع تعليم المرأة المسلمة في الوقت الحاضر. وعرضت في **الفصل الثالث** للأصول الإجتماعية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة وذلك من خلال الحديث عن التربية وثقافة المرأة المسلمة المعاصرة ، التربية وتطور المجتمع والمرأة المسلمة المعاصرة، تربية المرأة المسلمة والتقنية العلمية الحديثة ، التربية وطبيعة المرأة بين الإسلام وعلم النفس الحديث. وأخيراً قامت الباحثة بتقديم ملاحظاتها وتوصياتها ومقترحاتها في **الخاتمة** .وكان من أبرز **الملاحظات** :

١- أن أساس مشكلة المرأة المسلمة في بعض البيئات الإسلامية يكمن في تعطيل التطبيقات التاريخية لتربيتها ؛ لفاعلية الكتاب، وعدم التزامها بمبادئ التربية الإسلامية مما أدى إلى انحسار أهداف تعليم المرأة المسلمة وغموضها.

٢- تكامل محتوى الأصول التي ينبغي أن تبنى عليها برامج تربية المرأة المسلمة المعاصرة .

٣- أن الأمر يحتاج من فقهاء التربية الإسلامية إلى التعاون من أجل تشكيل النظم التربوية التي تساعد المرأة المسلمة المعاصرة على الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

- وكان من أبرز **التوصيات** :

١- تنسيق العمل بين أجهزة التربية الرسمية وغير الرسمية في بعض البيئات الإسلامية بحيث تنطلق من أصول واحدة نحو غاية واحدة تكفل إلغاء الإزدواجية المتنافرة الملحوظة.

٢- إهتمام القائمين بتربية المرأة المسلمة المعاصرة بغرس قيمة التعليم باعتباره سبيلاً إلى الرقي وليس حلاً مؤقتاً لحين الزواج.

٣- إهتمام القائمين على تخطيط برامج تربية المرأة المسلمة المعاصرة بمراعاة أهمية تقديمها لنوع جيد من التعليم يراعي قدراتها وإمكاناتها وظروفها المختلفة مستفيداً في ذلك مما أبدعته التقنية الحديثة .

- وكان من أبرز **المقترحات** :

١- إستحداث كراسي داخل الجامعات في بعض البيئات الإسلامية تهتم بدراسة قضايا المرأة .

٢- إستحداث بنك معلومات يهتم بجمع الإحصاءات عن وضع المرأة المسلمة المعاصرة والمشكلات التي تواجهها وتقديم ذلك للمختصين.

٣- إجراء دراسات نظرية وتطبيقية تتناول كل أصل من الأصول التي تناولها البحث بالتفصيل.

الباحثــة	المشــرف	عميد كلية التربية
حفصة أحمد حسن منشي	أ.د.ماجد عرسان الكيلاني	د.عبد العزيز عبدا لله خياط

إهـــــــداء

إلى المرأة التي عاشت بفطرتها ، واستقبلت لقاء ربها بيقين قل نظيره بين نساء الوقت الحاضر .

إلى روح الخالة سيدة* أهدي هذا البحث

اللهم تغمدها برحمتك واحشرها في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

---

* سيدة على با فضل والدة زوج الباحثة .

شكر وتقدير

الحمد لله الكريم الذي من عليَّ بنعمة العلم ، ويسر لي سبله ، ويسر لي من يعينني على تحصيله ، ثم الشكر لمن سخرهم الله لخدمة العلم وأهله ، ممن أتاحوا المجال للمرأة لتنهل من رحيق العلم الذي افترضه الله عليها ، بعد أن ران الجهل عليها وعلى الأمة كلها بسببها .

وبعد الشكر العام ؛ يتنازع في نفسي تقدير وشكر خاص لمن جعلهم الله أعواناً لي فغمروني بكل معاني العون ، وعلى رأسهم ثلاثة يتنازع تقديري لهم وشعوري بالجميل نحوهم ، فلا أدري بأيهم أبدأ ، وهم بحسب ترتيب صلتهم بالبحث :

١- أستاذي الدكتور **ماجد الكيلاني** الذي نمى بمجهوده الفكري بذور أفكاري عن البحث ، حتى أثمرت عن هذه الرسالة . أسأل الله أن يبارك في جهوده وأن يجزيه عني خير الجزاء ، وله مني كل معاني الشكر والتقدير وأن أحفظ له حق الأستاذ على تلميذه ما حييت .

٢- الأيدي الحانية التي ظلت تنير دربي وتعبده بكل ما أوتيت من وسع ؛ زوجي الدكتور **عبدالرحمن باقضل** الذي جعله الله سببا في إكمالي لمشواري العلمي ، وإخوتي الذين لازالت أياديهم البيضاء تغمرني بكل ألوان العون المادي والأدبي ؛ الدكتور **محمد** والدكتور **عبدالله** والأساتذة **حسن وجميل وممدوح وأيمن** ، فلهم مني كل عرفان بالجميل ، وأمان صادقة بأن يوفقهم الله وذرياتهم إلى ما يحب ويرضى .

ولا أنسى أن أعترف بالفضل لأهله ، فأشكر كل من أمدني بعون مادي أو أدبي ممن لا يوفيهم حق جزاءهم إلا الله سبحانه وتعالى ، وأخص منهم القائمين على هذا الصرح العلمي الذي نقف فيه الآن ؛ **جامعة أم القرى** وعلى رأسهم سعادة مدير الجامعة الدكتور **سهيل قاضي** ، **وسعادة** عميد كلية التربية الدكتور **عبدالعزيز خياط** ، ورئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة الدكتور **حامد الحربي** ، ومن سبقه من الرؤساء ؛ وأخص منهم الدكتور **محمود كسناوي** ، والدكتور **محمد جميل خياط** .

كما أتقدم بالشكر للقائمين على مركز الدراسات النسوية والأبحاث التطبيقية بجامعة صنعاء ، والقائمين على مكتبة كلية الآداب بجامعة صنعاء ، وجميع الإخوة والأخوات الذين لم يبخلوا علي بأياديهم البيضاء ، فساندوني بما في وسعهم .

وشكر وتقدير خاصين أتقدم بهما إلى الأساتذة الأفاضل الذين غمروني بإحسانهم حين تفضلوا مشكورين بقبول مناقشة الرسالة ، وبذل الوقت والجهد من أجل إثراء الرسالة وتحسينها ؛ الأستاذ الدكتور **عبداللطيف بن دهيش** أستاذ الدراسات التاريخية والحضارية وعميد معهد

البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، والأستاذ الدكتـــــور **محمود كسناوي** الأســـتاذ المشارك بقسم التربية الإسلامية والمقارنة ، والدكتور **نـايف هـمام** الأستاذ المساعد بقسم التربية الإسلامية والمقارنة .

أسأل الله أن يبارك للجميع في جهودهم الخيرة وأن يحقق لهم الآمال .

الباحثة

الفصل التمهيدي

أهمية البحث في أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة

مقدمـــة :

الحمد لله الذي جعل مسئولية المرأة في نطاق ما وهبها من " وسع" أو استعدادات وقدرات ، وميزها عن الرجل بخصائص الأنوثة والصفات . والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ســـيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فإن من المعالم البارزة في تاريخ الإسلام ما نجده من عظمـــة في الدور الذي قامت به المـــرأة الصحابية ، وشمول هذا الدور وأصالته ومعاصرته ؛ فقد كان أول مسلم استجاب لدعـــوة الرســـول ﷺ امرأة وهي خديجـــة بنت خويلد رضي الله عنها ، وكان أول شهيد في الإسلام ؛ امرأة وهي سمية بنـــت خياط زوجـــة ياسر وأم عمار رضي الله عنهما ، وكان أبرز عالم نال شهادة الأستاذية من مدرسة الرسول ﷺ ؛ امرأة وهي عائشة رضي الله عنها .

كما كانت المرأة شريكا عميق التأثير في مسيرة الدعوة والجهاد وبناء المجتمع . وخلال ذلك برزت شخصيات نسائية متميزة من أمثال الخنساء ، وأسماء بنت أبي بكر بن الصديق ، وصفية بنـــت عبد المطلب ، والشفاء بنت عبد الله وغيرهن رضي الله عنهن أجمعين .

ولم تكن هذه المشاركة محصورة في نفر محدود من النساء ، وإنما كانت ظاهرة عامة جسدها جيل الصحابيات في عصر النبوة والخلافـــة الراشدة ، حيث شاركن في مسيرة الدعوة والبناء .

ثم بدأ المد الإسلامي خارج شبه الجزيرة العربية ، فاستمرت المرأة المسلمة في أداء نفس الدور، حيث برزت شخصيات من أمثال خولة بنت الأزور، وسكينة بنت الحسين وغيرهن .

وكانت السمة العامة التي تلخص هذه المشاركة الجهادية والعملية للنساء ؛ أن المرأة المســـلمة كانت توازن موازنة دقيقة رائعة بين دورها الأسري و دورها الاجتماعي ؛ فمثلا كانت أسماء بنـــت أبي بكر رضي الله عنه - وهي تقوم بدورها الأسري - تحمل العلف على رأسها من خارج المدينـــة لتقدمـــه لفرس زوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه ، ولكنها - في دورها الاجتماعي- كانت تنتصب سندا قويـــا ، وحصنا منيعا يمد ولدها عبد الله رضي الله عنه بالشجاعة ، والثبات على المبدأ ؛ حيث نجدها غداة قتلـــه ، وفي آخر لقاء بينها وبينه تقول له: " يا بني... .... ما أحب أن أموت حتى آتي على أحد طرفيك ، إما أن تملك ؛ فتقر بذلك عيني ، وإما أن تقتل فأحتسبك... ... يا بني إياك أن تعطي خصلـــة مـــن دينـــك مخـــافة القتـــل ."(الكاندهلوي ، د.ت ، ج١، ص٢٧٥)

هذه الظاهرة البارزة لدور المرأة المسلمة في عصر الرسالة وعصر الخلافة الراشدة ؛ تدل على أنه كان هناك نظام تربوي ذو أصول تربوية شاملة ، جسدت (أصالة) التعاليم الإسلامية في شخصيـــة

المرأة المسلمة ، وهيأتها للمشاركة الفعالة الكاملة في مواجهة التحديات ، وتلبية الحاجات التي أفرزتها أحداث عصرها الذي عاشت فيه، وجعلت لها صفة مميزة بين نساء الحضارات ، وهي أنها (امـــرأة قوية- فاضلة) .[1]

ولا غرابة في هذه الصفـــة ، لأن النظر في الأصول العقدية يبين أن الإسلام قد حرص علـــى تعليم المرأة حرصه على تعليم الرجل ، ويؤكد ذلك قوله ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه :" طلب العلم فريضة على كل مسلم" (ابن ماجـــة، د.ت ، ج١،المقدمة ، ص ٨١) ، ويؤكده كذلك طلبه عليها السلام من الشفاء بنت عبـــد الله أن تعلم زوجـــه حفصة حين قال لها : " ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتهـــا الكتابـــة . " (أبو داود ، د.ت ، ج٢، الطب/ ٣٨٨٧، ص ١١)

ونجد أن نصوص القرآن الكريم عندما تخاطب المسلمين بأمر أو تكليف ؛ فإنهـــا لا تخـــاطب الرجل وحده ، بل تخاطب كلا من الرجل والمرأة ، وهذا ما دفـــع بالمســـلمات الأوائـــل رضي الله عنهن إلى الاهتمام بتعاليم الدين الجديد ، وطلبهن من الرسول ﷺ أن يخصهن بالتعليم ، فجعل لهـــن يومـــا يعظهن فيه ويسألنه عما يعن لهن من أمور . (البخاري ، ١٤٠١هـــ/ ١٩٨١م ، ج١، العلم/ ٣٦، ص ٣٤)

وفي عهد الخلفاء الراشدين كانت النساء يشتركن مع الجمهور في سماع خطـــب الخلفـــاء ، ويحضرن المواعظ والخطب التي كان يلقيها علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وغيرهما ، كما أقبلن على رواية الحديث خاصة ، إقبالا عظيما ، حتى وجدنا ابن سعد يشير في الجزء الثامن من طبقاته إلى أكثر من سبعمائة امرأة روين عن رسول الله ﷺ أو عن الثقات من أصحابه .

واستمر تعليم النساء بعد العهد الراشدي سنة حسنة تتوارثها الأجيال ، حيث كان الأمراء يعلمون بناتهم داخل القصور ، بينما كان عامة الشعب يعلمونهن في الكتاتيب . (الأهواني ، د.ت ، ص ١٠٤)

ثم خلف صدر الإسلام وعصور الإزدهار أجيال تأثرت بثقافة عصبيات الجاهليـــة وعاداتهـــا وتقاليدها ، ونتيجة لذلك ؛ انحسر دور المرأة المسلمة في دائرة الأخلاق الفردية وشبكـــة العلاقـــات الأسرية- دون دورها الاجتماعي- الأمر الذي انعكس على مفهوم تربية المرأة وتعليمها ؛ حتى اعتـــبر تعليم المرأة الكتابة والخط من دواعي إفسادها . (القابسي ، د.ت ، ص ٢٨٩)

---

[1] هذا المصطلح مأخوذ عن الدكتور ماجد الكيلانـــي ، (أنظر مؤسسات التربية الإسلامية ، مسودة)

ويرى الأهواني أن الخوف من فساد البنات هو الذي دفع بالمسلمين إلى الامتناع عن تعليم البنات في عصور الركود والتقليد (الأهواني ، د.ت ، ص ١٨١) ، بينما يرى البعض أن السبب في ذلك يرجع إلى صعوبة الرحيل في طلب العلم على النساء وهو ما كان يقوم به طلاب العلم(شلبي ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص ٤٢٩) ، ولكن الحقيقة التي ينبئ عنها الواقع ، هي أن تقاليد العصبيات القبلية التي تجعل الفكر يدور في فلك القوة قد تدخلت مرة ثانية وجعلت تعليم المرأة يتقلص كثيرا عما كان عليه في صدر الإسلام وبسرعة ، حيث انحصر في شيء من القرآن وعلوم الدين قراءة دون كتابة ، وذلك في الكتاتيب التي استمرت حتى افتتاح المدارس وما بعده في أكثر البلاد الإسلامية في القرن العشرين الميلادي .

ومما يدل على انحسار تعليم المرأة في العصور المتأخرة ؛ ما ذكرته المصادر من أن تعليم المرأة كان من ضمن المحظورات في أواخر العصر العثماني ، وأنه في حين كان القانون يقيد تعليم المرأة الغربية فقد كان القانون في البلاد الإسلامية أقل تقييدا ، إلا أن العرف كان أكثر تقييدا من القانون .

(تاريخ البشرية، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، مج٦، ج٢، ص ٢١٣-٢١٧)

ومنذ القرن الماضي أحس نفر من المهتمين بضرورة تعليم المرأة المسلمة وتحريرها من سجن تقاليد العصبيات الذي سجنت فيه ، ومنهم رفاعة الطهطاوي [١] و قاسم أمين[٢] وغيرهما .

إلا أن هذه الصيحات الإصلاحية كانت تعاني من أمرين : الأول ؛ عدم وضوح الأصول التي يجب أن يقوم عليها تعليم المرأة المسلمة ، والثاني ؛ تأثر أصحابها بالتمدن الغربي في اتجاههم نحو المرأة ، دون إدراك للبون الشاسع بين المجتمع الغربي والمجتمع الإسلامي من حيث الجذور والنشأة والقيم .

والواقع أن نموذج تعليم المرأة الغربية فيه خطر كبير ، لأنه لا يستمد أصوله من اعتبارات إنسانية المرأة ، وإنما يقوم على أصول اقتصادية- صناعية أملتها ظروف الثورة الصناعية التي تبلورت منذ القرن التاسع عشر، والتي واكبتها الفلسفة التربوية التي تقول بأن التعليم يمثل استثمارا اقتصاديا .

---

[١] عالم مصري من أركان نهضة مصر العلمية في العصر الحديث . ولد في طنطا... وأرسلته الحكومة المصرية إماما للصلاة والوعظ في بعثة من الشباب وأوفدتها إلى أوروبا لتلقي العلوم الحديثة ، فدرس الفرنسية وثقف الجغرافيا والتاريخ . من كتبه : قلائد المفاخر في غرائب عادات الأوائل والأواخر ، تعريب القانون المدني الفرنساوي ، المرشد الأمين وغيرها. توفي بالقاهرة . " (الزركلي ، د.ت ، ج٣، ص ٥٥)

[٢] قاسم بن محمد أمين المصري : كاتب ، باحث . اشتهر بمناصرته للمرأة ودفاعه عن حريتها . كردي الأصل . ولد ببلدة " طرة " بمصر . انتقل... إلى الإسكندرية . فنشأ وتعلم بها ثم بالقاهرة ، وأكمل دارسة الحقوق في فرنسا ، وعاد إلى مصر سنة ١٨٨٥م ، فكان وكيلا للنائب العمومي بالمحكمة المختلطة ، فمستشارا بمحكمة الاستئناف . توفي بالقاهرة . من كتبه : كلمات قاسم بك أمين ، تحرير المرأة ، المرأة الجديدة . (الزركلي ، د.ت ، ج ٦، ص ١٩)

وتعمقت الحاجة لهذه الأصول في القرن العشرين الذي شهد حربين عالميتين أهلكت الكثير من الرجال ، وجعلت الحاجة ماسة إلى عمل النساء والأطفال، وكان مما أغرى رجال الصناعة بدعم هذا النوع من التعليم ؛ رخص أجور النساء وقلة المشكلات التي تصاحب عملهن. *(Spring , 1986 , pp.80-94)*

وكان من نتائج الثورة الصناعية ظهور حركة الاستعمار التي استهدفت السيطرة على مصادر المواد الخام اللازمة للصناعة وفتح الأسواق للمنتجات الصناعية . ولتحقيق هذين الهدفين عملت الإدارات الاستعمارية في المناطق المستعمرة على السيطرة على نظم التعليم ، وصبغه بصبغة تلبي احتياجات المستعمر دون اهتمام يذكر بحاجة المجتمع وأفراده .(تاريخ البشرية، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ، مج٦،ج٢، ص ٢٢٨-٣٦٢)

ومن ثم أصبحت أصول تعليم المرأة تعدها لتصبح أداة من أدوات الاستهلاك في البلاد المستعمرة . وانسجاما مع هذا الهدف ، أصبحت الموضوعات التي اشتمل عليها تعليم المرأة ؛ تركز على دراسات أو تخصصات تدفع بالمرأة إلى أعمال اجتماعية معينة مثل : الاقتصاد المنزلي وتربية الأطفال ، ثم قدمت موضوعات مثل الطباعة ، وتنمية المهارات المكتبية ، وذلك لبنات الطبقة العاملة اللاتي لم يكن يسمح لهن بمواصلة تعليمهن العالي الذي كان مقصورا على بنات الطبقتين المتوسطة والعالية. *(The International Encyclopedia of Education, 1985, Vol. .9 pp. 5560-5561)*

وقد ترتب على افتقار العالم الإسلامي المعاصر لنظرية تربوية واضحة تحدد الأصول التي يجب أن يقوم عليها تعليم المرأة أمران : الأول ؛ اهتمام القائمين على هذا التعليم بالشكل والكم دون الكيف والمضمون ، والثاني ؛ اتخاذ نمط التعليم الغربي أنموذجا يحتذى به في تعليم المرأة . وقد تجسد هذا التقليد في إرسال الأسر العالية بناتهن إلى المدارس الأجنبية ، وإرسال البعثات إلى الأقطار الأوروبية ، وفي بساطة المشروعات التربوية التي نادى بها عدد من النساء اللاتي تبوأن مكانة في المجتمع مثل زينب فواز[1] السيدة المصرية التي كتبت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مقالات كثيرة ؛ انتشرت في معظم الأقطار الإسلامية ، وكانت تنادي فيها بإتاحة فرص التعليم للجميع ، ومثلها ملك

---

[1] كاتبة أديبة وشاعرة، ولدت في تبنين ، وفي العاشرة انتقلت إلى الإسكندرية وبدأت في دراسة القراءة والكتابة على الأستاذ محمد شبلي . ثم تلقت الصرف والبيان والعروض والتاريخ على الأستاذ حسن حسني باشا الطويراني صاحب جريدة النيل ، والإنشاء والنحو على يد محي الدين النبهاني ، وانصرفت بعد ذلك إلى نظم الشعر . ولها مقالات في الصحف والمجلات تدل على إمكاناتها الأدبية ولها مؤلفات أهمها : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور وهو ترجمة لشهيرات النسا في العالم . (كحالة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج٢، ص ٨٢-٩١)

حفني ناصف [1] التي تخرجت ضمن أول دفعة لأول مدرسة ابتدائية حكومية في مصر وذلك في عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م .(فرج ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ص ٨١-٨٥)

وكانت ملك تدعو إلى أن تسارع المرأة إلى التربية وإلى التعليم الصحيح لا أن تتعلق بقشور المدنية الأوروبية . إلا أن ما حدث بعد ذلك هو أن الهيئات المشرفة على تعليم المرأة المصرية قد اختارت اتجاه قاسم أمين ؛ حيث عملت على تأسيس تعليم المرأة المسلمة المعاصرة على أصول مستمدة من الغرب ، وتبعتها في ذلك غالبية الدول الإسلامية .

ومع أن الجهود التي بذلت وتبذل تدل على كبير عناية بتعليم المرأة إلا أن الحاجة قائمة لتداعي المختصين التربويين من أجل إجراء البحوث التي تبلور أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة ، وذلك نظرا للتغيرات التي سوف نناقشها في أهمية المشكلة . ومن ثم كان هذا البحث محاولة للإسهام في تسهيل عودة المرأة المسلمة لتتبوأ مكانها الطبيعي في المجتمع الإسلامي في كل مكان ، وهي قادرة على ذلك إذا ما أعدت له من خلال تربية شاملة تتناول جميع جوانب شخصيتها ، وتصقل جميع مهاراتها ، بحيث تستمد روحها وأصولها من الإسلام ، وتستفيد في ذلك من كل مستحدثات العصر .

موضوع الدراسة :

على الرغم من شدة إقبال النساء على التعليم وتزايد أعدادهن ؛ إلا أن الدراسات المنشورة تؤكد عدم أهمية الأرقام الصماء ، لأن التعليم القائم يهتم بالكم على حساب الكيف ، وفي ذلك يقول محمد الرميحي : " وحيث أن التعليم ظل للنظام الاقتصادي / الاجتماعي السائد، فليس من المؤمل في كثير من أنظمة التعليم السائدة ، خصوصا من حيث الكيف ، أن تقدم أية مساعدة حقيقية لوضع المرأة . ولا يزال التعليم بشقيه (للرجال والنساء) ، مفرغا من محتواه ، ولا يحتوي على منظور تنموي واضح المعالم " ، وهو إنما يعد المرأة لسوق العمل بناء على المنظور الرأسمالي الغربي الذي يتوجه فقط نحو الربح ، من خلال عمل المرأة خارج المنزل ، دون النظر إلى أهمية عملها وجدواه داخل المنزل . (الرميحي في ندوة المرأة ودورها.. ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص ٢٣٥) وهو ما أكدته دراسة عن

---

[1] كاتبة اجتماعية كبيرة ولدت بالقاهرة : فتلقت مبادئ العلوم في مدارس أوليه مختلفة ثم دخلت المدرسة السنية في عام ١٨٩٣م وحصلت على الشهادة الابتدائية عام ١٩٠٠م ضمن أول دفعة حصلت على تلك الشهادة ، ثم حصلت على شهادتها العالية من نفس المدرسة واشتغلت بعد ذلك بالتعليم في مدارس البنات الأميرية . أسست اتحاد النساء التهذيبي ، وتوفيت عام ١٩١٨م. قال عنها أحمد لطفي السبد باشا : " إنها أكتب سيدة قرأنا كتاباتها في عصرنا الحاضر ... " وقال عنها أحمد زكي باشا : " إنها أعادت لنا ذلك العصر الذهبي الذي كانت فيه ذوات العصائب يناضلن أرباب العمائم في ميدان الكتابة والخطابة " . من آثارها : النسائيات ، حقوق النساء ، رسالتها إلى المؤتمر المصري المنعقد عام١٩١١ م (كحالة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج٥، ص ٧٤-٩٧)

مواقف الشباب العربي واتجاهاتهم نحو التنمية في الوطن العربي ، حيث وجدت أن الشباب العربي يتجه نحو اعتبار ضرورة تعليم المرأة الجامعي ليس من أجل إضافة أدوار جديدة للمرأة عند تنمية أوضاعها ؛ بل من أجل البحث عن أهم السمات أو الصفات لكي تدعم في المرأة بحيث تكون أكثر فاعلية في تنمية المجتمع . (محمد ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ص ١٦٢-١٩٦)

وهذا ما تؤكده كريمة كريم حين تشير إلى أن التغيير في أوضاع المرأة في مجال التعليم والعمل سوف يؤثر حتما على وظائفها التي تؤديها في الأسرة وفي حياتها العامة . (كريم في مجلة المستقبل العربي ، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م ، ع٣٥ ، ص٦٦ - ٦٧)

والتغيير المطلوب في تربية المرأة المسلمة المعاصرة يحتاج إلى أن يضع المهتمون في اعتبارهم مراعاة التطورات التي حدثت في عصرنا الحاضر والتي شملت الأسرة ، فقللت من دورها التربوي تجاه الأبناء ، الذين أصبحوا بحاجة إلى قدر متزايد من المعارف العلمية والأدبية والتقنية التي يعجز عن الإحاطة بها محيط الأسرة أو مجال خبرة الوالدين ، وهذا ما دفع بالقائمين على التربية الحديثة إلى القول بأن الإعداد لحياة الأسرة لا يمكن أن يترك كله للمنزل ، ولهذا السبب وجدنا بعض الدول الغربية تهتم بافتتاح فصول للعلاقات الإنسانية والعناية بالأطفال ، كما أن تعليم التدبير المنزلي لم يعد اليوم مجرد تدريب على الواجبات العملية من طهي وغيره ؛ بل أصبح شاملا لتعليم أصول الحياة العائلية . (تاريخ البشرية ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ، مج٦، ج٢ ، ص ١٤٦)

ويضاف إلى ذلك الحاجة إلى مواجهة التحديات الثقافية والاجتماعية التي أفرزها التقدم التقني في العصر الحاضر: عصر العلم والاختراع ، وعصر الأقمار الصناعية وشبكات الاتصال ، وثورة المعرفة والمواصلات والطباعة والنشر ، وعصر الكمبيوتر والبث الفضائي ، فكل هذا قد وضع كلا من الرجل المسلم والمرأة المسلمة أمام تحديات ومسئوليات ؛ تحتاج إلى استخراج ما لدى الطرفين من قدرات واستعدادات عقلية ونفسية وجسدية ، في ظل توجيه عقدي وتربوي توجهه أصالة الإسلام وقيمه .

لذلك كانت الإشكالية ، أو التحدي التربوي الذي يواجه التربية الإسلامية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة ؛ تتمثل في الحاجة إلى بلورة أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة بما يجعلها تحافظ على (أصالتها) الإسلامية ، بحيث تصبح نموذجا صالحا- مصلحا ، تتحقق فيه صفة المرأة الصحابية ؛ أي المرأة القوية - الفاضلة ، وتصان من صفة المرأة الغربية ؛ أي المرأة القوية- غير الفاضلة ، ويتم إنقاذها من صفة امرأة عصور الركود والوأد الاجتماعي ؛ والمتمثلة في المرأة الضعيفة وإن كانت فاضلة .[1]

---

[1] أنظر (الكيلاني ، مؤسسات التربية الإسلامية ، مسودة)

وبسبب هذه الإشكالية التربوية ، فإن الباحثة قد حاولت من خلال هذا البحث الإسهام في بلورة الأصول اللازمة لإخراج امرأة مسلمة تتقن المشاركة في قيادة سفينة الأسرة والحفاظ عليها من عواصف المؤثرات الخارجية بوعي وجدارة ، وتهتم بالمشكلات والقضايا العامة التي تتعلق بالمسلمين فضلا عن مصير الإنسانية ؛ امرأة تسهم في مواجهة التحديات ، وتحقيق الحاجات التي تفرزها وثبات العصر الذي نعيشه في ميادين الحياة المختلفة ، وتتابع الإنجازات في مختلف المجالات، ولا تقتصر على قراءة في الصحف والمجلات لتتبع ما قد يفيدها في زينتها أو حياتها المترلية فقط ، أو القصص والكتب الخفيفة التي لا تتطلب منها جهدا عصبيا أو نفسيا .

كما استهدفت الدراسة الحالية الإسهام في بلورة أصول تربوية تؤدي إلى بناء نظم تعليمية تهيئ المرأة المسلمة المعاصرة للمشاركة في تطوير العمل وتحسينه ، والاهتمام بقضايا المجتمع السياسية والاقتصادية والثقافية والأخلاقية ذهنيا وعمليا ، وذلك لأن العضوية الكاملة في المجتمع هي ضمنا : " فعل اجتماعي وتحمل مسئولية ومشاركة في تقرير المصير قبل أن تكون قانونا أو حقوقا مكتوبة " ، ولا يعني ذلك أن تترك المرأة المسلمة أمور المترل ، بل يعني " تكوين آراء وتنمية مهارات ومتابعة هوايات وخلق اهتمامات عامة ، بدلا من الأحاديث التافهة والقراءات السطحية والهموم البيتية العارضة والترعة الاستهلاكية ."(ياسين، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، ص ١٢٢-١٢٣)

إن الجمع بين الأصالة والمعاصرة يتطلب تكوين نفسية الفرد المسلم ليكون إنسانا ذا نمط جديد ، إنسانا يجمع بين الفضائل العقلية والخلقية وبناء القدرة الذاتية ، إنسانا يجمع بين التقدم والرقي[1] ، وهذا هو الإنسان الذي نريد من المرأة المسلمة المعاصرة أن تسهم في إخراجه . وهي لن تتمكن من ذلك إلا إذا أحسن إعدادها من خلال نظم تربوية فعالة تدفعها إلى مواكبة عصرها من خلال تعريفها بما يجد من أمور في كافة مجالات الحياة ، الأمر الذي يسهل عليها أداءها لأدوارها ، خاصة مع تعقد أمور الحياة ، وحاجة الكثيرات من النساء إلى العمل خارج المترل ، إضافة إلى أن التقنية الحديثة قد أصبحت جزءا هاما لا غنى عنه في حياتنا المعاصرة ، فهناك الأجهزة الأليكترونية المختلفة من فاكس وتلكس وتلفون وغسالة وثلاجة.... الخ ، مما تحتاج المرأة معه إلى أن تتعلم كيفية تشغيله بكفاءة ، وهناك المد الإعلامي الهائل الذي جاء بالعالم إلى داخل بيوتنا ، فأصبحت المرأة – حتى وإن لم تخرج للعمل– غير معزولة عن العالم كما كانت في السابق ، فنحن اليوم – كما يقول

---

[1] يعتبر زريق التنمية البشرية سبيلا للتقدم والرقي، والتقدم هو تدرج في المستوى الأفقي مبعثه تكوين القدرة على الطبيعة بالعلم . أما الرقي فهو تدرج تصاعدي مبعثه القدرة على الذات بالفضيلة . ويتجلى هذا الفارق في المجتمعات المتقدمة التي بلغت مدى بعيدا في النواحي العلمية والتقنية ، في حين نجدها تعاني أمراضا واضطرابات تشير إلى تخلفها في جهات أخرى حياتيه أساسية تتعلق بالكيان الإنساني . فالتقدم الأفقي لم يرافقه الرقي المطلوب ، وقد غلب الكم فيه الكيف ووفرة الوسائل على نبل الغايات .(زريق ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ص ٤١٤-٤١٥)

عمر عبيد حسنة : (نعيش مرحلة الدولة الإعلامية الواحدة حيث ألغيت الحدود واختزلت المسافات والأزمان حتى بات الإنسان يرى العالم ويسمعه وهو في مكانه . وتم اختراق الحدود السياسية والأمنية، وأخذ الأمر يتجاوز إلى حد إلغاء الحدود الثقافية، ويتدخل في الخصائص النفسية، وتشكيل القناعات العقدية فيعيد بناءها وفق الخطط المرسومة لصاحب الخطاب الأكثر تأثيرا ، أو البيان الأكثر سحرا والتحكم الأكثر تقنية . " (حسنة ، د.ت ، ص ٣٦)

وهذا معناه أننا إن لم نعمل على إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بالصورة التي تجعلها متميزة بشخصيتها ؛ فإنها قد تضعف وتنجرف وراء التقليد شئنا أم أبينا ، وبذلك تخسر نفسها وتضيع الأسرة التي ترعاها ، وتسهم في إقلاق المجتمع الذي تعيش فيه .

إن إعداد المرأة لا تكفي فيه تربيتها بما يساعدها على تدبير أمور المنزل ورعاية الأطفال فقط ؛ بل إنها تحتاج إلى أن تكون ملمة بمعارف كثيرة دينية ونفسية وتربوية حتى تتمكن من الحفاظ على فطرة أطفالها من التشوه والانحراف ، وحتى ترعاهم رعاية صحية تجعل أجسامهم قوية مهيأة للنهوض بأعباء الخلافة ، سيما وأن الحياة الدنيا دار مشقة وعناء ، و ذلك ما يشير إليه قوله تعالى :﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ (البلد، آية ٤)

فهي بحاجة إلى معرفة بالجسم البشري ما ينفعه وما يضره ، وما يحفظه من الأمراض والأخطار عبر مراحل نموه المختلفة ، وبحاجة أيضا إلى معرفة بنفسية الطفل وما يحتاج إليه من لعب وحركة ونشاط ورعاية واهتمام في كافة مراحل نموه ، هذا إلى جانب حاجتها إلى مواكبة العصر من خلال التعرف على كل ما يجد في مجالات العلم والتقنية كما أشرنا سابقا .[1]

أهمية الدراسة :

تستمد هذه الدراسة أهميتها من عدة أمور هي :

الأمر الأول:

المؤثرات العالمية في شخصية المرأة المسلمة المعاصرة ، و ذلك أن الطابع العالمي للتفجر المعرفي وثورة وسائل المواصلات والاتصال والإعلام والطباعة والنشر قد فتح الأبواب بين الثقافات المختلفة ، ونتيجة لذلك صارت المرأة في كل أقطار العالم – بما في ذلك العالم الإسلامي– تتأثر بهذه العالمية الثقافية والأساليب التي تتفاعل مع هذه الثقافات بأشكال تختلط فيها الإيجابيات والسلبيات دون معيار ضابط .

---

[1] أنظر في هذا الموضوع : الحداد ، أبو شقة ، الدهان ، حماد ، الشنتوت ، حوى .

الأمر الثاني :

أن أصول التربية التي أفرزتها الحضارة الحديثة تعاني الآن من تحديات ومشكلات جعلت القائمين على هذه التربية يحشدون آلاف الخبراء . والمختصين لمناقشة أصول هذه التربية وتطبيقاتها ومؤسساتها وإعداد العاملين فيها .

ففي خلال عقد الثمانينات من هذا القرن الميلادي وجدت الأوساط التربوية والإعلامية نفسها أمام وظيفتين متناقضتين بالنسبة لتوجيه المرأة وتربيتها والاتجاهات الاجتماعية نحوها ؛ **الوظيفة الأولى** هي الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل من حيث العمل والأدوار الاجتماعية والوظيفية والإنتاج الاقتصادي والأداء الإداري ، **والوظيفة الثانية** هي الدعوة إلى زيادة العناية بالأسرة وتنشئة الأطفال وتوفير أجواء أسرية أكثر حنانا وعلاقات أسرية أوفر دفئا ومودة كأسلوب لمعالجة تزايد انحراف الأحداث (*Griswold, 1994, p. 64*) وهذا التناقض قد ألقى بظلال كبيرة من الشك على صلاحية الأصول التي تقوم عليها التربية الحديثة، ونتيجة لهذا الشك ؛ انطلقت المؤسسات التربوية في دراسة النظم التربوية في الأقطار التي ترى فيها تحديا ومنافسا في مجال الصناعة والتكنولوجيا كاليابان وألمانيا . وقد تناولت هذه الدراسات إسهامات المرأة في الأقطار المنافسة المذكورة . ومن ذلك مناقشة (جاري ديكوكر) لأهمية إسهام الأم اليابانية في الميدان التربوي ، وكيف أن الأسرة اليابانية ورياض الأطفال تكسب الإنسان الياباني كثيرا من الاتجاهات الإيجابية التي تهيء له أن يتفوق في ميدان الصناعة والتقدم التقني (Decoker, 1993, pp. 45-58)

وقد علق أحد الخبراء التربويين على الأبحاث التي تجرى على التربية اليابانية بقوله : " منذ السنوات المبكرة تتضافر الأسر والمدارس اليابانية وتتحد لغرس أهدافها المحترمة من الجميع ، وغرس عادات العمل المنظم واتجاهات التعاون في نفوس التلاميذ . "(Decoker, 1993 , p4)

والقضية المطروحة هنا هي : هل يجب إبقاء نظم التربية التي بنيت على أصول مستوردة من مجتمعات أخرى تختلف في أصولها العقدية والثقافية والاجتماعية وتواجه تحديات وحاجات مختلفة، أم يجب مراعاة خصائص المجتمع الإسلامي ؟ وإلى أي مدى تؤثر التربية الحديثة على التوجه الفكري للمرأة المسلمة المعاصرة .

الأمر الثالث :

أن فلاسفة التربية وعلماء النفس أخذوا يقدرون بشكل أكبر الفروق بين الذكور والإناث، وانعكاس هذه الفروق على أصول التربية التي يجب تقديمها لكل من الجنسين . ولقد تتبع (ريتشارد سكوتر) وزملاؤه نتائج البحوث التي أجريت منذ عقد السبعينات من هذا القرن الميلادي على الفروق النفسية والعقلية والجسمية بين الذكور والإناث ، واشتملت البحوث المذكورة على تلك التي أجراها

محافظون متمسكون بالتقاليد التي تفرق اجتماعيا بين الذكور والإناث ، وبحوث أجراهـــا متطرفـــون راديكاليون يرفضون الاعتراف بأية فروق نفسية وعقلية، ويردون الفـــروق القائمـــة إلى التأثـــيرات الاجتماعية والاقتصادية التي أفرزتها البيئات الطبقية من خارج نفوس النوعين ، وبحوث أجراهـــا – علماء نفس وتربويين – حاولوا التزام الموضوعية ما أمكن . ثم خلص المؤلفون إلى أن الفروق قائمـــة بالفعل ولكن الاختلاف يكمن في تحديدها وأصولها وانعكاساتها على التربية ومناهجها وميادينـــها في مراحل ما قبل المدرسة والمرحلة الابتدائية والمرحلة الثانوية والجامعية .(Scotter, 1979, p. 227-241)

والملاحظـــة التي يمكن استخلاصها من استنتاجات علماء النفس وفلاسفة التربية حول الفروق بين الجنسين تتمثل في بعدين اثنين ؛ **الأول** : إلى أي مدى يمكن الركـــون إلى هـــذه الملاحظـــات الظاهرية ، وتجاهل توجيهات الوحي وإرشاد الخالق الخبير بالنفس الإنسانية العليـــم بمـــا يصلحـــها وينفعها ؟ والثاني : هل يجب تخطيط نمط واحد من التربية يخص الرجال والنساء ، أم يجب مراعـــاة الفروق بين الجنسين .

الأمر الرابع :

إدراك عدد كبير من المربين لأهمية بلورة أصول تربية المـــرأة العربيـــة المســـلمة المعـــاصرة ، والتصدي للمشكلات القائمة في الميدان . ومن الدراسات البارزة في هذا المجال مـــا أصـــدره أخـــيرا الدكتور – منير بشور– مدير قسم البرامج التربوية في الجامعة الأمريكية ببيروت بعنـــوان : " التربيـــة العربية : التعليم في العالم العربي في القرن الحادي والعشرين ." وقد عالج المؤلف تربية المـــرأة في بـــاب خاص ، حيث لفت الأنظار إلى ما يسميه (النقطة الحرجـــة الثانية) وهي تعليم المـــرأة أو الأنثـــى والفتاة فقال : " إن نصيب المرأة أدنى من نصيب الرجل في البلدان العربية من جميع الأوجه وعلـــى جميع المستويات ، ووجه الخطورة في هذا الأمر أن هذا النصيب أدنى مما هو عليـــه حـــتى في البلـــدان الناميـــة ." (بشور ١٤١٥هـــ /١٩٩٥م ، ص ٧٦)

ويضيف د. بشور قائلا :

" إن من غرائب الأمور أن أفضل الكتابات والتقارير عن المستقبل العربي وأعمقـــها تحليـــلا وأوسعها مدى ، تتجاهل كليا هذا الخلل بالنسبة للمرأة . ولذلك يصبح لزاما علينا الاســـتنتاج بـــأن البلدان العربية ستبقى في حالة مزرية وبائسة وتعيسة بالمقابل لبقية بلدان العالم إذا لم يتشكـــل هـــذا المستقبل على أساس التعادل [1] والتعاون بين المرأة والرجل . لهذا يصبح لزاما على التعليم العـــربي أن يثير هذه المسألة في أوساطه ويعتبر تحقيق التعادل والتعاون هدفا رئيســـيا مـــن أهدافـــه. "(بشـــور ، ١٤١٥هـــ/ ١٩٩٥م، ص٧٨)

---

[1] هذا البحث يطرح قضية التعادل والمساواة بين النوعين بمعنى التكامل بينهما .

ويناقش عمر عبيد حسنة ما يسميه " المرأة ... والوأد التربوي " فيذكر أن على العالم الإسلامي أن يقف أمام قضية كبرى تفرض نفسها على الفكر التربوي الإسلامي وهي قضية المرأة ، وما تتمتع به وظيفتها التربوية من خصوصية ، وطبيعتها النوعية من قابلية تربوية . إذ المعروف أن خطاب التكليف الإسلامي جاء عاما للرجل والمرأة على حد سواء ؛ عقيدة ، وعبادة ، ومعاملة ، وأمرا ، ونهيا ، وموالاة ، وحقوق ، وواجبات. وأن الله جعل ميزان الكرامة والفوز : التقوى والعمل الصالح وليس الذكورة والأنوثة ، لأنها أمور قسرية لا يد للإنسان فيها ، ولذلك لا يقبل عقلا أن تكون محل مسئولية وتفضيل ، وإنما المسئولية على الأمور الاختيارية .. وأن القوامة التي شرعها الله للرجل هي في الحقيقة مسئولية إشراف وأهلية قيادة وليست تشريفا .

ويضيف حسنة بأن البناء التربوي الإسلامي كان في القرون الإسلامية الأولى منسجما مع هذا التصور الإسلامي ، فلما تراجعت التربية الإسلامية ، وضعف العالم الإسلامي ، وتحكمت التقاليد الاجتماعية وحلت محل التعاليم السماوية ، وحكمت العقلية القبلية الجاهلية مكان التربية الإسلامية ، حرمت المرأة من التعليم ومن الثقافة ، وكأن التربية تقتضي الجهل والغباء والعطالة بحيث تصبح أقرب لتنظيف البيت والطفل منها إلى تربيته . لذلك فإن تعثر العملية التربوية وفسادها في إطار المرأة أبلغ أثرا ، وأخطر شأنا منه في نطاق الرجل . (حسنة ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، ص ٦٦-٦٧)

وحين تنبهت كثير من دول العالم الإسلامي على واقع المرأة وأرسلتها إلى مؤسسات التعليم ، وجدت المشرفين والمشرفات على العملية التربوية ممن تربوا خارج الإطار الإسلامي ، وسبقوا إلى التعليم، هن قدومها . لذلك فإن الوأد التربوي والنفسي والاجتماعي لا يزال يتم ، ولكن بصورة أكثر حداثة وإخراجا .

وما لم يستطع القائمون على العملية التربوية بلورة أصول تربوية ملائمة للمجتمع المسلم المعاصر ، وإفراز نظم تربوية جديدة تبصر المرأة بدورها الذي شرعه الله ، وتبصرها بالتحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية لتحتل مكانتها في مسيرة الجهاد التربوي والتنموي، فسوف يستمر الخلل والعجز ، وتفرغ المرأة من أخص خصائصها في الوظيفة التربوية التي خلقت لها ، وسوف تنتقل مؤسسات تربيتها إلى أيدي أعداء الدين من المفسدين في الأرض .

الأمر الخامس :

أن المجتمعات الإسلامية وهي تحاول التصدي للتحديات والمشكلات التي تواجهها لابد وأن تعمل على تعبئة جميع القوى البشرية وتأهيلها بالمهارات والمعارف والاتجاهات اللازمة . والمرأة المسلمة تشكل نصف هذه القوة البشرية ، ولها إسهامها الفعال في تشكيل اتجاهات النصف الآخر، حيث أظهرت الدراسات التي تهتم بالمرأة وثقافتها ؛ أن المرأة المتعلمة تسهم في بقاء الأولاد في المدرسة لفترات

أطول ، ومن ثم تخف حالات التسرب ، وأظهرت أيضا أن تربية المرأة الغذائيـــة والصحيـــة والمترليـــة تنعكس إيجابيا على صحة العائلة النفسية والجسدية وعلى توازنها الغذائي والمادي . (الإنماء التربوي ، ١٤٠٧هـــ / ١٩٨٧م ، ص ٢٩-٣٠)

وما من شك في أن الإعداد الجيد من خلال برنامج تربوي يراعي جميع جوانب شخصية المرأة بشمول وتكامل ، هو الذي يمكنها من تحقيق هذه النتائج الجيدة في حياتها وفي حياة أسرتها ومجتمعـــها خلال المتغيرات المتجددة ، ومثل هذا البرنامج هو ما تحاول الباحثة أن تضع له تصورا للأصول الـــتي ينبغي أن يبني عليها .

الأمر السادس:

قلة الدراسات التي تتناول القضايا الخاصة بواقع المرأة المسلمة المعاصرة ، حيث أن غالبية مـــا يجري من دراسات الآن في مجال المرأة المسلمة إنما يتعلق بالمرأة المسلمة المتغربة ؛ التي انجرفت وراء تيار التربية الحديثة ، فالدراسة الحالية تتناول ما يخص المرأة المسلمة التي تســـتطيع الإســـهام في مواجهـــة الحاجات والتحديات المعاصرة بحيث نحاول وضع تصور للأصول التي ينبغي أن يـــبني عليـــها منـــهج إعدادها .

الأمر السابع:

أن دول العالم أجمع أصبحت تبذل كل ما في وسعها من أجل النهوض بوضع المرأة في كـــل مكان - بما في ذلك المرأة المسلمة - وقد أثمرت تلك الجهود عن إقامة أربعة مؤتمـــرات للمـــرأة .[1] وهذه المؤتمرات تعطي اهتماما خاصا لتعليم المرأة ، إضافة إلى أن كثيرا من جامعات العالم تضم أقساما خاصة بدراسات المرأة بهدف إثراء المجال بما يفيد في تحسين وضع المرأة ، ففي أمريكا وحدها هناك ما يقرب من ٣٥٠ معهدا للتعليم العالي ، يضم كل منها برنامجا خاصا عن دراسات المـــرأة إلى جـــانب المعاهد التي تقدم مواد وخدمات كلها تؤكد اهتمامها بقضايا المرأة . وفي كندا هناك معهد لدراســـات المرأة في جامعة كارلتون وبرنامج مماثل في جامعة أوتاوا . (Keton, 1986, p. 531)

فإذا ما عرفنا كل ذلك أدركنا أننا أولى من غيرنا بإدارة شئون حياتنا ، خاصة ما يتعلق منـــها بهويتنا .[2]

---

[1] عقدت الأمم المتحدة عام ١٩٧٥م المؤتمر الدولي الأول للمرأة في مكسيكو سيتي - بالمكسيك ، مما أدى إلى إقامة عقد الأمم المتحدة للمرأة الذي يقوم على أسس المساواة والتنمية والسلام ، وانبثقت عن هذا المؤتمر فكرة إنشاء معهد الأمم المتحدة للبحوث والتدريـــب الدولي لتقدم المرأة (Istra) ، وصندوق الأمم المتحدة لتنمية المرأة (Unifem) وتم عقد المؤتمر الرابع للمرأة في نهاية عـــام ١٩٩٥م (University of Ottawa, Programme en etudes des femms, 1992-1993, p.1)

[2] أنظر تفصيل الحديث عن مؤتمرات المرأة ص ٢٦٤ .

الأمر الثامن:

يضيف البحث بعدا آخر من أبعاد الاهتمام بالمشكلات المتعلقة بالمرأة حتى تؤخذ بعين الاعتبار من قبل المخططين للتنمية في البلاد الإسلامية ، ويتمثل ذلك فيما يمكن أن تسهم به المرأة في التنمية ، وهو إسهام على درجة كبيرة من الأهمية إذا ما أحسن إعدادها له .

الأمر التاسع:

لما كانت أصول التربية ركيزة أساسية في تكوين المربي وإعداده ؛ فإن هذه الدراسة عن الأصول التي ينبغي أن تقوم عليها تربية المرأة المسلمة المعاصرة يمكن أن تساعد راسمي السياسة التعليمية والمهتمين بإعداد المعلمين والمعلمات وتدريبهم والمشتغلين بالعلوم التربوية والعاملين في التربية من مربين ومعلمين ، إضافة إلى ما يمكن أن تقدمه للمرأة المسلمة المعاصرة من توجيه إلى ما ينبغي أن يقوم عليه إعدادها .

أهداف الدراسة:

أشار التقرير الصادر عن الأعمال التحضيرية للمؤتمر العالمي الرابع للمرأة ، إلى أن التعليم المقدم للفتاة في هذا العصر ؛ يجب أن يكون ذا نوعية جيدة ، بحيث يعدها لدخول أي ميدان يتناسب مع فطرتها ، كما يعرضها للعلم والتقنية ويحفز قدراتها ، ويعزز اعتدادها بنفسها ، ويكون منظما على نحو يمنعها من التوقف عن الدراسة قبل الأوان ، هذا بالنسبة للفتيات أما الراشدات فلا بد أن تتوفر لهن فرص التعليم والتدريب الفعالة من حيث التكلفة و التي يمكن أن تساعدهن في التغلب على الآثار الناجمة عن التمييز ضدهن في الماضي والتي كثيرا ما تركتهن مفتقرات إلى المهارات الأساسية . (الأعمال التحضيرية ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ١٢، فقرة ٣٦)

كما وضعت (حكمت أبو زيد) في تعقيبها على هشام نشابة صورة لما يتوقع أن تكون عليه المرأة المسلمة المعاصرة ، حيث تقول : " فنحن نريدها متميزة بمرونة في الشخصية حتى تستطيع التكيف بالظروف المحيطة وبالمواقف المتجددة من حولها ، وأن تكون على استعداد لأن تتطور مع الزمن ، وأن تؤمن بالمنهج العلمي في التفكير ، وأن تكون نهمة في معرفة الحقائق ، وأن تكون مؤمنة بأهمية التحديث حتى تتمكن من الاستجابة الكاملة لمجتمع مفتوح متغير ، وأن تؤمن بحتمية وحدة الوطن العربي .. وأن تثق في قدراتها ، وفي إمكاناتها على اقتحام الصعاب ، وأن تتحدى ما أقيم في طريقها من عقبات ، وأن تتميز بروح المبادأة والمبادرة ، بمعنى ألا تبقي قابعة في مكانها تنتظر نزول الغيث ؛ بل تكون فاعلة متفاعلة ، مؤثرة في الأحداث ومستجيبة لها . " (نشابه في ندوة المرأة ودورها .. ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص ٤٥٠)

وبأخذ ما سبق بعين الاعتبار ، إلى جانب إدراكنا لصفات الإنسان الصالح الـــذي تهـــدف التربية الإسلامية إلى إيجاده ؛ فإننا يمكن أن نحدد الصورة التي نريد من المرأة المسلمة المعاصرة أن تكون عليها في العصر الحاضر ، بحيث تتصف بصفات الإنسان الصالح المنتج الذي يعطي الحياة كما يـــأخذ منها ، والذي يدرك مسئولياته ويقوم بواجباته قبل أن يطالب بحقوقه ، الإنسان الذي يعيش لأمته قبل أن يعيش لنفسه .

ومثل هذا الإنسان لن يوجده الفهم التقليدي للتربية الدينية والمترلية فقط ، لأن ذلك لا يمثـــل سوى جزءا من التربية التي يحرص الإسلام عليها ويدعو إليها

إن مسلمة اليوم تحتاج إلى تربية شاملة تتناول جميع جوانب شخصيتها وتصقل جميع مهاراتها. تربية تستمد روحها من الإسلام وتستفيد من كل مستحدثات العصر ، وسوف ندرك إمكانية تحقيـــق ذلك وعدم استحالته إذا ما فكرنا في مسلمات الصدر الأول من الإسلام ، فالأسس التي ربيت عليـــها نساء العصر الحاضر ليست بأسوأ مما ربيت عليه أولئك النسوة اللاتي رأينا منهن من جوانب العظمة ما خلده التاريخ بعد أن هداهن الله للإسلام .

وهذا البحث هو محاولة في مجال تربية المرأة المسلمة المعاصرة تحاول الباحثة من خلاله الإسهام في توضيح الطريق أمام المهتمين بقضية المرأة مستهدفة ما يلي :

١- إبراز أهمية البحث في أصول تربية المرأة المسلمـــة المعاصـــرة .

٢-توضيح الأصول العقدية التي تسهم في تربية المرأة المسلمة المعاصرة .

٣- التعرف على الأصول التاريخية لتربية المـــرأة المسلمة المعاصرة .

٤- بلورة الأصول الاجتماعية لتربية المرأة المسلمـــة المعاصـــرة .

٥- التعرف على واقـــع تربيـــة المـــرأة المسلمـــة المعاصـــرة .

تساؤلات الدارسة:

من خلال عرض موضوع الدراسة ، وأهميتها ، وأهدافها ؛ فقد تم تحديد موضوع الدراسة في التساؤلات التالية:

١- ما هي أهمية البحث في أصول تربية المرأة المسلمـــة المعاصـــرة؟

٢- ما الأصول العقدية التي تسهم في تربية المرأة المسلمـــة المعاصـــرة؟

٣- ما الأصـــول التاريخيـــة لتربيـــة المرأة المسلـــة المعـــاصـــرة؟

٤- ما الأصول الاجتماعية لتربيـــــة المرأة المسلمـــة المعاصـــرة؟

٥- ما واقـــع تربيـــة المـــرأة المسلمـــة المعاصـــرة ؟

منهج الدراسة :

اقتضت طبيعة الدراسة النظرية في هذا البحث ، استخدام المنهجين التاريخي والوصفي وذلك على النحو التالي:

١- المنهج التاريخي :

ويعرف على أنه " ما يمكن به إجابة سؤال عن الماضي بواسطة مجهود علمي كبير يبذله الباحث متمثلا في محاولته استنتاج العلاقة بين الأحداث والربط بينها ، مستندا في ذلك إلى ما يستقيه من أدلة علمية صحيحة تبرهن استنتاجه ." (العساف ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ج١، ص ٢٨١)

وقد استخدم هذا المنهج في الدراسة الحالية ؛ من أجل التعرف على جوانب المعرفة التي اشتملت عليها تربية المرأة المسلمة في صدر الإسلام ، والتي مكنتها من تربية أبناءها بتلك الكفاءة التي يشهد لها التاريخ ، وللتعرف أيضا على جذور المشكلات التي واجهت تربية المرأة المسلمة عبر التاريخ وكيف تمت مواجهتها ، ومحاولة الاستفادة من ذلك في وضع حلول للمشكلات التي تواجه تربية المرأة المسلمة في الوقت الحاضر .

٢- المنهج الوصفي التحليلي:

وهو" يصمم لتحديد ووصف الحقائق المتعلقة بالموقف الراهن، ولتوضيح جوانب الأمر الواقع ، بمسحها ووصفها وصفا تفسيريا بدلالة الحقائق المتوفرة ." (عودة وملكاوي ،١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م ، ص ٩٩)

وقد استخدم هذا المنهج في الدراسة الحالية ، من أجل التعرف على واقع تعليم المرأة المسلمة في العصر الحاضر، والإشارة إلى جوانب القصور فيه ، وكيف يمكن تلافيها من خلال الاستفادة مما جاء في الكتاب والسنة والتراث الإسلامي المتوافق معهما ، وكذلك من نتائج العلم الحديث في المجالات التي تتناولها الدارسة الحالية بالبحث .

حدود البحث :

هذه الدراسة تشمل معالجة الأصول التي ينبغي أن تقوم عليها تربية المرأة المسلمة المعاصرة في المجالات : العقدية والتاريخية والاجتماعية ، وذلك من الناحية النظرية فقط ، وهي لم تتعد إلى البحث في التطبيقات التربوية لتلك الأصول .

وقد تناولت الباحثة كل أصل منها من خلال ثلاثة عناصر وهي :

١- **المعلومـــات** التي يجب تقديمها للمرأة المسلمة المعاصرة .

٢- **المهـــارات** التي يجب صقلهـــا لديهـــا .

٣- **الاتجاهـــات** التي يجب تنميتها لديهـــا .

وتحديد الدراسة بهذا الشكل قد استهدف إبراز الإطار الشامل للأصول التي ينبغـــي أن تقـــوم عليها تربية المرأة المسلمة المعاصرة ، ثم فتح الباب لدراسات أخرى تتناول تفصيلات أكثر لكل أصـــل من الأصول المشار إليها .

مصطلحات الدراسة:

١- أصول التربية :

لغويا كلمة أصول جمع أصل ، وقد جاء في التعريفات أن الأصل في اللغة هو عبارة عما يفتقر إليه ولا يفتقر هو إلى غيره ، وفي الشرع عبارة عما يبنى عليه غيره ولا يبنى هو على غيره . (الجرجاني ، ١٤٠٣ هـــ / ١٩٨٣ م ، ص ٢٨)

كما جاء في المعجم الوسيط أن أصل الشيء هو أساسه الذي يقوم عليه ومنبته الذي ينبت منه . أما أصول العلوم فهي قواعدها التي تبنى عليها الأحكام . (المعجم الوسيـــــط ، د.ت ، ج١، ص ٢٠)

أما فقهيا ، فقد أورد أبو زهرة معنى هذه الكلمة ، فذكر أنها في اللغة تعني ما يبنى عليه. وأن هذا المعنى يتسق مع المعنى الاصطلاحي لأصول الفقه الذي يعرفه الأصوليون على أنه ما يبنى عليه الفقه . (أبو زهره ، د.ت ، ص ٧)

وأما تربويا فقد ذكر محمد الهادي عفيفي بأن التربية " جهد هادف إلى تحقيق نغمة متســـقة بشأن إعداد الفرد والجماعة ، مستفيدة بكل ما يتوافر لها من مبادئ وقواعد علمية . وهي " تستند إلى أصول مستمدة من العلوم التي تفيد في فهم جوانبها المختلفة ، مثل علم النفس ، وعلـــم الاجتمـــاع، والتاريخ ، وعلم السياسية، وعلم الاقتصاد ، والفلسفة وعلم الحياة ." (محمد عفيفي د.ت ، ص ٦٦)

كذلك عرف أحمد الفنيش مادة " أصول التربية" بأنها " تقوم على دراسة الأسس التاريخيـــة ، والفلسفية ، والاجتماعية ، للتربية ، وتناقش القضايا المتعلقة بالكون والإنسان والحياة، وذلك بهـــدف إعطاء تصورات تكاملية تسهم في الإعداد المهني من خلال تسليط الضوء على العلاقة التعليميـــة الـــتي تعين المربين على أداء مهامهم ." (الفنيش، ١٤٠٢هـــ/ ١٩٨٢م ، ص ٥)

٢- الأصول الإسلامية للتربية :

ويقصد بها " الأساس والمنطلق الذي تنطلق منه جميع الدراسات التربوية النظرية منها والتجريبية ، وهي عبارة عن عرض للمبادئ والمفاهيم التربوية الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة، وشرح لها ، وإشارات إلى الاتجاهات التربوية ، والفلسفية، والاجتماعية ، والتاريخية ، والنفسية التي تتضمنها ." (التوم ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٣٤)

٣- أصول تربية المرأة المسلمة :

بما أن الباحثة تحاول في هذا البحث أن تضع تصورا للأصول التي ينبغي أن تقوم عليها تربية المرأة المسلمة المعاصرة بما يحفظ عليها أصالتها ويساعدها على التعامل مع عصرها ، فإنه يمكن تحديد المقصود بأصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة في أنها تعني :

" القواعد التي تبنى عليها برامج تربية المرأة المسلمة المعاصرة من حيث المعلومات التي يجب تزويد المرأة بها ، والمهارات والاتجاهات التي يجب تنميتها لديها؛، لتصبح مؤهلة للإسهام في مواجهة التحديات والحاجات التي يفرزها العصر الذي تعيش فيه ، سواء أكان ذلك ضمن محيط الأسرة أو في المجتمع ، مستفيدين في ذلك من المبادئ التربوية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وما توافق معهما من التراث الإسلامي ، والمنجزات والمكتشفات في المجالات المختلفة . "

٤- الأصالة والمعاصرة :

بما أن هذا البحث يهدف إلى توضيح الأصول التي تبني عليها برامج إعداد المرأة بما يهيئها للجمع بين الأصالة والمعاصرة فقد استلزم ذلك تعريف هذين المصطلحين :

أ- الأصالة :

عرف رأفت سعيد الأصالة بأنها :" موافقة الفكر لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وبمعنى آخر أن تكون نتائج جهده العقلي في محاولة الفهم لما جاء به الإسلام منسجمة مع روحه وقواعده ." (سعيد ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٨)

أما في هذا البحث فإن الأصالة تشير إلى موافقة التربية المنشودة للمبادئ والقوانين التربوية والنفسية التي يوجه إليها القرآن والسنة .

ب - المعاصرة :

تعني التمتع بالمعلومات والمهارات والاتجاهات الكافية لمواجهة تحديات العصر وتلبية احتياجاته . (الكيلاني ، مؤسسات التربية الإسلامية ، مسودة)

أما هذا البحث فإنه يتبنى مفهوم المعاصرة لدى مجلة المسلم المعاصر حيث ترى بأن المعاصرة ذات مداخل ثلاثة وهي الاجتهاد والتنظير وإسلامية المعرفة، وتتجسد هذه المداخل في مناقشة العصر شريطة مراعاة الأصالة والإحاطة والاستقصاء والعمق والموضوعية والمنهجية . (المسلم المعاصر، العددان ٧٣-٧٤، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ٣)

الدراسات السابقة :

لم تقف الباحثة حتى الآن على أية دراسة علمية تتناول موضوع الدراسة الحالية ، إلا أنها قد توصلت إلى العديد من الدراسات التي تتناول جانبا أو آخر من الموضوع، والتي يمكن أن تستفيد منها كلا في مجالها وسوف تستعرض الباحثة تلك الدراسات أولا ، ثم تعمد إلى التعليق عليها جملة واحدة .

١ - دراسة بعنوان : " تربية المرأة بين المودودي وطه حسين :

من إعداد الباحثة منيرة عبد الله القاسم ، وقد ركزت الباحثة في دراستها على القضايا المتعلقة بتربية المرأة ومكانتها الاجتماعية في ضوء الإسلام لدى مفكرين معاصرين هما : المودودي وطه حسين ، بهدف إسقاط الدعوى القائلة بالدور الأساسي لمتغيرات العصر وظروفه الاجتماعية في توجيه سلوك الفرد ، وأنه لابد من فهم تعاليم الإسلام وتشريعاته في نطاقها .

وقد كان من أبرز النتائج التي توصلت إليها الباحثة :

أ. أن تأكيد الإسلام على المساواة بين الرجل والمرأة توجب الاهتمام بتربيتها بما يتلاءم مع وظيفتها في الحياة .

ب. أن عدم الاختلاط بين الجنسين ليس تقليدا تختص به بيئة دون غيرها ، بل هناك دراسات غربية تؤكد محاسنه.

ج. أن واقع المجتمعات وما فيها من فساد يؤكد أهمية الحجاب وأنه لا يتعارض مع التقدم والمدنية والرقي الإنساني ، فللمرأة أن ترقى إلى أقصى مراحل التعليم في ظل من الضوابط الشرعية.

د. أن الإسلام أباح للمرأة ممارسة جميع الأعمال بضوابط يجب أن توفرها طبيعة العمل بحيث يتلاءم مع خصائصها الجسدية والنفسية، وأن تلتزم المرأة فيه بسلوكيات الإسلام .

ه. أن هناك آدابا للعلاقة بين الجنسين تقع مسئولية الالتزام بها على عاتق ثلاث جهات : الأسرة والمؤسسات التعليمية والمسئولين عن الإعلام والعاملين به .

٢- دراسة بعنوان " التزام المرأة بالإسلام وآثاره التربوية على عملها":

من إعداد الباحثة **خديجة أبو القاسم حاج محمد**، وقد أفردت الباحثة فصلا لتقصي إسهام المؤسسات التربوية في إعداد المرأة المسلمة العاملة ، وما ينبغي أن تكون عليه تلك المؤسسات من تضافر وتنسيق ووحدة في الهدف حتى تستطيع أن تحقق ذلك الالتزام، وقد قدمت الباحثة في نهاية بحثها عدة **توصيات** – دون بيان لنتائج الدراسة – كان من أهمها :

أ. العناية بإعداد المرأة المسلمة إعدادا شاملا متكاملا تشترك فيه كافة المؤسسات التربوية حتى يتحقق التزامها بالإسلام فكرا وسلوكا .

ب. عند وضع خطط التنمية العامة في البلاد يجب أن تجعل الدولة وظائف النساء متمشية مع المعايير الإسلامية بحيث تكون مقصورة على النساء دون الرجال .

ج. تعديل أنظمة العمل الخاصة بتشغيل النساء حتى تتلاءم مع مبادئ الإسلام .

٣- دراسة بعنوان :" دور الأم في تربية الطفل المسلم":

من إعداد الباحثة **خيرية حسين طه صابر** وقد أفردت فيها فصلا بعنوان : "منهج تربية الأم المسلمة " ذكرت فيه أهداف مناهج تعليم الفتاة في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية ومدى ملاءمتها لخصائص نمو التلميذة " ، ثم عرضت لأهم العوامل التي انفردت بها كل مرحلة في عدم تحقيق الأهداف المنشودة من المنهج، ثم العوامل المشتركة بين جميع المراحل والتي تعرفت عليها من خلال المقابلات الشخصية التي أجرتها مع بعض مديرات المدارس والأمهات والمعلمات ذوات الخبرة . ومن خلال معرفتها بالواقع وضعت **تصورا** جديدا لما ينبغي أن يكون عليه المنهج وهو أن يكون القرآن الكريم هو محور العملية التعليمية التربوية لكل مادة وكل درس . وانتهت في هذا الفصل إلى أن الأهداف الموجودة في المنهج الحالي بالإضافة إلى التصور الذي استعرضته إذا ما ترجمت إلى أهداف سلوكية ملموسة فإنها بلا شك ستعين على تخريج الفتاة التي يمكن الاعتماد عليها لتصبح أما في المستقبل تتمكن من تربية الإنسان الصالح .

٤- دراسة بعنوان : " مدى إمكانية تعليم الفتاة السعودية فنيا وتدريبها مهنيا للعمل في المؤسسات النسائية ":

من إعداد **وفاء بنت حسن الصائغ** ، وهي دراسة ميدانية قامت فيها الباحثة بتوزيع استفتاء على عينة تتكون من ١٥٠ طالبة و١٥٠ من أولياء الأمور، وذلك بهدف" الإسهام في التخطيط لنوع مهم من أنواع التعليم للفتيات ؛ وهو التعليم الفني والتدريب المهني عن طريق توفير بعض المعلومات كمعرفة رأي الطالبات وأولياء أمورهن حول الرغبة في مثل هذا النوع من التعليم إلى جانب الإسهام

في معرفة أنواع المهن الفنية التي يرى أفراد العينة أنها مناسبة لطبيعة الفتاة السعودية "، وذلك بهدف الإسهام في فتح مجالات مهنية وفنية أمام المرأة السعودية بهدف العمل في القطاعات النسائية العامة والخاصة . وقد كان من أهم **النتائج** التي توصلت إليها الدراسة :

أ. اتفاق غالبية أفراد العينة على أن المرأة قادرة على ممارسة بعض أعمال الصيانة التي يقوم بها الرجال في المؤسسات النسائية .

ب. اتفاق غالبية أفراد العينة على حاجة المؤسسات النسائية إلى عمالة فنية منعا للإحراج والإرباك عند الاستعانة بالرجال الفنيين .

ت. اتفاق غالبية أفراد العينة على حاجة المؤسسات لموظفات مدربات لصيانة الآلات باستمرار.

وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة ؛ في أن كلا من الدراسات السابقة قد تناولت جانبا من الجوانب التي تناولتها الدراسة الحالية وبكيفية مختلفة عن الكيفية التي تتناولها بها الدراسة الحالية ، فالدراسة الأولى عن " تربية المرأة بين المودودي وطه حسين" ، قد تناولت جانبا من تاريخ تربية المرأة المسلمة في العصر الحديث من خلال مفكرين معاصرين ، لكنها لم تحدد الأصول التربوية التي تمكن المرأة من القيام بمهامها في مجابهة التحديات القائمة والحاجات المتجددة في العصر الحاضر .

أما الدراسة الثانية " التزام المرأة بالإسلام وآثاره التربوية على عملها " ، فقد تناولت ما يتعلق بالجانب الاقتصادي والإداري في الدراسة الحالية ، بينما تشمل الدارسة الحالية على ما هو أكثر من ذلك .

وبالنسبة للدراسة الثالثة " دور الأم في تربية الطفل المسلم" فقد تناولت مواد المنهج بالتفصيل فيما يتعلق بمراحل التعليم العام ، وهذا يتعلق بالجانب التطبيقي الذي لن تتعدى إليه الدراسة النظرية الحالية ، إضافة إلى أن تلك الدراسة قد انحصرت في الحديث عن مهمة المرأة ضمن الإطار المألوف و لم تتعد ذلك إلى المهمات الاجتماعية للمرأة ، وإلى ما يمكن أن تقوم به في مواجهة حاجات الواقع الإسلامي والعالمي وتحدياته .

أما الدراسة الرابعة " مدى إمكانية تعليم الفتاة السعودية فنيا وتدريبها مهنيا للعمل في المؤسسات النسائية "، فإنها تتناول ما يتعلق بالجانب العلمي في الدراسة الحالية التي تختلف عنها وعن جميع الدراسات السابقة في أنها تحاول أن تضع تصورا للأصول التي ينبغي أن تقوم عليها تربية المرأة المسلمة المعاصرة في مختلف المجالات الحياتية ، لكن – كما أشرنا سابقا – يمكن للباحثة أن تستفيد من الدراسات السابقة كل في مجالها .

الفصـــل الأول

الأصول العقدية لتربيـــة المرأة المسلمة المعاصـرة

يستهدف البحث في الأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة ؛ اكتشاف التوجيهات القرآنية والنبوية التي تحدد معالم تربية المرأة المسلمة باعتبارها الشريك المكافئ للرجل في مسيرة الحياة ، والعمل سويا من أجل تجسيد تعاليم الله سبحانه وتعالى في واقعهما الاجتماعي، وذلك من خلال الممارسات الفردية والعلاقات الجماعية .

والمقصود بالأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة هي الأصول التربوية المستمدة من العقيدة ، فكما أن هناك فلسفة وفلسفة تربية ؛ هناك أيضا عقيدة وعقيدة تربوية .

وقد اعتمدت الباحثة في استعراضها للأصول العقدية التصنيف الذي اعتمده الدكتور ماجد عرسان الكيلاني في كتابه فلسفة التربية الإسلامية ؛ وهو تصنيف يقسم **مظاهر العبودية** إلى **ثلاثة** مظاهر هي: المظهر الديني ، والمظهر الكوني ، والمظهر الاجتماعي.

كذلك يقرر هذا التصنيف أن هذه المظاهر الثلاثة تمثل التجسيد العملي لمفهوم العبادة التي يجعلها القرآن الكريم غاية الخلق ومقياس إنسانية الإنسان .

وتتجسد هذه المظاهر الثلاثة تربويا من خلال تربية إنسان التربية الإسلامية لتكون علاقاته مع الخالق والكون والإنسان والحياة والآخرة كما يلي :-

١-علاقة إنسان التربية الإسلامية بالخالق - علاقة عبودية .

٢-علاقة إنسان التربية الإسلامية بالكون - علاقة تسخير .

٣-علاقة إنسان التربية الإسلامية بالإنسان - علاقة عدل وإحسان .

٤- علاقة إنسان التربية الإسلامية بالحياة- علاقة ابتلاء .

٥- علاقة إنسان التربية الإسلامية بالآخرة- علاقة مسئولية وجزاء .

(الكيلاني ،١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م ، ص ٨٣)

وسوف تعمل الباحثة على بلورة هذه العلاقات في أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة من خلال المباحث التالية :-

المبحث الأول : المظهر الديني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة (علاقة العبودية) .

المبحث الثاني : المظهر الكوني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة (علاقة التسخير) .

المبحث الثالث : المظهر الاجتماعي للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة(علاقة العدل والإحسان - الابتلاء - المسئولية و الجزاء) .

المبحث الأول

المظهر الديني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة

" علاقـــة العبوديـــة "

يجري البحث في المظهر الديني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة من خلال تقسيم الموضوع إلى ثلاثة محاور هي : -

١- المفهـــوم الحقيقـــي لعلاقـــة العبوديـــة .

٢- أثر الإيمـــــان على سلوك المـــرأة المسلمـــة.

٣- الصنميات الحديثة وأثرها على سلوك المرأة المسلمة.

أما عن تفاصيل هذه المحاور فهي كما يلي :

أولاً : المفهوم الحقيقي لعلاقـة العبودية :

يتوجه الخطاب القرآني الداعي إلى عبادة الله سبحانه وتعالى إلى المرأة كما يتوجه إلى الرجـــل باعتبارهما ممثلين للإنسان الخليفة في الأرض .

والنظر في توجيهات القرآن الكريمة المتعلقة بتربية الأفراد - ذكوراً وإناثاً - يكشف عـــن أن العبودية تمثل الغاية التي خلق الله الخلق لأجلها ، والتي أرسل الرسل بدعوة الناس إليها . ويشـــير إلى ذلك قوله تعـــالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ (الذاريـات ، أيـة ٥٦) .....

والعبودية هي أرقى المقامات التي يمكن أن يرتقي إليها الإنسان، ولذلك وصف الله بها رسوله ﷺ في قوله تعالى :﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ... ﴾ (الإسراء، آية ١)

وقد جاء في تفسير القرطبي" أنه لو كان للنبي ﷺ اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالـــة العلية . "(القرطبي، د.ت ، ج ١٠، ص٢٠٥)

ومن ثم ندرك أن الوضع الصحيح للإنسان يتمثل في كونه عبداً لله ،حيث تمكنه علاقة العبودية من معرفة الله ، وعبادته ، والسلوك على مقتضى هديه ، بحيث يظل في ترقٍ دائم في هذه الأمور .

وتشير آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن العبودية إلى أن العبادة لا تقتصر على مجـــرد أداء الشعائر المألوفة ؛ وإنما يتسع مفهومها ليشمل دقائق حياة الإنسان ، قال تعالى :﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾

(الأنعام ،آية ١٥٢)

ونجد نصوص السنة النبوية تفصل في الإشارة إلى أنواع الممارسات اليومية التي يمكن للمرأة المسلمة أن تحقق من خلالها عبوديتها لله، لتقيس عليها جميع سلوكياتها . ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه من أن رسول ﷺ **قال**" كل سلامي من الناس عليه صدقة : كل يوم تطلع فيه الشمس ، قال : تعدل بين الاثنين صدقة . وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة " ، قال" والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة ." (مسلم ، د.ت ،ج٢، الزكاة/١٦، ص٦٩٩)

فتربية المرأة على معرفة الغاية من وجودها ؛ هدف أصيل من أهداف التربية الإسلامية ، وهو يتحقق من خلال ممارساتها اليومية سواء في تعاملها مع خالقها أو في تعاملها مع غيره بحيث تكون في عبودية في جميع نشاطاتها .

ونجد الأصول التربوية في القرآن الكريم تتضمن ما يشير إلى تربية المرأة على إدراك الغاية من وجودها؛ فهذه امرأة عمران تنذر مولودها ليكون عتيقا خالصا لله تعالى ، حاملا لرسالته متفرغا لعبادته. (القرطبي ، د.ت،ج ٤، ص٦٦) ، حيث قالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾(آل عمران ، آية ٣٥)

فتربية الفتيات على هذه الحقيقة منذ الصغر يجعلهن يتطلعن إلى تحقيق أهداف أبعد من الأهداف المألوفة ؛ فالزواج مثلا ، لا يصبح هدفا في حد ذاته ، بل وسيلة إلى تحقيق مرادات الله وأوامره ، والإسهام في ثقافة شكر الله على نعمه ، لأن الشكر هو مظهر رئيسي من مظاهر العبادة . وقد ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة ، آية ٤) عن الشكر ما نصه:

" إن عبادة الله تعالى هي غاية الشكر له في القيام بما يجب لألوهيته ، واستعانته هي غاية الشكر له في القيام بما يجب لربوبيته . أما الأول ؛ فظاهر لأنه هو الإله الحق فلا يعبد بحق سواه ، وأما الثاني ؛ فلأنه هو المربي للعباد الذي وهب لهم جميع ما تكمل به تربيتهم الصورية والمعنوية."

(رضا، د.ت ، ج١، ص ٦٠)

ويخبرنا القرآن الكريم أن الإنسان عندما يشكر ربه على النعم فإنما " يشكر لنفسه"، لأنه يستوجب بذلك لنفسه المزيد من النعم ، فنجد في قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ حين أراد استحضار عرشها من اليمن إلى القدس، وأحضر إليه قبل أن تطرف عينه ، اعترف بفضل ربه عليه ، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (النمل ، آية ٤٠)

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة ؛ تعريفها بربها لتطيعه عن قناعة ومعرفة ، بحيث تجعل من العبودية بداية وغاية . فهي الأصل الذي تتفرع منه جميع العلوم ، وهي الغاية التي لابد من الوصول إليها في النهاية .

كذلك توجه الأصول العقدية إلى وجوب توجيه المرأة المسلمة إلى العلم باعتباره فريضة إسلامية كما جاء عن رسول الله ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه : " طلب العلم فريضة على كل مسلم ." (ابن ماجة ، د.ت ،ج١، ص٨١)

والفريضة في الإسلام -كما يقول الأستاذ محمد قطب-هي " عبادة يتقرب بها الإنسان إلى ربه ويبتغي بها رضاه ." (قطب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، ص٩٢)

ومن ثم فإن تعلم كل علم من العلوم المفروضة والمباحة ، يعتبر وسيلة للتقرب إلى الله مادام يحقق الأهداف التي جاء بها الإسلام .

وتعليم المرأة يؤدي إلى اتساع تصورها للوجود ، ولدورها فيه ، ويخرجها من النطاق المحدود الذي تعيش فيه إلى محيط الوجود كله باعتبارها فردا من الإنسانية التي ترجع إلى أصل واحد مكرم ، مميز عن غيره من المخلوقات. تعرف من أين جاءت ؟ ولماذا ؟ وإلى أين سينتهي بها المصير؟ فيشيع كل ذلك في نفسها الأمن والاستقرار الذي يشكل لديها دافعا وحافزا للعمل في الدنيا من أجل الجزاء الحسن في الآخرة ويحررها من العبودية لغير الله .

ثانيا : أثر الإيمان على سلوك المرأة :

إن النظر في التاريخ الإنساني يوضح لنا كيف أن إدراك المرأة لحقيقة علاقتها بالله سبحانه وتعالى ، يجعلها ترتقي بنفسها وبمن حولها ، حيث يهبها الإيمان قوة ذاتية تجعلها تلتزم حدود الله سبحانه وتعالى من تلقاء نفسها ، فلا تعود ترغب إلا فيما يرضي الله ، وتهجر كل ما لا يرضيه ، رغبة في الفوز برضي الله ، ونيل أعلى الدرجات ، وهو ما وعد الله به عباده المؤمنين العاملين في سبيله بقوله سبحانه وتعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

(التوبة ،آية ٢٠)

وقد ورد في تفسير معنى هذه الآية أن الإيمان هو التسليم بالحقائق التي اشتمل عليها القرآن الكريم ، والهجرة تعني ترك ما يتعارض مع الإيمان ومع الحقائق ، والجهاد هو اسم هذا الكفاح ، والثلاثة تمثل مراحل متتابعة لحياة الإنسان في سبيل ارتقائه إلى الإيمان .(خان ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٩)

ونجدا لقرآن الكريم يعرض لنا نماذج نسائية وصلت إلى مراتب عالية من السمو بما حققته لنفسها من تربية إيمانية ، وما قامت به من إسهام في تربية قوافل المؤمنين منذ بدء الرسالات الإلهية .

فهذه امرأة فرعون التي اختارها الله لتقوم على تربية نبيه موسى عليه السلام بعد أن ضاقت السبل بأمه في ظل حكم فرعون المستبد ؛ نجدها بعد أن يبعث موسى تسارع إلى الإيمان برسالته ، مستعلية على كل ما حولها من مغريات لما أدركته من الحق . وحين يكشف أمرها ، وتعذب لتترك ما هي عليه ؛ نجدها تصبر وتحتسب ، ولا ترهبها أعظم قوة على ظهر الأرض ، لأن إيمانها قد شكل منها إنسانا آخر ، ومن ثم وجدناها تؤثر الموت في سبيل عقيدتها ، واستحقت أن تكون بإيمانها مثلا يضربه الله سبحانه وتعالى لتحذو حذوه غيرها من النساء حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (التحريم ، آية ١١)

وتلك مريم ابنة عمران التي تقبل الله نذر أمها ، فاصطفاها لعبادته ، وشهد لها بالتصديق وبالقنوت .(القرطبي ، د.ت ، ج١، ص ٦٦) ، واختارها لتكون أما تقوم على تربية أحد رسله لهداية الإنسانية . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران ، آية ٤٢) ، وقال ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ (التحريم ، آية ١٢)

ونجد الرسول ﷺ يشير إلى حفظ الله لها وابنها من لشيطان ، ببركة دعاء أمها حيث قالت : ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ (آل عمران ، آية ٣٦) .

وفي ذلك يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : " ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان ، إلا ابن مريم وأمه . " (مسلم، د.ت، ج٤، الفضائل /٤٠، ص ١٨٣٨)

وقد أشار الرسول ﷺ إلى بلوغ هاتين المرأتين مرتبة الكمال البشري بقوله :" كمل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء غير مريم ابنة عمران وآسيه امرأة فرعون ." (مسلم، د.ت ، ج٤، الفضائل/١٢، ص١٨٨٦-١٨٨٧)

كذلك تقدم لنا السنة النبوية أمثلة حية للدرجة الإيمانية الرفيعة التي بلغتها مسلمات صدر الإسلام ، وعلى رأسهن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها التي تخلت عما ألفت من نعيم وترف عن قناعة ورضى، وكرست حياتها لمساندة زوجها في نشر الإسلام ، واحتمال أذى المشركين ، وبذلت في سبيل ذلك كل ما تستطيع من نفسها ومالها .

يقول ابن كثير في تاريخه : " وآمنت خديجة بنت خويلد، وصدقت بما جاء به الله، ووازرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه ؛ من رد عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها ، تثبته ، وتخفف عنه ، وتصدقه ، وتهون عليه أمر الناس ."(ابن كثير،١٤٠٧ هـ/١٩٨٦ م ،ج ٣ ، ص٣٥)

ومن ثم فقد استحقت رضي الله عنها على ما قامت به من تضحية وعلى ما أبدته من وفاء لرسول الله ﷺ أن تكافأ ببيت في الجنة بشرها به الرسول ﷺ ، حيث قال :" أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لاصطخب فيه ولانصب ."(ابن كثير،١٤٠٧ هـ /١٩٨٦ م ، ج ٣ ، ص٣٥ ـ٣٦) ، كما استحقت أن يغضب عليه السلام إذا ما مس أحد ذكراها بسوء ؛ فقد روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها واستغفار لها ، فذكرها يوماً ، فحملتني الغيرة ، فقلت : لقد عوضك الله من كبيرة السن! قالت : فرأيته غضب غضباً ، أسقطت في خلدي ، وقلت في نفسي : اللهم إن أذهبت غضب رسولك مني لم أعد أذكرها بسوء . فلما رأى النبي ﷺ ما لقيت قال :" كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس ، ورزقت منها الولد وحرمتموه مني . " قالت : فغدا وراح على بها شهرا . " (الذهبي ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ج٢، ص ١١٢)

ولكل ذلك فقد استحقت أن تكون من أفضل نساء أهل الجنة كما أخبر ﷺ حيث قال: " أفضل نساء أهل الجنة أربع ؛ خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ." (ابن عبد البر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج٤، ص ٢٨٥)

ونجد في السنة النبوية أيضا أخبارا عن أم شريك القرشية العامرية رضي الله عنها التي أسلمت بمكة ثم أخذت تدعو إلى الإسلام ، حيث كانت " تدخل على نساء قريش سرا ، فتدعوهن وترغبهن في الإسلام ، حتى ظهر أمرها لأهل مكة ، فأخذوها وقالوا : لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكنا سنردك إليهم . قالت : فحملوني على بعير ليس تحتي شيء موطأ ولا غيره ، ثم تركوني ثلاثا، لا يطعمونني ولا يسقوني . قالت : فما أتت علي ثلاث حتى ما في الأرض شيء أسمعه . قالت : فنزلوا منزلا ، وكانوا إذا نزلوا منزلا أوثقوني في الشمس ،واستظلوا هم منها ، وحبسوا عني الطعام والشراب، فلا تزال تلك حالي حتى يرتحلوا.... " (الأصبهاني ،١٣٨٧ هـ/١٩٦٨ م ، ج٢، ص ٦٦)

وهناك كثير من الأمثلة التي تدل على الإسهامات الكبيرة لمسلمة صدر الإسلام في نشر الإسلام ، متحملة في سبيل ذلك صنوف الأذى والاضطهاد من قبل المشركين .

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة اتخاذ تلك الأمثلة أساسا للانطلاق منها في حثها على العمل على نشر الدين الإسلامي بين غير المسلمين ، خاصة في ظل الإمكانات الكبيرة التي توفرت في الوقت الحاضر بفضل التقنية الحديثة .

كذلك يقدم لنا القرآن الكريم صورا حية لمشاركة المرأة للرجل في نشر الإيمان وإقامة المؤسسات التي تربي البشرية عليه.

فهذه هاجر زوج إبراهيم عليه السلام التي أسكنها زوجها بأرض قفر، حيث لا ماء ولا حياة، وقد وصفها رب العالمين بذلك في قوله تعالى: ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾ (إبراهيم ، آية ٣٧) فحين عرفت هاجر أن ذلك إنما تم بأمر الله سبحانه وتعالى ، سلمت لأمر الله وهي تقول " إذا لا يضيعنا ." (القرطبي ، د.ت،ج٩، ص٣٦٩)

ويصف الهاشمي هذا الموقف فيقول :

> " لقد كان موقفا عصيبا بالغ الصعوبة ؛ رجل يترك امرأته ورضيعها في أرض قفر ، لا نبات فيها ولا ماء ولا إنسان ، وينقلب متوجها إلى بلاد الشام البعيدة، لم يترك لهما إلا جرابا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء !!ولولا الإيمان العميق الذي ملأ نفس هاجر ، ولولا صدق التوكل على الله الذي أترع مشاعرها وأحاسيسها لما استطاعت أن تتحمل هول الموقف ، ولانهارت من أول لحظة فيه، ولما كانت تلك المرأة الخالدة التي يذكرها حجاج بيت الله الحرام والمعتمرون آناء الليل وأطراف النهار ، كلما نهلوا من ماء زمزم الطهور، وكلما سعوا بين الصفا والمروة ، مثل سعيها ذاك في ذلك اليوم العصيب ." (الهاشمي،١٤١٥/١٩٩٤، ص١٢)

ثم نجد هاجر فيما بعد ترضع ابنها هذا الإيمان العميق لينشأ على التسليم لحكم الله وأوامره ، فيرضى بأمر الله فيه وهو فتى ، حيث أمر أبوه بذبحه، فيقول: ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾(الصافات،آية ١٠٢)

فلابد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة من توجيهها بحيث تتخذ من هاجر وأمثالها قدوة لها في تمام التسليم لأوامر الله وأحكامه دون انتظار لمعرفة السبب من وراء ذلك الحكم ، وحتى يكون شعارها دوما : " إذا لن يضيعنا "، كما لم يضيع هاجر وابنها عليه السلام ، حيث أصبح الوادي القفر فيما بعد أفضل مكان على وجه الأرض ؛ تهفو إليه القلوب من كل مكان ، وكانت هاجر وابنها النواة لمجتمع إيماني ، كان من نسله خير خلق الله محمد ﷺ .

وصورة أخرى يقدمها لنا القرآن الكريم متمثلة في أم موسى التي شاركت في تربية أحد رسل الرحمة الإلهية لبني الإنسان . فقد قدمت لنا أم موسى صورة مثالية لاستسلام المؤمنة لأوامر الله ، متغلبة على ما كان يجيش في صدرها من عواطف الأمومة الحانية ، والتي وصفها الله سبحانه وتعالى

بقوله: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

(القصص آية ،١٠)

وهكذا **فإنه ينبغي** في تربية المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها بما ينمي لديها قوة الإرادة التي تمكنها عند الضرورة من التغلب على الوساوس ، بل وحتى على العواطف الطبيعية ، لترتقى إلى المستوى الإيماني الرفيع الذي ينبغي أن تكون عليه المرأة المسلمة.

كذلك نجد السنة النبوية تعرض لنا كثيرا من الأمثلة التي توضح أثر الإيمان على سلوك مسلمة صدر الإسلام ، والذي جعلها تندفع من أجل نصرة الدين الجديد ، فتبذل كل ما في وسعها ، غير مبالية بما تلقاه من أذى أو عنت أو مشقة .

فمثلاً كانت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما - إبَّان الهجرة- تقطع المسافات الطويلة بين مكة وجبل ثور في جوف الليل ، غير مبالية بوحشة الطريق ولا بوعورة المسلك ، ولا بترصد الأعداء ، وذلك لتوافي الرسول ﷺ وصاحبه بالزاد والأخبار . ثم نجدها بعد ذلك تثبت أمام كفار قريش حين يسألونها عن الرسول ﷺ فتأبى أن تجيب . وحين تحين ساعة رحيل الرسول ﷺ وصاحبه لا تجد أسماء ما تربط به الزاد سوى نطاقها فتشقه نصفين وقد روي عن الزبير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لها:" أبدلك الله عز وجل بنطاقك هذا نطاقين في الجنة. فقيل لها ذات النطاقين ." (ابن كثير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، ج٣، ص ١٨٦/ ابن عبد البر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، ج٤، ص ٢٣٣)

وكذلك أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها التي ضحت في سبيل عقيدتها بوطنها وقومها ، وسافرت مهاجرة إلى المدينة المنورة وحدها بعد صلح الحديبية، وهي تقول لرسول الله ﷺ : " إني فررت إليك بديني ، فامنعني ولا تردني إليهم ، يفتنوني عن ديني ويعذبوني ، ولا صبر لي على العذاب ، إنما أنا امرأة ، وضعف النساء إلى ما تعرف ، وقد رأيتك رددت رجلين حتى أمتنع أحدهما . فقال " إن الله عز وجل قد نقض العهد في النساء وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم ."، فقدم أخواها الوليد وعمارة من الغد فقالا : أوف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه ، فقال : " قد نقض الله العهد فانصرفا . " (ابن الجوزي ، د.ت، ج٢، ص ٥٧)

وفي أم كلثوم وأمثالها من المؤمنات ، نزل قوله تعالى :﴿ .... فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾(الممتحنة ، آية ١٠)

وهناك أيضاً أم سلمة رضي الله عنها التي هاجرت إلى الحبشة ثم عانت الكثير وهي تهاجر إلى المدينة بعد أن فرَّق المشركون بينها وبين زوجها. وقد كان زوجها يحسن صحبتها ، فلما مات ؛ صبرت

واسترجعت ، تنفيذا لتوجيهات النبي ﷺ ، وهي تظن أنه ما بين الناس من هو خير من أبي سلمة رضي الله عنه . لكن الرب الرحيم يبدلها بمن هو خير من أبي سلمة ، جزاء معاناتها في سبيل الله وصبرها واحتسابها.تقول أم سلمة رضي الله عنها :

" سمعت رسول الله ﷺ يقول :" ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم آجرني في مصيبتي ، وأخلف لي خيرا منها ، إلا آجره الله في مصيبته. وأخلف له خيرا منها ." قالت : فلما توفى أبو سلمة قلت : من خير من أبي سلمة صاحب رسول الله ﷺ؟ ثم عزم الله لي فقلتها. قالت : فتزوجت رسول الله ﷺ." (مسلم ، د.ت ، ج٢، الجنائز/٢، ص ٦٣٣)

وهناك أم الفضل زوج العباس بن عبدا لمطلب رضي الله عنها التي دفعتها رغبتها في نصرة دين الله إلى ضرب أبي لهب بعمود ، وذلك حين عمد إلى ضرب مولاها أبا رافع لاتباعه دعوة الرسول ﷺ ، فقد شجت رأسه شجة عميقة قاتلة وهي تقول : " استضعفته أن غاب عنه سيده !!" . وقد توفي أبو لهب بعد ذلك بسبع ليال . (ابن كثير ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ج٣، ص ٣٠٩)

وهناك كثيرات غير هؤلاء من المسلمات الأوائل اللاتي استعذبن العذاب في سبيل الله وفي سبيل إعزاز دينه ؛ غير مباليات بما يلقين في سبيل ذلك ، بل إنهن عمدن إلى التقدم للغزو مع رسول الله ﷺ وصحابته بعد أن بدأت المواجهة العسكرية بين المؤمنين والكافرين ؛ حيث شاركن بما استطعن من أعمال ، من أجل مساندة المجاهدين، و لم يترددن عن الاشتراك في القتال حين الحاجة .

فهذه صفية بنت عبدا لمطلب رضي الله عنها ؛ تقوم يوم أحد وفي يدها رمح لتضرب به في وجوه الفارين وهي تقول : انهزمتم عن رسول الله ﷺ !! " ولما رآها الرسول ﷺ أشار إلى ابنها الزبير بن العوام رضي الله عنه ، ليرجعها حتى لا ترى ما حل بشقيقها حمزة رضي الله عنه الذي مثل به الكفار؛ فقالت : و لم ؟ قد بلغني أنه مثل بأخي ، وذلك في الله فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأصبرن واحتسبن إن شاء الله ! "(الكاندهلوي.د.ت ، ج٢، ص ٤٨٢-٤٨٣)

ثم تشهد الخندق بعد ذلك ، فتعمد إلى قتل يهودي كان يطوف بحصن النساء بعمود .

(ابن كثير، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ج٢، ص ١١٠ــ١١١)

ومثلها نسيبة بنت كعب المازنية رضي الله عنها؛ التي استلت سيفها يوم أحد ، واندفعت للذود عن رسول الله ﷺ الذي عبر عن بلائها في ذلك اليوم بقوله : " ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني ." (ابن سعد ، د.ت ، ج٨ ، ص ٤١٥)

وقد استحقت نسيبة لجهادها في سبيل الله ؛ أن ترافق الرسول ﷺ في الجنة حيث قال عليه السلام لابنها :"... بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان ." ، فلما سمعت نسيبة بمقولة رسول الله ﷺ ، قالت : أدع الله أن نرافقك في الجنة، فقال : " اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة ، فقالت : ما أبالي ما أصابني في الدنيا ."(ابن سعد ، د.ت ، ج٨ ، ص ٤١٥)

وقد حذت أم سليم رضي الله عنها حذو صفية ونسيبة وغيرهما من المجاهدات رضي الله عنهن ، حيث اتخذت لنفسها خنجرا يوم حنين ؛لتضرب به من يدنو منها من المشركين .

ولصدق إيمانها ، وحسن بلائها ؛ استحقت أن يبشرها الرسول ﷺ بالجنة ، حيث روى عنه أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال:" دخلت الجنة فسمعت خشفة (١) . فقلت : من هذا ؟ قالوا هذه الغميصاء بنت ملحان ، أم أنس بن مالك . " (مسلم، د.ت، ج٤، الفضائل/١٩، ص ١٩٠٨)

فهذه الأمثلة وغيرها كثير، إنما تدل على الإسهامات الكبيرة التي يمكن أن تشارك بها المرأة المسلمة المعاصرة في نصرة دين الله ، إذا ما أحسن إعدادها ، خاصة في وقتنا الحاضر؛ الذي تتكالب فيه شياطين الإنس والجن على الإسلام والمسلمين .

كذلك تبدو آثار التربية الإيمانية التي تلقتها مسلمة صدر الإسلام في سلوك التسليم لحكم الله وأوامره، والذي تجلى في العديد من المواقف التي أثبتتها السنة .

فهذه زينب بنت جحش رضي الله عنها ؛ ترضى بعد تمنع بالزواج من زيد بن ثابت مولى رسول الله ﷺ وهي تقول :" إذا لا أعصي رسول الله ﷺ "، حيث نزل في قصتها قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الأحزاب، آية ٣٦) (ابن كثير، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦م ،ج٣، ص ٤٩٠)

وقد كافأها الله سبحانه وتعالى على هذا التسليم لأوامره ؛ بأن زوجها من رسوله ﷺ بعد طلاقها من زيد ، فكانت تفاخر الأخريات بقولها : زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات" (الأصبهاني،١٣٨٧ هـ /١٩٦٧ م ،ج٢، ص ٥٢-٥٣)

ومثلها الصحابية فاطمة بنت قيس رضي الله عنها ، التي تأيمت ، ثم خطبت ، فجعلت أمرها لرسول الله ﷺ ؛ لينكحها من شاء . وكان قد خطبها معاوية ، وأبو جهم ، وأسامة بن زيد. فقال رسول الله ﷺ :" أما معاوية فرجل ترب (١) لا مال له ، وأما أبو جهم فرجل ضراب للنساء ، ولكن أسامة بن

---

(١) صوت المشي وحركته . (النووي في مسلم ، د.ت ، ج٤ ، ص١٩٠٨)

(١) ذو فاقة . (الرازي ، د . ت ، ص٧٦)

زيد " ، فكأنها كرهت الزواج من أسامة ؛ إذ أشارت بيدها وهي تقول : أسامة أسامة ! فقال لها رسول الله ﷺ : طاعة الله وطاعة رسوله خير لك . فقالت : فتزوجته فاغتبطت . " وفي رواية " .. فتزوجته فشرفني الله بابن زيد وكرمني الله بابن زيد ."(مسلم ، د.ت ، ج٢، الطلاق/٦، ص ١١١٩-١١٢٠)

كذلك يتجلى سلوك التسليم لأوامر الله ؛ في نزول مسلمة صدر الإسلام عند حكم الله تعالى في الأمر بالحجاب. فقد روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : "يرحم الله نساء المهاجرات الأول؛ لما أنزل الله ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ (النور، آية ٣١) ؛ شققن مروطهن فاختمرن بها ."(البخاري ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج٦، التفسير/١٢، ص ١٣)

فينبغي إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يجعلها تسلم لأوامر الله وأحكامه عن طواعية دون انتظار لمعرفة الحكمة من وراءها موقنة بأن في ذلك الخير ،كل الخير لها .

ويدخل الإيمان بالقضاء والقدر ضمن التسليم لله في كل الأمور ؛ إذ يتضمن التسليم بقدرة الله على الإحاطة بكل شيء . (الأشقر،١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م ، ص ١٣٥) . وقد أخبر ﷺ بأن الرضا بالقضاء والقدر من علامات الإيمان والطاعة والتقوى والصلاح ، وذلك في قوله عليه السلام : " عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له ."(مسلم، د.ت ، ،ج٤ ، الزهد / ١٣ ، ص٢٢٩٥)

وقد ظهر أثر التربية الإيمانية في نفس مسلمة صدر الإسلام ، حيث وجدناها تتحمل وهي راضية كل ما يصيبها في سبيل دينها والتزامها بعقيدتها في إيمان عميق بقضاء الله وقدره وتسليم كامل لحكم الله ، يظلله حب الله ورسوله وطاعتهما .

فهذه امرأة من بني دينار؛ يصاب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ يوم أحد ، " : فلما نعوا لها قالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؛ قالوا : خيرا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ؟ . قالت : أرونيه أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ." (ابن كثير، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م، ج٤، ص ٤٩) ، وتلك الخنساء ، يقتل أبنائها الأربعة : فتقول : " الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته . " (ابن حجر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج٤، ص ٢٨٨)

وقد حذت التابعية معاذة بنت عبد الله زوجة صلة بن أشيم حذو المسلمات الأوائل في الصبر على قضاء الله وقدره ، حيث استشهد زوجها وابنها في بعض الحروب ، فاجتمع النساء عندها فقالت

: " مرحبا بكن إن كنتن جئتن للهناء . وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن ."وكانت تقول : " والله ما أحب البقاء إلا لأتقرب إلى الله بالوسائل ، لعله يجمع بيني وبين أبي الشعثاء وابنه في الجنة ." وقد توفيت عام ٨٣هـ . (الذهبي ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ج٤، ص ٥٠٨-٥٠٩)

ومثلها أيضا التابعية حفصة بنت سيرين ؛ التي اتخذت من الصبر معينا لها على مواجهة مصابها في ابنها الهذيل ، وقد كان بارا بها أشد ما يكون البر(١) . وحدثت هي عن ذلك فقالت : -

" ... فلما مات رزق الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزق، غير أني كنت أجد غصة لا تذهب ، قالت : فبينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل ، إذ أتيت على هذه الآية ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (النحل آية ٩٥، ٩٦)

قالت : فأعدتها فأذهب الله ما كنت أجد ." (ابن الجوزي ، د.ت، ج٤، ص ٢٥)

وقد وجدنا أثر التربية الإيمانية بارزا في نفوس المسلمات الأوائل ، حيث كانت الواحدة منهن تتحمل الصدمات بنفس راضية مطمئنة ، وتستعين بالصبر والصلاة ، والذكر والشكر على قضاء الله .

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على تدعيم قوة إيمانها ؛ بحيث تنعكس آثارها علي سلوكها رضى بقضاء الله وقدره ، وأمنا واطمئنانا .

كذلك تشيرا لأصول العقدية لتربية الفرد المسلم - ذكرا وأنثى - إلى أن إيمان الفرد المسلم يمكن أن يضعف ، وأنه لذلك يحتاج إلى تجديد مستمر، ويشير إلى ذلك قول الرسول ﷺ "إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم ، كما يخلق الثوب ، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم ."(المتقي الهندي ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، ج١، ص ١٢٦)

وقد أوضح العلماء العوامل التي تؤدي إلى ضعف الإيمان ومرض القلب ، فذكروا من بينها الغل والحقد والحسد والشح والبخل والكبر والرياء وغيرها من مؤثرات العمل .(المحاميد ،١٤١١هـ /١٩٩١م ، ص ٦٨)

أما كيفية تجديد الإيمان فذلك ما أوضحه ﷺ حين قال لأصحابه فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : " جددوا إيمانكم .قيل يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا ؟ قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله ."(ابن حنبل ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ج٢، ص ٣٥٩)

---

(1) من بر الهذيل بأمه أنه كان يجمع الحطب في الصيف فيقشره ، ويأخذ القصب فيفلقه ، وكانت أمه تشعر بالبرد إذا جاء الشتاء ، فكان الهديل يضع الكانون خلفها وهي في مصلاها ، ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب المقشر، وذلك الحطب المفلق وقودا لا يؤذي دخانه ، حتى تشعر أمه بالدفء ، ويظل يفعل ذلك ما شاء الله برا بها واعترافا بفضلها . " (ابن الجوزي، د.ت، ج٤، ص ٢٥)

وتركز الأصول العقدية في السنة النبوية على تربية المرأة المسلمة بما يعينها على إدراك حقيقة الذكر وأثره في حياتها العملية ، حيث نجد الرسول ﷺ يحث ابنته فاطمة رضي الله عنها على الاستعانة بذكر الله على أمور الدنيا والآخرة ، حينما جاءت تطلب منه خادما . حيث قال لها ولزوجها علي رضي الله عنه :" ألا أعلمكما خيرا مما سألتما ؟ إذا أخذتما مضاجعكما أن تكبرا الله أربعا وثلاثين ، وتسمياه ثلاثا وثلاثين ، وتحمداه ثلاثا وثلاثين . فهو خير لكما من خادم . " (مسلم، د.ت ، ،ج٤، الذكر/١٩ ، ص ٢٠٩١) ، كما يربي نساء المسلمين جميعا على هذا السلوك حين يقول عليه السلام: " يا نساء المؤمنين عليكن بالتهليل والتسبيح والتقديس ولا تغفلن فتنسين الرحمة ، واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات ، مستنطقات ." (ابن سعد ، د.ت ،ج٨ ، ص٣١٠)

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة ؛ العمل على توجيها إلى أهمية الذكر، وكيفية القيام به ، وما له من آثار على نفسيتها ، حيث يعمل على تجديد العزم ، إلى جانب أنه يشعرها بحاجتها إلى خالقها وعلمه وقدرته وخزائنه وعفوه ورحمته ، كما أنه يشعرها بخضوعها له ، وكل ذلك ذو أثر كبير في تجديد الإيمان في النفوس ، ودفعها إلى الالتزام بسلوك الطاعة للخالق والابتعاد عن معصيته .

والذكر من أفضل الأعمال التي يمكن أن يمارسها الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته باللسان وبالفكر وبالعمل . وهو يشعر الإنسان بمعية الله له ويذكره بعبوديته لله ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة،آية ١٨٦)

والغفلة عن ذكر الله ، تفتح المجال لذكر غيره ؛﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (الكهف ، آية٢٨) وذكر اللسان يمكن أن يتم كما أشرنا ؛ في كل لحظة من لحظات حياة الإنسان ، أما الذكر العملي ، فإنه لا يقتصر على مجرد ممارسة العبادات ، بل يشمل جميع سلوكيات الإنسان إذا ما قصد التوجه بها نحو خالقه . والذكر الفكري يشمل الجانبين ، بحيث يتجه الإنسان بفكره نحو خالقه بما يحقق إخلاصه في عبوديته له . ومن الذكر تلاوة القرآن الكريم التي يجب أن تنشأ المرأة المسلمة المعاصرة على الحرص عليها ،بحيث تقبل على تدبر معانيه ، وتحاول الالتزام بها في واقع حياتها ، اقتداء بنبيها الذي قالت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها :" فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن . " (ابن حنبل ، د.ت،ج٦، ص ٥٤)

ونجد أن الأصول العقدية للتربية النبوية تحث على قراءة القرآن الكريم ، وتدور في ذلك كثير من الأحاديث من بينها قوله ﷺ فيما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل الثمرة ، لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق

الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر ."(مسلم.د.ت ، ج١، المسافرين/٣٧،ص٥٤٩)

ويحتاج بناء القدرة على تدبر القرآن الكريم لدى المرأة المسلمة المعاصرة إلى تعريفها بلغة القرآن الكريم ، ومفرداتها وأساليبها بما يعينها على فهمه وتدبره ، وفي ذلك تحرير لفكرها لينطلق بعيدا عن الجمود ، ويحاول إدراك الحكمة التي تنطوي عليها آيات الكتاب ؛ مما يعينها على الإحسان في أداء العبادات المختلفة .

وتحدد الأصول العقدية المستمدة من السنة النبوية معيار قياس الإيمان في نفس الفرد المسلم ، على أنه إحساس نفسي لا يشعر به غير صاحبه الذي يمكنه تحديد دوافع سلوكه وتصرفاته ، وهو أمر لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، وهذا ما يشير إليه قوله ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه :" ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار ."(مسلم ، د.ت، ج١ ،الإيمان /١٦،ص٦٦)

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على تنمية حب الله ورسوله ، والعمل في سبيل طاعة الله سبحانه وتعالى ، وترغيبها في الممارسات السلوكية التي تزيد من قوة إيمانها .

ومما يلفت النظر في الأصول العقدية المستمدة من القرآن الكريم ؛ التأكيد على ضرورة اقتران الإيمان بالعمل الصالح حيث لا إيمان بدون عمل صالح، ولا عملا صالحا بدون إيمان .

والعمل الصالح ؛ هو الترجمة العملية ، والتطبيق الأكمل للعلاقات بين الإنسان والخالق ، وبين الإنسان والكون ، وبين الإنسان والحياة ، وبين الإنسان والآخرة ، وهو ينقسم إلى **قسمين** : عمل هدفه جلب النفع ، وعمل هدفه دفع الضر، وقيام الفرد بالنوعين يجعله صالحا مصلحا ، أما اقتصاره على الأول ؛ فإنه يجعله صالحا فقط ، وهذا يتعارض مع أهداف التربية الإسلامية التي تسعى إلى إيجاد النموذج الذي يجمع بين الجانبين . (الكيلاني ،١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، ص ٤٧-٤٩)

فلابد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة من التأكيد على أهمية غرس القيم والمبادئ العقدية الصحيحة ، التي تساعدها على وزن أعمالها بميزان الصلاح ، فتقرب منه ، مبتعدة عما ينافيه .

ونجد الأصول العقدية المستمدة من السنة النبوية تشير إلى أن العامل الأساسي في الحكم على صلاح الأعمال من عدمه يتمثل في النية حيث يقول ﷺ فيما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لامرئ ما نوى (مسلم ، د.ت،ج٣، الإمارة/٤٥، ص١٥١٥-١٥١٦)

والنية ؛ لغة : هي "عزم القلب وتوجهه وقصده إلى الشيء ."(الزبيـــدى ، د.ت ، ج١٠ ، ص ٣٧٩)

واصطلاحـــا : هي انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرضه، من جلب نفع أو دفع ضـــــر حالا أو مآلا. (عابد، ١٣٩٨هـــ / ١٩٧٨م ، ص٧٧)

فلابد أن تربى المرأة المسلمة المعاصرة على إدراك هذه الحقيقة ، وأنها ستجازى على أعمالهـــا بحسب نيتها عند أدائها من التقرب إلى الله ، أو الحصول على غرض من أغراض الدنيا . وقد جاء في تكملة الحديث السابق قوله ﷺ : "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورســـوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه."(مســـلم، د.ت،ج٣، الإمارة/٤٥، ص ١٥١٦)

وتربيه المرأة المسلمة المعاصرة على إدراك هذه المعاني ، ينبغي أن تدفعها إلى استصحاب النية في كل ما تقوم به من سلوكيات لتنال عليها الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة . فارتدائها للحجاب مثلا ، يجب أن يكون عن رضا وتسليم بأنه شرع من الله العالم بما يصلح لخلقه :﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(الملك ، آية ١٤) ، وطلبها للعلم يجب أن يكون من أجل ابتغاء مرضـــاة الله ، ممـــا يستوجب منها الإخلاص في طلبه ، والتحري فيما تتعلم بحيث لا ينحرف بها عن الغاية التي تطلبـــه من أجلها ، وهكذا في كل أمورها ؛ بحيث تسترشد بما جاء في القرآن الكريم من أمثلـــة للأعمـــال الصالحة ؛ فتسير على منوالها والأعمال السيئة ؛ فتتجنبها .

ومما يلفت الانتباه أيضا ؛ أن الأصول العقدية المستمدة من القرآن الكـــريم والســـنة النبويـــة المطهرة ؛ كلاهما يعني عناية واضحة بإبراز السلوكيات المصاحبة للعقيدة الصحيحة والمتمثلة في الأعمال الصالحة ، يقابلها كذلك عناية واضحة بإبراز السلوكيات المصاحبة للعقيدة المنحرفة .

والأمثلة التي أشرنا إليها سابقا ؛ كلها تشير إلى أثر الإيمان على سلوك الطاعة الذي تجلـــى لدى أولئك المسلمات المؤمنات . ويؤكد ذلك قوله تعالى﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ (النســاء، آية ٣٤)

فأصول التربية الإسلامية توجه إلى أن المرأة الصالحة هي التي يظهر أثر صلاحها على سلوكها مع زوجها ؛ طاعة له ، وقياما بحقه في ماله ، وفي نفسها في غيبته. (القرطبي، د.ت،ج٥،ص١٧)

وفي ذلك يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو أمامة رضي الله عنه : " ما استفاد المؤمن بعـــد تقوى الله ، خيرا له من زوجة صالحة ؛ إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله ." (ابن ماجة ، د.ت ، ج١ ، النكاح /٥ ، ص ٥٩٦)

ويوضح القرآن الكريم خطورة عدم تربية المرأة على التعاون مع الرجل في مسيرة الإصلاح ، ويقدم مثلا لذلك سلوك امرأتي أنبياء الله نوح ولوط ، اللتين ضرب الله بهما مثلا للذين كفروا . قال تعالى :﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ (التحريم آية ١٠).

ففساد العقيدة لدى هاتين المرأتين ؛ قد دفعهما إلى الأعمال السيئة ، حيث روي أنهما كانتا تفشيان أسرار زوجيهما للمشركين (القرطبي ، د.ت،ج١٨، ص٢٠) ، ومن ثم استحقتا أن يجازيهما الله أسوأ جزاء ، ولم يشفع لهما كونهما زوجات لأنبياء الله ؛ أقرب خلقه إليه .

فالعقيدة الصحيحة تمثل رقيبا ذاتيا يدفع بصاحبها إلى مراقبة الله ، ويحول بينه وبين السوء ، ويدعوه إلى الفضيلة .

ونجد التوجيهات التربوية في القرآن الكريم تقدم للفضيلة معنى أوسع بكثير جدا من الحدود الرسمية التي تمثل الحد الأدنى الذي بدونه ينهار المجتمع من أساسه . فهي تشمل بناء النفس بجميع جوانبها ، وبكل تصرفاتها وأحاسيسها . (محمد قطب ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، ص ١٤٤)

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة ؛ إعدادها بما يساعدها على التمسك بالفضيلة ، والمحافظة على المستوى التكريمي الذي أراده لها الخالق ، فلا تهبط عنه ، وبذلك تكون ذات عقيدة حية فاعلة تدفعها إلى تغيير ما حولها ، بعد أن تستقر في نفسها ، وتمنحها القدرة على التمييز بين الخير والشر ، والاختيار بينهما ، وتوجهها نحو الخير .

هذا على **المستوى الذاتي** الذي يتعلق بالمرأة في نفسها .

أما على **المستوى الخارجي** ، والذي يتعلق بالآخرين ؛ فإننا نجد أيضا ، أن صحة العقيدة أو فسادها يمثل أيضا أساس العلاقة بين أفراد المجتمع أو الأمة .

ولذلك نجد الأصول التربوية المستمدة من القرآن الكريم تحدد العلاقات الإيجابية التي يجب أن تربط بين الإنسان المسلم وبين خالقه ، ثم بينه وبين غيره من المخلوقات ، بثلاثة أنواع : الولاء ، والعدل ، والإحسان . **فأعلاها** الولاء **وأدناها** العدل .

والولاء لا يكون إلا لله ولرسوله وللمؤمنين ، وهو علاقة حب ، وثقة ، ومناصرة ، وإيثار ، ولا تكون إلا بين أصحاب المبدأ الواحد . وإلى ذلك تشير آيات القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ البقرة ، آية٢٥٧) وقوله تعالى :

وقوله تعالى :﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ... ﴾ (الأحزاب ، آية ٦)

وقوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (التوبة ، آية ٧١)

ونجد التوجيهات التربوية في القرآن الكريم ؛ تحذر من الولاء لغير الله ورسوله حيث يقول الله سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ (المجادلة،آية٢٢)

وقد ضربت مسلمة صدر الإسلام أروع الأمثلة على تقديم آيات الولاء لله ورسوله دون سواهما ، فهذه أم حبيبة رضي الله عنها؛ زوج الرسول ﷺ تربأ بفراش رسول ﷺ أن يجلس عليه كافر، حتى ولو كان هذا الكافر أباها.

فقد جاء أبو سفيان يجدد العقد قبل الحديبية ، قبل الفتح ، ودخل على ابنته أم حبيبة ، فثنت عنه فراش رسول الله ﷺ ، فقال : والله ما أدري أرغبت بي عنه أو به عني ؟ قالت : بل هذا فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك . فقال والله لقد أصابك بعدي يا بنية شر ." (ابن كثير ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج٤، ص ١٤٦)

وتلك السيدة عائشة رضي الله عنها ، يدفعها ولاؤها لله ولرسوله عليه السلام ، إلى كتمان أمره عن أبيها وهو من هو في منزلته من رسول الله ﷺ .

وذلك أنه ﷺ حينما كان يتهيأ لفتح مكة" ... ... أخذ في الجهاز وأمر عائشة أن تجهزه وتخفي ذلك ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته ، فدخل أبو بكر على عائشة ، فوجد عندها حنطة تنسف وتنقى ، فقال لها : يا بنية لم تصنعين هذا الطعام ؟ فسكتت . فقال : أيريد رسول الله ﷺ أن يغزو ؟ فصمتت . فقال : يريد بني الأصفر ـــ وهم الروم ؟ فصمتت . فقال : لعله يريد أهل نجد ؟ فصمتت . فقال : فلعله يريد قريشا ؟ فصمتت... فدخل رسول الله ﷺ فقال له : يا رسول الله : أتريد أن تخرج مخرجا ؟ قال : نعم . قال : فلعلك تريد بني الأصفر ؟ قال : لا. قال : أتريد أهل نجد ؟ قال :لا ، قال: فلعلك تريد قريشا ؟ قال :نعم.... " (ابن كثير، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ج٤، ص ٢٨١)

ونفس الموقف وقفته أم جميل بنت الخطاب رضي الله عنها عندما جاءها أم أبي بكر الصديق رضي الله عنه تسألها عن رسول الله ﷺ مرسلة من أبي بكر رضي الله عنه ، بعد أن ضربه كفار قريش في بدء الدعوة حتى

فقد وعيه . فلما أفاق ، سأل عن رسول الله ﷺ ، ثم طلب من أمه أن تذهب لسؤال أم جميل" فقالت لها : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله. فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك . قالت : نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفا (قريبا من الموت) ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال : فماذا فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت : هذه أمك تسمع. قال : فلاشيء عليك منها . قالت : سالم صالح . .قال : أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم..." (ابن كثير ، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م ، ج٣، ص ٢٩-٣٠)

ويتبدى الولاء لله ورسوله أيضا ؛ في موقف أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما التي أتتها أمها لتزورها وهي مشركة ، فلم تدخلها حتى استأذنت الرسول ﷺ في صلتها ، فقال لها : " نعم صلي أمك ." (مسلم، د.ت، ج٢، الزكاة/ ١٤، ص ٦٩٦)

وعلاقة الولاء يمكن أن تتعرض للتغير بفعل الجاهلية ، حيث ترتد من الدوران في فلك الرسالة – الله والرسول والمؤمنون – لتعود إلى الدوران في فلك العصبيات والمصالح .(الكيلاني ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص١٧)

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة ؛ إعدادها بحيث لا يكون ولاؤها إلا لله ولرسوله وللمؤمنين بعيدا عن كل ما عدا ذلك من علاقات ، سواء كانت عائلية أو قبلية أو حزبية ، تنفيذا لأمر الله تعالى بإقامة الدين والاعتصام به وتجنب الفرقة والاختلاف ، ويشير إلى ذلك قوله تعالى :﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (الشورى،آية ١٣)

وإقامة الدين لا تتم إلا بالقضاء على دواعي التفرق وعلى رأسها الجهل الذي يعمي الإنسان عن رؤية الحق والانقياد إليه .

كذلك فإنه ينبغي على التربية أن تعمل على تنمية وعي المرأة المسلمة المعاصرة بما يجعلها تدرك العوامل الجامعة ، والقواسم المشتركة ، بين أفراد المجتمع الإسلامي ، وتكتسب الاتجاهات السليمة التي تجنبها ما من شأنه إثارة الفرقة والاختلاف ، باعتبار ذلك من أهم أسباب شيوع الولاءات الضيقة ، التي تجعل الفرد المسلم ـــ بنوعيه ـــ بعيدا عما يجري لإخوانه في أنحاء العالم ، والتي تجعل أفراد المسلمين يعاملون بعضهم البعض من منطلق طبقي ، مبعثه غنى البلد أو فقره ، وغير ذلك مما ينافي صحة العقيدة التي تدعو إلى التكافل والأخوة الإيمانية في ظل الولاء لله وحده سبحانه وتعالى دون سواه .

ثالثا : الصنميات الحديثة وأثرها على سلوك المرأة المسلمة:-

الصنمية كما يعرفها الدكتور الكيلاني تعني :" تخلي الأفراد والجماعات عن حرياتهم في التفكير والتعبير والاختيار، وعن ممتلكاتهم التي رزقهم الله إياها من أجل مخلوق آخر ، ثم التوسل إليه ليرد بعضا منها إليهم . "(الكيلاني ،١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص١٥٧)

ونجد الأصول العقدية في القرآن الكريم تشير إلى أن من أهم عوامل ظهور الدين ؛ إيقاف عبودية الإنسان لأي مخلوق ، وتحقيق عبوديته لله وحده .

وقد جاء في ذلك قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ الفتح ، آية ٢٨)

وذلك لأن عبودية الإنسان لغير خالقه تحط بمنزلته الكريمة ، وتؤدي إلى شيوع الظلم بدل العدل ، والإلتفاف حول أرباب مصطنعة ، بدل الرب الحقيقي .

وقد تحدث ابن تيمية عن ذلك ؛ حيث أشار إلى أن كل من علق قلبه بالمخلوقات أن ينصروه ، أو يرزقوه ، أو أن يهدوه ؛ خضع قلبه لهم ، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك ، وإن كان في الظاهر أميرا لهم متصرفا بهم . فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر، فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه أسيرا لها تحكم فيه وتتصرف بما تريد ، وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها . وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها ، ولاسيما إذا درت بفقره إليها ، وعشقه لها ، وأنه لا يعتاض عنها بغيرها ، فإنها حينئذ تحكم فيه بحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه بل أعظم ، فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن . (ابن تيمية ،١٣٨٩هـ /١٩٧٨ م ، ج١٠، ص١٨٥)

فالخضوع لغير الله يولد " علاقة الصنمية " بين الإنسان وبين ذلك الشيء أو الشخص المتعبد له ، مما يؤدي بالعابد إلى الهبوط عن مرتبته الإنسانية .

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة ؛ توجيهها إلى أن خضوعها لغير الله يولد" علاقة الصنمية " بينها وبين ما تخضع له من أشياء أو أشخاص ، لأنها تندفع عند ذلك إلى بذل كل ألوان الحب والطاعة لذلك الصنم أو المعبود .

وتشير الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾(البقرة،آية١٦٥).

وفي معنى هذه الآية ذكر الإمام القرطبي أن الأنداد هم الرؤساء الذين يتبعهم المرءوسون ويطيعونهم في معصية الله . (القرطبي ،د.ت،ج٢،ص٢٠٣)

فلابد أن تدرك المرأة المسلمة المعاصرة ؛ أن كل من تقدم له مراسيم الولاء والطاعة من دون الله يعتبر ندا لله .

وقد أشار إلى ذلك الحديث في قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : " تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم وعبد الخميصة (1) إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط . تعس وانتكس(2) وإذا شيك فلا انتقش. "(البخاري ، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م ، ج٣ ، الجهاد/٧٠ ، ص٢٢٣)

وعلى ذلك ؛ فإن المرأة التي تقدم مراسيم الولاء والطاعة لزوجها في رغباته التي تخالف أوامر الله ونواهيه ؛ كالتبرج ، وشرب الخمر ومخالطة الرجال الأجانب(3) وغيره ؛ تعتبر عابدة لهذا الزوج وإن كانت تطيعه وهي كارهة لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وكذلك المرأة التي تقدم مراسيم الولاء والطاعة للموضة في كل شيء دون مراعاة لمدى قربها أو بعدها عن قيم الإسلام ؛ تعتبر" عابدة " للموضة وأربابها .

وكذلك أيضا المرأة التي تقدم مراسيم الولاء والطاعة للقانون أو النظام الحاكم الذي يأمر المرأة بالخروج متبرجة ؛ تعتبر" عابدة " لهذا القانون أو النظام . والسبب في ذلك هو أن طاعتها لأرباب الموضة ، أو للنظام ، أو للقانون ؛ تعني رفضها للاحتكام إلى الله في واقع حياتها ، وكأنها هي وأربابها أكثر إدراكا لما يصلح الحياة من رب العالمين .(4)

ولابد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة أيضا ؛ من توجيهها إلى أن الأمر نفسه ينسحب أيضا على مظهر الطاعات حين تمارسه المرأة من أجل إرضاء شهوات النفس ، أو إرضاء الآخرين ؛ كأن تلبس الحجاب من أجل ستر عيوب جسدية ، أومن أجل التظاهر بالتدين رغبة في الزواج لأن بعض الرجال يفضلون ذات الدين ، أومن أجل التستر علي بعض أعمال تأتيها مما لا يرضي الله حتى لا تكون موضع شبهة ، أومن أجل مسايرة الموضة ، أو لإجبار وليها لها على الحجاب...الخ . فلأن الأعمال في الإسلام بالنيات ، فإن من تلبس الحجاب الإسلامي بفضل أي من هذه التوجهات ؛ فإنها سرعان ما تتخلى عنه أو تتهاون في لبسها له لأنه لا ينبع عن إرادة صادرة بسبب من عقيدتها .

---

(1) الخميصة : ثوب خز أو صوف معلم ، وقيل : لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة .

(2) انتكس: أي عاوده المرض كما بدأ به .

(3) يشير واقع حال المجتمعات الإسلامية إلى حدوث مثل هذه الأمور وأمثالها . (أنظر القرضاوي ، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م)

(4) غفلت المرأة المسلمة المعاصرة ، في ظل القوانين الوضعية التي تحكمها ، عن التكريم الإلهي الذي يرمز إليه أمرها بالالتزام بالحجاب أمام الأجانب ، لذلك وجدناها تندد بمن يحاول أن يعيدها إلى أصالتها بعيدا عن زيف الحضارة المعاصرة التي جعلتها نهبا للأعين في كل مكان . وقد تبدى ذلك في موقف العلمانيات من نساء تركيا اللاتي تظاهرن ضد خطط رئيس الوزراء نجم الدين أربكان ، وبرامجه الهادفة إلى تشجيع المجتمع على العودة إلى أصوله الإسلامية . وقد عبرت إحداهن عن ذلك بمخاطبتها للمتظاهرات بقولها :" أنتن هنا للاحتجاج على محاولات العودة ببلادنا إلى عصور الظلام . " (الحياة ، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م ، ع ١٢٤٠٧)

وكذلك الحال مع من تلبس الحجاب بحيث يكون في لبسها له ما ينم عن حبها لإظهار زينتها أو لفت الأنظار أو فتنة الرجال .كتوشية الحجاب بألوان صارخة ، أو أشياء لامعة ، أو وضع الحجاب بطريقة معينة تخالف المألوف ، أو المشي بحركات ملفتة للنظر ، أو لبس تصميمات من الحجاب تخالف المألوف ، وهكذا .

كذلك ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أن إتاحتها المجال للأوهام والأساطير والخرافات كي تسيطر على عقلها وتسيرها وفق أهواء شياطين الإنس والجن ، ممن يدعون معرفة الغيب ، والقدرة على الاتصال بالعوالم الأخرى ، وإبراء الأمراض وغير ذلك ، يدخل أيضا ضمن العبودية لغير الله ، وأن المتسبب في كل ذلك هو الغفلة عن ذكر الله ، والجهل بأن الغيب هو من اختصاص الله وحده دون سواه . يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ لقمان،آية ٣٤).

ويذكر ابن تيمية أن من أعظم أسباب الوقوع في أسر العبودية لغير الله ؛ إعراض القلب عن الله ، لأن القلب إذا ما ذاق طعم عبادة الله ، والإخلاص له ، لم يكن لديه قط أحب ولا أطيب منه . (ابن تيمية ، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م،مج١، ص١٨٧)

فالواجب على التربية أن تعمل على تحذير المرأة المسلمة المعاصرة من الوقوع في أسر العبودية لغير الله ، وإنقاذها من التعبد للهوى والشهوات التي يمكن أن تجرفها بعيدا عن أصالتها لتتعبد لأشياء وأشخاص ، ومظاهر؛ أبرزها ما يتعلق بالموضة التي تنسحب على الأزياء ، والأكلات ، والمباني ، والأثاث ، والمراكب ، حتى أصبح الناس في عصرنا أسرى لها لا يستطيعون عنها فكاكا ، في حين أنهم لو أنفقوا جزءا من اهتماماتهم التافهة هذه لأداء واجباتهم بما يحقق عبوديتهم لله ، لأصبح حال المسلمين أفضل . لكننا نجد من بين مسلمات اليوم من لا تتورع عن كشف ما أمرها الله بستره ، أو لبس ما لاينا سبها لا دينا ولا شكلا ، وتضع من الأصباغ والزينة ما قد يجعلها مثار سخرية للآخرين ، وكل ذلك بسبب تعبدها للموضة التي يدين لها غالبية أفراد المجتمع . ولا تدرك أن في التوجه بالعبودية لمن لا يستحقها من أشياء وأشخاص وغير ذلك ؛ يدخل ضمن محادة الله ورسوله التي تستوجب العقوبة في الدنيا والآخرة قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (المجادلة ، آية ٢٠- ٢١)

وحين يكون المعبود هو الله ؛ يكون منهج الحياة هو المنهج الرباني المبين للحلال والحرام ، أما إذا كان المعبود شيئا آخر فإن منهج الحياة يتغير ليساير ما يمليه ذلك المعبود ، سواء كان الهوى صراحة

أم الهوى من وراء شعارات أخرى ؛ حيث تتعدد الصور وتلتقي كلها في أنها هوى . (محمد قطب ،١٤٠٧هـ/١٩٨٧ م ، ص ١٨)

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (البقرة، ١٤٥)

والآية تمثل وعيدا للرسول ﷺ ، والوعيد لأرقى الناس مقاما عندا لله – كما يقول الإمام محمد عبده– هو أشد بالنسبة لغيره ممن يتبع هواه ويحاول استرضاء الناس ؛ بمجاراتهم في باطلهم . فالآية تنبه إلى خطورة هذا الذنب حتى لو أتاه أكرم الناس على الله.(رشيد رضا ،د.ت ،ج٢،ص١٨)

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة ؛ تعريفها بحقيقة العبودية وكيفية أداءها لله بما يجعلها عابدة لله في كل سلوك وفي كل توجه ، في كل لحظة من لحظات حياتها .

كذلك ينبغي تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى ما تشير إليه الممارسات التعبدية وتحديد مواقيتها ، وذلك فيما يتعلق بما يهدف إليه الإسلام من تكوين الشخصية المسلمة بصورة تجعلها تتخذ من النظام والترتيب أسلوبا تمارسه في جميع سلوكياتها المتعلقة بدقائق الحياة اليومية ، وهو ليس تنظيما آليا يسيرا لإنسان كالآلة ، بل تنظيما محافظا على إنسانية الإنسان ، حيث ينبهه إلى العمل على تحقيق أهداف معينة ، ويضبطه بضوابط تساعده على الاستقامة نحو الهدف المنشود .

ومن ثم فإنه لابد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة من العمل على تنمية حب النظام والترتيب لديها ، وكيف أنه يعينها على الإحسان في استخدام وقتها وجهدها في أدائها لمسئولياتها . ونظرة إلى العالم من حولنا تنبهنا إلى أثر التنظيم في تسيير أمور الحياة بسهولة ، وأثر انعدامه في تصعيب ذلك ، فلولا النظام ؛ ما سارت الاتصالات السلكية واللاسلكية ، ولا حركة المواصلات بما يساعد الإنسان على أداء مهامه .

كذلك لابد من توجيه المرأة المسلمة المعاصرة ؛ إلى ما يساعد على ملاحظة الآثار الباطنة للعبادات المفروضة ، بحيث يرافق عمل الظاهر منها عمل الباطن ، فالصلاة يرافقها الخشوع ، والزكاة حسن النية ، والصوم التقوى ، وهكذا... ، وتوجيهها أيضا إلى ما يرافق الممارسات التعبدية من مظاهر عبادية أخرى ، كالذكر وتلاوة القرآن ، بحيث تؤديها على أكمل وجه . وتحذيرها من المعيقات التي قد تعوقها عن دوام الصلة بالله فتوجهها إلى ما فيه مخالفة لسنن الله وقوانينه ، وأبرزها الشيطان والشهوات والدنيا والهوى ، والعمل على توعيتها بآثارها السلبية في تعطيل القدرة على الفهم ، والعمل على اضطراب السلوك والأخلاق ، واضطراب العلاقات الإنسانية ، والانتهاء بالإنسان إلى الشقاء في الدنيا والآخرة . (الكيلاني ، ١٤١٦ هـ /١٩٩٥ م ، ص٢٠٤)

وتحرص التربية الإسلامية في تكوينها للشخصية المسلمة على تحقيق التوازن بين الجوانب المادية والروحية وصولا بها نحو الكمال البشري المقدر لها ، والذي يحقق النمو لجميع طاقات الجسم ، ويساير الفطرة ، ولذلك نجد أنه على الرغم من أن الشعائر التعبدية تمثل حقا لله على خلقه ؛ إلا أن الله سبحانه وتعالى قد وضع لعبادته حدودا تمنع المسلم من التضحية بحقوق غيره من أجل أداء حقوقه سبحانه . لذلك شرعت الرخص ، مثل الإفطار للمسافر ، وللحامل والمرضع في رمضان ، والقصر والجمع في الصلاة للمسافر ، وغيرها من الرخص .

وتوجه التربية النبوية إلى أن الإسلام دين يسر وسماحة . وقد أشار إلى ذلك الرسول ﷺ في قوله : " إن الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه . " (البخاري، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ،ج١، الإيمان/ ٢٩، ص ١٥)

فأصول التربية الإسلامية تنهى عن التشدد والمغالاة لما فيها من مجافاة للفطرة ، وتعذيب للنفس ، حتى وإن كان ذلك في ممارسة الشعائر التعبدية . لذلك وجدنا الرسول ﷺ يأمر بحل الحبل الذي اتخذته أم المؤمنين زينب رضي الله عنها لتمسك به إذا ما جهدت أثناء القيام .كما وجدناه حينما أخبرته السيدة عائشة رضي الله عنها عن الحولاء بنت تويت رضي الله عنها أنها لا تنام الليل بل تصليه كله قال : " لا تنام الليل !! خذوا من العمل ما تطيقون ، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا ." (مسلم، د.ت، ج١ ، المسافرين/٣١، ص٥٤٢)

وقد روي أن سلمان الفارسي رضي الله عنه زار أبا الدرداء رضي الله عنه ، فوجده يصوم النهار ويقوم الليل ، ووجد أم الدرداء متبذلة ، فقال له : " إن لنفسك عليك حقا ، وإن لربك عليك حقا ، ولضيفك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا ؛ فأعط كل ذي حق حقه ."(الترمذي، د.ت ، ج٤، الزهد/٦٣ ، ص٥٢٦)

فالتربية الإسلامية تنهى عن التطرف والغلو في العبادة ، وتحث على الوسطية التي جعلها الله سمة لأمة الإسلام الشاهدة على الناس بقوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة ، آية ١٤٣).

ويحدث التطرف في العبادة ؛ بالإنحراف عن الوسطية زيادة أو نقصا ، فالزيادة قد تدفع بالفرد إلى نسيان متاع الجسد . وهذا قد نهى عنه الرسول ﷺ واعتبر صاحبه خارجا عن الإسلام . فقد ورد عن أنس رضي الله عنه أنه قال : " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا

أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني . "(البخاري ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ،ج٦، النكاح/ ١، ص ١٦)

فالمرأة التي تعتزل زوجها في أيام معينة ؛ بحجة رغبتها في التفرغ لنوافل العبادات ، كإحياء سنة الاعتكاف ، أو الصيام نفلا ، أو غير ذلك ، تكون قد بالغت في العبادة إلى درجة التطرف .

أما التطرف في العبادة من حيث النقص ؛ فيحدث حينما يملك حب الدنيا على المرأة جوانب نفسها ، ويدفعها إلى أن يكون همها الأول إشباع شهواتها وقضاء رغباتها من لهو وزينة وطعام وشراب ، وغير ذلك مما تراه مبهجا ، أو نافعا ، أو رافعا لها في هذه الحياة ، مما يجعلها في غفلة ، تفقدها الإحساس الواعي بمعاني الأشياء ، فلا تهتم بما يجري حولها من أحداث تتعلق بالإسلام أو بالمسلمين .

وهذا ليس معناه ألا تعمل المرأة من أجل دنياها ، فهذا مطلوب بشرط انضباطه بضوابط الشرع ، فهي مأمورة بأن تجعل همها محصورا في الآخرة وهي تعمل للدنيا لأنها خير وأبقى ، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (هود ـ آية ١٥-١٦).

والوسطية التي دعت إليها التربية الإسلامية ، وأرادها الله لأمة الإسلام لا تعارض دعوة الإسلام إلى الزهد ، كما أن الزهد لا يعارض قيام الإنسان بأداء مسئوليته في إعمار الكون ؛ وذلك لأن المقصود من الزهد ؛ هو الزهد الحسي المادي وليس العملي ؛ بحيث يدرك الإنسان حقيقة الدنيا فيجعلها في يده لا في قلبه ، فلا يحزن على ما يفوته منها ، لكنه في الوقت نفسه يعمل من أجل إعمار الكون ، لأن عمارة الكون لا تتم إلا بالعمل والجد فيه .

وقد أشار ابن تيمية إلى أن الزهد النافع المشروع الذي يحبه الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ ، هو الزهد فيما يضر أو فيما لا ينفع في الآخرة ، أما ما ينفع في الآخرة ، أو يستعان به عليها فإن الزهد فيه هو زهد في " نوع من عبادة الله وطاعته " وهو جهل وضلال ، واستشهد على ذلك بقوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : " احرص على ما ينفعك وأستعن بالله ولا تعجزن ." ، (مسلم د. ت ، ج٤، القدر/ ٨، ص ٢٠٥٢)

وقد شرح ذلك بقوله :

" والنافع للعبد هو عبادة الله وطاعته رسوله ، وكل ما صده عن ذلك فإنه ضار لا نافع ، ثم ألا نفع له أن تكون كل أعماله عبادة لله وطاعة له ، وإن أدى الفرائض ، وفعل مباحا لا يعينه على

الطاعة ، فقد فعل ما ينفعه وما لا ينفعه ولا يضره . "(ابن تيمية ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م مـــج١٠، ص ٥١١)

فزهد المسلم في الدنيا ، وعمله من أجل الآخرة يؤدي إلى أن يثيبه الله فيجمع له الدنيا والآخرة . وهذا ما يشير إليه قول الرسول ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه :" من كانت الآخرة همه ، جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة . ومن كانت الدنيا همه ، جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له." (الترمذي، د.ت، القيامـــة / ٣٠ ، ج٤، ص ٥٥٤) وفي حديث آخر يقول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : " ليس الغنى عن كثرة العـــرض ، ولكن الغنى غنى النفس ." (مسلم ، د.ت ، ج٢ ، الزكاة/ ٤٠، ص ٧٢٦)

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على تأكيد المعاني الحقيقية للزهد والغنى في نفسها ؛ بحيث تعمل من أجل الآخرة ، الأمر الذي يجعلها تستمتع بثمرات ذلك في الدنيا ؛ سكينة وطمأنينة في القلب ، وراحة في البال ، وبعدا عن الهموم والقلق والحيرة والتردد .

المبحث الثاني

المظهر الكوني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة

"علاقة التسخير"

يمثل التسخير تطبيقا للمظهر الكوني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة .

وقد حدد معنى هذا المصطلح الدكتور الكيلاني بإشارته إلى أن التسخير يعني ؛ " أن الله مكن الإنسان من استخدام مظاهر الكون في تطبيقات عملية نافعة للإنسان في مجالات حياته المختلفة دون ثمن يقدمه لله ." إلا أن الكون لا يخدم الإنسان إلا بعد ان يتعرف الإنسان على كيفية توجيه أوامره إليه . وذلك إنما يتم من خلال اكتشاف الإنسان لقوانين التسخير . (الكيلاني،١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص ١١٨)

وقد زود الله الإنسان منذ خلقه بالمؤهلات التي تمكنه من اكتشاف أسرار الكون وقوانينه ، وذلك لكي يتمكن من أداء مهمته في عمارة الكون ، وتحقيق سيادته عليه ، والتي تقوم على ركائز ثلاث :(١)

١- الفاعلية الإنسانية : ويعتبر **علم الأسماء** أحد مقوماتها الرئيسية ، ونجد المفسرين يذكرون معان عدة لعلم الأسماء ؛ أنسبها" علم حقائق الأشياء " ، والمراد بذلك العلم الإجمالي وليس التفصيلي.

٢- المسخرات الكونية للإنسان من أشياء وأحياء : ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (الأعراف ، آية ١٠).

٣- أساليب انتفاع الإنسان بالمسخرات .

وقد ذكر المفسرون أن المسخرات قد سلمت للإنسان كأمانة حيث يتصرف فيها كنائب (أميني ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ص ١٣) وذلك وفقا لمنهج علمه بالأشياء الذي يتحصل عن طريق الحس والملاحظة والتجربة والخبرة والجهد العقلي باستخدام الوسائل الممنوحة (السمع والبصر والفؤاد) ، ومن ثم فإنه لا يمكن تحصيل هذا العلم في جيل واحد ، بل هو رصيد يتنامى منذ وجود آدم وحتى قيام الساعة . (دسوقي ، د.ت ، ص ٤١)

---

(١) أنظر : (دسوقي ، د . ت ، ص ١٧/ العبدة في البيان ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م ، ع٨٧ ، ص ٣٥/ الأميني ، ١٤٠٥هـ/٩٨٥ م ، ص ١٣)

والمسخرات التي هيأها الله للإنسان تنقسم إلى **قسمين** : مسخرات يحصل عليها جميع الناس في كل زمان ومكان ودون جهد مثل الماء والهواء ، و مسخرات تتطلب جهدا بشريا للإنتفاع بها وفهم قوانينها . وتشير الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الكون مسخر لجميع الخلق مؤمنين وكافرين ، حيث أن عطاء الله في المجال المادي واحد للجميع . وإلى ذلك يشير قوله تعالى : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (الإسراء ، آية ٢٠) . لكن الفرق بين تمكين كل من المؤمن والكافر؛ أن المؤمن ينال الرضا والقبول في الدنيا والآخرة ، في حين أن الكافر يستدرج بتمكينه . (العبدة في البيان ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٥م ، ع ٨٧ ، ص ص٣٥-٣٦)

كذلك تشير الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الكون يسير وفقا لأسباب ومسببات تكون قانونا عاما في غاية الدقة والإحكام والشمول لجميع الموجودات ، فليس في الكون مكانا للصدفة .

" وما يسمى صدفة ما هو في الحقيقة إلا حدث يجهل الناس أسبابه . ولكن الجهل بالشيء لا يعني عدم وجود ذلك الشيء " ، فالكل خاضع للخالق خضوعا تاما .(زيدان ، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣ م ، ص ٢٣)

وإلى ذلك يشير قوله تعالى ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (آل عمران، آية ٨٣) .

كما أن الله سبحانه وتعالى :﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(يس ، آية ٨٢).

وبذلك تنتفي أية فكرة للمصادفة أو العبث في خلق الكون ، وتنتفي أيضا الخرافات والأساطير والأوهام التي تربط بين أحداث الكون ربطا خرافيا ، وهو ما وقع فيه الفكر البشري في كثير من أطواره ، وعند كثير من الأمم حتى في العصور الحديثة ، حيث نجد كثيرا من علماء الطبيعة الغربيين ؛ الذين يرتكزون في علمهم المادي على أساس القوانين ؛ نجدهم في كثير من أمور حياتهم الأخرى يسلمون إلى الدجالين والعرافين ليتلقوا منهم تفسيراتهم عن مستقبل الكون ومستقبل حياتهم .(1)

ولتجسيد هذه العلاقة التسخيرية في حياة المرأة المسلمة المعاصرة فإنه ينبغي تنظيم أصول تربيتها على أساس فقه واسع للحياة والأحياء في الكون ، ويتم ذلك من خلال الحرص على تنمية المهارات والاتجاهات التالية لديها :-

١- حثها على التفكر في الكون .

---

(1) هناك توجه عام في العام الغربي نحو التنجيم ومعرفة الطالع والإيمان العميق بالظواهر النفسية غير المرئية وقراءة الفنجان وورق اللعب وغيرها بسبب الفراغ الروحي الناجم عن التوجه المادي المحموم.(أنظر التنجيم : من أقدم المهن وتزدهر أسواقه في الغرب، مجلة العالم ، ع ٥٥٣، ١٤١٧هـ/- ١٩٩٧م، ص ٥٥-٥٦)

٢- صقل مؤهلات اكتشاف السنن الكونية لديها .

٣- تعريفها بالأمثلة الدالة على إبداع الخالق في خلقه .

٤- توجيهها إلى وجوب الإحسان في الاستمتاع بالمسخرات الكونية .

٥- حثها على الالتزام بالقيم في تعاملهـــا مع الكـــون .

٦- تعريفها بسلبيات الحضارة المعاصرة على مستوى الكون .

و سوف نتناول فيما يلي كل محور من هذه المحاور بشيء من التفصيل .

أولا: التفكر في الكون :

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم الإنسان بنوعيه للنظر في الكون من أجل إدراك قدرة الله وعظيم إبداعه ، ومحاولة اكتشاف القوانين المسيرة له ، والتي تعينه على تحقيق مهمتـــه في عمـــارة الكون ، ومن ثم التوصل إلى شكر الخالق . لأن القليل من بني الإنسان هم الذين يقومون بشكر الله على نعمه . وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ، (الملك، آية ٢٣)

كذلك تستهدف التوجيهات القرآنية النظر في الكون من أجل الذكرى وذلك لأن الناظر في الكون لا يرى فيه إلا الكمال والإتقان ، ودقة الصنع التي تدل على عظم الصانع . وصدق الله العظيم القائل :

﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ﴾(الملـــــــــــــك ، آية ٣-٤) والقائل : ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ ﴾ (النمل آية ٨٨)

فضخامة الكون ودقة صنعه ، لابد وأن توصلنا في النهاية إلى إدراك قدرة الله ، وعلمه :

قال تعالى :﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ (الطلاق ، آية، ١٢)

قال سبحانه أيضا :﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الآنعام آية ٥٩).

لكن آيات الكون لا تنجلي إلا لمن يتعبد الله بالتفكر والبحث في قوانينه ولا يكتفي بالمشاهدة العابرة ، ولهذا قال سبحانه :﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

(يونس ، آية ١٠١)

أما التفكر في الكون فإنه يوصل حتما إلى معرفة الله وأداء واجب العبودية تجاهه . وإلى ذلك يشير قوله تعالى :﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ (لقمان، آية ١١) .

ويستحث القرآن الكريم القلوب على ذكر آلاء الله، ليخرج الإنسان من بلادة الحس وألفة الأشياء ، فيعبد الله على بصيرة ، وهو يثني على أولي الألباب الذاكرين لله في كل حال .

قال تعالى :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ (آل عمران ، آية آية ١٩٠-١٩١).

والذكر المقصود في الآيات ليس مجرد ترديد اللسان ، بل الذكر العملي الذي يوصل الإنسان بربه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ (فاطر ، آية ٢٨)

ونجد الأصول العقدية في السنة النبوية تتوجه إلى المرأة كما تتوجه إلى الرجل ؛ فتدعوها إلى التفكر في مخلوقات الله الدالة على بديع صنعه .

فقد روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : أخذ رسول الله ﷺ بيدي ثم أشار إلى القمر فقال: " يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب ." (ابن حنبل ، د. ت، ج٦، ص ٢٣٧)

وقد جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾ (الفلق، آية ٣) ما نصه:

" إن الله(سبحانه وتعالى) أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ من شر غاسق، وهو الذي يظلم ، يقال : قد غسق الليل يغسق غسوقا إذا أظلم ، إذا وقب : يعني إذا دخل في ظلامه، والليل إذا دخل في ظلامه غاسق والنجم إذا أفل غاسق ، والقمر غاسق إذا وقب ، و لم يخصص بعد ذلك بل عم الأمر بذلك ، فكل غاسق فإنه ﷺ كان يؤمر بالاستعاذة من شره إذا وقب ."(الطبري ، ١٣٧٣ هـ/١٩٥٤ م، ج٣٠، ص ٣٥٣)

فيمكن القول أن الحديث هنا أيضا ، فيه توجيه للمرأة بالاستعاذة من شر كل مظلم إذا دخل سواء كان الليل أو القمر إذا خسف أو النجم إذا أفل . فالاستعاذة مطلوبة لما فيها من البعد عن مسالك الشطيان طلبا لرضا الرحمن .

وهذه الوصية تثير الانتباه إلى النظر والتفكر في هذه المخلوقات التي يتبدل حالها من حال إلى حال. يقول الله سبحانه وتعالى عن القمر : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾

(يس، آية٣٩) ويقول سبحانه عن النجوم :﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ (الملك، آية ٢٥).

فالتفكر في هذه الآيات وغيرها يصل بالمرأة (والرجل) إلى إدراك عظمة الله سبحانه وتعالى ، وأنه وحده المستحق لكمال العبودية دون سواه فتكون دوما في ذكر متجدد لما ينكشف لها من آيات الله سبحانه وتعالى خاصة في عصرنا الحاضر الذي تتوالى فيه الكشوف بفضل ما من الله به على الإنسان من تقدم علمي جعله يدرك كثيرا من القوانين والسنن التي تحكم الكون ، وجعلته في الوقت نفسه يشعر بضآلة ما يعرفه إزاء ما يجهله .والنتيجة الحتمية لهذا الشعور تتمثل في زيادة الإيمان الذي أشارت إليه الآية في قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر ، آية ٢٨)

ونجد هذا السلوك واضحا لدى عدد من العلماء الغربيين الذين زادهم العلم إيمانا بالله وخشية منه ، ومن بينهم العالم الفلكي السير (جيمس جينز) الأستاذ بجامعة كمبردج ، الذي رآه العالم الهندي عناية الله المشرقي في أحد أيام الآحاد من عام١٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩م، وهو في طريقه إلى الكنيسة ، فسأله عن السبب الذي يدفع بعالم مثله إلى الذهاب للكنيسة . وقد أجابه العالم بمحاضرة عن الأجرام السماوية ، ونظامها المدهش ، وكان يحكي ذلك وقد بدا عليه التأثر، وانهمرت الدموع من عينيه ، وكان مما قاله : " يا عناية الله ؛ عندما ألقي نظرة على روائع خلق الله ، يبدأ وجودي يرتعش من الجلال الإلهي . وعندما أركع أمام الله ، وأقول له إنك لعظيم ؛ أجد أن كل جزء من كياني يؤيدني في هذا الدعاء ، وأشعر بسكون وسعادة عظيمة ، وأحس بسعادة تفوق سعادة الآخرين ألف مرة . أفهمت يا عناية الله خان لماذا أذهب إلى الكنيسة ؟ ". فقرأ عليه عناية الله قوله تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (فاطر ، آية ٢٧-٢٨)

يقول عناية الله :

" فصرخ السير جيمس قائلا : ماذا قلت ؟ إنما يخشى الله من عباده العلماء . مدهش وغريب وعجيب جدا . إنه الأمر الذي كشفت عنه بعد دراسة ومشاهدة استمرت خمسين عاما . من أنبأ محمدا به ؟ هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة ؟ لو كان الأمر كذلك فاكتب شهادة مني أن القرآن كتاب موحى من عند الله .. لقد كان محمد أميا ، لا يمكنه أن يكشف عن هذا السر بنفسه ، ولكن الله هو الذي أخبره بهذا السر... مدهش وغريب وعجيب حقا ...."(آصفي ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٧٠-٧٢)

وهناك أيضا الكاتبة والمفكرة اليابانية (سوى أوورا) التي توصلت من خلال تأملها في نفسها وفي الكون من حولها إلى إدراك وجود الله باعتباره المهيمن على الكون كله .

لقد عاشت الكاتبة في مجتمع لا يؤمن إلا بالعلم والمنطق ، الأمر الذي يجعل الفرد فيه يشعر بكثير من الوحشة وعدم الاستقرار بسبب شعوره بعجز العالم عن توفير السعادة الحقيقة له . وقد نجم عن ذلك ظهور كثير من التنظيمات والجماعات الدينية التي تعبر عن التخبط الروحي الذي يعيشه إنسان الحضارة المعاصرة . فوجودها في هذا المجتمع جعلها تفكر وتتوصل من خلال حدسها إلى الإيمان بالله ، معتمدة على التأمل في الكون حيث شعرت وكأن صوتا يناديها من السماء بقوله : " إن الطبيعة هي سبيلك لمعرفتي " ، وبعد بحث وتأمل توصلت إلى أن هناك (إرادة عظمى) تقف جميع المخلوقات منها في موقف العبودية . ومن بين ما تفكرت فيه : خلايا جسم الإنسان ، والرعاية التي تحيط بالجنين في أثناء حمله وبعد ولادته ، والنمل والنحل وهو يعمل بجد واجتهاد ، والطيور وهي تسير في جماعات ، والعمليات الحيوية داخل جسم الإنسان وسلوك جماعات من الفيلة في أفريقيا والتي كانت تسير مسافات طويلة إلى مكان صخري معين ، وهناك تقوم بلعق الصخور بألسنتها ثم تعود أدراجها إلى موطنها ، ولما بحث العلماء هذه الظاهرة ، وجدوا أن الصخور تحوي معادن تحتاجها أجساد الفيلة . فاستنتجت أوورا أن كل هذه الأمور تخضع لمشيئة واحدة ، وأن كل الكائنات في الكون تخضع لعلاقة العبودية حيث لا يوجد بينها ما يبدي أي اعتراض أو تذمر على ما يقوم به من دور ؛ بل جميعها تحيا في سلام محققة التوازن التام .

لقد توصلت إلى كل ذلك بعلمها وعقلها . فأرادت أن تتأكد منه ، لذلك فقد ذهبت إلى مصر باعتبارها ذات حضارة وتاريخ وفيها كثير من الآثار القديمة . فلما سمعت الأذان ، ورأت المصلين يقفون مصطفين لا فرق بين كبير وصغير ، ولاغني وفقير ، وكلهم قد حضر عن طواعية دون إكراه ، ولاحظت أثر الصلاة على نفوسهم من اطمئنان وسكينة تحفهم بعد أدائها . كل ذلك قد شرح صدرها للإسلام فذهبت إلى الأزهر لتعلن انضمامها إليه وتسمي نفسها (مريم نوسي) .

(العلم والمنطق .. في النور ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ع٧٠ ، ص ٤٦-٤٩)

وكذلك البروفيسور البريطاني (آرثر أليسون) الذي كان رئيسا لقسم الهندسة الكهربائية والأليكترونية في جامعة لندن . فقد حضر إلى القاهرة في عام ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ؛ ليشارك في أعمال (المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي الأول) حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم . وكان يحمل معه إعجابا بالعقيدة الإسلامية باعتبارها عقيدة منطقية يقود إليها التفكير في صنع الله ومخلوقاته في الكون .

وقد حمل أليسون معه إلى المؤتمر بحثين : الأول حول (أساليب العلاج النفساني والروحاني في ضوء القرآن الكريم) ، و الآخر عن (العلاقة بين النوم والموت في ضوء قوله تعالى :﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (الزمر ، آية ٤٢)

وبعد إلقائه لبحثه ، استمع أليسون للأبحاث الأخرى ، وتناقش مع العلماء ، حتى إذا كانت الليلة الختامية للمؤتمر أعلن إسلامه أمام مراسلي وكالات الأنباء العالمية ، حيث ذكر بأنه من خلال اهتماماته بعلم النفس وما وراء النفس ؛ تعرف على الأديان ؛ فدرس الهندوسية (١) والبوذية(٢) والإسلام ، وقارن بينها . فوجد الفارق الكبير الذي جعله يوقن بأن الدين الإسلامي هو الأكثر مسايرة لنظرته وسلوكه الذي نشأ عليه ؛ حيث لم يكن يشرب الخمر ولا يأكل الخنزير، وكان يشعر بوحدانية الإله الخالق المسيطر على الكون .

كذلك فقد وجد أن الإسلام لا يتناقض مع العقل أو العلم . وهذا ما جعله يختاره دينا له . وهو يركز على الحقائق العلمية في الإسلام كمدخل للدعوة الإسلامية في الغرب الذي يعتقد بأن الإنسان " عبارة عن عدة كيلوجرامات محدودة من الأنسجة بالإضافة إلى عقل .... " (الجهيني ، د. ت ، ص ٩٤-٩٦)

إلا أن قلة من العلماء الغربيين هم الذين توصلوا إلى الحقيقة التي توصل إليها السير جيمس جيتر، ومريم نوسي وعبد الله أليسون ؛ لأننا نجد أن الكثرة منهم قد اغتروا بما وصلوا إليه من علم ، وتوهموا أنهم يمكن أن يستغنوا بعلمهم وعقولهم عن الدين ، وحجبهم غرورهم عن رؤية أي شيء خارج النطاق المادي المحسوس ، ولما كان الدين يعتمد على قواعد غيبية خارجة عن نطاق المادة ، وينطلق من منطلقات لا مادية ، فقد اعتبره الإنسان الغربي ظاهرة غير علمية ، و لم يوفه ما يستحقه من التفكير والاهتمام أو اعتباره أنه علم أصلا . (الآصفي ،١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م، ص ص١١ -١٢)

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن التفكر في الكون ليس له حد معين ، حيث نجد من بين آياته ما يحث عل التفكر في بدء الخلق ومن ذلك قوله تعالى :﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (العنكبوت، آية ٢٠).

ومنها ما يحث على التفكر في الماضي والحاضر؛ ومن ذلك قوله تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَّرُوهَا

---

(1) الهندوسية أو الهندوكية : اصطلاح أوروبي يطلق على عقائد معظم شعب الهند وطقوسه . وليس لها قانون ثابت مكتوب بل بعض كتب قديمة عبارة عن شروح دينية . وآلهة الهندوسية كثيرة . (الموسوعة العربية الميسرة ، د . ت ، ص ١٩٠٦)

(2) البوذية : هي الديانة التي وضعها بوذا الذي عاش حوالي سنة ٥٠٠ قبل الميلاد . وكان بوذا ابن أحد ملوك الهند ، فتخلى عن الملك والجاه وكرس حياته لهذا الدين ، وانتقلت تعاليمه إلى كثير من البلدان . (دائرة معارف الناشئين ، د . ت ، ص ٧٧)

وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الروم آية ٩-١٠).

ومنها ما يحث على التفكر في مخلوقات الله ؛ ومن ذلك قوله تعالى :﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾

(الغاشية ، آية ١٧-٢٠)

وغير ذلك من الآيات . لكن ما تجدر الإشارة إليه ؛ هو أن الأصول العقدية في القرآن الكريم توجه الإنسان إلى عدم إعمال عقله فيما وراء الكون لأن ذلك خارج عن نطاق العقل ، فهو ليس مجالا له ، وقد كفاه الوحي العناء حين أمده بالمعارف التي يحتاجها عن عالم الغيب .

وآيات القرآن الكريم التي تحث على التفكير وأهمية التدرب عليه ؛ تشدد على أهمية التثبت قبل إصدار الأحكام ، بحيث يكون صفة ملازمة للإنسان في سلوكه في حياته اليومية وفي علاقاته مع الآخرين ، ولا تقتصر على مجال الدراسة والبحث . (الكيلاني ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص ٦٧) وإلى ذلك يشير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾

(الإسراء، آية ٣٦)

فينبغي الاهتمام بالتكوين العقلي للمرأة المسلمة المعاصرة بحيث تستخدم في ذلك كافة الأساليب والوسائل التربوية الحديثة التي تساعد على تنمية القدرات العقلية لديها من خلال جميع المؤسسات التربوية المباشرة وغير المباشرة ، بحيث توجه تلك القدرات توجيها إيجابيا يحافظ عليها من التشوه الذي يمكن أن يلحقها إذا ما تركت لتنمو دون توجيه . وذلك لأن القدرات العقلية يمكن أن تتأثر بالوهم والخرافة والجهل بعيدا عن التفكير العلمي ، وهذا يمكن أن يحدث إعاقة لعقل المرأة ، تدفعها إلى الخوف من مظاهر الطبيعة ؛ فتصبح آيات الله دليلا على ضعف الإيمان بدلا من أن تكون سببا في تدعيم الإيمان بالله وزيادته(١) .

---

(١) لازالت الكثيرات من المسلمات المعاصرات يؤمن بالدجل والخرافة والسحر والشعوذة، مما يدفع بهن إلى الخوف مما لا وجود له لدرجة تجعلهن يفسرن كل صوت أو حركة طبيعية تفسيرات بعيدة عن الحقيقة . بل إن من النساء من تخاف من الحشرات والقوارض ، فتجد الواحدة منهن تهرب منها بدلا من التصدي لها وتطهير المكان الذي هي فيه منها . بل إن ذلك ربما ينسحب على المتعلمات أكثر من غيرهن . وقد أرسلت إحدى الفتيات إلى مجلة إسلامية تستفسر ما إذا كان الخوف المسيطر عليها وعلى أمها من الرعد والبرق والغيوم والشفق الأحمر والرياح وراثة أم لا (الدعوة ، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦ م ، ص ٤٤) .بل إن إحدى الأمهات في ولاية بدبد بعمان قد قامت بحبس أولادها العشرة في غرفة مظلمة إتباعا لنصيحة إحدى الصحف بـ " عدم التحديق في الشمس طويلا أثناء ظاهرة الكسوف" لكن وزيادة في الاحتياط، فقد قررت الأم حبس أولادها ومنعهم من الذهاب إلى المدرسة ، و لم تخبر زوجها الذي فوجئ بذلك عند عودته إلى المنزل ، فطلب منها إطلاقهم لكن رفضها دفعه إلى طلاقها بعد زواج طويل وصفه الجيران بأنه كان قائما على الود والعشرة الطيبة . (الشرق الأوسط ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٧٦)

فالخوف من مظاهر الطبيعة يمثل دليلا على ضعف الإيمان الذي يجعل الإنسان يخاف من مخلوقات مثله وينسى الخالق الذي يمكن أن يحفظه من أية شرور إذا ما تقدم إليه بالطاعة التي تحقق كمال عبوديته له .

وقد أشار توينبي [1] إلى أن العقبة الكبرى التي وقفت في سبيل تسخير طاقات الكون ؛ تمثلت في الشرك الذي ساد العقل البشري لزمن طويل حيث حول طاقات الطبيعة إلى آلهة وجعل البشر يعبدون طاقات الكون بدلا من تسخيرها ، وأن عقيدة التوحيد هي التي جعلت الإنسان ينظر إليها على أنها مخلوقات مثله ، ومن ثم بدأ يفكر في تسخيرها . (خان ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ص ١٤)

ويشير الدكتور الكيلاني إلى أن القدرات العقلية يمكن أن تتعرض للحالات التي تتعرض لها القدرات الجسدية من صحة ومرض وموت ؛ " فهي تصح بالعلم والعمل ، وتمرض بالوهم والخرافة ، وتموت بالجهل المطبق ." وهي تحتاج إلى تزكية [2] مستمرة من أجل المحافظة عليها في حال الصحة ووقايتها من المرض . وذلك يتم من خلال **ثلاثة** أمور :-

الأول : **تزكية مسار الفكر**: بحيث توجه القدرات العقلية نحو الأهداف التي خلقت من أجلها "وهي تدبير شئون الإنسان ، وتنظيم علاقاته بالخالق والكون والإنسان والحياة والآخرة ."

الثاني : **تزكية أشكال التفكير** : وذلك بتجنب أشكال التفكير الخاطئة ، والتقيد بأشكال التفكير السليمة ، بحيث يدرب إنسان التربية الإسلامية على النقد الذاتي ، والتجديد ، والتفكير العلمي، والتفكير الجماعي ، والتفكير الشامل ، والتفكير السنني ، والانفتاح على خبرات الآخرين، وذلك بدلا من التفكير التبريري ، والتقليد ، والظن والهوى ، والتفكير الفردي ، والتفكير الجزئي ، والتفكير الخوارقي ، والإنغلاق على الخبرات التقليدية والجمود عليها .

ثالثا: **تزكية أساليب التفكير**: وهذه تتم من خلال تدريب القدرات العقلية على التفكير العلمي المنظم.
(الكيلاني ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ص ١٣١-١٤٠)

ثانيا : مؤهلات اكتشاف السنن الكونية :

أمد الله الإنسان بمؤهلات تمكنه من إعمال فكره والتوصل إلى اكتشاف السنن الكونية . وهذه المؤهلات تتمثل في أدوات المعرفة التي تتكون من الحواس والعقل والوحي . وسوف نتحدث عن هذه المؤهلات بشيء من التفصيل فيما يلي :

---

(1) أرنولد جوزيف توينبي (١٨٨٩ م /١٣٠٧ هـ) مؤرخ إنجليزي . درس بأكسفورد ، ثم علم بها . كتب سلسلة من الكتب السنوية للتاريخ الدولي بعنوان : (عرض للشئون الدولية) ، ولكنه وصل إلى قمة الشهرة بكتابه (دراسة في التاريخ) الذي أخرجه في عدة مجلدات ن وهو بحث لنمو الحضارات وتطورها وانحلالها . (الموسوعة العربية الميسرة ، د . ت ، ص ٥٦٦)

(2) أنظر معنى التزكية ص ٤٨٦.

١-الحواس :

وهي بمثابة النوافذ التي يطل الإنسان من خلالها على الكون ، وبدونها يتعطل النمو السليم للفرد ، وإلى جانب ذلك فإنها تمثل أيضا أدوات يستعين بها العقل ، وبدونه تفقد الحواس قيمتها. وإلى ذلك يشير قوله تعالى :﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ (البقرة ، آية ١٧١) .

وتكرر الأصول العقدية في القرآن الكريم التوجيه إلى أهمية الاستفادة من الحواس وعدم تعطيلها، أو إهمالها أو اتباع الظنون والأوهام . ولذلك نجد كثيرا من آيات القرآن الكريم تنتهي بعبارات مثل : { أفلا يعقلون} ، { أفلا تبصرون} ، { أفلا تسمعون}..... الخ .

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتدريبها على حسن استخدام حواسها ، والحفاظ عليها مما قد يشتتها ، فتنعدم لديها إمكانية الاستفادة منها ، ومن ثم تنتكس لتكون ممن يقول عنهم القرآن الكريم :﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾. (الأعراف ، آية ١٧٩).

والمعوقات التي يمكن أن تقف حاجزا يمنع من حسن الاستفادة من الحواس هي عوامل كثيرة ؛ منها ما هو نفسي ومنها ما هو انفعالي ، ومنها ما هو اجتماعي ، ومنها ما هو مادي . وقد بحثها كثير من العلماء المسلمين تحت موضوعات مثل : الرياء ، والعجب والكبر، والحسد ، والغضب ، وشهوات المال ، والجاه ، والنساء . فهذه المشتتات يمكن أن تمنع الحواس من أداء دورها في مساعدة العقل على التدبر في السنن الكونية من أجل التوصل إلى معرفة الله . الكيلاني (١٤١٦ هـ ١٩٩٥م ، ص ١٤٦-١٤٧)

كذلك ينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة من حلال التربية إلى الأدوار المهمة التي تقوم بها الحواس في تحقيق الانتفاع بمسخرات الكون ، وتوجهها إلى كيفية شكر الواهب عليها من خلال استخدامها فيما وجدت له ، وصرفها عما لا يحل لها . فأداء واجب الشكر على حاسة السمع يكون باستخدامها في سماع الطيب من القول ، والابتعاد عن سماع السيئ منه ، ويدخل ضمن ذلك الأغاني ، والأشعار ، والقصص المبتذلة التي تزين السوء . وأداء واجب الشكر على حاسة البصر يكون باستخدامه في النظر إلى ما يفيد ، وبمنعه عما لا يحل النظر إليه ، ويدخل ضمن ذلك النظر إلى الصور والأفلام الخليعة ، وغيرها من المناظر المثيرة للشهوات ، والتي قد تغري بارتكاب المآثم .

ونجد التوجيهات النبوية تبين إمكانية إساءة الإنسان لاستخدام ما وهبه الله من حواس في الحديث الذي يقول فيه الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : " كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى

مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا ." (مسلم ، د. ت ، ج٤ ، القدر / ٦، ص ٢٠٤٧)

بل إن العلم الحديث يشير إلى أن هناك حدودا معينة لحواس الإنسان ، إذا ما تعداها أرهقت إرهاقا شديدا ، فمثلا : تؤثر شدة الإضاءة على قوة الإبصار، وكذلك ارتفاع معدلات الضجيج يؤثر على السمع . و بالإضافة إلى ما تحدثه من خلل في عمل الحواس ؛ فإن آثار ذلك تنعكس أيضا على نفسية الإنسان وأعصابه ، فيصاب بالتوتر(١) .

وفي تربية المرأة المسلمة المعاصرة ؛ من الواجب تنبيهها إلى الآثار السلبية التي يمكن أن تنجم عن إساءة استخدام الحواس في الدنيا والآخرة .

٢- العقل :

العقل هو الأداة التي يفهم بها الإنسان ، ويتأمل ، ويفكر، ويتعلم . وهو قوة مدركة خلقها الله في الإنسان ليكون مسئولا عن أعماله . (أبو العينين ،١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م ، ص ٥٥)

والعقل يملك القدرة على الربط بين ما يرد إلى الإنسان من أحاسيس ، وبين ما لديه من معلومات عن ذلك الشيء ، ولكنه لا يكتفي بمجرد الإدراك ، وإنما يقوم بعد ذلك باستخلاص الحقائق المجردة ، فينتقل بذلك من المحسوس إلى المجرد .(عبد الله ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ص ٢٣٢)

وتشير الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن للعقل الإنساني مجالا رحبا يتفاعل فيه مع الكون ملاحظة وتجربة وتطبيقا . لكن هذا المجال محدود ؛ إذ لا يمكن للإنسان أن يتجاوزه إلى ما لا قدرة له على الإحاطة به ، لأن في ذلك استخدام للعقل فيما لم يخلق له ، وتبديد لطاقاته فيما لا قدرة لها على الوصول إليه .

وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء آية ، ٣٦).

كذلك توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الإنسان لا يمكنه أن يستفيد من عقله تمام الاستفادة إلا إذا أعمله تفكيرا في الكون . وإلى ذلك تشير كثير من آيات القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

(آل عمران ، آية ١٩٠-١٩١)

---

(1) أنظر (الحفار ١٤١٠ هـ /١٩٩٠م ، ص ٢٩٣-٣٠١)

فآيات الكون لا تنجلي إلا لمن يعمل عقله تفكيرا في بديع صنع الله، ليصل من وراء ذلك إلى اكتشاف قوانين التسخير ، التي تمكنه من تحقيق إعمار الكون .

وقد زود الله الإنسان بهبات عقليه تمكنه من إعمال فكره ليستدل بما حوله على قدرة خالقه كإدراكه للبدهيات ، وعدم التناقض ، ورفضه الجمع بين النقيضين في آن واحد . فهذه تمثل ضوابط للفكر، وتمثل في الوقت نفسه معايير أخلاقية في منهجية البحث في أسرار الكون.(عبد المتعال في المنهجية الإسلامية .. ، ١٤١١ هـ/١٩٩٠ م، ص ٢٣٩)

والإنسان يتلقى العلم والمعرفة عن طريق الحواس التي ترسل المعلومات إلى القوى العقلية لتقوم بفهمها وإدراكها ، فأي تعطيل للقوى العقلية بسبب الهوى ، أو بسبب التقليد والجمود تنعدم معه الاستفادة من الحواس ، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالى : { فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور} (الكيلاني ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ١٤١)

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتنمية القدرات العقلية لديها وصقلها بحيث تتمكن من الاستفادة منها في واقع حياتها ، وذلك من خلال العمل على أقلمة الواقع وتكييفه وفقا لتصورها العقدي ، والابتعاد عن أية ممارسات تتعارض مع ما يدعوها إليه إسلامها ، ويدخل ضمن ذلك الابتعاد عن التفكير الخرافي (١) والشعوذة والدجل وكذلك الابتعاد عن الممارسات التي تتنافى مع مبدأ الإحسان في التعامل مع الكون كالإسراف وعدم النظافة وغير ذلك .

وأهم ما ينبغي التركيز عليه في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة ؛ هو تنمية قدراتها العقلية لتصبح قادرة على التفكر والتدبر في الكون وصولا إلى تقدير عظمة الخالق ، واستخدام كافة الأساليب التربوية التي تسهم في تكوين الشخصية المستقلة القادرة على الإسهام في تطوير المجتمع من خلال إدراك سلبياته والعمل على إزالتها . ويحتاج الأمر من المؤسسات التربوية المختلفة إلى استخدام الأساليب الملائمة للعصر والتي تخاطب المرأة المسلمة المعاصرة التي تعيش في عصر الكشوف والمخترعات ، بحيث تحفز قدراتها المختلفة بما يساعدها على معايشة عصرها .

---

(1) هناك كثير من الخرافات التي لازالت بعض النساء المسلمات يؤمن بها حتى الآن خاصة في الريف من ذلك :

١- أن كنس المنزل بعد سفر أحد أفراد العائلة قد يتسبب في عدم عودته .

٢- أن كنس المنزل ليلا يولد الفقر ، أو يتسبب في التعرض لإيذاء الجن .

٣- أن إخراج أي شيء من المنزل بعد الغروب معناه خروج الزوج بموت أو طلاق أو غيره ، فلا يعود إلى المنزل ثانية .(القيسي، ١٤١٢ هـ/١٩٩١ م ، ص١٩٢)

٣- الوحي :-

يمثل الوحي الأداة الوحيدة للمعرفة في ميدان الغيب ، بينما الحواس والعقل هما أداتا المعرفة في ميدان الآفاق والأنفس . وتتكامل الأدوات الثلاث من أجل الوصول إلى الغاية الرئيسية ، وهي معرفة الله .

وتشير آيات القرآن الكريم إلى هذه الأدوات ضمنيا في حديثها عن أمور الغيب التي جاء بها الوحي ، وتوجهها إلى النظر في الكون وما فيه من مخلوقات ، وهي دعوة إلى استخدام الحواس أولا، ثم إلى استخدام العقل الموصل إلى خالق هذه الكائنات . قال تعالى﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ (الفجر ، آية ٥)

والله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان ، ووهب له العقل ، يعلم قصور العقل عن إيصال الإنسان إلى الهدى . لذلك هداه سبحانه إلى المنهج الصحيح لحياته ، وأعلمه بذلك من خلال الرسل ، وجعل وظيفة العقل التلقي عن الرسل ، والتدبر فيما يأتون به من آيات الوحي ، ومحاولة الربط بينها وبين آيات الكون .

فينبغي على التربية أن تحمي عقل المرأة المسلمة المعاصرة من الانحراف وذلك من خلال العمل على تعزيز الارتباط بين قدراتها العقلية والوحي بحيث تتدبر في آيات الكتاب لتدرك أسباب السعادة في الدنيا والآخرة ، ولتدرك الخطأ الذي ارتكبته التربية الحديثة حين فصلت بين العقل والدين ، فأوصلت الإنسان إلى ألوان من الشقاء والدمار لنفسه وللكون من حوله .

ثالثا: أمثلة لإبداع الخالق في خلقه :

ينبغي على التربية أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى التفكر في الكون وملاحظة إبداع الخالق في خلقه ، بحيث تبدأ من نفسها فتحاول إدراك معنى قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات، آية ٢١).

فالإنسان يعد أعظم عجيبة من عجائب صنع الله حيث يجمع بين الكيان المادي والروحي ، وكل فرد فيه متفرد في خصائصه عن غيره بحيث يشكل عالما قائما بذاته .

بل إن مكونات الإنسان وحدها تعد أكبر دليل على عظم قدرة الله سبحانه وتعالى ، وبديع صنعه ، ولو لم يكن في الكون كله سوى الإنسان لكفى بذلك واعظا له ؛ فالنفس والروح والعقل ، كلها مخلوقات لا قدرة للعقل على الإحاطة بها ؛ لأنها ليست مادية ، وهي تمثل أكبر تحد يدعو الإنسان إلى التواضع لكونه عاجز عن إدراك بعض مكونات نفسه . وكذلك الأمر بالنسبة للعوامل

النفسية من تخيل وتذكر وانفعال ، والنواحي الحيوية وغيرها ، وصدق الله العظيم ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾(الذاريات، آية ٢١)

ويؤكد العلم خضوع الإنسان وإذعانه لسنن الله إذعانا تاما ، وذلك من خلال ما يكشفه كل يوم من القوانين التي تنظم شئون حياة الإنسان الجسدية والتي تؤكد أن جميع وظائف الجسم إنما تتم وفقا لسنن الله وقوانينه .

فهناك الغريزة الجنسية التي جعلها الله سبحانه وتعالى وسيلة لانجذاب النوعين كلا منهما نحو الآخر . فالتفكر فيها وفي وسائل الجذب التي جعلها الله بين كل زوجين من مخلوقاته، أمر لا ينتهي العجب منه.

وهناك أيضا خلايا جسم الإنسان ، التي تحوي كل منها ستة وأربعين كروموسوما فيما عدا نوعين من الخلايا ، وهي الخلايا التناسلية ، أي الحيوان المنوي والبويضة ، التي يحتوي كل منهما على نصف العدد ، لحكمة بالغة وهدف عظيم يحققه اندماج هذه الخلايا لتكوين الجنين ، ليصبح عددها كاملا بعد الاندماج . (الأشقر ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص ١٠٠-١٠١)

وهناك أيضا رعاية الله التي تحيط بالجنين وهو في بطن أمه من كل جانب ، بحيث ينمو في مأمن من الأخطار ، تحيطه ثلاثة من الأغشية ، تصدق ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ﴾ (الزمر ، آية ٦)

وتستمر رعاية الله للجنين وحمايته بعد ولادته ، وذلك من خلال لبن الأم الذي يحوي مواد وقائية تشكل مناعة ضد الأمراض ، إلى جانب أنه يتغير بما يتناسب واحتياجات الطفل كما ونوعا .
(سيد قطب ، ج٤ ،١٤١٥ هـ١٩٩٥/م ، ص ٦٤٣٨)

وهناك أيضا عضلات الرحم عند الأنثى والتي أثبت العلم أنها أقوى عضلات في جسم الإنسان أو في الحيونات الثديية عموما ، مما يساعد على دفع الجنين للخروج من بطنها .(الأشقر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ١٠٢)

وقد أثبت العلم الحديث أن لكل شيء في الوجود زوجا ، مما جعل العلماء يقولون بوجود عالم آخر زوج لعالمنا هذا ، وأنه يتمتع بخواص لا يتمتع بها عالمنا هذا مثل الأبدية. وفي ذلك تصديق لما جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (خان، ١٤٠٦- ١٩٨٦م ، ص١٨) (الذاريات، آية ٤٩) .

فجميع الاكتشافات الحديثة تظهر آلاء الله في الكون ، لكن الأهم من ذلك أنها تثبت عدم قدرة الإنسان على اكتشاف قوانين حياته بنفسه، وهذا ما حدا بالكاتب الأمريكي ألكساس كاريل إلى وضع كتاب بعنوان (الإنسان ذلك المجهول) . بل إن العلماء قد توصلوا إلى أن ما عرف عن

الكون حتى الآن ؛ لا يمثل سوى جزء ضئيل جدا من الحقيقة ، مما حدا بإحدى دور النشر إلى إصدار كتاب بعنوان(دائرة معارف الجهل) [1] ، اشترك في تأليفه مائة وخمسون من كبار علماء العالم ، حيث أوضحوا فيه كثيرا من الظواهر المتعلقة بالكون وبالإنسان والتي لا تزال دون تفسير .

(خان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص١٨)

ويعلق سيد قطب على هذا الجهل بقوله أنه يجب أن يبقي الإنسان على صلة بربه مهتديا بمنهجه فلا يغتر بفتوحات عقله في عالم المادة ويندفع في غرور بعيدا عن ربه فيضع لنفسه مناهج مستقلة . (سيد قطب، ١٤١٥هـ/ ١٩٨٨م ، ص ٣٣)

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أهمية الاستدلال بالكشوفات الحديثة على قدرة الله وعظمته ليولد ذلك في نفسها زيادة في الإيمان بالله وتقواه وخشيته .

ومن بين العلماء الغربيين الذين توصلوا إلى هذه الحقيقة ؛ الدكتور (تسيل) ، رئيس قسم الحيوان بجامعة سان فرانسيسكو، حيث يقول :

" أضاف البحث العلمي خلال السنوات الأخيرة أدلة جديدة على وجود الله زيادة على الأدلة الفلسفية التقليدية... ولقد من الخالق على جيلنا... بكشف كثير من الأمور حول الطبيعة . ومن الواجب على كل إنسان .... أن يستفيد من هذه الكشوفات العلمية في تدعيم إيمانه بالله ."

(مونسما وآخرون ، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م ، ص ٢٦-٢٧)

رابعا: الاستمتاع بمسخرات الكون:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الجمال يمثل آية من آيات الله سبحانه وتعالى في خلقه، وأن الاستمتاع به فيه امتثال لأمر الله سبحانه وتعالى الذي يقول: ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ (الأنعام ، آية ٩٩) ويقول أيضا :﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا ﴾

(ق، آية ٦)

وفي تربية المرأة المسلمة المعاصرة لا بد من توجيهها إلى الإحساس بجمال الصنعة والإستدلال بها على جودة الصانع ، وقدرته ، إدراكا لوجوده ، وأداء لحقه في شكره على نعمه . وذلك لأن الاستمتاع بالمخلوقات من الناحية المادية دون الإحساس بدلالاتها يجعل الإنسان كالحيوان في عدم استفادته من القدرات التي وهبه الله إياها ، حيث ينطبق عليه قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ

---

[1] ، (Encyclopedia of Ignorance) ، وقد صدرت عام ١٩٧٧م في شهر ديسمبر عن دار نشر بيرغامون البريطانية .

(خان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص ١٩)

﴿ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾. (الأعراف، آية ١٧٩) .

وينسحب الإحساس بالجمال وأداء حقه بالشكر على جميع ما تتعامل معه المرأة من مخلوقات كالحيوانات والنباتات ، والجمادات ، بحيث تتخلق بأخلاق الله تعالى معها ، فتنطلق في تعاملها مع جميع المخلوقات من مبدأ العدل والإحسان الذي يثمر عن الرحمة التي تملأ قلبها فتعم كل من حولها ، اقتداء بالرسول ﷺ الذي أرسله الله رحمة للعالمين . وقد جاء عنه ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال " لاتنزع الرحمة إلا من شقي ." (أبو داود، د.ت، ج٤ ، الأدب / رقم ٤٩٤٢، ص ٢٨٦)

وتوجه الأصول العقدية في السنة النبوية إلى أهمية تذوق معنى الرحمة في التعامل مع الكائنات المختلفة ، وذلك من خلال توجيهات الرسول ﷺ لأصحابه من أجل ممارسة هذا السلوك في واقع الحياة .

فقد روى عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فرأينا حمرة (١) معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش(٢) فجاء النبي ﷺ فقال : " من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها .". ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال : " من حرق هذه ؟ قلنا : نحن . قال : إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار ." (أبو داود، د.ت، ج٤، الأدب/ ٥٢٦٨ ، ص ٣٦٧-٣٦٨)

والأنعام من نعم الله التي خلقها للاستفادة منها . يقول سبحانه وتعالى :﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾(النحل ، آية ٥ ٨) وينبه الرسول ﷺ إلا أنه لا يجوز مقابلتها إلا بالإحسان، فلا تعذب بأي شكل من الأشكال، يقول ﷺ : " لاتتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً ."(مسلم، د.ت، ج٣، الصيد/ ١٢، ص ١٥٤٩)، ويقول أيضاً: " إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، فليرح ذبيحته ." (مسلم، د.ت ، ج٣، أالصيد/ ١١، ص ١٥٤٨)

---

(1) حمرة بضم الحاء المهملة بعدها ميم مشددة وقد تخفف : طائر صغير كالعصفور . (عبد الحميد في أبو داود ، د.ت ، ج٤، ص ٣٦٧)

(2) ترخي جناحيها وتدنو من الأرض. (عبد الحميد في أبو داود ، د.ت ، ج٤ ، ص ٣٦٧)

بل إن التربية النبوية لتتوجه إلى المرأة بصفة خاصة، فتحثها على الرفق بالحيوان . فقد حدث أن ركبت السيدة عائشة رضي الله عنها بعيراً ، كانت فيه صعوبة ، فجعلت ترده ، فقال لها رسول الله ﷺ :" عليك بالرفق . " وفي حديث آخر أنه قال لها : " يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه ." (مسلم ، د. ت ، ج٤، البر/ ٢٣، ص ٢٠٠٤)

فكل هذه النصوص تدل على أهمية تربية المرأة المسلمة المعاصرة على التعامل المسئول مع المسخرات الكونية باعتبارها من نعم الله التي لابد من الاستمتاع بها وفقا لتوجيهات الله سبحانه وتعالى .

خامسا: الالتزام بالقيم الإسلامية في أثناء التعامل مع الكون :-

إن الزائر لبلاد الغرب يدهش ويعجب لأول وهلة لما يجده من بون شاسع بين الحياة هناك ، وفي بلاده ، ولا يجد مجالا للمقارنة بين شبكة العلاقات العامة في البيئتين ، فالخدمات هناك يسيرة سريعة ، وتغطي كافة حاجات الإنسان اليومية بدقائقها ، إلى جانب التعامل الأخلاقي المتميز بالصدق والجدية والإتقان ، والأنشطة الجادة في جميع مجالات الحياة بما يعمل على الرقي بها دوما ، في حين أن كل ذلك مفتقر إليه في ديار المسلمين . لذلك يعمد المنبهرون في حال رجوعهم إلى الدعوة إلى التغرب ، باعتباره بديلا جاهزا لحالة التخلف التي يعيشها المجتمع .

وهؤلاء لا يدركون الوجه الآخر للحقيقة ؛ والمتمثل في البعد المعنوي للإنسان ، وهذا لا يراه إلا المتمعن في حقائق الأمور، ممن لا يكتفي ، ولا يؤخذ بظواهر الأشياء ، والذي يمكنه اكتشاف حاجة الغربيين إلى العمق الروحي ، ليحدث التوازن بين مطالب حياة الإنسان المختلفة . وتبدو مظاهر ذلك في النتائج الخطيرة الملاحظة عليهم من التسيب الأخلاقي وموجات التحلل بين الشباب ، والانحلال في العلاقات الاجتماعية ، وتفككها ، وازدياد معدلات الجريمة ، والزيادة في الإصابة بالأمراض النفسية والأمراض المستحدثة وغيرها .

فإذا ما بحثنا عن الأسباب التي أدت إلى هذه النتائج ؛ وجدناها متمثلة في القيم المادية التي وجهت التقدم العلمي في الغرب بعيدا عن القيم الروحية .

فقد حدث في القرن الثامن عشر الميلادي ، أن اعتقد علماء الطبيعة بإمكانية تطبيق المنهج التجريبي في جميع المجالات ، بما فيها الإنسان . لكن اعتراض علماء الإنسانيات على ذلك بسبب اختلاف طبيعة الإنسان عن طبيعة غيره من عناصر الكون ، أدى إلى تخلف العلوم الإنسانية عن العلوم الطبيعية ، التي تطورت في إطار النزعات الممتدة من الماضي ، والمتمثلة في التنافس والفردية والاستغلال

، والعنصرية والطبقية ، والاحتكار ، مما أدى بالدول المتقدمة إلى تسخير العلم ليكون نعمة لها ، ونقمة على غيرها ، فكان من جراء ذلك ، السباق العنيف بين الأمم ، من أجل السيطرة على العالم . وقد كان لكل ذلك نتائجه السلبية على شعوب العالم ، والتي بدأت بالحربين العالميتين ، وانتهت بالتردي الأخلاقي وتضاؤل الحس الإنساني . وأعراض ذلك تتمثل في الإدمان على المخدرات ، والجريمة ، والعنف ، واليأس ، وانهيار الروابط الأسرية ، وأسلحة الدمار وغيرها من الآثار التي فعلت فعلها في المجتمعات الغربية ، وبدأت تشيع في المجتمعات الإسلامية . (الكيلاني ، ١٩٩٥، ص ٣٥-٣٩، محمد عفيفي، د.ت ، ص٥-٨)

ويؤكد ذلك هوفمان (١) بقوله:

"إن الدوافع التي مكنت اقتصاديا وعلميا للرواج المنقطع النظير للفلسفة الوضعية(٢) ، والمنهجية العلمية اللتين جعلتا من القرن التاسع عشر (القرن المعدوم الإله) ، دوافع إن لم تكن إلحادية في حقيقة الأمر ؛ فإنها تكاد تقتصر في معظمها أو ترتكز على النظرة اللا أدرية في رؤية الحياة الدنيا ، والتي كان سدنتها فويرباخ بشكل فج ، وماركس ، وداروين ، وسيجموند فرويد(١) . منذ ذلك الحين أصبح المذهب العقلي ، الذي لا

---

(1) د. مراد هوفمان : ألماني مسلم ، سفير ، ومؤلف ، يحمل شهادة الدكتوراه في القانون من جامعة هارفارد . من مؤلفاته ؛ طريق فلسفي إلى الإسلام ، دور الفلسفة الإسلامية ، يوميات مسلم ألماني . اعتنق الإسلام يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٨٠ م /١٤٠٠ هـ ، وكانت أول معرفته بالإسلام في الجزائر يوم ٢٨ مايو ١٩٦٢م / ١٣٨٢ هـ ؛ حين رأى صمود وصلابة المجاهدين الجزائريين ، ولم يفهم من أين يأتيهم هذا الدعم الخفي حتى قرأ القرآن الكريم (هوفمان ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)

(2) الوضعية : مذهب فلسفي يقيم المعرفة على نطاق الخبرة الحسية ، وأما ما يجاوز الخبرة فمعرفته مستحيلة أو خالية من المعنى . رائد المذهب هيوم ، وكونت من دعاته . ونشأت منه الوضعية المنطقية التي ترجع استحالة معرفة الإنسان لما يجاوز خبرته إلى منطق اللغة لا إلى أساس نفسي (الموسوعة العربية الميسرة ، د . ت ، ص ١٩٥٤) .

(1) فويرباخ : (١٨٠٤ - ١٨٧٢م) (١٢١٩-١٢٨٩هـ) : فيلسوف ألماني ، اعتنق أولا المذهب الهيجلي ثم نبذ المثالية المطلقة واعتنق المادية الطبيعية . تأثر بكتاباته ماركس و أنجلز (الموسوعة العربية الميسرة د.ت ، ص ١٣٣٩)

ماركس : (١٨١٨-١٨٨٣م) / (١٢٣٤-١٣٠١هـ) فيلسوف الشيوعية التي اندثرت ، وهو من أصل يهودي ألماني . اضطهد في ألمانيا بسبب نشاطه الثوري ، فانتقل إلى باريس حيث تعاون مع فردريك أنجلز وأصدرا معا الوثيقة الشيوعية الأولى عام ١٨٤٨م (١٢٦٥هـ) . (الموسوعة العربية الميسرة ، د.ت ، ص ١٦١٥)

داروين : (١٨٠٩- ١٨٨٢م) / (١٢٢٤- ١٣٠٠هـ) ، شارلز روبرت دارون . عالم طبيعي ومؤلف إنجليزي. أشهر مؤلفاته مؤلف عن أصل الأجناس بالاختيار الطبيعي، كان يقول بتطور الأجناس دون أسباب خلقية وأن الكائنات جميعها ترجع إلى أصل واحد . وقد قبل البعض أقواله وأنكرها البعض الآخر وأبطلوها بأدلة دينية . (البستاني ، د.ت ، ص ٥٤٧-٥٤٨)

نيتشه : (١٨٤٤-١٩٠٠م) / (١٢٦٠-١٣١٨هـ) : فردريك فلهلم نيتشه : فيلسوف ألماني ، توفى أبوه وهو صغير فربته أمه على التقوى . أصيب باضطرابات عصبية انتهت به إلى مرض عقلي خطير . في فلسفته شاعرية وغزارة إحساس تدل على حساسية نفسه . من مؤلفاته " هكذا تكلم زرادشت" ، وله آثار عميقة في جوانب كثيرة من الفكر الألماني . (الموسوعة العربية الميسرة ،د .ت ، ص١٨٦٤)

يعترف إلا بالعقل ، ولا يسمح إلا بقدر ضئيل من الحـــواس ؛ مصـــدرا للمعرفـــة ، الأيديولوجية (الدينية) المسيطرة في الغرب سيطرة فعالة . "(هوفمان ، ١٤١٣هـــ/ ١٩٩٣م ، ص ٢٥)

ويضيف قائلا :

" لقد غدت الجماهير العريضة ، نتيجة ممارستها الواقعية للذاتية (٢) وللنسبية(٣) ، تعيش نوعا من الإلحاد الساذج المسطح الأبعاد ، متمثلا في عبادة آلهة جديـــدة هـــي : السلطة ، والثراء ، والجمال ، والشهرة ، والجنس . لقد رضـــي هـــؤلاء (الملحـــدون بالممارسة) ، الاطمئنان والركون إلى العلوم الطبيعية عوضا عن الدين الذي أقصتـــه أو هجرته ، علما بأن العلوم الطبيعية عاجزة عن الخوض في استكناه المسائل الروحيـــة ، إذ يرى أولئك أن تلك المسائل (ونحوها من أمور الغيب) نوع من البقايا المتحللة (ناتج انحلال) في طريقه إلى الزوال مع المسيحية اللاعقلانيـــة، اللامنطقيـــة ." (هوفمـــان ، ١٤١٣هـــ/١٩٩٣م ، ص ٢٥)

وعلى العكس من ذلك نجد الأصول العقدية في القرآن الكريم لدينا ؛ تؤكـــد علـــى القيمـــة العظيمة للفضائل الخلقية المستمدة من الدين في حياة الإنسان . ويشير إلى ذلك قوله تعـــالى ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (البقرة ، آية ٣٨)

فتحقيق خلافه الإنسان في الأرض ، يحتاج منه إلى النظر في الجوانب المادية للحياة ، لكن يجب ألا تكون القيم المادية هي المسيرة للرقي المادي ، بل القيم المعنوية التي تساعده على الاحتفاظ بمرتبته في (أحسن تقويم) .

لكن الحضارة المعاصرة قد غفلت عن هذا الأمر ؛ فجعلت الإنسان تابعا للمادة ، مما أهبطه من عليائه ، فأصبح يسيرا ذليلا وراء القيم المادية التي أعلت من شأن الآلة وحطمت الإنسان ، حين قطعت الصلة التي تربطه بالكون والتي تجعلهما في مقام العبودية سواء .

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة تحذيرها من الانخداع بمظاهر التقدم المادي . سيما وأن الأصول العقدية في القرآن الكريم تشير إلى أن الأفراد والأمم لا توزن بثرائها المادي :﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ ﴾ (سبأ، آية ٣٧) وإنما بصلاحها وحرصها على العـــدل :

سيجموند فرويد : (١٨٥٦- ١٩٣٩) (١٢٧٣-١٣٥٨هـــ) : طبيب نمساوي ، مؤسس مدرسة التحليل النفسي . أثارت نظريتـــه الخاصـــة بتطور الغريزة الجنسية منذ الطفولة المبكرة ، وقوله بعقدة أوديب ؛ سخط أطباء الأمراض العقلية ، وعدد ممن كانوا قد انضموا إلى حركته . وقد حاول تطبيق نظريته في تفسير نشأة المجتمع والدين والحضارة وتطورها ، وكان لها أثر كبير في الدراســـات النفســـية والاجتماعية ، وفي التربية والآداب والفن . (الموسوعة العربية الميسرة ، د.ت ، ص ١٢٩٧)

(2)الذاتية: هي مدرسة فلسفية تنظر إلى أن الحقيقة تكمن في الذات . (Encyclopedia Britannica , 1981 , V. 7 , P. 892

(3) النسبية : نظرية فيزيائية قدمها اينشتاين تنبذ فكرة أن الزمان والمكان وحدتان مطلقتان . (الموسوعـــة العربيـــة الميســـرة ،د .ت ،ص ١٨٣١)

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (القصص، آية ٨٣)، ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (الأنبياء ، آية ١٠)

فالمكاسب الدنيوية قد تتناسب مع بذل الجهد ؛ لكن عواقب الإفساد لابد وأن تظهر في وقتها: ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (لقمان ، آية ٢٤)

والنتائج التي حدثت بسبب التقدم الغربي غير المنضبط بالقيم ، تعد مؤشراً واضحاً على أن غفلة الإنسان عن الإيمان ، تجعله يغفل عن قيمته الحقيقية ، فيهبط إلى مستوى لا يليق به .

سادساً: بعض سلبيات الحضارة المعاصرة على مستوى الكون :

من الواجب في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على توجيهها إلى سلبيات الحضارة الغربية ، خاصة على مستوى البيئة ؛ لتدرك مدى الإثم الذي يرتكبه العالم الغربي في حق الشعوب الأخرى ، وبذلك ينتفي لديها الشعور - إن وجد- بكونه القائد ، وغيره التابع .

ويعتبر التلوث البيئي واستنزاف الثروات من أبرز الآثار السلبية للتقدم المعاصر، وسنتحدث عنهما بشيء من التفصيل فيما يلي :

١- التلوث البيئي :-

أصبحت حماية البيئة من القضايا العالمية المعاصرة التي تستحوذ على اهتمام العلماء والمسئولين ، وتعقد من أجلها المؤتمرات واللقاءات للتفكير في كيفية تلافي المشكلات المتمثلة في استنزاف الموارد ، والتلوث البيئي ، وغيرها من المشكلات التي تكشف عن الخلل في العلاقة بين الإنسان والبيئة ، والذي تسبب فيه تجاهل الإنسان للضوابط التي يجب أن تحكم سلوكه تجاه البيئة .

فالمفاهيم النفعية للتقدم الغربي قد أدت إلى تقديس الاقتصاد ، وإيجاد الإنسان (**ذا البعد الواحد**) ، ومن ثم شاع الاغتراب ، وزادت حدة التوترات النفسية على المستويين الفردي والجماعي . وكان من نتائج ذلك أن وصلت الحضارة الغربية إلى الرعب النووي ، والحديث عن حرب الكواكب . كما كان من نتائجها أيضاً تضرر البيئة ، والمناخ على المستوى العالمي .

(وثيقة الإستراتيجية العربية للتنمية الاجتماعية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٤٠)

وتشير الإحصائيات إلى أن أكثر من ٥٠% من الاستثمار العالمي في العلم والتقنية ؛ يتجه لإنتاج الأسلحة ، وأن ثلثي المتبقي ؛ يتجه لإنتاج سلع غير ضرورية . وهناك اعتقاد ثابت لدى الباحثين بأن بيئة النمط الصناعي الغربي على صلة وثيقة بأول ١٠-١٥% من الأمراض المؤدية إلى الوفاة . وأنها على صلة وثيقة بالاختلال البيئي ، والتلوث الحراري بكل تبعاته ، كما أن هناك دراسة

استشرافية عالمية ، أظهرت استزاف الموارد في شراء معدات لمكافحة التلوث في الـــدول الصناعيـــة باستثمارات تتعدى ٧٥% من الناتج عن استغلال تلك الموارد . (وثيقة الإستراتيجية العربية للتنميـــة الاجتماعية ١٤٠٥هـــ / ١٩٨٥م ، ص ٤٠)

وقد ظهرت مشكلة التلوث البيئي كواحدة من أهم المشكلات البيئية مع بداية هذا القـــرن ، ولا تكاد منطقة في العالم تخلو من التلوث الخفيف ، بينما تشكل المدن الصناعية الكـــبرى موطـــن التلوث الخطر ؛ الذي يذهب ضحيته سنوياً مئات الأشخاص الذين يعانون أمراضاً تنفســـية بســـبب التلوث . (الجدى ، في الجمهورية ، ١٤١٦هـــ/ ١٩٩٥ م ع ٩٥٢٧)

وتسهم المرأة المعاصرة بدورها في تلويث البيئة ، وذلك من خلال المخلفات والنفايات الصلبة والسائلة والغازية التي تنتج عن كثير من الممارسات اليومية ، في الحياة المعاصرة والتي إذا ما أهمل تصريفها بطرق صحيحة ؛ تتعفن ، وتتحلل مولدة كثيراً من المشكلات الصحية والبيئية .

من هذه المخلفات ؛ الأكياس البلاستيكية التي لا تتحلل إلا بعد حوالي ٣٠ سنة من استعمالها ، ولذلك نجدها تتراكم كنفايات تلوث مصبات الأنهار، وأماكن تجمع المياه ، وتختلط بالتربة فتقلل من خصوبة الأراضي الصالحة للزراعة ، كما أنها - خاصة السوداء منها - تتسبب في كثير من الأمـــراض ذات العلاقة بالجهاز الهضمي والتنفسي .(الشرق الأوسط ١٤١٦هـــ/ ١٩٩٥م، ع٥٩٩٥)

وهناك أيضا مخلفات المستشفيات ، والصيدليات ، والمبيدات الكيميائية والحشرية ، ومخلفات المصانع الكيماوية ، وغيرها . وهناك غازات التبريد (الفريون) التي شاع استخدامها في أجهزة التبريد والتجميد ، مثل المكيفات والثلاجات ، ومعلبات الرش من مبيدات ومصففات شعر ومساحيق حلاقة . (النجار، ١٤٠٩هـــ/ ١٩٨٩م ، ص ١٠٥/ تقرير التربية البيئية في اليمن ، د.ت)

فغاز الفريون يتسرب إلى الجو فيسهم في تحلل طبقة الأوزون ، مما يحدث فيها ضعفا يعـــرض الحيـــاة على الأرض لأضرار جسيمة . وطبقـــة الأوزون هي الجـــزء العلوي من الغـــلاف الجـــوي (ستراتوسفير stratosphere) ، وقد جعلها الله درعا واقيا يعمل على حماية الحياة فـــوق الأرض مـــن التأثيرات الضارة للأشعة فوق البنفسجية ، وهي عبارة عن طبقة من الغاز الشفاف السام تتواجـــد في الغلاف الجوي وتنتشر على ارتفاع ١٦ كيلو مترا عن سطح الأرض ، وتقوم هذه الطبقة بامتصـــاص الأشعة فوق البنفسجية ، وبذلك تنقي الأشعة القادمة إلى الأرض . (القاسمي ، ١٤١٦ هـــ/١٩٩٦ م ، ص٥١ /الحفار ، ١٤١٠ هـــ/١٩٩٠ م ، ص٤٧٠)

وتشير الدراسات إلى أن تأثير الطائرات قد يؤدي إلى تحلل ١٠-١٥% من طبقـــة الأوزون بنهاية هذا القرن ، وأن الإسراف في استخدام غازات التبريد قد يزيد هذه النسبة إلى ٢٥% بحلول عام ٢٠٥٠ م . (النجار ١٤٠٩هـــ/ ١٩٨٩م ، ص ١٠٥-١٠٦)

كذلك تؤكد الدراسات على أن مولدات الكهرباء ، ومحركات السيارات ، ومواقد الاحتراق في أجهزة التدفئة ؛ تعتبر المسئول الأول عن تلويث الهواء بما تطرحه من ملوثات غازية لها أضرارها على جلد الإنسان وأجهزته المختلفة وخاصة الجهازين التنفسي والدوري . كما ثبت أن الأجهزة التي تحتاج في دورانها إلى تيارات كهربائية عالية الجهد والتي تؤدي إلى صدور إشعاعات منها؛ ذات أثر سيئ على صحة الإنسان كما في التلفزيون الملون ، وأجهزة الموجات القصيرة (المايكروويف) (١) التي نتداولها اليوم بكثرة . (الحفار ،١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م،ص ٢٠١ / النجار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ،، ص ٦٥، ص٩٦)

كذلك وجد أن للمخلفات الصناعية والمبيدات الحشرية أثر على النظام الهرموني للإنسان ؛ يؤثر على المدى البعيد على خصوبته ، وقدرته على الإنجاب . وهذه المواد تؤثر على الإنسان من خلال تناوله للأغذية المستمدة من مصادر حيوانية أو نباتيه تكون قد تأثرت بهذه المواد ، أو نتيجة لقذف نفايات المصانع إلى مختلف البيئات المائية ، وانتقالها إلى الكائنات الحية بطرق مباشرة أو غير مباشرة . (النجار ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ص ٩١)

بل إن المضادات الحيوية التي تدخل في تركيب أعلاف المواشي والدواجن بهدف تسمينها وعلاج بعض أمراضها ، لها خطورة على الجهاز المناعي لدى الإنسان ؛ حيث تعمل على إكساب بعض أنواع البكتريا الضارة بصحة الإنسان مناعة يتعذر معها علاجه من بعض الأمراض . كذلك فإن بعض الهرمونات الأنثوية التي تحقن بها الدواجن من أجل تسمينها والإسراع في نموها يمكن أن تؤثر على خصوبة الرجل الجنسية فتقلل منها ، وترفع مستوى الهرمونات الأنثوية لدى المرأة ، وقد تؤدي إلى إحداث تورمات خبيثة في ثدي المرأة . (القاسمي ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٣١-٣٢)

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتنبيهها إلى الأخطار التي تحدق بالبشرية جمعاء ، من جراء التلوث البيئي ، والتي ينعكس أثرها عليها شخصيا بدرجة كبيرة . ويشير إلى ذلك ما جاء في وثائق مؤتمر بكين الرابع للمرأة عن تأثر صحة المرأة بالتلوث البيئي ، ومن ذلك ما نصه :

" وكثيرا ما يكون لتدهور البيئة المستمر الذي يؤثر في حياة جميع البشر ، وقع مباشر بدرجة أكبر على المرأة ، فصحة المرأة ومعيشتها يهددهما التلوث ، والنفايات السمية ، وانحسار الغابات الواسع النطاق ، والتصحر ، والجفاف ، ونضوب التربة ، والموارد الساحلية والبحرية ، مع حدوث ارتفاع متزايد في المشاكل الصحية المتصلة بالبيئة ، التي تصل إلى حد الموت ، والتي يبلغ عن حدوثها بين النساء والبنات . وأكثر هؤلاء تأثرا هن النساء الريفيات من السكان المحليين اللاتي تتوقف حياتهن و معيشتهن

---

(1) المايكروويف : إشعاع ألكتروني ذو تردد عالي وموجات قصيرة .(Encyclopedia Britannica , 1981 , V. 6 , P. 868)

اليومية على النظم الأيكولوجية المستدامة مباشرة ." (وثائق مؤتمر بكين في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٦١٤٠، فقرة ٣٦)

ويرى بعض المثقفين الغربيين أن حل مشكلاتنا البيئية يكمن في العودة إلى الطبيعة ، وهو أمر غير مجد ، وقد حذر منه بعض العلماء الذين أدركوا السبيل الحقيقي لحل مشكلات الإنسان المعاصر، من بينهم (فردينانند فللمان) الذي حذر من " مغبة التغني المفرط الحالم بفلسفة جديدة تقدس الطبيعة " ، وهو يرى بأن " ضآلة الفلسفة التي تمخضت عنها كوارث تلوث البيئة الوخيمة العواقب ، ليست فلسفة جديدة للطبيعة بقدر ما هي فلسفة جديدة للتكنولوجيا . " ويعلق على ذلك هوفمان بإشارته إلى أن الأمر يحتاج إلى" إعادة تحقيق الواقعية المفقودة للتكنولوجيا المصابة بداء التضخم ، المتجاوز لكل حد ، والتي أصبحت لها السيادة على كل شيء ." (هوفمان ،١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، ص ١٦٤)

ويضيف قائلا :

" وباختصار : إن الأمر الجوهري المطلوب يتمثل في نوعية جديدة مختلفة من الاقتصاد " فلا بد أن يغير الإنسان نفسه ؛ لأن إنقاذ الطبيعة " يتطلب تغييرا جذريا تاما للنظام الاقتصادي المستغل المنتهك لقوانين الطبيعة ، وهذا يتطلب تغيير الإنسان المستهلك أولا " ، وهو لا يتحقق في حياة المسلم إلا إذا فهم أنه عبد لله بحق . (هوفمان ،١٤١٣ هـ/١٩٩٣ م ، ص ١٦٥)

فحل مشكلات البيئة يكمن في الإسلام الذي يضع الضوابط والقيود التي تمنع الإنسان من سوء استعمال المسخرات الكونية . مما يضع على عاتق المسلمين مهمة كبيرة في أداء مسئولياتهم تجاه العالم من حولهم من أجل ترشيد التقدم المعاصر ، والتخفيف من آثاره السلبية من خلال الالتزام بالضوابط الأخلاقية التي ألزم بها المسلم في تعامله مع غيره .

ولكي تسهم المرأة المسلمة المعاصرة في القضاء على المشكلات التي أوجدها التقدم المعاصر؛ فإنه ينبغي الاهتمام في تربيتها بتغيير ما بنفسها من ممارسات وعادات خاطئة ، وتوجيهها إلى المبادئ الخلقية التي حث الإسلام على الالتزام بها في التعامل مع غيرها من المخلوقات ، حتى تحقق العدل والإحسان في أدائها لمسئوليتها تجاه البيئة باعتبارها تمثل جزءا من رعيتها ، حيث أن في الإحسان إليها تحقيق لكمال عبوديتها لله . فقد جاء عن الرسول ﷺ أنه قال : " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق . " (مسلم ، د.ت ، ج١ ، الإيمان / ١٢، ص ٦٣)

فالانغماس في الترف يمكن أن ينسي المرأة الهدف الذي خلقت من أجله وهو العبودية لله ، وقد يصل بها الأمر إلى درجة الطغيان ، بحيث تؤثر شهواتها ، ويملك حب الدنيا عليها جوانب نفسها ؛ مما ينسيها التوجيهات النبوية التي تحذر من حب الدنيا والركون إليها . ومن بينها قوله ﷺ : " من

كانت الآخرة همه ؛ جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة . ومن كانت الدنيا همه ؛ جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ؛ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له." الترمذي ،د. ت ، ج٤، القيامة / ٣٠ ، ص ٥٥٤)

والحديث يشير إلى أن حصر الهم في إشباع الكيان المادي دون تجاوزه إلى الكيان الروحي ، ينحط بذات الفرد عن المنزلة التي أرادها الله له ليهبط إلى منزلة أدنى . يقول ﷺ : " من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه ، فقد أخذ بحتفه وهو لا يشعر . " (المتقي الهندي ،١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م، ج ١، ص ١٧٩)

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على توعيتها بالأخطار التي يمكن أن تهدد صحتها وصحة أفراد عائلتها ، والبيئة من حولها ، وتوجهها إلى أهمية ترشيد ممارساتها الخاطئة والاستهلاكية(١) التي تساعد على زيادة التلوث ، وتعريفها أيضا بسبل ترشيد استخدام المنتجات التقنية الحديثة . وذلك لأن كثيرا من النفايات إنما هي أطعمة زائدة أو نتيجة لممارسات خاطئة ، فلو قدرت المرأة احتياجات عائلتها تقديرا سليما لخفف ذلك من مشكلة تراكم النفايات . كما يمكن تعليم المرأة الريفية كيفية الاستفادة منها ، بتحويلها إلى أسمدة مثلا .

فغرس المفاهيم البيئية السليمة لدى المرأة يساعدها على تجنيب نفسها ، وأسرتها كثيرا من الأمراض الصحية والنفسية ، وقبل ذلك يجنبها العقاب من الله على عدم أدائها واجب الشكر له على نعمه عليها .

ويمكن لأنواع التعليم وخاصة محو الأمية أن تسهم في عملية الفرز لما تدفعه وسائل الاتصال من إعلانات تجارية بحيث تزود الأميات بزاد من المعرفة والخبرة يمكنهن من استبعاد كل ما يشكل ضررا على التطور والإنتاج والفعالية في المجتمع ، وأهم ما يجب أن يوجهن ؛ إليه الإقلال من النفايات ، ويمكن لأجل ذلك استخدام إطار من الحوافز المشجعة حيث أن تخفيض النفايات – كما يقول يونج – يمثل الاختيار الأول والوحيد الذي يغني عن الحاجة إلى التخلص منها وعن استخراج وتصنيع المواد البكر ، بل وحتى عن تخفيض الطاقة والتلوث الناتجان عن إعادة التدوير .

(يونج، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٤٩)

---

(١) في مدينة سياتل الأمريكية قام المسئولون باتخاذ سياسة تهدف إلى توجيه المستهلكين إلى الإقلال من النفايات وذلك بفرض سعر أعلى على صفيحة القمامة الثانية . وقد نجحت الفكرة في تحقيق أهدافها . (يونج ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٢٩)

٣- استنزاف الثروات :

يؤكد علماء البيئة في الغرب على أن موارد العالم الطبيعية قد تعرضت على يد الحضارة الصناعية الحديثة إلى تبديد هائل ثمنا لتحقيق هذا النمط من التصنيع الذي ابتدعته ؛ متجاهلة لحق الأجيال التالية في الثروات غير المتجددة .

وتسهم الدول النامية أيضا في استنزاف ثروات البيئة من أجل البقاء على قيد الحياة ، حيث تعمد إلى الاعتداء على بيئتها بضرواة بسبب الجهل ، مما يجعلها تستنفذ من الموارد ما يمكنه لو تم ترشيده أن يكفي حاجتها في الحاضر والمستقبل .

وذلك إنما يحدث بسب الجهل ، إذ أنها لو أدركت أهمية الموارد البيئية وكيفية الحفاظ عليها ؛ لما أسهمت في تخريبها .

وكذلك الحال بالنسبة للنساء ، خاصة في الأرياف ؛ حيث يقمن في سبيل توفير الماء والحطب ، والقيام بالأنشطة الزراعية المختلفة ، بالتأثير على إمدادات المياه ، والغطاء الشجري والأراضي الزراعية . (وضع السكان، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ٢)

وتبلغ قمة الاستنزاف للموارد في غير ما جعلت له في الممارسات غير الإنسانية ضد المخلوقات في الكون من أجل إشباع شهوات الإنسان بصفة عامة ، والمرأة بصفة خاصة ، ومن ذلك مسابقات مصارعة الثيران (١) ، والديكة ، وقتل الطيور من أجل استخدام ريشها في تزيين قبعات ومراوح النساء اليدوية .

وتشير الإحصائيات إلى أنه في ثمانينات هذا القرن الميلادي ؛ هلك القسم الأكبر من طائر البلشون الأبيض بسبب الحاجة إلى ريشه في تزيين القبعات ، مما دفع ببريطانيا إلى إصدار مرسوم لحمايتها عام ١٩٨١م ، وهو قانون لا يسري على الطيور التي تربى في المنازل والحقول ، والتي أصبحت الممول لعمليات التصنيع في هذه الأيام . (الشرق الأوسط ، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م،ع ٦١٤٨)

وتظهر المفارقة والبون الشاسع بيننا وبين الغربيين إذا ما فكرنا في الغاية التي بعث من أجلها الرسول ﷺ والتي يقول الله سبحانه وتعالى عنها :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء ، آية ١٠٧) ، وكيف أنه عليه السلام وفي سبيله لبناء وتنمية الحس الحضاري لدى الإنسان المسلم ؛ قد نهى عن

---

(١) كانت مصارعة الثيران وإلى عهد قريب مقصورة على الرجال بموجب قانون رسمي ، لكن سمح به للنساء مؤخرا فكانت (كريستينا سانتشيت) أول امرأة يسمح لها بمصارعة الثيران على حلبة مدريد وقد أكدت أنها كانت تصارع الثور ونصب عينيها مستقبل المرأة في هذا الفن ، وفشلها كان سيعني فشلا لهن ، وقد نجحت . (الشرق الأوسط ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ع. ٦٠٧١)

التحريش بين البهائم ."(أبو داود ، د.ت، ج٢ ، الجهاد / رقم ٢٥٦٢ ، ص ٢٦) ، كما أخبر عن امرأة دخلت النار بسبب هرة .

فقد روي عنه ﷺ أنه قال : " عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت ، فدخلت النار . لا هي أطعمتها وسقتها ، إذ حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض . " (مسلم ، د. ت ، ج٤ ، السلام/ ٤٠، ص ١٧٦٠)

وقد عقد في ألمانيا اجتماع بمناسبة الاحتفال بمرور ربع قرن على إنشاء المركز الإسلامي في (آخن) بألمانيا ، وذلك في ١٧ مايو ١٩٨٩ م / ١٤٠٩ هـ ، وكان الموضوع الرئيسي للاجتماع يتناول البيئة وتلوثها والإسلام ، وكان من بين النقاط التي نوقشت في الاجتماع :-

١- أن السبب الحقيقي في تدهور البيئة يتمثل في اغترار الإنسان غير المؤمن بجبروته ، واعتقاده بأنه المسيطر على البيئة ، فله أن يتمتع بها كيفما شاء ، في حين أن المسلم يدرك أن الملك كله لله ، وأن الكون أمانة لديه ليستغل خيراته استغلالا مسئولا .

٢ - أن المسلم مكلف بالاعتدال في كل شيء ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

فلابد من الحفاظ على التوازن البيئي ، ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ (الأعراف ، آية ٥٦)

٣ - يسهب القرآن الكريم في التوجيه إلى تدبر عظمة الكون ليدرك الإنسان أن الكون كله أمة واحدة ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (النور ، آية ٤١) ، والقران الكريم تحمل سوره أسماء كائنات حية ، والإنسان يشترك مع المخلوقات الأخرى في أنه جزء من الخليقة ، ويخضع لقوانين الله : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأنعام ، آية ٣٨) . فليس للمسلم أن يتصرف في المخلوقات كما يشاء وقد ضرب الرسول ﷺ أروع الأمثلة في الرفق بالحيوانات بحيث ينتفع بها انتفاعا مشروعا.

(هوفمان ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، ص ١٦٢-١٦٤)

فمن أجل الحفاظ على الثروات ينبغي في إعداد الأفراد ذكورا وإناثا ؛ الاهتمام بتنمية قدراتهم ، بما يمكنهم من الاستفادة من الثروات ، مع الحرص على ما يكفل إعادة توليدها في المستقبل ضمانا للأجيال المقبلة . فالتغير المطلوب هو في ذات الإنسان ، بحيث يوازن في اهتمامه بين مطالبه المادية والمعنوية .

لقد أسرف الإنسان الحديث ليس في استغلال الطبيعة فحسب ؛ بل في التوجه إليها بشكل جعله يهمل شئونه النفسية ، وموارده الذاتية ، حيث اندفع في استكشاف الطبيعة ، واستثمار مواردها ، فكانت إنجازاته الرائعة فيها ، لكنه ظل متخلفا في استكشاف أسرار نفسه ، وتنمية كفاءاته الخلقية.

فالتغير المنشود يتجاوز مجرد الانصراف عن اغتصاب الطبيعة إلى احترامها ليغدو أكثر عمقا وشمولا : من الطبيعة إلى الإنسان ، من الخارج إلى الداخل ، من التنمية الاقتصادية إلى التنمية الذاتية ، من الشهوة المادية إلى الشهوة الأدبية ، من الإقبال على الوسيلة إلى الإقبال على الغاية . فهو تحول متزن يضع كل حاجة موضعها ويعطي كل قيمة حقها ، حسب سلم صحيح للأولويات دون تطرف أو إسراف . لقد أبدع الإنسان الحديث في صنع الأشياء ، لكن الإبداع المنتظر أو المفروض لضمان بقاء البشرية وتقدمها الصحيح ، هو في صنع الذات ؛ إبداع يؤهل الإنسان لحسن تأدية الأمانة التي كلفه الله بها . (زريق ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ص ٨٨-٨٩)

وللمرأة دورها في ترشيد استخدام مسخرات الكون ، وذلك يتم كما أشرنا سابقا من خلال ترشيد الاستهلاك ، وضبطه بالقيم الخلقية التي تكفل تحقيق العدل والإحسان في تعاملها مع المسخرات.

ونجد وثيقة مؤتمر بكين تنص على أن السبب في تدهور البيئة يكمن في أنماط الإنتاج والاستهلاك غير المستدامة ، ولذلك فقد دعت إلى تنمية بشرية مستدامة . حيث جاء في ذلك ما نصه:-

> " والسبب الرئيسي في استمرار تدهور البيئة في العالم هو أنماط الإنتاج والاستهلاك غير المستدامة ، ولاسيما في البلدان الصناعية ، وهي مسألة تثير قلقا كبيرا وتزيد من حدة الفقر واختلال التوازن . ولذلك فإن التنمية الاجتماعية المنصفة التي تعترف بتمكين للناس الذين يعيشون في فقر ، ولاسيما النساء ، من استغلال الموارد البيئية بشكل مستدام ؛ هي أساس ضروري للتنمية المستدامة . وفي وسع النساء كمواطنات أن يغيرن أنماط الاستهلاك في دورهن المتعدد كمستهلكات ، وربات أسر ، وعاملات..."
> (وثائق مؤتمر بكين في الشرق الأوسط ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ،ع ٦١٤٠، فقرة ٣٧)

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على توعيتها بدورها في واقع المجتمع ، وأنها ستسأل عن دورها في تحقيق الخلافة في الكون ، والاهتمام كذلك بإخراج المتخلفات من المسلمات من أوضاعهن التي تجعلهن مكتفيات بكونهن تابعات لما يقدمه لهن الغرب ، دون أن يكلفن أنفسهن عناء العمل والتضحية في سبيل الارتقاء والتقدم من خلال الإسهام الكبير الذي يمكن أن يقمن به في تغيير الأنفس باعتبارهن يمثلن الأساس الأول في المؤسسة التربوية الأولى وهي الأسرة ، سيما وأن القرآن الكريم يؤكد على أن العقبات التي قد تحول بين الإنسان وبين التقدم إنما هي عقبات ذاتية وليست موضوعية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(الرعد ، آية ١١)

إن الشعوب المتقدمة لم تصل إلى مرحلة الاستهلاك إلا بعد أن قطعت مراحل عديدة في التصنيع والإنتاج ، في حين أننا نجابه – مع غيرنا من الدول النامية – خطر الإقبال على الاستهلاك قبل

توفر وسائله . والتربية هي التي تنمي لدى المرأة المسلمة المعاصرة توخي الاقتصاد والاعتدال والانضباط ، وغيرها من الصفات المطلوبة في إنسان العصر الحديث ، بحيث تكف عن تقليدها للمرأة الغربية ، لأنها لن تتجاوز تخلفها إذا ما تهالكت على شهواتها ، واستسلمت لأنانيتها ، وتخلت عن إنسانيتها لتصبح مجرد كائن استهلاكي .

ونجد من بين نساء العالم النامي من بدأن في إدراك هذا الأمر ، وبوادر ذلك قد ظهرت في مؤتمر بكين من خلال التعارض الذي بدا بين نساء الشمال ونساء الجنوب، حول المفاهيم والمعاني ، بل وحتى في الكلمات ، بسبب اختلاف مشكلات وهموم نساء الشمال عن مشكلات وهموم نساء الجنوب، نظرا لاختلاف المستويات المعيشية وأنماط الحياة التي تجعل نساء الشمال غير قادرات على فهم مشكلات نساء الجنوب لما يغلب على حياتهن من أنماط استهلاكية . (بن سعيد ، في الشرق الأوسط ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م -ع ٦١٢٩)

وأهم ما ينبغي التركيز عليه في تربية المرأة المسلمة المعاصرة هو توجيهها إلى الإمكانيات الكبيرة التي يمكن أن تسهم بها في عمارة الأرض إذا ما أحسنت القيام بمسئوليتها الأولى في تربية الإنسان المسلم الذي يقوم بعمارة الكون . بحيث تربيه على الجد والاجتهاد منذ نعومة أظفاره . وتسهم هي في ذلك بدورها فيما يقع ضمن دائرة اهتماماتها وأبرزها النظافة التي يحبها الله ، والتي أصبحت في الوقت الحاضر تمثل مظهرا حضاريا تفخر به الدول المتقدمة .

يقول الرسول الكريم ﷺ فيما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : " إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود... " (الترمذي ، د. ت، ج٤، الأدب/ ٤١، ص ١٠٤)

والمؤسسات التربوية هي التي تعمل على توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى الكيفية التي تمكنها من تحويل التوجيهات الإسلامية إلى إنجازات حضارية عملية يبرز أثرها في واقع الحياة .

المبحث الثالث

المظهر الاجتماعي للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة

علاقة العدل والإحسان – علاقة الابتلاء– علاقة المسئولية والجزاء

يركز القرآن الكريم تركيزا شاملا ومعجزا على تربية الإنسان المسلم وإعداده لحمل الرسالة الإسلامية ، والوصول بالأمة إلى أرقى ما وصلت إليه الحضارة الإنسانية في جميع المجالات .

وبما أن الإنسان هو صانع الحضارة ، لذلك فقد اهتم القرآن الكريم بتكوين الشخصية المسلمة التي ستحمل الحق للآخرين وتكون قدوة لهم فيه . ولذلك وجدنا الأصول العقدية في القرآن الكريم تهتم كثيرا بتكوين الإنسان المسلم خلقا وعلما وسلوكا ، فجاءت الآيات توضح له كيف يقيم حياته على هذه الأرض في إطار من الإنسانية العامة المتمثلة في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات ، آية ١٣)

ويتجسد المظهر الاجتماعي للأصول العقدية من خلال العلاقات الثلاث التالية:-

١- علاقة الإنسان بالإنسان – علاقة عدل وإحسان .

٢- علاقة الإنسان بالحياة – علاقة ابتلاء .

٣- علاقة الإنسان بالآخرة – علاقة مسئولية وجزاء .

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بإعدادها بما يكفل لها النجاح في تحقيق هذه العلاقات في واقع حياتها وصولا إلى السعادة في الدنيا والآخرة .

وسوف نتحدث فيما يلي عن تفاصيل هذه العلاقات الثلاث :

أولا : علاقة إنسان التربية الإسلامية بالإنسان– علاقة عدل وإحسان :-

١– العدل :-

يمثل العدل أدنى مرتبة في العلاقات الاجتماعية الإيجابية ، وقد جاء الأمر به في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ (الأنعام ، آية ١٥٢)

والعدل **لغـــــــــة** : معناه الإنصاف وهو إعطـاء المرء ما لـه وأخذ ما عليه . (المعجم الوسيط ،ج ٢ ، ص ٥٩٤)

واصطلاحـــــــا :يعرفه ابن تيمية فيقول :-

" العدل هو الاعتدال ، والاعتدال هو صلاح القلب ، كما أن الظلم فساده ، ولهـذا جميـع الذنوب يكون الرجل فيها ظالما لنفسه ،... وإذا ظلم العبد نفسه فهو الظالم وهو المظلوم . كذلك إذا عدل فهو العادل والمعدول عليه ؛ فمنه العمل وعليه تعود ثمرة العمل من خير وشر :﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[1] " (ابن تيمية ،١٣٩٨هـ /١٩٧٨ م، مج١، ص ١٩٨)

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن العدل مطلوب في كل الأحوال ، فلا بد من إعطاء كل ذي حق حقه بصرف النظر عن مكانته الاجتماعية أو جنسه أو لونه . وإلى ذلك يشير قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾

(النساء ، آية ١٣٥)

كذلك توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن العدل مطلوب حتى مع الأعداء ويشير إلى ذلك قوله تعالى :﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾

(المائدة، آية٨)

ونجد الأصول العقدية في القرآن الكريم تحدد ميزان العدل ؛ وهو إعطاء كل ذي حـق حقـه بكل صورة من الصور . ويشير إلى ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ ﴾ (النساء، آية ٥٨).

يقول ابن كثير :

" وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان ، من حقوق الله عز وجـل علـى عبـاده كالصلاة والزكاة والصيام ، والكفارات والنذور ، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه ، لايطلع عليه العباد ، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك ، مما يأتمنون به من غير إطلاع بينـة علـى ذلك ، .... " (ابن كثير ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ج٢، ص ٥١٦)

ونجد هذا الميزان العادل قد طبق في عهد الرسول ﷺ في كثير من المواقف ، أشهرها غضبه ﷺ من أسامة بن زيد ، حين جاء يشفع في المخزومية التي سرقت ، حيث قام يخطب قائلا فيمـا روته عائشة رضي الله عنها: " أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانون إذا سرق فيهم الشريف تركـوه

---

[1] (البقرة ، آية ٢٨٦)

وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ."
(مسلم ، د.ت، ج٣، الحدود /٢ ، ص ١٣٥١)

وإشاعة روح العدل في نفس المرأة المسلمة المعاصرة ، تقتضي الاهتمام عند إعدادها بغـــرس العقيدة الصحيحة في نفسها ، والتي تجعلها تقبل على تطبيق العدل عن طواعية ليصبـــح غايـــة لهـــا ، وكذلك تعريفها بثمرات تطبيق العدل والتي تبدوا فيما يشعر به الإنسان من اطمئنان نفسي ، وثقة ، ورغبة في العمل والجد والاجتهاد ، وتعرفها كذلك بنتائج التخلي عن تطبيق العدل على الفرد والمجتمع ، والتي تبدوا فيما قد يقع فيه الإنسان من انفعالات سلبية أو انجراف وراء الغرائز الفطرية التي قد تدفعه إلى الظلم .

هذا على المستوى الفردي .

أما على المستوى الجماعي فإن التخلي عن تطبيق العدل يمكن أن يؤدي إلى إيجاد الطبقية وعدم المساواة وغيرها من ألوان الظلم الاجتماعي .

ونجد الأصول العقدية في القرآن الكريم توجه إلى أن خروج الإنسان عن العدل إلى الظلم يعود عليه بالوبال ، ويشير إلى ذلك قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾

(يونس ، آية ٢٣)

والظلم لغة : مجاوزة الحد (ابن فارس ، ١٣٩٠ هـــ/١٩٧٠ م،ج٣ ، ص٤٦٨)

واصطلاحا : وضع الشيء في غير موضعه . (الزبيدي ، د.ت ،ج٨ ، ص٣٨٣)

ونجد شيخ الإسلام ابن تيمية يصنف الظلم إلى **نوعين** :-

أحدهما : منع ما يجب للآخرين من حقوق وهو التفريط .

والثاني : فعل ما يضـــر بهـــم وهو العـــــدوان .

(ابن تيمية ، ١٣٩٨هـــ/ ١٩٧٨، مج١٠، ص ٣٧٣)

فينبغي من خلال التربية ؛ الاهتمام بإشاعة روح العدل في المجتمع الإسلامي ، وترغيب النشء فيه ذكورا وإناثا ، وتحذيرهم من عواقب الظلم في الدنيا والآخرة ، وتحذيرهم كذلك مـــن مســـببات الظلم المتمثلة في الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والهوى [1] ، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (إبراهيم، آية ٤٢)

---

(1) أنظر الحارثي ،(١٤٠٧هـــ/١٩٨٧ م ، ص ١٢٩-١٣٢)

ويقول الرسول ﷺ فيما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه : { اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم }(مسلم ، د.ت، ج٤، البر/١٥، ص ١٩٩٦)

وفي حديث آخر رواه أبو هريرة رضي الله عنه نجده ﷺ يسأل أصحابه : " أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال :" إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته ، وهذا حسناته . فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه ؛ أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار . " (مسلم ، د.ت، ج٤، البر/١٥، ص ١٩٩٧)

وفيما يتعلق بالمرأة المسلمة المعاصرة فإنه ينبغي الاهتمام في تربيتها بتوجيهها إلى أهمية إقامة العدل في نفسها وفيمن حولها ، فقد جاء في جزاء المقسطين قوله ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : " إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة ، بما أقسطوا في الدنيا . " (ابن حنبل ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨ م ، ج٢، ص ١٥٩)

كما ينبغي تنبيهها إلى مخاطر الخروج عن العدل إلى الظلم ، حيث أن ذلك يمثل هبوطا للإنسان عن المستوى التكريمي الذي أراده له الخالق ، إلى جانب ما فيه من حرمان للنفس من الشعور بسعادة الدنيا واستحقاق غضب الله وعقوبته في الآخرة ، والتعرض لمقت المظلومين وسعيهم إلى الانتقام ، وفي ذلك تدعيم للظلم في المجتمع .

كذلك ينبغي الاهتمام بتصحيح أوضاع المرأة المسلمة المعاصرة بحيث تبدأ بتطهير نفسها من آثار الظلم التي أسهمت في تشييئها ، لأنها بدون ذلك سوف تظل عاجزة عن إقامة العدل في نفسها ولغيرها ، لأن تفكيرها ومشاعرها قد نشأت في بيئة الظلم ، التي تجعل مثالها هو الإنسان الظالم . فالتربية حين تعرفها ببشاعة الظم وتوجهها إلى النفور منه ، وتدربها على الممارسات التي تساعدها على التخلص من آثاره النفسية والعقلية ، لتتمكن من الإسهام في تحرير غيرها من المظلومين ، وتقبل على الأعمال والأنشطة التي تساعدها على تذوق جمال العدل والحرية ، فإنها بذلك تجعل منها إنسانا جديدا ، متحررا من نزعات الظلم والتقليد والعصبية . (الكيلاني ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ص ١٧٢-١٧٣)

٣- الإحسان :

الإحسان لغة : ضد الإساءة . (الزبيدي ، د.ت ، ج٩ ، ص ١٧٦)

واصطلاحـــا : " تخليص القلب من النظر إلى غير الله تعالى رغبة أو رهبة ، وتخليـــص الأعمـــال الصالحة من الشرك فيها ، مع إتقان العمل بالإتيان به على الوجه المحبوب لله ، الموافق لمـــا شرعـــه الله تعالى وبين رسوله ﷺ . " (الجزائري ، ١٤٠٥هـــ/ ١٩٨٥م ، ص ١٥)

وقد جاء تعريف الإحسان في قوله ﷺ : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنـــه يراك . " (مسلم، د.ت، ج١، الإيمان/١، ص ٣٧)

فالحديث يشير إلى أن الإحسان هو شعور في القلب ، يستحضر معه الإنسان رقابة الله سبحانه وتعالى ، بحيث يؤدي مسئولياته على أحسن وجه . يقول الرسول ﷺ :" إن الله يحب إذا عمـــل أحدكم عملا أن يتقنه ." (الهيثمي ، ١٣٩٩ هـــ/١٩٧٩ ، ج٢ ، ص٢٤٥)

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الإحسان زيادة على العدل حيث يقوم الفرد فيه بواجبات أكثر مما ينال من حقوق . ويشير إلى ذلك قوله تعالى :﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران ، آية ١٣٤) وقوله:﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (فصلت ، آية ٣٤) .

ونجد أن مسلمة صدر الإسلام قد أدركت هذا المعنى للإحسان فسارعت إلى تطبيقه في واقـــع حياتها، ولا أدل على ذلك من موقف صفية بن حيي بن أخطب أم المؤمنين رضي الله عنها من جاريتها الـــتي ذهبت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت له : " إن صفية تحب السبت وتصل اليهود . " فبعث أمـــير المؤمنين عمر رضي الله عنه إليها ؛ فسألها في ذلك ، فقالت : لا ، أما السبت فإني لم أحبه منذ أبدلني الله بـــه الجمعة . وأما اليهود فإن لي فيهم رحما فأنا أصلها . ثم قالت للجارية : ما حملك على هـــذا قـــالت : الشيطان ، قالت : فاذهبي فأنت حرة . " (الذهـــبي ، ١٤١٤هـــ / ١٩٩٤م ، ج٢، ص ٢٣٢-٢٣٣)

والإحسان **نوعان** :عـــام وخـــاص .

فالخـــاص هو ما تعلق بالعبادات من أقوال وأعمال .

والعـــام هو ما تعلق بإسداء المعروف والخير للناس أجمعين . (الجزائـــري ، ١٤٠٥ هـــ/١٩٨٥ م، ص ٣٠)

ويصعب حصر الميادين التي تتجلى فيها علاقة الإحسان ؛ لأنه مطلوب في كل الأوقات ، وفي جميع العلاقات ؛ على مستوى الأفراد والجماعات ، إذ أنه يمثل المقياس لنجاح الإنسان في مواجهة ما يعترضه من ابتلاءات . (الكيلاني ، ١٤٠٨هـــ/١٩٨٨، ص ١٤٣)

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الإحسان يمكن أن يكون **بالقول والعمل** .

فالإحسان **بالقول** يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾ (الإسراء، آية ٥٣) ، و هو مطلوب مع جميع الناس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النمل ، آية ١٢٥)

وبالنسبة للمؤمنين يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ (النساء ، آية ٨٦)

فالبدء في التحية يكون بالإحسان ، وعند العجز فلا أقل من العدل .

وفي ذلك تقول حنان لحام :

" رد التحية على درجتين : (بأحسن منها أو ردوها) ويبدأ من درجة الإحسان لأن نمو الحياة لا يتم إلا به ... فإن عجزتم عن الإحسان فلا أقل من العدل وهو الرد بالمثل ، ولا يشترط في الإحسان أن يكون في عدد الألفاظ ، وإنما في الحفاوة والبشاشة والاهتمام . " (لحام ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ٢٧٣)

ونجد بين التوجيهات النبوية ما يتوجه إلى جماعة المؤمنين من خلال المرأة لترشدهم إلى أهمية الإحسان في القول ، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : " استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ فقالوا : السام عليكم . فقالت عائشة : بل عليكم السام واللعنة . فقال رسول الله ﷺ : يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ، فقالت ألم تسمع ما قالوا ؟ قال : قد قلت وعليكم ، وفي رواية أخرى أنه قال لها : " فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش . "(مسلم، د.ت ، ج٤، السلام / ٤، ص ١٧٠٦-١٧٠٧)

أما الإحسان **بالعمل** ، فهو مطلوب في الحياة العادية ، وفي أوقات الأزمات ، مثل ما يقع بين الناس من خصومات ، أو مشاحنات أو قضايا كالطلاق والجرائم وغيرها .

ففي الطلاق يقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ البقرة، آية ٢٢٩) .

وفي القصاص يقول : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾(البقرة ، آية ١٧٨)

(البقرة ، آية ١٧٨)

فلصاحب الحق أن يقتص لنفسه ويرد الأذى بمثله ، لكن طمعه في أكثر من مجرد المثل هو الذي يدفعه إلى الإحسان بالعفو في انتظار الجزاء من الله .

ونجد السنة النبوية تخبرنا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، الذي بلغ مستوى رفيعاً في الإحسان إلى من أساء إليه ، وهو مسطح ابن خالته الذي تحدث بالسوء عن ابنته عائشة رضي الله عنها في حادثة

الإفـــك ، وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه ، فامتنع بعد مقولته . فلما نزل قوله تعـــالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (النور ،آية ٢٢) عفا عنـه وعـاد إلـى الإنفـاق عليه، وهو يقول :.

" والله إني لأحب أن يغفر الله لي ... لا أنزعها منه أبداً . "(مسلم ، د. ت ، ج ٤ ، التوبـة /١٠، ص ٢١٣٦)

وتوجه الأصول العقدية في السنة النبوية إلى أن الإحسان يمكن أن يكون في كل شيء . ويشير إلى ذلك قول رسول الله ﷺ فيما رواه شداد بن أوس رضي الله عنه : " إن الله كتب الإحسان على كـــل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرتـــه فليـــرح ذبيحتـــه ." (مسلم ، د.ت ، ج٣، الصيد/ ١١، ص ١٥٤٨)

٣- كيف تحقق المرأة المسلمة علاقة العدل والإحسان في واقع حياتها:-

يشير الدكتور الكيلاني إلى تضافر كل من العدل والإحسان في تحقيق شعار فلســـفة التربيـــة الإسلامية :" بقاء النوع ورقيه . "

فالعـــــــدل ثمرته **بقاء النوع البشري** .

والإحســـــــان ثمرته **رقي النوع البشري** . (الكيلاني ١٤٠٨هـــــ/١٩٨٨م ، ص ١٤٤) ، وإلى مثل هذه الثمرات كانت التوجيهات القرآنية . يقول سبحانه وتعالى :﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾ (المؤمنون ، آية ٩٦)

فالعدل يحل المشكلات ويطفئ الفتن المهلكة للنوع البشري ، أما الإحسان فإنـــه يوثـــق الروابط ويوفر التعاون المرقي للنوع البشري . وفي غياب هاتين العلاقتين تتدهور العلاقات وتشتعـــل الفتن والنزاعات التي تهبط بالنوع البشري . (الكيلاني، ١٤٠٨هـــ/ ١٩٨٨م ، ص ١٤٤)

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوجيهها إلى أهمية العدل والإحسان ، وكيفية تطبيقهما في واقع حياتها ، وذلك من خلال تعريفها بالله ، بحيث تتمكن معرفتها به من نفســـها بمـــا يجعلها تستشعر معيته لها في كل وقت ، مما يدفعها إلى التحقق من تلك المعرفة بمعاني التقوى والخوف والخشية والخشوع وغيرها من المعاني التي تشكل لديها دافعاً ذاتيـــاً يدفعـــها إلى الالـــتزام بـــالعدل والإحسان فيما عليها من مسئوليات . ويتضمن ذلك الاهتمام بتهذيب استجاباتها الانفعالية بما يرضي الله سبحانه وتعالى الذي يقول :﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾(آل عمران، آية ١٣٤) ، فالاستجابات الانفعالية للمرأة المسلمة المعاصرة ينبغي أن تتوجه نحو الله بحيث لا تخاف إلا منه ، ولا تخشى أحداً غيره ، وتصبر على ما يصيبها من ابتلاءات ، وتعمد إلى الحلـــم عنـــد

الغضب وهكذا .

ويمكن ترغيب المرأة المسلمة المعاصرة في الالتزام بالعدل والإحسان ، من خلال تعريفها بالنتائج المترتبة على ذلك من شعور بالأمن والاستقرار النفسي ، والحصول على رضى الله وعونه ، والتغلب على أهواء النفس ، والسلامة من الأمراض النفسية .

هذا على المستوى الشخصي .

أما على المستوى الاجتماعي فإن العدل والإحسان يسهمان في استقرار المجتمع ووقايته من مظاهر الفوضى .

ويحتاج إدراك المرأة المسلمة المعاصرة لهذه العلاقات وتجسيدها في واقع حياتها إلى تلق تربوي طويل ، يصاحبه صد للاتجاهات المخربة التي تحقرمن هذه العلاقات وتشكك بفائدتها ، إلى جانب التسلح بالاستعاذة من الشيطان المتربص دوماً ببني الإنسان . (الكيلاني ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ١٤٤-١٤٥)

قال تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ (الإسراء ، آية ٥٣)

ومن أجل ترسيخ هذه العلاقة في واقع حياة المرأة المسلمة المعاصرة ؛ فإنه ينبغي العمل على إشاعتها في جميع البرامج التربوية المقدمة لها ، وعبر مختلف الأنظمة التربوية الرسمية وغير الرسمية .

ويحتاج تثبيت مفهوم العدل والإحسان في النفوس إلى تربية الناس على تقوى الله لأنها الكفيلة بتعويدهم على الإحسان في أداء التكاليف المفروضة عليهم . فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (آل عمران ، آية ١٧٢)

وفي تفسيرها لمعنى هذه الآية تقول الأستاذة حنان لحام :

" الإحسان أعلى من التقوى .... لأن التقوى هي الالتزام بالفرائض... بينما الإحسان هو الزيادة . فكأن الآية تلوح للمؤمنين كي يرتقوا إلى الدرجة الأعلى حيث تبدأ من الإحسان ... ثم تعطف على المتقين فلا تقطع أملهم . فإن من بلغ التقوى يمكن أن يرتقي إلى الإحسان . " (لحام ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ص ٢١٨-٢١٩)

ونجد الواقع يشير إلى أن الكثير من الناس يدركون معاني الإحسان ؛ لكن القليل منهم هم الذين يطبقونه في واقع حياتهم ، وذلك لأن كلاً منهم ينتظر الإحسان من الآخرين حتى يبادلهم معاملة بالمثل ، في حين أن الأجر على الإحسان ينتظر من الله وليس من البشر ، وإلى هذا المعنى يشير قول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو هريرة : رضي الله عنه " ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه . " (مسلم ، د . ت ، ج٤ ، البر/١٩ ، ص ٢٠٠١)

فالأمر يحتاج إلى تكوين نفسية العطاء لدى المرأة المسلمة ؛ بحيث توقن بأن " اليد العُليا خير من اليد السفلى ." (مسلم ، د . ت ، ج٢، الزكاة / ٣٢، ص ٧١٧) ، وأن الله قد رزق الإنسان كثيراً من النعم المادية والمعنوية التي لا يتحقق كمال شكره عليها إلا بالإحسان في استخدامها ، وكذلك من خلال الإنفاق . ويشير إلى ذلك قوله تعالى :﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾(البقرة ، آية ٣)

والرزق لا ينحصر في المال فقط ، بل يعم كل أنواع الرزق ، ويأتي حسن الخلق على رأس القائمة ، ثم بعد ذلك تأتي الصحة ، والمال ، والعلم والمركز الاجتماعي ، والوقت ، وغير ذلك . وهذا ما يشير إليه قول الرسول ﷺ " إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق ." (المتقي ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، ج١ ، ص ١٣١)

وهناك كثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض على حسن الخلق منها :-

قوله تعالى ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ (الأعراف ، آية ٢٩٩) وقوله ﷺ فيما رواه جابر رضي الله عنه : " إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً." (الترمذي ، د . ت ، ج ٤، البر / ٧١، ص ٣٢٥)

وقوله ﷺ : أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون ." (المتقي الهندي ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨، ج ١، ص ١٣١)

وقوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : " ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ."(ابن حنبل ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، ج٢، ص ٢٣٦)

فالكلمة الطيبة ، وحسن الخلق ، والعفو وكظم الغيظ والحلم وغيرها من الشيم كلها تفيد في علاج النفوس المريضة .

كذلك ينبغي على التربية أن تنمي لدى المرأة المسلمة المعاصرة قيم التعاون والعمل الجماعي . والمبادرة ، والمرونة في التفكير ، والقدرة على اتخاذ القرار ، والثقة بالنفس ، والشجاعة ، والجرأة في الحق ، وحب العمل وغيرها من الصفات التي تمكنها من تحقيق الإحسان في تعاملها مع الآخرين .

ثانياً : علاقة إنسان التربية الإسلامية بالحياة- علاقة ابتلاء :

تشير آيات خلق الإنسان إلى أن موطن الإنسان الأول هو الجنة ، وأنه أُهبط إلى الأرض لأداء واجب الخلافة ، ثم هو عائد إلى موطنه الأصلي إذا عرف الطريق الصحيح للرجوع واتبعه . يقول سبحانه وتعالى :﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة ، آية ٣٦)

فحياة الإنسان في الأرض ابتلائية مؤقتة ، بينما حياته في الآخرة أبدية .

ولو كانت الحياة تنتهي بالعدم لكانت هولاً لا يطاق حيث تظل تشد بصر الإنسان إلى نهايته المرعبة فتقعد به عن الانطلاق في عمارتها . لكن الإسلام يبشر الإنسان بالخلود في الآخرة ، مما يفتح أمامه أبواب الأمل ويدفعه إلى الانطلاق بفاعلية في تحقيق دوره في الخلافة . (النجار في المسلم المعاصر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ،ع ٧٣ -٧٤ ، ص ١٣٠)

ومن أجل ضمان قيام المرأة المسلمة المعاصرة بأداء دورها المطلوب في عمارة الكون ، فإن المسئولية تقع على عاتق المؤسسات التربوية في إعدادها للنجاح فيما تتعرض له من سنن الابتلاء في هذه الحياة الدنيا ، بحيث تمدها بالتأهيل اللازم لكي تتحمل مسئوليتها تجاه نفسها وتجاه الآخرين ، لتنال عليها أفضل الجزاء في الآخرة .

ويمكن لذلك أن يتحقق من خلال الاهتمام بتعريف المرأة المسلمة المعاصرة بما يلي :

١- فهم المعنى الحقيقي لعلاقة الابتلاء .

٢- إدراك الحكمة من الابتلاء .

٣- التعرف على أشكال الابتلاء .

٤- التعرف على وسائل النجاح في الابتلاء .

وتفصيل ذلك كالآتي :-

١- المعنى الحقيقي لعلاقة الابتلاء:-

جاء في اللسان أن الابتلاء هو الاختبار والامتحان (ابن منظور ، د.ت ، ج١، ص ٣٥٥)

كما ذكر الراغب الأصفهاني أن الابتلاء يتضمن **أمرين** اثنين :

الأول : تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره .

والثاني : ظهور جودته ورداءته .

وابتلاء الله سبحانه وتعالى للإنسان هو من الباب الثاني ، لأنه علام الغيوب ، ولا يصح في حقه القول بأنه يبتلي الإنسان ليقف على ما يجهل من أمره وإنما هو لإظهار جودة الإنسان ورداءته .

(الأصفهاني ، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ، ص ٦١)

وهذا ما يؤكده قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

(الملك ، آية ٢)

فالأصول العقدية في القرآن الكريم تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد ابتلى الإنسان وامتحنه ليكشف ما يختاره من أعمال إرادية في رحلة الحياة الدنيا .

أما مواد الابتلاء فهي كل ما على الأرض مما هو مزين للناس . ويشير إلى ذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ (الكهف ، آية ٧)

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الخلق يتفاوتون ويتفاضلون على درجات في امتلاكهم لعطاء الله سبحانه وتعالى . ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ (الأنعام ، آية ١٦٥)

ويعلق الميداني على هذه الآية بقوله :-

" دل هذا النص على بعض مواد الامتحان في ظروف الحياة الدنيا ، وهو تفاوت درجات عطاء الله لعباده ، وهذا يشمل كل ما أتى الله عباده من أشياء مادية ، وأشياء معنوية . ومما هو مشاهد في الناس أنهم يتفاضلون في الصفات الفكرية ، وفي الصفات النفسية ، وفي الصفات الجسدية وفي مقادير الأرزاق ، وفي المنازل الاجتماعية ، إلى غير ذلك من أمور يتفاضلون فيها. وكل إنسان ممتحن من خلال عطاءات الله له ، وبمقدار عطاءات الله له ، وممتحن فيما هو مسئول عنه تجاه عطاءات الله لغيره ، كعدم الحسد ." (الميداني ،١٤١٥هـ/ ١٩٩٥، ص ٨٨)

٣- الحكمة من الابتلاء :

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن هناك أهدافاً معينة تتحقق من خلال تعرض الإنسان للإبتلاءات . ومن بين تلك الأهداف :-

أ. **تمحيص** المؤمنين لبيان من يصبر في المحن ومن يشكر في المنح : وهذا ما يشير إليه قوله تعالى :

﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (العنكبوت ، آية ٣)

فالله سبحانه وتعالى يعلم السر وأخفى ، لكنه يبتلي عباده ليظهر ما يعلمه فيهم ليعلموه هم ، ومن ثم يجازيهم عليه .

يقول سيد قطب رحمه الله : " والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء ، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله ، مغيب عن علم البشر. فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم . وهو فضل من الله سبحانه وتعالى من جانب ، وعدل من جانب ، وتربية للناس من جانب ، فلا يأخذوا أحداً إلا بما استعلن من أمره وبما حققه فعله فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه ! "(سيد قطب ،١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج٥، ص ٢٧٢٠)

ب. **تذكير الإنسان بخالقه** حتى لا تجرفه الأهواء والشهوات بعيداً عن أصالته ، فيسترجع إذا ما لمسته الإبتلاءات . وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾

(الأعراف ، آية ١٦٨)

ج . **إعداد الإنسان لتحمل المسئولية في الحياة** ، حيث أن الإبتلاءات تشد من عزم الإنسان وتعزز صموده في وجه مصاعب الحياة التي تحتاج إلى الصبر والمجاهدة . وإلى ذلك يشير قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ (محمد، آية ٣١)

د. **تمييز الخبيث من الطيب** وإلى ذلك يشير قوله تعالى :﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾(الأنفال ، آية ٣٧)

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الإبتلاءات بأنواعها ؛ تمثل تكاليف العقيدة التي لا يستطيع تحملها إلا الأمناء القادرين وعلى رأسهم الأنبياء . حيث روى مصعب ابن سعد عن أبيه عن النبي ﷺ أنه عندما سُئل " أي الناس أشد بلاءً ، قال: الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ؛ فيبتلى الرجل على حسب دينه ؛ فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ، إبتلي على حسب دينه . فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة ." (الترمذي ، د.ت، ج٤ ، الزهد/ ٥٦، ص ٥٢٠)

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوجيهها إلى إدراك الحكمة من الإبتلاءات ، وتنمية قدرتها لمواجهتها ، ومحاولة الارتقاء بنفسها للوصول إلى المستوى الإيماني المطلوب في الفرد المسلم .

٣- أشكال الابتلاء :

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى قد ركب لدى الإنسان – بنوعيه – القابلية للاتجاه نحو الخير أو الشر . ويشير إلى ذلك قوله تعالى :﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾(البلد، وقوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ (الشمس ، آية ٧)

وتؤكد ذلك السنة النبوية ، حيث جاء عن النبي ﷺ في الحديث القدسي قوله : " ... يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه . " (مسلم د.ت ، ج٤، البر / ١٥، ص ١٩٩٥)

فالإنسان حر في اختيار أي السبيلين ، ولديه الحوافز التي تمكنه من ذلك ، والقدرات لتناول ما يختاره منها .

ويشير الدكتور الكيلاني إلى أن الابتلاء يمثل " تربية بالخبرة ؛ هدفها فهم الخير ، وتذوق جماله ، وفهم الشر والنفور من قبحه ، ومن خلال هذا الفهم وهذا التذوق ، تتحقق الغاية الأولى ،

وهي إدراك عظمة النعم الإلهية على الإنسان، ثم يكون من ثمرات هذا الابتلاء ، الترقي العقلي والنفسي والاجتماعي ." (الكيلاني ،١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م ، ص ١٧٢)

وتؤكد الأصول العقدية في القرآن الكريم ؛ أن إدراك الإنسان للخير والشر محدود بحدود قدراته ؛ لأن ما يظنه خيراً قد يكون عكس ذلك . وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى :﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾(النساء ، آية ١٩)

فالآية تشير إلى أن إدراك الخير مرتبط بإدراك أمور أكبر من قدرة الإنسان . ومن ثم فلابد له من التسليم في أموره كلها لخالقه ؛ فهو الأعلم بما فيه الخير له . وقصة موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف تعد خير مثال على ذلك .

ونجد عبر التاريخ أن الجاهليات المختلفة البعيدة عن الحق تنظر إلى المرأة على أنها مصدر الشرور والفتن ، فلا تدرك أن المرأة لا تتصرف إلا بحسب ما رُبيت عليه من مثل أعلى .

ولا أدل على ذلك من المثل الأعلى للإيمان الذي وصلت إليه كل من امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ومسلمات صدر الإسلام .

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن للإنسان في حياته **جانبين** :

أ: جانب جبري : وهذا الجانب يتصل بما يصيبه في هذه الدنيا من أحداث وابتلاءات . ويشير إلى ذلك قوله تعالى { قل لاأملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ماشاء الله} (يونس،آية٤٩)

ب: جانب اختياري : وهذا يتصل بسلوكه تجاه الإبتلاءات . فهو يملك الاختيار بين طريقين لا ثالث لهما . ويشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ (البلد، آية ١٠)

فالإنسان حر في الاختيار بين بدائل قائمة . وهذه الحرية محكومة بعوامل **ذاتية وخارجية** ليست من صنع الإنسان ، لأنه إنما يختار وفقاً لما منحه من أدوات . فحرية الإنسان في الاختيار تمثل **(القوة التي يختار بها)** ، والعوامل المحيطة والمصاحبة تمثل (**القدر الإلهي** الخارج عن نطاق فعل الإنسان). فحرية الإنسان الخليفة محكومة بقدر المستخلف . (عمارة ، ١٤٠١١/١٩٩١م ، ص ٩١ - ٩٢)

ومن ثم وجب الاهتمام بتعليم المرأة المسلمة المعاصرة وصقل قدراتها بما يمكنها من التمييز بين الخير والشر ، لأن جهلها مدعاة لانحرافها عن الصواب وإسلام قيادها للأهواء والشهوات توجهها كيفما شاءت . وهذا ينبهنا إلى حكمة الإسلام في جعل تعليم المرأة وتأديبها طريقاً لوليها إلى الجنة

فقد جاء فيما رواه أنس بن مالك ﷺ عن الرسول ﷺ أنه قال : " من عال [1] جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو ، وضم أصابعه ."(مسلم د.ت ، ج٤، البر / ٤٦، ص ٢٠٢٨)

وكون الخالق قد ترك حرية الاختيار للمرأة في أمر عقيدتها فإن ذلك يضع على عاتق المؤسسات التربوية توجيه الأولياء إلى أهمية مراعاة حرية المرأة في الاختيار فيما هو أقل من ذلك ، كاختيار زوجها ، أو تخصصها الدراسي ، أو العمل الذي تود الالتحاق به ، وكذلك حرية التصدق بمالها على النحو الذي تراه مناسباً ، مادامت مؤهلة لذلك ، وما دام اختيارها ضمن الإطار المشروع .

وفيما يلي تفصيل الحديث عن كل شكل من أشكال الابتلاء :-

أ- الابتلاء بالخير :

الخير هو ما يرغب فيه الكل **معنوياً** كالعقل والعدل والفضل والشجاعة والخلق ، **ومادياً** كالصحة والسرور والتمكين والمال والبنون . (الزبيدي ، د.ت ، ج٣، ص ١٩٤)

وابتلاء الله للإنسان بالخير هو ما بين فضل الله ورحمته وفتنة الإنسان واختباره . والفضل والرحمة هما من جهة ما يشعر به الإنسان من لذة ومتعة نفسية ، والفتنة والاختبار هما من جهة كيفية استغلال الإنسان للخير واستثماره في وجوه البر أو منع ذلك . (الرحالى ،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م ، ص ٩٥)

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الخير إذا لم يسلك به الإنسان مسلك الحق ؛ إنقلب شراً . وتؤكد ذلك التوجيهات النبوية ، ومن بينها قوله ﷺ فيما رواه عمرو بن عوف ﷺ: " فوالله مالفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم ." (مسلم ، د.ت، ج٤، الزهد، ص ٢٢٧٤)

وكثيراً ما يذكر الإنسان في القرآن الكريم ، ومعه إشارة إلى ميله نحو الشر ومن ذلك قوله تعالى عن الأمانة : ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب ، آية ٧٢) ، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ (العاديات ، آية ٦) ، وقوله : ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ (العصر ، آية ٢) وقوله : ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩﴾ (المعارج ، آية ١٩)

---

[1] قام عليها بالمؤنة والتربية ونحوهما ومنه قوله" أبدا بمن تعول . " (النووي ، في مسلم ، د .ت ، ج٤، ص ٢٠٢٨)

فكل هذه الآيات تدل على أن نفس الإنسان قد تطبعت بالطابع المادي الذي خلقت منه ، إلا إذا تزكت وحافظت على نقاء فطرتها ، وابتعدت عن تزيين الشيطان الشر لها . فهو قد تمكن منها في الموطن الأول ، وسيتمكن منها في الموطن الثاني ؛ ما لم تصدق في إيمانها بالله . وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ (العصر ، آية ١-٢)

كذلك توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم أيضاً إلى أن الاتجاه نحو الخير ممكن ، وذلك من خلال جهاد النفس ، والالتزام بما جاء به الرسل عن الله . ويشير إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ ﴾ (العنكبوت، آية ٦٩).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوجيهها إلى أهمية إحسان ظنها بالله ؛ بحيث تتوقع منه الخير دائماً مهما واجهت من صنوف الإبتلاءات ، فتظل موصولة بخالقها لتحافظ على أمنها النفسي .

أما كيف يمكن تنمية الخير وتثبيته في النفس الإنسانية ، فذلك إنما يتم من خلال **عاملين** اثنين أشار إليهما عابد الهاشمي وهما :-

١- الدافع العقدي .

٢- الممارسة السلوكية.

فبدون العقيدة لا يكون هناك دافع للخير، وهو لا ينمو إلا من خلال التربية الإسلامية القائمة على مناهج شاملة متكاملة من خلال جميع المؤسسات التربوية ، وبتسخير جميع الوسائل التربوية ، وذلك لأن الدافع بدون استثارة يذوي ويخمد ، فكيف إذا عملت الوسائل على الانحراف به . (عابد الهاشمي ،١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٤٧)

أشكال الابتلاء بالخير :-

١- الابتلاء بالرخاء :-

وهذا تبدو مظاهره في كثرة الأموال والممتلكات وفخامتها وغير ذلك .

ونجد الأصول العقدية في السنة النبوية توجه إلى أن المال يمثل فتنة للأمة المسلمة لابد أن تحذر منها ، حيث يقول الرسول ﷺ فيما رواه كعب بن عياض رضي الله عنه : "إن لكل أمة فتنة ، وفتنة أمتي المال ." (الترمذي، د.ت ،ج٤، الزهد/٢٦، ص ٤٩٢)

فالمال يمثل فتنة سواءً في حالة وجوده أو فقده ، فوجوده يعني الغنى ، وفقده يعني الفقر . (الأصفهاني، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م ص ٣٨٢)

وتشير آيات القرآن الكريم إلى أن الإنسان بفطرته ميال إلى حب المال : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ

لَشَدِيدٌ} (العاديات ، آية ٨)

كما تؤكد التربية النبوية أن الإنسان لو ترك دون ضوابط لما توقف في تحصيل شهواته عند حد . حيث يقول الرسول ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه : " لو كان لابن آدم واديان من مال ، لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب . " (مسلم ، د.ت ،ج٢، الزكاة/٣٩ ، ص ٧٢٥)

ولأن التربية الإسلامية تحرص على تحقيق التوازن بين الناس ، فقد وجدنا الأصول العقدية في القرآن الكريم توجه الفرد المسلم إلى أنواع من التكاليف التي تحقق التنظيم المالي في المجتمع ، والتي جاءت في صورة أوامر ونواه ، منها الأمر بالأمانة والصدق والوفاء ، والنهي عن الربا والغش والرشوة وغير ذلك .

والمبتلي بالمال يتأرجح بين مرتبتين اثنتين : إما أن يؤدي حق المال فيشكر المعطي ، وينفق مما أعطاه ، أو يغفل عن أداء حق المال فينسى شكر المعطي ، ويمنع المال عمن يستحقه .فهو إما شاكر أو جاحد . وعند جحوده يستحق العقاب في الدنيا والآخرة ، كما حدث مع أصحاب الجنة الذين أحرق الله جنتهم في الدنيا وقال في نهاية ذكر قصتهم :﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم، آية ٣٣)

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية :

" أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ، ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات ، وبدل نعمة الله كفراً .... وعذاب الآخرة أشق.... " (ابن كثير ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، مج ٤، ص ٤٠٨)

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أهمية إدراك حكمة الله في المال ، وذلك من خلال تعريفها بحكمة الله في جعل الحياة الدنيا دار ابتلاء مبني على الاختلاف والتفاضل بين الناس من أجل تسيير شئون حياتهم . ويشير إلى هذا الاختلاف قوله تعالى :﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ (الزخرف ، آية ٣٢).

كذلك تشير آيات القرآن الكريم إلى أن هذا الاختلاف هو من أجل إظهار من يصبر ويشكر، أو يجزع فيكفر ، حيث أن الناس في ذلك مبتلون كل بالآخر. يقول الله سبحانه وتعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الأنعام ، آية ٥٣).

ومن ذلك ندرك أن الأغنياء مبتلون بالفقراء ، هل يؤدون حق الله تجاههم أو يمنعونه ، والفقراء مبتلون بالأغنياء هل يصبرون على فقرهم ويغبطونهم أم يحسدونهم .

وقد يعصي الإنسان ربه فلا يؤدي حق المعطي ؛ فهو في ذلك بين **حالتين** :إما أن **يمحق** الله سبحانه وتعالى رزقه عاجلاً فيعاقبه في الدنيا كما فعل بأصحاب الجنة ، أو **يستدرجه** بإمداده بمزيد من النعم ؛ ليأخذه في النهاية أخذ عزيز مقتدر . وهذا ما يشير إليه قوله ﷺ : " إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ثم تلا قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الأنعام ، آية ٤٤)

(ابن حنبل ، د.ت. ج٤، ص ١٤٥)

أما العبد الصالح فإن الله سبحانه وتعالى يمده بمزيد من النعم في الدنيا ليتمكن من الاستمرار في العمل الصالح .

ومن ثم فإنه لابد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أن اختلاف الناس في أمر المال ليس فيه تكريم أو تحقير ، وإنما هو للابتلاء . وأن المال نعمة لابد أن تشعر المرأة بحاجة المحرومين منها سواءً في محيطها القريب أو البعيد ، الذي يشمل المجتمعات الإسلامية كلها . فالواقع ينبيء عن أن الدول الإسلامية هي الأشد فقراً ، والأوفر حظاً من الكوارث الطبيعية والإنسانية ، وأنها الأكثر حاجة إلى العون والمساعدة . مما يستوجب الاهتمام بتوجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية تحملها لمسئوليتها الاجتماعية تجاه إخوتها المسلمين في أنحاء العالم ، وتوجيهها كذلك إلى عدم الاغترار بالنعم ونسيان واجب الشكر للخالق ، بالاستقامة على الطاعة والذي يستوجب المزيد من النعم . وهذا ما يشير إليه قوله تعالى :﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ (الجن ، آية ١٦)

ويشير سيد قطب الى أن هذه الآية تتضمن ثلاث حقائق :

الحقيقة الأولى : هناك ارتباط بين الاستقامة على الطريق الموصل إلى الله وبين إغداق الرخاء وأسبابه . أما من لا يستقيم ثم ينال الرخاء ؛ فإنه يصاب بآفات أخرى تسلب منه معنى الرخاء وتحيل حياته إلى جحيم .

الحقيقة الثانية : الرخاء ابتلاء من الله ، والصبر عليه يوجب القيام بواجب الشكر ، والإحسان فيه أشق من الصبر على الشدة ، والإنسان في حاجة إلى يقظة دائمة تعصمه من الفتنة .

الحقيقة الثالثة : أن الإعراض عن ذكر الله الذي قد يؤدي إليه الافتتان بالرخاء ؛ يؤدي إلى عذاب الله . (سيد قطب ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، مج٦، ص ٣٧٣٤-٣٧٣٥)

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتحذيرها من الاغترار بنعمة المال الذي قد يدفع بها إلى الانغماس في الترف ومضاعفاته المتمثلة في الإسراف في الاستهلاك . ونجد الأصول العقدية في القرآن الكريم تقرن بين الترف والكفر بسبب دلالته على الرغبة في الدنيا والإعراض عن الآخرة

: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ... ﴾[1] (الكيلاني، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص ١٨٠)

كذلك ينبغي تحذير المرأة المسلمة المعاصرة من المضاعفات النفسية للإسراف ، والمتمثلة في كثير من الأمراض التي يمكن أن تصاب بها الشخصية المترفة ، كالشح ، وانعدام القدرة على التفريق بين الحلال والحرام ، وحصول الملل والسأم ، وكذلك المضاعفات الاجتماعية ، والمتمثلة في الطبقية وثقافة الاستهلاك ، وأمراض الحسد ، وكذلك المضاعفات الصحية التي يؤدي إليها الإسراف في إشباع الشهوات بدون ضوابط . (الكيلاني، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ،ص ١٨١)

أيضاً ينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى البركات التي يمكن أن تحصل لمن يحسن الانتفاع بالنعم التي يهبه الله إياها . ويشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأعراف ، آية ٩٦)

وفي ذلك يقول سيد قطب :

" إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى ، بركات في الأشياء ، وبركات في النفوس ، وبركات في المشاعر ، وبركات في الطيبات ... بركات تنمي الحياة وترفعها في آن . وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردي في الانحلال . لكن من يغفل عن حكمة الابتلاء يأتيهم بأس الله في آية لحظة من ليل أو نهار . " (سيد قطب ،١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، مج ٤ ، ص ١٣٣٩- ١٣٤٠)

٢- الابتلاء بالأولاد:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الأولاد يمثلون أعظم ألوان الابتلاء بالنسبة للإنسان ،﴿ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾(التغابن، آية ١٥) وذلك بسبب ما جبل عليه الإنسان من ميل فطري نحو الأولاد ، بحيث يؤثرهم على نفسه ، ويبذل قصارى جهده من أجل إسعادهم ، مما قد يلهيه عن إدراك الغاية الكبرى من وجوده ، ولذلك جاءت آيات القرآن الكريم تحذر من الانشغال بالأولاد عن ذكر الله حيث يقول سبحانه وتعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾(المنافقون ، آية ٩)

وفي تربية المرأة المسلمة المعاصرة ينبغي توجيهها إلى حقيقة الابتلاء بالأولاد ، وأنها في ذلك بين **أمرين** : إما أن تؤدي حق المنعم عليها بهم ، فتحسن رعايتهم وتربيتهم وتلقى جزاء ذلك براً في الدنيا وثواباً في الآخرة ، وإما أن تسيء إليهم ؛ بأن تهمل رعايتهم ، أو تتخذ منهم سبيلاً للتفاخر

---

[1] (المؤمنون ، آية ٣٣)

متناسبة لتوجيهات القرآن الكريم في التحذير من الأولاد ، حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿... إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ (التغابن ، آية ١٤)

والإحسان في تربية الأولاد يقتضي من التربية أن تعمل على تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بالأسس الصحيحة لتربية الأولاد روحياً وبدنياً وعقلياً واجتماعياً ونفسياً، لتسهم في وقايتهم من النار ، استجابة لقوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (التحريم ، آية ٦)

كذلك ينبغي غرس أهمية الإحسان إلى الأولاد من البنات بصفة خاصة في نفس المرأة المسلمة المعاصرة ، وذلك تطبيقاً للتوجيهات النبوية التي تؤكد أن الابتلاء بهن هو ابتلاء بالخير وليس شراً كما يعتقد البعض ، حيث أن الإحسان إليهن سبيل إلى دخول الجنة ، كما جاء في الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ : " من ابتلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار ." (مسلم ، د.ت ، ج٤، البر/ ٤٦، ص ٢٠٢٧)

٣- الابتلاء بالمكانة الاجتماعية:

من الأمور التي فطرت عليها النفس البشرية ؛ التأثر بالقيم الاجتماعية ، كالمال والجاه والحسب والنسب ؛ حيث يصبح الإنسان أسيراً لها فيتصرف بمقتضاها .

لكن الأصول العقدية في القرآن الكريم تتصدى لهذه القيم ، فتضعها في موضعها الحقيقي ، وترد القيم الحقيقية إلى اعتبارات معنوية ذاتية كامنة في نفس الفرد أو واضحة في عمله . وهذا ما يشير إليه قوله تعالى :﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات ، آية١٣)

وقد أدركت مسلمة صدر الإسلام حقيقة الميزان الذي توزن به النفوس ، ولذلك وجدناها تسارع إلى تطبيق ذلك في واقع حياتها . ويبدوا هذا واضحاً في قصة زواج زينب بنت جحش رضي الله عنها من زيد بن ثابت رضي الله عنه ، حيث تمنعت زينب رضي الله عنها في البداية فقالت : "لست بناكحته " ، ثم عادت فانصاعت لأمر الله ورسوله وهي تقول : " ... ... لا أعصي رسول الله ﷺ ." (ابن كثير، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ، ج٣ ، ص ٤٩٠)

وهذا ما ينبغي الاهتمام به في إعداد المرأة المسلمة العاصرة ؛ بحيث يعمل المربون على إضعاف أثر القيم المادية على نفسها والإعلاء من القيم الإيمانية ، وحثها على التمسك بها لتجد الأمن والطمأنينة والثقة وعدم الحيرة وغيرها من الصفات الإيجابية التي تشيع في نفسها وترشد سلوكها .

٤- العلم:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أهمية الارتقاء بالتكوين العقلي للمرأة وذلك من خلال العلم . فنجد قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾(طه ، آية ١١٤) ؛ دعوة إلى الاستزادة من هذه النعمة التي لا يتحقق شكر المنعم عليها إلا من خلال استثمار تطبيقاتها في واقع الحياة ، وإفادة الآخرين بنقل المعارف إليهم .

وقد أدركت مسلمات صدر الإسلام معنى هذا التوجيه ، فاندفعن ينهلن من مناهل العلم حتى وجدنا من بينهن من امتلكن مهارات عالية خاصة في الرواية والتلاوة إلى جانب العلوم الأخرى [1] .

وفي العصر الحاضر نجد أن سبل العلم ميسرة جداً لمن أرادت أن تنهل منه ، وهذا يستلزم توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية شكر المنعم الذي تفضل فيسر سبل تحصيل العلم . وتوجيهها أيضاً إلى أهمية الاستزادة من العلوم من خلال الدروس وسؤال أهل العلم وسماع المواعظ وقراءة الكتب ، ثم العمل على إفادة الآخرين من كل ذلك .

٥- الابتلاء بالصحة :

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أهمية المحافظة على نعمة الصحة وذلك من خلال حث المسلمين على الاعتدال في الطعام والشراب ، حيث جاء في قوله تعالى :﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأعراف ، آية ٣١)

ونجد الأصول العقدية في السنة النبوية تشير إلى أن القليل جداً من الناس هم الذين يدركون معنى تمتعهم بنعمة الصحة . وإلى ذلك يشير حديث الرسول ﷺ الذي رواه ابن عباس رضي الله عنه : "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ . " (الترمذي ، د. ت ، ج٤ ، الزهد /١، ص٤٧٧)

ولذلك نجد التربية النبوية توجه إلى أهمية شكر المنعم على نعمة الصحة . حيث يقول الرسول ﷺفيما رواه أبو ذر رضي الله عنه : " يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحه صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى ." (مسلم ، د.ت ، ج١، المسافرين/١٣، ص ٤٩٩)

---

[1] أنظر ص١٥٩

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أهمية شكر الخالق على نعمة الصحة من خلال المحافظة عليها ، واتخاذ كافة الأساليب الوقائية من الأمراض .

كذلك ينبغي التوجه إلى ربات البيوت بخاصة ؛ وحثهن على الجد في العمل وعدم الركون إلى الراحة والكسل ، والاتكال على الخادمات في إدارة شئون المترل ، بل يستعملن في أمور محدودة لا تلغي دور ربة المترل الرئيسي ؛ بل تيسر لها أداء مهامها المترلية [1]

كما ينبغي الاهتمام بالتربية الجسمية للمرأة المسلمة المعاصرة ، وذلك من خلال توجيهها إلى العادات الصحيحة في الأكل والشرب والنوم والرياضة ؛ لتكون مؤمنة قوية بالمعنى المادي والمعنوي للقوة ، سيما وأن وظيفتها الأساسية تتطلب منها الصحة الكاملة لتقوم بها على أكمل وجه .

ب : الابتلاء بالشر:

يمثل الابتلاء بالشر حرماناً للإنسان من صنوف الخير ، حيث يضيبه ما هو ضده من أشكال الشر المادي كالفقر والعقم والمرض ، والمعنوي كالجهل والجبن والخوف .

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الإنسان حينما يتناول الشر فهو إنما يسيء استخدام ما وهبه الله من قدرات ، وإلى ذلك يشير قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (الشورى ، آية ٣٠).

والمصيبة هي ما يصيب الإنسان مما يكرهه في النفس أو المال أو الأهل . (ابن كثير ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ، ج٤، ص ١١٧-١١٨)

فالنفس يمكن أن تتعرض لأنواع الأمراض الجسمية والنفسية والاجتماعية ، مما يحتاج إلى الصبر ومحاولة علاجها بأسبابها . والمال يمكن أن يتعرض للتلف لأسباب كثيرة . والأهل معرضون للموت حتماً .

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الابتلاء في النفس والمال والأهل منه ما يكون **بفعل الله** ومنه ما يكون **بسبب العباد** :

فقوله تعالى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ (البقرة ، آية ١٥٥) ، يشير إلى ما يكون بفعل الله.وقوله تعالى : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ

---

[1] يظهر الفرق في مستوى الوعي بين النساء في الدول الغربية وكثير من نسائنا المترفات من الاستطلاع الذي نشرته مجلة الإكسبرس الفرنسية عن سبب ركود سوق استخدام الخادمات في المنازل منذ عشر سنوات حيث جاء فيه " أن ٥% فقط من البيوت الفرنسية تستخدم خادمات في المنازل ، ويعود السبب في الإحجام عن استخدامهن لا لأسباب اقتصادية ، وإنما لأسباب ثقافية واجتماعية ، حيث لا تزال النساء في الأوساط الشعبية مرتبطات بفكرة كونهن ربات بيوت ." (ركود استخدام الخادمات في فرنسا في الثورة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ١١٣٥٨)

﴿فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ (آل عمران ، آية ١٨٦) يشير إلى أن أعظم الإبتلاء هو ما يصيب المؤمنين من أذى أعداء الدين.

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم والسنة النبوية إلى أن الناس يختلفون في موقفهم تجاه ما يصيبهم من مصائب وذلك باختلاف درجة تمسكهم بالهدى أو الضلال .

فالمؤمن ينظر إلى المصائب من زاويتين :

١ – أن المصائب تعني تجاوزه للحد في بعض الأمور ؛ فهي رحمة من ربه ليرجع ، وتكفير لذنوبه . ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ (النساء آية ، ٧٩).

وقوله ﷺ : " لا يصيب المؤمن من مصيبة حتى الشوكة إلا قص بها من خطاياه ، أو كفر بها من خطاياه ." (مسلم ، د.ت ، ج٤، البر /١٤، ص ١٩٩٢)

٢ – أن المصائب تدخل ضمن نطاق القدرة الإلهية ؛ فهي مقدرة عليه قبل خلقه ، ومن ثم فهو يعتبرها بمثابة اختبار وامتحان له من خالقه ، فيقابلها بما يليق بها من صبر ؛ لأن " ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه " كما جاء في الحديث الذي رواه جابر ابن عبد الله رضي الله عنه عن الرسول ﷺ . (الترمذي ، د.ت، ج٤، القدر / ١٠، ص ٣٩٣)

أما بالنسبة للكافر فإن تعرضه للمصائب قليل ؛ وذلك لدخوله ضمن دائرة من تعجل لهم حسناتهم . وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ (محمد، آية ١٢).

وحين يتجاوز الكافر الحد في العناد والاستكبار؛ فإن البلاء يصيبه انتقاماً لتجاوزه الحد . وإلى ذلك يشير قوله تعالى :﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٥١﴾ [1] (الأنفال ، آية آية ٥٠-٥١) ، إضافة إلى فقدان الكافر للأمن النفسي والاطمئنان ، مما يدفعه إلى الجزع عند أدنى مصيبة . وما مظاهر الانحلال والتفسخ والأمراض المستحدثة في الوقت الحاضر إلا أثر من آثار تجاوز الحد لدى غير المسلمين .

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أهمية الإحسان في التعامل مع المصائب ، بحيث تسترجع وتتذكر خالقها المنعم فتلجأ إليه في طلب العون ، وبذلك تصبح المصيبة سبباً في نيلها السعادة في الآخرة ، سيما وأن الأصول العقدية في القرآن الكريم – كما سبق وأشرنا – تشير إلى أن

---

[1] وقد أشار ابن كثير إلى أن ذلك كان في يوم بدر خاصة ، ولكنه عام في حق كل كافر، (ابن كثير ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦، ج٢ ، ص ٣٢٠)

الرخاء يمكن أن يُنسي العبد شكر المنعم ، وقد جاء في ذلك قوله تعالى :﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الشورى، آية٢٧).

كذلك نجد الأصول العقدية في السنة النبوية توجه إلى أن الله سبحانه وتعالى يعطي بعض عباده بقدر حتى لا يفسدهم الطغيان . وإلى ذلك يشير قوله تعالى في الحديث القدسي : " إن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا السقم ولو أصحته لأفسده ذلك . إني أدبر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير . " (المتقي الهندي ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، ص ١٢٢) ويؤكده قول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه قتادة بن النعمان رضي الله عنه : " إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء . " (الترمذي ، د.ت ، ج٤،الطب / ١ ، ص ٣٣٤)

كذلك ينبغي الاهتمام بتنمية الإحساس بالمسئولية لدى المرأة المسلمة المعاصرة تجاه ما يصيبها من مصائب ، بحيث تنظر إلى ما يصيبها من ابتلاءات من زاويتين : **الرضا بالقضاء والقدر، والبحث عن مسئوليتها عما أصابها لتتجنب ذلك في المستقبل** . وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال :" وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان ."(مسلم ، د.ت ،ج٤، القدر/٨، ص ٢٠٥٢)

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الابتلاء بالمصائب هو المحك الذي يميز بين الصابر والجازع ، ويشير إلى ذلك قوله تعالى :﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (آل عمران، آية ١٤٢)

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها بحيث تسلم لقضاء الله وقدره ، فلا تستخفها المصائب وتنزل بها عن المستوى اللائق بها ، بل تطمئن وتسكن وتبتعد عن الجزع . وقد جاء في الحديث الذي رواه صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ." (مسلم ، د.ت ، ج٤، الزهد/١٣، ص ٢٢٩٥)

و فيما يلي تفصيل الحديث عن بعض أشكال الابتلاء بالشر التي يمكن أن تتعرض لها المرأة المسلمة المعاصرة ودور التربية في إعدادها لمواجهتها .

من أشكال الابتلاء بالشر :

أ: الابتلاء بالشيطـــــــــان :

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الشيطان يمثل أعظم ابتلاء يواجهه الإنســـان ، وقد ورد في عدة مواضع من القرآن الكريم ذكر الشيطان وأعوانه على أنهم يمثلون قوى خفية تتحـــرك في المجال الإنساني ، وتراه دون أن يراها ، وذلك في معرض التحذير من كيد الشيطان، والتخويف من إغرائه بسبب العداوة التي بدأها بعد طرده من الجنة . وإلى ذلك يشير قوله تعالى :﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (الأعراف، آية ٢٧).

وتؤكد الأصول العقدية في القرآن الكريم أن الشيطان لا يمكنه إغواء الإنسان إلا بسبب نقطـــة الضعف الأصيلة فيه والمتمثلة في الشهوات التي قد تستعبده إذا ما ترك قياده للشيطان يغريه بقضائها ، ومن ثم يهبط عن المستوى التكريمي الذي جعله الله عليه إلى الأرض وينسى مهمتـــه في ربـــط الأرض بالسماء .

وتشير آيات خلق الإنسان [1] إلى أن إبليس قد تمكن من إغواء آدم حتى نسي عهد الله إليـــه ، فكان ذلك سبباً في هبوطه إلى الأرض . وهذا ينبهنا إلى حقيقة مفادها أن السيطرة في الكون تكـــون لقوى الشر عند غفلة الإنسان عن حقيقة وجوده .

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتحذيرها من كيـــد الشيطـــان ، وربطها دوماً بخالقها ، وتعريفهـــا بمـــداخل الشيطـــان إلى نفـــس الإنسان وهـــي الغرائـــز – الشهوات – الحسية والمعنوية ، والتي تمثل نقاط ضعف ينبغي تحصين المرأة تجاهها من خلال الاهتمام بتزكية نفسها والبيئة من حولها .

كذلك ينبغي تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أن المعركة الخالدة بين الشيطان والإنسان تركـــز أساساً على استدراج الشيطان للإنسان بعيداً عن منهج الله ، وذلك مـــن خـــلال تزيـــين الأشيـــاء والأشخاص (سيد قطـــب ،١٤١٥هـــ/ ١٩٩٥م ، ج٤، ص ٢١٤٥) ، ومن ثم يقع الإنسان في أسر العبودية لغير الله ؛ حيث يقدم فروض الطاعة والولاء للأشياء والأشخاص . وهذا ما تشير إليه الآيـــة الكريمة في قوله تعالى :﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (يس، آية ٦٠-٦١)

---

[1] البقرة ، آية ٣٠ -٣٦ .

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الشيطان لا يكل ، ولا يمل الحرب مع الإنسان ، ودليل ذلك أنه طلب من الله إنظاره إلى يوم البعث ، حيث جاء في القرآن الكريم قوله تعالى :﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾(الحجر، آية ٣٧)

وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لطلب إبليس ؛ لأن مشيئته سبحانه قد اقتضت ترك حرية الاختيار للإنسان ، وتمييزه بالعقل الذي يساعده على الاختيار والتذكر بما جاء به الرسل من عند الله من دعوة إلى الهداية والبعد عن الغواية . (سيد قطب ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج٣، ص ١٢٦٧)

فلابد من تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى مداخل الشيطان التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ (الأعراف ، آية ١٧)

فالشيطان قد توعد بأن يأتي الإنسان من كل سبيل يمكنه الوصول به إليه . ولكن الله سبحانه وتعالى لم يترك عباده المخلصين فريسة لكيد الشيطان وأعوانه ، بل أوضح وسائل الغواية التي يمكن أن يستخدمها الشيطان ، حيث جاء في القرآن الكريم قوله تعالى :﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الإسراء ، آية ٦٤).وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ (النور آية ، ٢١)

فالشيطان يحاول الإستيلاء على القلوب والمشاعر بشتى الوسائل ، وأشدها إغراء ؛ الوعد بالعفو والمغفرة ، حيث يزين للإنسان الخطأ ، ويمنيه بسعة الرحمة الإلهية ، وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى : { يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً.}(سيد قطب ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مج٤، ص ٢٢٣٩)

و الإيمان بوجود الشيطان ، ليس معناه عدم القدرة على الانفلات من تأثيره ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد أمد الإنسان بما يعينه على الارتقاء ؛ من فطرة وعقل ووحي . ومن ثم فإنه ينبغي من خلال التربية استغلال كل ذلك من أجل سد منافذ الشيطان التي تتقدم بتقدم العلم والحضارة ، ولكن وكما تقول حنان لحام : " ... أساليب الوقاية منه أيضاً تتقدم بتقدم العلم والحضارة ، إذ يمكن تسخير الكشوف والاختراعات لرفع مستوى الناس في الفهم والاستقامة . وفي ذلك تعقيم للجو العام من الجراثيم الفكرية التي يعتمد عليها الشيطان . " (لحام ، من هدي سورة آل عمران ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩، ص ٣٢٥)

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الشيطان لا يتمكن من الإنسان إلا إذا أتاح له الإنسان الفرصة ؛ بما يرتكبه من أخطاء حين لا يعمل عقله ، ويغفل عن أهدافه . وإلى ذلك يشير قوله

تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ (آل عمران، آية ١٥٥)

فالشيطان يعمد إلى أخطاء الإنسان مهما كانت بسيطة ؛ فيتخذ منها منفذاً يجر منه الإنسان بعيداً عن خالقه .

لكن على الرغم من كل ذلك فإن الأصول العقدية في القرآن الكريم تؤكد على أن الشيطان ضعيف أمام عدة الإنسان من ذكر الله . ولذلك جاءت التوجيهات في القرآن الكريم بالاستعاذة من شره : ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾(الناس، آية ٤) ، فالشيطان يخنس بذكر الله ، لكنه ينتهز فرصة أخرى للانقضاض على الإنسان .

ويشير قوله تعالى : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ (الناس، آية ٦) إلى أن هناك صنف من الناس يجاري الشيطان في كيده للإنسان[1] .

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة ؛ العمل على تنمية الشعور بالقوة الناجمة عن إيمانها بالله المالك والمسيطر على كل شيء . وكيف أن اعتصامها به في جميع الأمور وفي كل الأحوال هو الذي يعصمها من شر شياطين الإنس والجن ووسوساتهم ، لأن حكم الله العادل قد جعل سلطان الشيطان محدوداً بأعوانه ، فلا يصل إلى المخلصين من المؤمنين : وإلى ذلك يشير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (الحجر ، آية ٤٢)

٣- الابتلاء بالكوارث :

وهي نوعان :كوارث طبيعية وكوارث يصنعها الإنسان :

أ: الكوارث الطبيعية :

وذلك مثل الفيضانات والزلازل والبراكين والجفاف وغيره . فالواقع يشير إلى أن كثيراً من الدول الإسلامية تلحقها مختلف أنواع الكوارث وأن وقع هذه الكوارث على النساء أكبر من غيرهن ؛ مما يستدعي الاهتمام في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بتقوية عزيمتها على تحمل الشدائد بصبر ورضاً بقضاء الله وقدره .

---

(1) أرسل أحد الأزواج مشكلته إلى صحيفة يومية تتمثل في أنه رجل ميسور الحال لكن التزاماته المالية الكثيرة قد جعلته يعيش عيشة متواضعة ، وأن زوجته كانت راضية بعيشتها معه لمدة ست سنوات ، جاهدة على إحسان أداءها لواجباتها تجاه أسرتها ، إلى أن زارتهم أختها وزوجها ، حيث أخذ زوج أختها ينتقد أثاث البيت ورضى الزوجة به ؛ مما أحال حياة الأسرة إلى جحيم حيث أخذت الزوجة تطالب زوجها بأثاث فخم ، وتعدى الأمر إلى انتقادها لزوجها ، وأنه غير قادر على إسعادها .(عكاظ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ١٠٦٦٣)

فزوج الأخت هذا يعد مثالاً لشياطين الإنس الذين يجتهدون في الكيد لغيرهم ، وإفساد حياتهم .

وقد ذكر العلماء أن هناك فرق بين الرضى والصبر ، **فالصبر** يتضمن حبس النفس عن السخط- مع وجود الألم - وتمني زوال الابتلاء ، كما يتضمن عدم اللجوء إلى ما يشير إلى الجزع . **أما الرضا بالقضاء** فيتضمن انشراح الصدر بما يساعد على التخفيف من الإحساس بالألم بسبب اليقين والمعرفة التي تصل عند البعض إلى درجة تجعلهم يفقدون الإحساس بالألم بالكلية . (أحمد فريد، د.ت ، ص ٢٤٢)

يقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه أنس رضي الله عنه " إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط . " (الترمذي ، د.ت، ج٤، الزهد/ ٥٦، ص ٥١٩) . ويقول أيضاً :" إن الله تعالى بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط . "(المتقي الهندي ، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م ، ج١ ، ص ٢٥٧)

والأمر يحتاج إلى تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بالابتلاءات التي يمكن أن تصيبها بحسب البيئة المحيطة بها ، وبالإجراءات الواجب اتخاذها عند حدوثها وقبله ، بما يكفل التقليل من آثارها إلى أدنى حد ممكن ، إذا لم تكن إزالتها بالإمكان .

فمثلاً في البلاد التي يضربها الجفاف يمكن تقديم المعرفة التكنولوجية اللازمة لتحسين الإنتاج ومواجهة ندرة المياه ، وتوجيههن إلى زراعات لا تحتاج إلى مياه كثيرة ، وهكذا[1] .

ب: الكوارث التي يصنعها الإنسان : وأهمها الحروب :

على الرغم من أن المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان ينص على أن " انتهاكات النزاع المسلح تشكل انتهاكات للمبادئ الأساسية للقانون الدولي لحقوق الإنسان وللقانون الإنساني والدولي..." (وثائق بكين ، الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٦١٤٧، الهدف الإستراتيجي دال:٣) ، إلا أنه وفي ظل الهجمات الشرسة التي يشنها أعداء المسلمين عليهم ؛ نجد أن مآسي الحروب تقع على المسلمات بصورة لا إنسانية على اختلاف أعمارهن ، حيث يعانين من القتل والتعذيب والتشريد والاغتصاب ، إلى جانب فقدان المنازل والممتلكات وذلك في مختلف البلاد التي يتعرض فيها المسلمون للانتهاكات من قبل الآخرين .

---

[1] خلال كوارث الجفاف الكبرى التي ضربت مناطق الساحل الإفريقي في السبعينات ، وعندما هجر الرجال القرى ، تمكنت المرأة الأفريقية من إيجاد البدائل لتوفير الغذاء من خلال العودة إلى زراعات كانت منسية لفترة طويلة . (المستقلة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع٦٩)

ونجد مثلاً أن جريمة " الاغتصاب قد مورست في البوسنة والهرسك حتى على الأطفال ، وأن الحرب قد حصدت أكثر من مائتي ألف قتيل معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ ، كما تم اغتصاب أكثر من ستين ألف امرأة وتشريد أكثر من مليون مسلم ، إلى جانب مئات الآلاف من الجرحى والمعوقين . (أهداف الصرب .. في الشرق الأوسط ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٠٠)

فهذه الحرب التي كان الغرض الأساسي منها منع المسلمين من إقامة دولة إسلامية في أوروبا [٢] ؛ قد أصاب المسلمين من جرائها كثير من الإبتلاءات إلى جانب ما سبق ذكره . وقد عانت فيها المرأة كما عانى الرجل ، حيث تعرضت للإرهاب والتهجير من المساكن وإرغامها على تسليم أطفالها لمنظمات مشبوهة بحجة إنقاذهم .(أهداف الصرب .. الشرق الأوسط ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، الشرق الأوسط ، ع٦١٠٠)

وقد أصدرت المنظمة الدولية ضد العنف ؛ بياناً رسمياً ، أكدت فيه اكتشاف عمليات منظمة لبيع أطفال من يوغوسلافيا السابقة ، حيث كانوا يرسلون إلى رومانيا ومنها إلى الولايات المتحدة والمكسيك وإيطاليا [١] . (مأساة الأطفال في البوسنة والهرسك ، في المجتمع ع ١١٢٢، ص ٣٢)

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوعيتها بحقيقة الصراع بين الحق والباطل ، وكيف أنه ماض إلى يوم القيامة ، وإمدادها بالعدة اللازمة لمواجهته مادياً ومعنوياً ، وتنشئتها على القوة والشجاعة والجرأة في الحق والصبر والجلد ، بحيث تكون لها أسوة في مسلمات صدر الإسلام اللاتي تحملن الكثير في سبيل دينهن ، حيث كانت من بينهن من هاجرت الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة وتحملت صنوف العذاب ، لكنها ظلت صامدة حتى جاء نصر الله وعز الإسلام والمسلمون .

---

[2] جاء في رسالة بريطانية من رئيس الوزراء جون ميجور إلى وزير خارجيته دوقلاس هيرد ما نصه : " نحن لن نقبل بوجود دولة إسلامية في أوروبا ، وسوف نستمر في هذه الخدعة المسماة " فانس -أوين" إلى أن يتم التدمير الكامل للبوسنة والهرسك في أوروبا . " (لاري في الشرق الأوسط ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، ع ٦٠٨٤) ، وفانس - أوين هي مبادرة " تنص على تقسيم البوسنة إلى عشرة أقاليم ترتبط بسراييفو بعلاقات واهنة " وقد جاء اسمها تبعاً لمن أنيطت بهم مهمة العمل على تنفيذها وهم (سايروس فانس) ، وهو وزير خارجية أمريكي سابق ، و(ديفيد أوين) ، وهو ممثل المجموعة الأوروبية . وقد استبدل فانس " لتواطئه مع الصرب واقامه الصريح باغتصاب المسلمات . "(البيان ، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م ، ع ٧٠ ، ص٥٨ ، ص ٦٤)

[1] ثبت وجود تجارة منظمة لاختطاف الأطفال الذين يفقدون ذويهم في المعارك كما في حالة البوسنة والهرسك ، حيث يتم بيعهم لعصابات ألمافيا الدولية توطئة لشحنهم سراً إلى موانئ عدد من الدول الأوروبية لإعادة بيعهم في سوق مزدهرة منذ عام ١٩٩١م / ١٤١١ هـ تعرف باسم (سوق العبيد الصغار) حيث يتم استخدامهم في أغراض الدعارة بالدرجة الأولى وكذلك التسول والتبني .
(سوق ل" العبيد في إيطاليا " في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٦١٢٩)

كذلك ينبغي العمل على تنمية الإحساس لدى المرأة المسلمة المعاصرة بمعاناة إخوتها من المسلمين في كافة أنحاء العالم ، بحيث لا تكتفي بمجرد التألم السلبي ، بل تندفع إلى العمل الإيجابي الذي يمكن أن يسهم في تغيير الأحداث أو التخفيف من حدتها [٢].

ج: العيش في مجتمع غير مسلم :

تواجه المرأة المسلمة المعاصرة في المجتمعات غير الإسلامية مشكلة إمكانية المحافظة على قيم وأخلاق أبنائها في ظل مجتمع متحرر من كل ذلك . ومن أخطر المشكلات التي أصبحت تواجه الآباء المسلمين اليوم ، الانفصام بين الجيل القديم والجيل الحديث ؛ فالمدارس مختلطة ، والمناهج فيها كثير من التحرر ، واللباس الإسلامي كان - في الماضي- يسبب حرجاً شديداً للفتاة المسلمة؛ بسبب سخرية الطلاب والطالبات ، لكنه اليوم قد أصبح سبباً في منعها من الدراسة في العديد من الدول الغربية ، إلى جانب الخوف من فقدان الهوية وغيره . فالمسلمون كلهم- وليس المرأة فقط- يواجهون تهديدات مباشرة لعقيدتهم ، مما يستدعي الاهتمام في تربية النشء ؛ بالسبل الكفيلة بجذبهم إلى الالتزام بالمبادئ والقيم الإسلامية .

د- الفقـــــر :-

يقول الرسول ﷺ : " تعوذوا بالله من الفقر والقلة والذلة . " (ابن ماجة ، د.ت ، ج٢، الاستعاذة ، ص ٢٦٢) ، مما يشير إلى عظم الابتلاء بالفقر . لكننا ومع الأسف نجد أن غالبية الدول الإسلامية فقيرة ، ونجد أن المسلمات يعانين من ويلات الفقر حتى في ظل الدول الغنية ، حيث تشير المصادر إلى أن ٩٠% من المسلمات المهاجرات في أوروبا يعملن في مجال الخدمات ، وأن ٧٣% من هؤلاء يعملن في مجال الخدمات المترلية لدى سكان البلاد الأصليين . (السباعي في قضايا دولية ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٣٠٠، ص ٣٢)

---

[٢] من المآسي التي يحف بها عالمنا الإسلامي اليوم أن غير المسلمين يسارعون إلى نجدة المسلمين فيقدمون لهم ألوان الدعم المشبوه وغير المشبوه . من ذلك أن طبيبة نفسية تدعى (بيفرلي بريتون) قد جاءت من نيويورك وعلى نفقتها الخاصة وذلك من أجل المشاركة في مؤتمر (المرأة المهاجرة) الذي عقد في دبي ، وكانت هذه الطبيبة قد تعرضت سابقاً لمحاولة اعتداء وسطو على مترلها ، لكنها استطاعت المقاومة والإفلات ، فعاشت في رعب مدة ثلاث سنوات ربما تم القبض على الجاني ، وقد دفعتها تجربتها الشخصية إلى السفر مع مفوضية الأمم المتحدة لتشارك في حالات العلاج النفسي للمغتصبات ، ودفعتها أيضاً إلى الوقوف بشدة وراء مشروع قانون قدم للكونجرس الأمريكي لاعتبار الاغتصاب جريمة حرب . تقول الطبيبة : " وقد استطعنا رصد ١١ مليون دولار للقضاء على الآثار النفسية والجسدية ، ووضعنا برنامجاً لحماية الشهود ، وأوجدنا لجاناً تقدم الدعم المادي والمعنوي على مدار اليوم ، وتعمل في نفس الوقت على تبصير النساء بحقوقهن كلاجئات . " (مؤتمر المرأة المهاجرة في زهرة الخليج، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ع٨١٧ ، ص ٣٨)

ونجد **عمالة الصغيرات تمثل** إحدى المشكلات الرئيسية التي يتسبب فيها الفقر ؛ حيث يعمد الأهالي إلى تشغيل فتياتهن من أجل المساعدة في كفاية حاجات الأسرة ، وكذلك من أجل الإسهام في تغطية مصاريف زواجهن ، خاصة في ظل عدم إدراك الأهالي للجدوى العائدة عليهم من تعليم الفتيات . (أبو الذهب في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ع ٥٨٧٨)

ومن بين الأعمال التي تقوم بها الفقيرات :

أ – صناعة السجاد :- خاصة في المغرب حيث يبدأ تشغيل الفتيات في هذه الصناعة من عمر خمس سنوات ولمدة ١٢ ساعة يومياً ، وفي ظل ظروف سيئة ، على الرغم من وجود قوانين تحظر عمل الأطفال قبل سن الثانية عشرة . (الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ع ٥٨٧٨)

فلابد من توعية أفراد المجتمع المسلم ؛ بخطورة عمالة الصغيرات من حيث ظروف العمل السيئة التي تحرمهن من المزايا التي يتمتع بها العاملون ، إضافة إلى أن كثيراً من الأعمال تتم في ظروف خطيرة تهدد حياتهن وأخلاقهن .

ب – التسول : فكثيراً ما نشاهد أطفالاً من الجنسين ينتقلون في زحمة الناس وشدة الحر بين السيارات يسألون حاجتهم معرضين حياتهم للخطر، ونجد من بين هؤلاء الأطفال من يعول أسرته بما فيهم الآباء الذين يجلسون في بيوتهم ويرسلون أبناءهم لجلب الرزق . وهناك من الأسر من تفقد عائلها فنجد الابن أو الابنة تمثل المعيل الوحيد للأسرة .

وعلى الرغم من أن بعض الدول تقدم إعانات لأمثال هؤلاء ؛ إلا أنها في ظل الضغوط الاقتصادية المتزايدة في كافة أنحاء العالم لا تكاد تجدي شيئاً . ومن ثم فإنه ينبغي الاهتمام بتوجيه أفراد المجتمع رجالاً ونساءً إلى أهمية الرفق بإخوتهم من الفقراء ، ومد يد العون لهم ، وكفايتهم عن سؤال الآخرين من خلال مشاريع إنتاجية تسهم في تشغيل الأيدي العاطلة وكفايتها مؤنة العيش .

كذلك ينبغي توعية أفراد المسلمين بخطأ الاعتماد على التسول ، وكيف أن من يسأل الناس يأتي يوم القيامة وما في وجهه مزعة لحم كما أخبر الرسول ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه : " ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم . " (البخاري ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، ج٢، الزكاة / ٥٣، ص ١٣٠)

ج – **الخدمة في المنازل** :حيث يقوم الأهالي بإرسال فتياتهم إلى الخدمة في المنازل وهن في سن صغيرة لا تحتمل الإرهاق الذي يسببه العمل المترلي ، ولا تتحمل نفوسهن البريئة الإهانات التي قد يتلقينها من مخدوماتهن مما يدفع بهن إلى التشرد أو الانتحار [1] .

وتشير دراسة أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر على ١٠٥٥ فتاة من الساقطات ؛ أن ٧٨% منهن تبلغ أعمارهن ما بين ١٥-٢٦ عاماً ، وأن ٧٥% منهن ينتمين إلى الطبقات الفقيرة . مما يشير إلى عظم المصيبة التي تحل بالمجتمع الإسلامي جراء الفقر إذا ما صاحبه سوء التربية والتوجيه . (جلاء في المسلمون ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٥٦٥)

٤– المرض:–

تشير الدراسات إلى أن إهمال صحة المرأة وتغذيتها شديد في بعض الدول خاصة الآسيوية ، إلى الدرجة التي جعلت المرض يتغلب على " ميل المرأة البيولوجي للعيش عمراً أطول من الرجل ."
(تقرير التنمية البشرية لعام١٩٩٤)

وتشير التقارير إلى أن النساء في الدول النامية وكذلك النساء المحرومات اقتصادياً في بعض الدول الصناعية يعانين أعلى معدلات العالم لمضاعفات الحمل والأمراض المنقولة جنسياً ، والسرطانات التوالدية . ففي بنغلادش تمثل الأسباب التواليدية العوامل الرئيسية في وفاة أكثر من نصف وفيات النساء في سن الإنجاب . (جاكسون ، د.ت ، ص ١٣٦)

ويعتبر سوء التغذية أيضاً من أبرز جوانب معاناة المرأة في الدول الفقيرة ، والذي يتسبب فيه – وإلى درجة كبيرة – التفرقة في المخصصات الغذائية بين الذكور والإناث ويحدث ذلك في معظم مناطق جنوب آسيا وغيرها من الدول . لكن في هذه الدول بالذات ينظر إلى الفتاة على أنها استثمار تحفه المخاطر بسبب تكاليف زواجها الضخمة . والتقليد المتبع في هذه الدول ؛ هو أن يأكل النساء بقايا أطعمة الرجال ، إضافة إلى أن النساء يطعمن أنفسهن أقل ما يمكن في مواجهة كميات الغذاء المحدودة . وقد وجد أن ما يقارب ٥٠% من الأمهات المرضعات يستهلكن أقل من ٧٠% من السعرات الحرارية التي تحتاجها أجسامهن . ويزداد الأمر سوءاً مع التقدم في العمر بسبب نقص

---

[1] انتحرت طفلة عمرها ثماني سنوات تعمل خادمة ، وأمها كذلك تعمل خادمة من أجل مساعدة الأب على أمور الحياة . أما السبب فهو معاناتها من الضرب والإهانة على يد مخدومتها التي عندما هربت منها ؛ أعادها إليها والدها ، ولاستمرار نفس المعاملة لم تجد الطفلة منقذاً لها سوى إشعال النار في جسدها . (انتحار "كريمة" يفتح الملف الأسود في المسلمون ، ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م ، ع ٥٢٥)

المخـــزون من الحديد من خلال الحيض والإنجاب ؛ مما يمكن أن يتسبب للمرأة في حدوث إعاقـــات دائمة مثل نقص الوزن وقصور النمو البدني والعقلي إلى جانب القابلية الكبيرة للإصابـــة بـــالأمراض وغيرها . (جاكسون ، د.ت ، ص ١٤٠)

فالأمر يستدعي الاهتمام بتوعية أفراد المجتمع بأهمية الرعاية الصحية للجميع بصفة عامة ، مع إلقاء مزيد من العناية على أهمية صحة المرأة والتركيز في ذلك على :-

١- المآسي الناجمة عن الأمراض الخطيرة ، والوراثية ، والمعدية للوقاية منها .

٢- التأكيد على خطأ الاستسلام للقدر وأهمية الأخذ بالأسباب في دفع الأمراض .

ونجد السنة النبوية توجه المؤمنين من خلال المرأة إلى أهمية اللجوء إلى الله عند الابتلاء بالمرض ؛ بالدعاء والصبر على الابتلاء ، لما في ذلك من تكفير للذنوب والخطايا . فقد دخل الرســـول الله ﷺ على أم السائب(أو أم المسيب) فوجدها ترتعد من الحمى فسألها : " مالك تزفرفين ؟ قالت من الحمى لا بارك الله فيها . فقال عليه السلام : لا تسبي الحمى فإنها تُذهب خطايا بني آدم كما يذهـــب الكير[1] خبث الحديد . " (مسلم ، د.ت ، ج٤، البر / ١٤، ص ١٩٩٣)

كما ورد في السنة أيضاً " أن امرأة سوداء أتت النبي ﷺ فقالت : إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي . قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك ! فقالت : أصبر ، وقالت فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها . " (مسلم، د.ت ، ج٤، الـــبر / ١٤، ص ١٩٩٤)

٤- وسائل النجاح في الابتلاء.

ينبغي على التربية أن تعمل على توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى حسن الاستعداد لمواجهـــة الإبتلاءات ، حتى لا يصيبها الفزع ويقعدها العجز عن التصرف إزاءها . ويحتاج ذلك إلى تعريف المرأة بالوسائل التي تساعدها على النجاح في الابتلاء. والتي من بينها :-

١-الحفـــاظ على الفطـــرة .

٢- الاستخدام الصحيح لأدوات المعرفة .

٣- الاسترشـــاد بالوحـــي .

٤- الالتـــزام بالصـــبر.

وتفصيل ذلك كالتالي :

---

[1] منفخ الحداد . (الرازي ، د .ت ، ص٥٨٥)

أ- الحفاظ على الفطرة:

تمثل الفطرة " سلامة القلب وقبول إرادته للحق الذي هو الإسلام ." (ابن تيمية ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ج٤ ص ٢٤٧)

وتوجه الأصول العقدية في السنة النبوية الى أن الإنسان لو ترك من غير مؤثرات خارجية لما اتجه إلى غير الإسلام ، لأن الفطرة تساعده على اكتشاف الحق والتوجه إليه. وإلى ذلك يشير قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة . " (مسلم ، د.ت ، ج٤، القدر/٦، ص ٢٠٤٧- ٢٠٤٨)

ويذكر جعفر شيخ إدريس أن فطرة الإنسان على الخير معناها شيئين اثنين :

الأول : أن الله قد صاغ الإنسان وكونه بحيث لا يصلح إلا له الخير .

الثاني : أنه تعالى تفضل فجعل المعرفة بهذه الحقيقة أمراً مستقراً في نفس الإنسان لا يحتاج إلى تعلمه من الخارج ، وإن كان العلم الخارجي يزيده قوة . (إدريس في المسلم المعاصر ، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م ،ع١٣ ، ص ٧٨)

فالإنسان إذا ما استخدم ما وهبه الله من قدرات وحواس بصورة صحيحة ؛ فإنه لا محالة يصل إلى التعرف عليه . ولذلك فإن من يتصرف بنفسه بما لا يوافق فطرتها يعتبر صارفاً لعبوديته عن الله إلى غيره .

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن من مميزات الفطرة أنها أصيلة في النفس الإنسانية . ولذلك يحدث لدى البعض أن تتوارى لديهم لبعض الوقت بسبب الغفلة أو الإعراض عن هدي الله ، لكنها سرعان ما تعود في وقت الشدة . وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (الإسراء ، آية ٦٧)

فالفطرة تدعو الإنسان إلى التوجه نحو خالقه ، لكن المؤثرات المحيطة تنحرف به عن الطريق السوي ، ومن ثم احتاج الإنسان إلى أن يُتعهد بالتربية من أجل الحفاظ عليه من شر شياطين الإنس والجن ، الذين أشار إليهم الحديث القدسي في قوله تعالى : " وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[1] عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً . " (مسلم ، د.ت ، ج٤، الجنة/ ١٦، ص ٢١٩٧)

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الحرص على تنمية فطرة الخير لديها بحيث توجه إرادتها نحو خالقها الذي منحها حرية الاختيار بين صنوف ما تتعرض له من ابتلاءات . والحرص أيضاً على

---

[1] طافت بهم . (الرازي ، د . ت ، ص ١١٨)

تنمية ما يعبر عنه بـ" الضمير" لديها ، وهو ما يشير إليه القرآن الكريم بـ (النفس اللوامة) . وذلك حتى يتكون لديها وازع ذاتي باطني يدفعها إلى الإخلاص في عبوديتها لله . وبذلك يتحقق في نفسها ما عبر عنه مدني " بالتعايش الباطني بين العقيدة والفطرة "، بحيث تصبح لديها وحدة بين التعاليم المتلقاة ، والسلوك في واقع الحياة بعيداً عن الإزدواجية والتناقض . ولابد من الاستمرار في تهذيب المرأة من أجل الوصول بها إلى مرتبة النفس المطمئنة التي تتطابق مقاصدها وغاياتها مع مقاصد الشرع وغاياته . (مدني ،١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م ، ص ١٦٦-١٦٧)

كذلك لابد من العمل على هدم الأفكار والمشاعر والتصورات الجاهلية التي تراكمت على فطرة المرأة المسلمة المعاصرة فجعلتها تعمي عن رؤية الحقيقة ، وتنحرف وراء أوهام الحرية والمساواة ، وذلك من أجل إعادة تنميتها بصورة سليمة .

ب- الاستخدام الصحيح لأدوات المعرفة :

وأدوات المعرفة هي العقل والسمع والبصر :

١: العقل :-

جاء في مقاييس اللغة أن العقل هو الحابس عن ذميم القول والفعل . (ابن فارس ، ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م ، ج ٤، ص ٦٩)

ومهمة العقل الأولي هي إرشاد الإنسان إلى ما يوافق فطرته . وتفكر الإنسان بعقله معتمداً على ما يظهر له من صدق المعجزات هو الذي يساعده على النجاح فيما يتعرض له من ابتلاءات . وإلى ذلك يشير قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الروم ، آية ٢٤).

فالعقل هو أداة الإنسان للوصول إلى معرفة الخالق ، ولذلك يخبر القرآن الكريم عن ندم الذين لا يستخدمون عقولهم يوم لا ينفع الندم : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ ۖ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ (الملك، آية ١٠-١١).

لكن ؛ لأن العقل يحتاج إلى ما يعينه على حسن الإدراك ؛ فقد أمد الله الإنسان بأدوات المعرفة وهما السمع والبصر .

٢: السمع والبصر :

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أمد الإنسان بهاتين الأداتين حتى يتمكن من إدراك آياته في الكتاب وفي الآفاق والأنفس ، فبدونهما يفوت الإنسان كثير من آيات عظمة الله سبحانه وتعالى .

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى :﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأنعام ، آية ٤٦).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أهمية الاستخدام الصحيح لأداتي السمع والبصر ، وأن ذلك هو الذي يحفظها من الغفلة عن آيات الله ، ويوصلها إلى معرفة قدرته المطلقة ، وعلمه المطلق ، فتعبده حق العبودية ، وتحفظ نفسها من الإنجراف وراء الهوى والشهوات .

وعلى الرغم من أن هاتين الأداتين تساعدان الإنسان على الاهتداء إلى ما يوافق الفطرة ، إلا أنهما لا تمكنان الإنسان من معرفة دقائق الشرع ومن ثم احتاج الإنسان إلى وسيلة أخرى ترشد إدراك العقل والحواس وهي الوحي .

٣- الاسترشاد الوحي :-

كلمة وحي تطلق على كل ما يلقيه المرء لغيره ليعلمه ، ثم غلُب استعمالها على ما يُلقي إلى الأنبياء من عند الله سبحانه وتعالى . (الزبيدي ، د.ت ، ج١ ، ص٣٨٤ / ابن منظور ، د.ت،ج٣ ، ص٨٩٢)

وقد عرفه محمد رشيد رضا بأنه " ما أنزل الله على أنبيائه وعرفهم من أنباء الغيب . والشرائع والحكم ." (رضا، د.ت ، ص ٤٤)

فالوحي هو الذي يرشد الإنسان إلى ما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة ، ويضع الحوافز التي تضبط سلوك الإنسان وتدفعه إلى سلوك سبيل الخير والنفور من سلوك سبيل الشر، وذلك بما يستخدمه من وسائل الترغيب والترهيب ، وما يكشفه للإنسان عن أعدائه من شياطين الجن وأعوانهم من داخل النفس وخارجها .

فالشيطان غيب لا يراه الإنسان ، ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (الأعراف ، آية ٢٧) ، كما أن له قدرة على التأثير على الإنسان - كما أشرنا من قبل- ولولا الوحي ما تمكن الإنسان من تبين مسالكه .

أما **أعوان** الشيطان فإنهم كما أشرنا ينقسمون إلى **قسمين** :

القسم الأول : أعوان من داخل النفس : حيث نجد التوجيهات التربوية في القرآن الكريم توضح ميل النفس نحو الشهوات ما لم تنبه إلى نتائج ذلك الميل بدون ضوابط . وإلى ذلك يشير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾ (يوسف ، آية ٥٣)

القسم الثاني : وهؤلاء يتمثلون في أعداء الإنسان من الكفار والمنافقين . ونجد الأصول العقدية في القرآن الكريم تكشف كثيراً من شئون المنافقين ، وأهل الكتاب ؛ توجيهاً للمؤمنين من

أجل أخذ الحيطة والحذر .

كذلك فإن الوحي هو الذي يوضح للإنسان نتيجة سلوكه لأي من السبيلين ؛ الخير أو الشر . فهو يعرف الإنسان بنتائج اختياره في الدنيا وما ينتظره من جزاء في الآخرة مما لا سبيل للعقل إلى الوصول إليه .

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة ؛ توجيهها إلى أهمية التدبر فيما جاء به الوحي ، والاسترشاد به في الاختيار بين صنوف ما تتعرض له من ابتلاءات ، بحيث تجعل من الوحي حجة لها لا عليها . وبذلك تكون ممن يدخل في رحمة الله ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ (النساء ، آية ١٧٤-١٧٥).

ولا تكون ممن ظلم نفسه وصُرف عن آيات الكتاب ممن قال عنهم القرآن الكريم :

﴿ .. فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ العذاب بما كانوا يصرفون﴾ (الأنعام ، آية ١٥٧) (الأنعام ، آية ١٥٧)

٤- الالتزام بالصبر :

الصبر لغة : "الحبس والكف ."

واصطلاحاً: "حبس النفس على المكروه وعقل اللسان عن الشكوى . "

(ابن القيم ، د.ت ، ص١٥٥ ، ص١٦١)

والصبر هو الفضيلة الوحيدة التي تكرر ذكرها سبعين مرة في القرآن الكريم ، وهو ملكة اكتسابية تتحصل بتعويد النفس عليها وتنشأ عن الإيمان ، (رضا ، د.ت ، ج٢، ص٣٥) ، حيث جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(البقرة ، آية ١٥٧)

وذلك إنما يدل على عظم الجهد المطلوب بذله من قبل الإنسان من أجل الاستقامة على طريق الحق .

فينبغي الاهتمام بتعويد المرأة المسلمة المعاصرة منذ الصغر على اكتساب هذه الملكة ، وذلك من خلال تعريضها لألوان مختلفة من الخبرات والتجارب التي تحتاج في أداءها إلى صبر ومصابرة .

وقد أورد ابن القيم في مدارج السالكين أنواع الصبر فذكر من بينها :-

١- الصبر **لله**: وذلك بتحمل الأذى في سبيله من أجل نيل الأجر والثواب .

٢- الصبر **بالله** : وذلك بالاستعانة بالله في مواجهة الإبتلاءات .

٣- الصبر **على طاعة الله** : وذلك بتحمل أعباء العبادة من خلال إطاعة الأوامر واجتناب

النواهي.

٤- الصـــبر **عن معصيـــة الله** : وذلك بكف النفس عن إرضاء شهواتها بغير ما أحله الله.

٥- الصـــبر **على أقـــدار الله** : وذلك بالصبر على الإبتلاءات التي تصيب الإنسان .

(ابن القيم ، د.ت ، ص ١٥٥ -١٧٠)

وأهم ما ينبغي التأكيد عليه هو تربية المرأة المسلمة المعاصرة على الصبر على مشقة التكاليف ، والصبر عن اتباع الشهوات ، والصبر على ما يصيبها من ابتلاءات .

يقول ابن تيمية :

" فالدين كله علم بالحق وعمل به ، والعمل به لابد فيه من الصبر . بل وطلب علمه يحتـــاج إلى الصبر . قال معاذ : عليكم بالعلم فإن طلبه لله عبادة ، ومعرفته خشية ، والبحث عنه جهاد.... "

(ابن تيمية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨ م، ج١٠، ص ٣٩)

وتربية المرأة المسلمة المعاصرة على الصبر ؛ تعينها على تحمل ما تلاقيه من عنـــت في حياتهـــا العامة والخاصة ؛ خاصة في عصرنا الحاضر الذي سادت فيه القيم المادية ، وتفككت فيه الأواصر بـــين الناس حتى أصبح الأخ لا يراعي حق أخاه .

فهي في علاقتها مع والديها تحتاج إلى الصبر على أداء حقيهما خاصة عند الكبر . وفي علاقتها مع زوجها تحتاج إلى الصبر على أداء حقوقه ، وعلى ما قد يصيبها منه في حالة الجهل . وفي علاقتـــها مع أولادها تحتاج إلى الصبر في تربيتهم ، وفي علاقتها مع الآخرين تحتاج إلى الصبر تجاه ما قد تلاقيـــه معهم من صعوبة في التكيف ، وهكذا .

فتوعية المرأة بحقيقة علاقة الابتلاء ، وتربيتها على الصبر ؛ تحفظ لها صحتها النفسية ، وذلـــك لأن أحداث الحياة اليومية - كما يشير د. عبد الستار إبراهيم - وتبدلاتها يمكن أن تشكل ضغوطـــاً على الفرد يستجيب لها الجسم سواءً كانت سلبية أو إيجابية ، وأن الأحداث السلبية يمكن أن تســـبب ضغوطاً تفضي إلى أمراض عضوية ، وتزداد خطورتها مع البدايات الأولى لوقوعها[1] . فمثلاً قد يؤدي اليـــأس على فقد عزيز إلى إضعاف جهاز المناعة للجسم والإصابة بـــالأورام الســـرطانية ، كمـــا أن الضغوط المرتبطة بالغضب والخوف والفزع ترتبط بأمراض الربو، وهكذا . وفي مقـــابل ذلـــك فـــإن الانفعالات الإيجابية - أي التفاؤل - تقلل من نسبة الإصابة بالأمراض ، فالمتفائلون هم أقـــل النـــاس عرضة للأمراض وأسرع في الشفاء من غيرهم . (مجلة الشرق الأوسط ،١٤١٦ هـــــ/١٩٥٥ م ، ع ٤٨٠، ص ٣٢-٣٣)

---

[1] في دراسة أجريت على عينة من المتزوجين تبين أن نسبة الوفيات بين الأرامل تزيد ٤٠% عن المتزوجين في الستة شهور الأولى لموت الزوجـــة .(مجلة الشرق الأوسط ، ١٤١٦ هـــ/١٩٩٥ م ، ع٤٨٠ ، ص ٣٣)

ثالثاً : علاقة إنسان التربية الإسلامية بالآخرة- علاقة مسئولية وجزاء :-

أشرنا سابقاً إلى أن حياة الإنسان في الأرض ؛ إبتلائية مؤقتة ، بينما حياته في الآخرة أبدية ، وتشير آيات القرآن الكريم إلى أن الإنسان سوف يسأل في الآخرة عما ابتلى بـــه في الحيـــاة الدنيـــا ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (لصافات ، آية ٢٤) وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ (التكاثر ، آية ٨)

وتعمل علاقة المسئولية على الربط بين الابتلاء والجزاء بحيث تجعل من الدنيا والآخرة طورين متعاقبين من الابتلاء والجزاء .

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتعريفها بحقيقة هذه العلاقة ، وكيف تحققـــها في واقع حياتها بما يرضي الله سبحانه وتعالى . ويمكن لذلك أن يتحقق من خلال تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بالآتي :-

١.فهم المعنى الحقيقي لعلاقة المسئولية والجزاء .

٢.إدراك مسئوليتها تجاه نفسها وتجاه الآخرين .

٣.التعرف على صور الجزاء الإلهي على تحمل المسئولية في الدنيا والآخرة .

وتفصيل ذلك كالتالي :

١- معنى المسئولية :

لغـــــــة :ما يكون به الإنسان مسئولاً ومطالباً عن أمور أو أفعال أتاها .(معلـــوف ، ١٣٨٠ هـــ/١٩٦٠ م ، ص٤١)

اصطلاحـــاً : ترتب الجزاء من الله تعالى على ما يأتي به المكلف من أعمال أو أقوال أو نيـــات ـــ باختياره ، سواءً ألزم بها شرعاً ، أو التزم بها بمقتضى الشرع .(عـــابد ، ١٣٩٨ هـــ/ ١٩٧٨م ، ص ٧١)

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الإنسان مسئول عن الأمانة التي كلفه الله بهـــا حين أهبط إلى الأرض ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (الأحزاب ،آية ٧٢)

وهذه المسئولية قد جاء الرسل بتوضيح لتفصيلاتها ، وللجزاء المترتب عليها . وإلى ذلك يشـــير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ ﴾ . (الأحزاب ، آية ٣٩)

والأمانة بلفظها العام تشمل جميع الوظائف التي تحقق كمال العبودية لله ، فهناك أمانة الإنسان

مع نفسه ، ومع أسرته ، ومع أقاربه ، ومع مجتمعه ، ومع الإنسانية جمعاء ، ومع الكون من حولـــه ، فهي مسئولية شاملة وعامة أشار إليها الرسول ﷺ بقوله : " ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عـــن رعيته ." (البخاري ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٢ ، الإستقراض ، ص ٨٨)

وأشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (الحجر ، آيـة ٩٢-٩٣)، وقولـه :﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (التوبة ، آية ١٠٥)، وقوله تعـالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (فصلت ، ٤٦)

وقد جاء في الحديث قوله ﷺ : " لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يســـأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، ومـــاذا عمل فيما علم ." (الترمذي ، د . ت ، ج٤، القيامة/١، ص ٥٢٩)

فالسؤال يتناول جميع ما وهبه الله للإنسان من نعم مادية ومعنوية ، من حيث أدائـــه واجـــب الشكر عليها تجاه خالقه أم لا.

فينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية إدراكها للمسئولية ؛ باعتبارها عاملاً مهماً مـــن عوامل استقرار المجتمع ، بما توفره من ضبط للغرائز البشرية . فشعور الإنسان بأنه ســـوف يحاســـب ويجازى ؛ يشكل لديه عاملاً قوياً يدفعه إلى محاسبة نفسه استعداداً لذلك اليوم إلى جانب أنـــه يهبـــه اطمئناناً نفسياً وثقة بمستقبله في الآخرة إذا ما أحسن .

وللمسئولية **أركان ثلاثـــة** : **السائل** وهو الله ، **والمسئول** وهو الإنسان **والمسئول عنه** وهو ما جاء به الرسل . وإلى ذلك يشير قوله تعالى :﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (الأعراف، آية ٦)

٣- مسئولية المرأة المسلمة المعاصرة:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم والسنة النبوية إلى أن مسئولية الإنسان هي ذات **شقين** :مسئوليته **تجاه نفسه** ، ومسئوليته **تجاه الآخرين** .[1]

ومسئولية الإنسان تجاه نفسه تتمثل في تربيتها على تحقيق العبودية لله، وذلك من خلال تزكيتها وتطهيرها من كافة المعوقات ؛ من أمراض اجتماعية ونفسية ، كالظلم، والحسد ، والعجب والغـــرور والكبر ، وغيرها ، لأن هذه التزكية هي التي تدفعها إلى الالتزام والتحقق بثمرات الشعور بوحدانية الله

[1] أنظر بالتفصيل مسئولية المرأة تجاه الآخرين في المبحث التاسع .

، والتعبد له ؛ من صبر وشكر وتوكل وإخلاص وصدق وغير ذلك.(حوى، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م ، ص ٣٥)

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على تنمية إحساسها بالمسئولية أمام الله ؛ حتى تبقى دوماً في حالة الوسطية التي تمنعها من الطغيان وتجاوز الحد في حالة القوة والغنى ، وتقيها من الهوان في حالة الضعف والفقر . (الكيلاني ،١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م ، ص ٤٠)

ويحتاج الأمر إلى تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى الأمراض الداخلية التي يمكن أن تشكل أكبر وأخطر المعوقات . ولذلك فإنه لابد من تعويدها على النقد الذاتي الذي يمنع من إلقاء المسئولية على الآخرين فيما قد يصيبها من ابتلاءات الضراء ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ... ﴾ (آل عمران، آية ١٦)

والمرأة المسلمة المعاصرة قد لحقها كثير من الإصابات . وتغيير وضعها الحالي ؛ يحتاج إلى نقد ذاتي من قبل المرأة نفسها لكي تدرك نواحي القصور لديها ؛ ثم تعمل على تغييرها ، بحيث تنعكس آثار ذلك التغيير على سلوكها في واقع الحياة .

والله سبحانه تعالى يقول :﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة، آية ٢٨٦) ، مما يشير إلى أن جميع مسئوليات المرأة تقع ضمن نطاق استعداداتها وقدراتها ، وفي التزامها بالإحسان في أدائها ؛ إقرار لخالقها بالسيادة المطلقة ، وأداء لحقه في شكره على نعمه ، ومن ثم فلا عذر لمقصرة أبداً .

والوسع يتسع مع بذل الجهد ، فمن يصلح أمر نفسه يمكنه أن يتوسع فيعمل على إصلاح من حوله من الأقارب والجيران . وقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ (الجاثية ، آية ١٣)، يشير إلى أن بوسع الإنسان أن يسخر كل ما في الكون لخدمة مصالحه إذا ما جد واجتهد .

(لحام ،من هدي سورة البقرة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، ص ٥٨٠)

وتؤكد الأصول العقدية في القرآن الكريم على فردية التبعة ، ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (المدثر ، آية ٣٨).وقوله : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة، آية ٢٨٦)

وهذا يحتم أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى ما يعينها على استخدام ما وهبها الله من قدرات وإمكانات بما يحقق الغاية التي وجدت من أجلها . فمثلاً تستخدم سمعها ضمن حدود العبودية فلا تتجاوز به إلى سماع الغيبة ، والنميمة ، والفحشاء . وكذلك بصرها لا تتجاوز به إلى ما لا يحل النظر إليه . ولا تتكلم إلا بخير . ولا تجاوز أوامر الله ونواهيه . ولا تهمل قدراتها على التعلم ، لكن لا تتجاوز بها إلى تعلم ما لا يجوز لها شرعاً ؛ كالسحر والشعوذة وغيرها .

٣-الجزاء الإلهي على تحمل المسئولية:

تنص الأصول العقدية في القرآن الكريم صراحة على وحدة القاعدة في معاملة شقي الإنسانية . فالمرأة قادرة على الإسهام بدورها في إصلاح الإنسانية ، ومن ثم تجازى على ذلك مثلها في ذلك مثل الرجل . ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ (النساء، آية ١٢٤).

وقوله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ (النحل ،آية٩٧) .

فالنوعان متساويان في قاعدتي العمل والجزاء ، فبدون الإيمان لا يتم أي بناء صالح . والعقيدة هي الأساس في توجيه الأعمال نحو الخير ، وجزاء ذلك الحياة الطيبة في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة .

وقد أشارت بعض التفاسير إلى أن لفظ "من" يفيد العموم ، وهو يشمل النوعين ، لكن النص قد فصل بعد ذلك حتى يزيل أي وهم بتخصيص الذكور دون الإناث . والمقصود بالعمل هنا أي عمل سواءً كان كبيراً أم صغيراً . (الرازي ، ١٣٥٧ هـ/١٩٣٨ م ،ج٢ ، ص١١٢)

والآية تشير إلى جزاء الإيمان والعمل الصالح في الدنيا والآخرة ، وهنا تبرز أهمية ترغيب المرأة المسلمة المعاصرة في العمل الصالح ، وتوجيهها إلى سبل أدائه ، بما يحقق لها ثمراته في الدنيا لتبشر بفوزها في الآخرة ، بحيث تجعل رضا الله غايتها في كل ما تقوم به من أعمال . وبدون ذلك فإنها قد تتسبب لنفسها في حياة " الضنك " والشقاء التي يحياها الغافلون عن حقيقة عبوديتهم لله : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ (طه ،آية ١٢٤) فهو دوماً في قلق وحيرة وشك بلا اطمئنان ولا استقرار، ويُحشر يوم القيامة أعمى ؛ لأنه لم يبصر آيات الله وتوجيهاته .

وتشير السنة النبوية إلى أن مسلمة صدر الإسلام قد كانت حريصة إلى درجة كبيرة على تعرف مسئوليتها والجزاء المترتب عليها ، ويدل على ذلك ما حدث من أسماء بنت يزيد رضي الله عنها التي ذهبت إلى الرسول ﷺ وقالت : " إنني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين ، كلهن يقلن بقولي ، وعلى مثل رأيي . إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء ، فآمنا بك اتبعناك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات ، قواعد بيوت ، ومواضع شهوات الرجال ، وحاملات أولادهم . وإن الرجال فضلوا بالجمعات ، وشهود الجنائز ، والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد ؛ حفظنا لهم أموالهم ، وربينا أولادهم ، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله ؟ "

فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه ، فقال : هل رأيتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن

دينها من هذه ؟ فقالوا : بلى والله يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حُسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها لموافقته يعدل ما ذكرت ، فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر ، استبشاراً بما قال لها رسول الله ﷺ . " (ابن عبد البر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، ج٤، ص ٢٣٧-٢٣٨)

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الجزاء الإلهي يتخذ صورتين اثنتين : إما مكافأة ، أو عقاب .

فالمكافأة للمحسن . والعقاب للمسيء .

ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾(فصلت ، آية ٤٦).

كذلك توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الجزاء الإلهي يتحرك بين العدل والفضل . فالعقوبة عدل لمن أساء ، ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (النحل، آية ١١٨)،وقوله : ﴿ ۝٤٠ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾(الشورى ، آية ٤٠).

ويتفضل الله سبحانه وتعالى بالمثوبة لمن أحسن ، ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس ، آية ٢٦)

كذلك توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الجزاء نوعان :

جزاء معجل في الدنيا ، وجزاء مؤجل في الآخرة .

أ: الجزاء المعجل في الدنيا :

وهذا يكون إما بالمكافأة ، أو بالعقاب .

والمكافأة في الدنيا تتخذ صوراً شتى لا يمكن حصرها ومنها :

١- **الهداية والمعية** : ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(العنكبوت ، آية ٦٩)

٢- **التوفيق إلى العلم النافع والعمل الصالح** : ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٤ ﴾ (القصص، آية ١٤).

٣- **الأثر الحسن بعد وفاة الإنسان** : فقد أشار سبحانه وتعالى إلى جزائه لإبراهيم على حسن تسليمه لأوامر ربه بقوله : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الصافات، آية ١٠٣-١٠٥) (الصافات، آية ١٠٨- ١١٠)

٤- **الحياة الطيبة في الدنيا** : ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ ﴾(النحل ، آية ٩٧)

والحياة الطيبة تشمل كثيراً من الرغائب المادية والمعنوية ؛ كالصحة والسعادة والطمأنينة والنصر والبركة والمال والعقار وغيره .

ب : العقاب المعجل في الدنيا :

وهو الجزاء الذي قرره الإسلام لمن ارتكب مخالفة تستوجبه . وذلك من أجل الحفاظ علي أمن المجتمع واستقراره من خلال نشر الفضيلة ومنع الرذيلة . وكل عقوبة قررها الإسلام تتناسب مع الذنب المقترف .

ونجد الحدود تتفاوت من حيث قوة الحق بجوار حق الله تعالى " فبعضها حق لله تعالى خالص ، وبعضها للعبد فيها حق بجوار حق الله ، وأن الأساس في هذا هو ملاحظة الجانب الشخصي في الجريمة بجوار الجانب الاجتماعي وقوة أثر الجريمة في المجتمع وضعفه . " (أبو زهرة ، الجريمة ..، د.ت ، ص ٦٧)

فالتلاعب بالدين تبعاً لأهواء النفس بالردة عنه ، جزاءه القتل ، والزنا له عقوبتان ؛ الرجم للمحصن ومائة جلدة وتغريب عام لغير المحصن . وهنا ليس المعتبر هو مقدار الاعتداء على المزني بها ، بل ما يترتب على شيوع هذه الجريمة من نتائج خطيرة على المجتمع ، كاستعاضة الناس عن الزواج بالعلاقات غير المشروعة ، وما ينتج عن ذلك من انحلال أخلاقي ، وتفكك أسري وأطفال غير شرعيين ، واختلاط في الأنساب ، إلى جانب تبديد الأموال على البغايا ، وانتشار الأمراض . وكل ذلك من دواعي تحطيم المجتمع من النواحي الدينية والاقتصادية والأخلاقية .

كذلك الأمر في عقوبة السرقة حيث ينظر فيها إلى النتائج المترتبة على السرقة من حيث انعدام الأمن ، وليس إلى قيمة المسروق .

ونجد القرآن الكريم يقدم الذكر في السرقة على الأنثى ، في حين يقدم الأنثى على الذكر في الزنا : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (المائدة ،آية ٣٨)

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (النور ، آية ٢)

فكأن ذلك لقوة شهوة المال لدى الذكر ، وسهولة مطاوعة الأنثى في حالة الزنا . فجاء التعبير مناسباً للظرف . (عابد، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م ، ص ٢٨٢)

وهناك عقوبات **غير مقدرة** تركت لولي الأمر، وهي ما يعرف بالتعزير .

والتعزير هو العقوبة المشروعة على جناية لا حد فيها ، وهي متروكة لولي الأمر في تقدير مقدارها . (أبو زهرة ، الجريمة ..، د.ت ، ص١٢٣ -١٢٤)

ج- الجزاء المؤجل في الآخرة :

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن هذا النوع من الجزاء يكون بعد انتهاء حياة الإنسان ؛ حيث يحاسب ثم يجازى على ما قدمه من عمل في الدنيا ؛ يُسجل عليه بواسطة الملائكة : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ ﴾(الانفطار، آية ١٠-١١)

وهذا الجزاء يتحرك أيضاً بين العدل والفضل الإلهيين ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (الأنبياء ، آية ٤٧). وقوله : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝١٦٠ ﴾ (الأنعام ، آية ١٦٠).

فأدنى جزاء الحسنة عشر أمثالها ، ويضاعفها الله إلى ما يشاء ، وأعلى جزاء السيئة مثلها ، وأدناه لا حد له ، فهو يدخل تحت فضل الله غير المحدود . وأوسط مراتبه التفضل بالعفو الكامل ثم تأتي مراتب التفضل والإحسان ما لم يصاحب الذنب إشراك بالله ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (النساء ،آية ١١٦)

وتبرز قمة العدل الإلهي في الجزاء الأخروي ؛ في المقام الرفيع الذي يناله المؤمنون ذكوراً وإناثاً ، والمصير الأليم الذي يناله الأشقياء ذكوراً وإناثاً، ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٢ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾
(الحديد ،آية ١٢-١٣)

وهناك آية تدل على كمال العدل الإلهي في جزاء المؤمنين والمؤمنات ذكوراً وإناثاً :﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥ ﴾ (الأحزاب ، آية ٣٥).

فهذه الآية تشير إلى عشر مراتب تتعاون في تكوين الشخصية المسلمة ، لابد من أخذها بعين الإعتبار عند إعداد المرأة ؛ وهي تؤكد على المساواة بين النوعين وصولاً إلى الجزاء العادل يوم القيامة .

فالإسلام رضوخ لأوامر الله عن طواعية ، والإيمان تصديق قلبي يدفع صاحبه إلى العمل الصالح ، وعبادة الله عن رضا قلبي تام دون إكراه وهو القنوت ، وبعد الإيمان والعمل الصالح يندفع المسلم لإصلاح غيره فيصدق حين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهنا تعرض له صنوف الإبتلاءات بسبب ما يتحمله من تكاليف العقيدة ، حيث يكون قدوة في نفسه ، كذلك ما يتحمله من أذى الآخرين ممن يدعوهم فيحتاج مع ذلك كله إلى الصبر . ثم يأتي الخشوع ليمنعه من الإعجاب بنفسه . وتأتي الصدقة لتطهر نفسه من الشح وتشيع روح التكافل في المجتمع ، إضافة إلى شكر المنعم ، ويأتي الصوم من أجل

الاستعلاء على الشهوات وتقوية الإرادة ، ويأتي حفظ الفرج لينظم العلاقات ويرقيها . ويأتي الذكر ليصل بين نشاط الإنسان كله في جميع لحظات حياته . وبذلك تتكامل الشخصية المسلمة وترتفع منزلتها عند الله. (سيد قطب ، ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م، ج ٥، ص٢٨٦٣ - الرازي ، ١٣٥٧ هـ/١٩٣٨ م ، ج ٢٥، ص ٢١٠-٢١١- الخازن ، ١٣٧٥ هـ/١٩٥٥ م ، ج ٣، ص ٤٦٧)

فينبغي إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يجعلها تدرك آثار تحقيق كمال عبوديتها لله ؛ لتنطلق في جميع نشاطاتها من عقيدتها ، وتوضح لها كذلك الآثار المترتبة على الانحراف عن منهج الله . فالطريق إلى نعيم الدنيا والآخرة هو طريق واحد . ولكن هذه الحقيقة تغيب عن أذهان كثير من الناس خاصة في وقتنا الحاضر الذي شاعت فيه القيم المادية التي أعمت بصائر الناس عن إدراك النعيم الآجل .

والاستقامة على طريق عبادة الله ؛ عبادة ينال الإنسان عليها الثواب في الدنيا والآخرة ، ويدخل ضمن ذلك العمل من أجل الارتقاء بالحياة ، فهو عبادة أيضاً ، والقعود عن ذلك عصيان وإهمال لمسئولية الإنسان في عمارة الكون .

كذلك ينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى عدم الانخداع بمظاهر الرخاء المادي التي قد تبدوا لدى من خدعوا بزخرف الحياة الدنيا . فليست كل نعمة مثوبة ، كما أنه ليست كل مصيبة عقوبة ، فالنعم قد تكون مثوبة على أعمال صالحة تدفع المرء إلى الاستزادة . وقد تكون على سبيل الابتلاء والامتحان لشكر الله وطاعته :﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (النمل ، آية ٤٠) . وقد تكون أيضاً على سبيل الإمهال والاستدراج كما في حال الكافرين والعصاة الذين تهيأ لهم الفرص لئلا يكون لهم عذر، فإن لم يهتدوا ؛ يؤخذوا بانحرافهم تدريجياً . وهذا ملاحظ الآن في العالم الغربي الذي بدأت آثار انحرافه عن منهج الله تبدو فيما أخذ يشيع فيه من أمراض عصبيه ونفسية واجتماعية بدافع الخوف من المستقبل المجهول الذي لا يدركون كنهه .

كذلك الحال بالنسبة للمصائب فهي قد تكون عقوبة على ذنوب ارتكبها الإنسان ، وقد تكون على سبيل الوعظ والتربية والتأديب :﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى ، آية ٣٠) ، هذا إلى جانب المصائب التي يُبتلى بها أهل الطاعة من أجل امتحان صبرهم لرفع درجاتهم :﴿ .... ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (التوبة ، آية ١٢٠)

كذلك لابد من تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بالإيمان باليوم الآخر ، الذي يربط جزاء الأعمال بسعادة البقاء والارتقاء . يقول الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه: " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر."(مسلم ، د . ت، ج٤، الجنة ، ص

وتربية المرأة المسلمة المعاصرة على إدراك حقيقة الابتلاء في الدنيا ، والمسئولية والجزاء في الآخرة ؛ ينبغي أن تكون حافزاً لها للعمل من أجلهما معاً ، لأن في ذلك تحقيق لإنسانيتها التي لا تتحقق إلا بالعمل من أجل الدارين . وإلى ذلك يشير قوله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ (القصص ، آية ٧٧).

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة ؛ العمل على تشكيل الأهداف التربوية والمهارات السلوكية التي تقدم إليها ؛ انطلاقا من كون السعادة والخير في الإسلام يشكلان فصلين متكاملين أحدهما في الدنيا ، والثاني في الآخرة ؛ بحيث تضبط سلوكها وفقاً لما ينتظرها من جزاء ، وتضبط شهواتها ودوافعها ، وتوجهها نحو غاياتها البعيدة ، وتعمل من أجل المستقبل الخالد الذي ينتظرها إذا ما أحسنت في أداء مسئولياتها في هذه الحياة ؛ فتحيا من أجل غايات تليق بها وبالتكريم الذي جعلها الله عليه ، وتؤدي دورها باعتبارها فرداً من أفراد الأمة الإسلامية التي أرادها الله لتكون شاهدة على الناس .

ونجد آيات القرآن الكريم تحث على العمل للآخرة حيث يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ ﴾(الحشر، آية ١٠) ، وتحذر من الاغترار بفوائد الدنيا العاجلة : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأنعام ، آية ٣٢)

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وتزينوا للعرض الأكبر ، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا ." (الترمذي ، د.ت ، ج٤، القيامة /٢٥ ، ص٥٥٠)

الفصل الثاني

الأصول التاريخية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة

يحتاج البحث في أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة إلى بلورة الأصول التاريخية لهذه التربية .

وللقيام بهذه المهمة سوف يتناول البحث في هذا الفصل الأمور التالية :-

أولاً : تربيـــــة المـــــرأة في صـــــــــدر الإســـــــلام .

ثانياً: تربيـــــــة المـــــــرأة في عصـــــــــور الازدهار.

ثالثاً : تربيـــــــة المـــــــرأة في عصور الركـــود والتقليد .

رابعاً : محاولات صياغة أصول تربية المرأة المسلمة في العصر الحديث .

خامساً : واقع تربيـــــة المرأة المسلمة المعاصـــرة في الوقت الحاضـــر.

وأما تفاصيل ذلك فهي كالتالي :-

المبحث الرابع

تربية المرأة في صدر الإسلام

تعتبر مرحلة صدر الإسلام مرحلة متميزة في تاريخ المرأة بصفة عامة ؛ والمرأة المسلمة بصفة خاصة . وذلك لأن الإسلام قد استخرج الأمة الإسلامية من أحشاء العصر الجاهلي فصبغها بصبغة الله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ (البقرة ، آية ١٣٨) . ثم باعد بينها وبين ماضيها الجاهلي وأخرجها من عبادة الأشياء إلى عبادة رب الأشياء ، ووحد بين أفرادها ، وأعطاهم - رجالاً ونساءً - ، مجموعة من القيم الجديدة التي أنشئوا بها واقعاً جديداً هو الأمة المسلمة التي صار فيها الرجال غير ما كانوا والنساء غير ما كن ، وهو ما تجلى في شخصية الصحابة من الرجال والنساء .

وقد اعتبر الإسلام المرأة خليفة في الأرض ؛ مثلها في ذلك مثل الرجل ؛ ومن ثم تمتعت بجميع الحقوق الدينية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية والعلمية التي تمكنها من الإسهام في تنمية المجتمع وإثراء الثقافة الإنسانية وصولاً إلى عمارة الكون ؛ متوجهة في كل ذلك بتعاليم الإسلام وقيمه .

وكان للتربية الإسلامية التي تلقتها مسلمة صدر الإسلام على يد المربي الأول ، رسول الله ﷺ ؛ الأثر الكبير على شخصيتها ، ومن ثم وجدناها ليست مجرد مستقبل فقط لما يلقي عليها ؛ بل وفاعلٍ أيضاً في الواقع الاجتماعي الجديد .

وقد قام الرسول ﷺ بتربية صحابته - من الرجال والنساء - معتمداً على القرآن الكريم الذي كان خلقه ومرجعه - وما آتاه الله من حكمة وتشريع . فقد سأل حكيم بن أفلح عائشة رضي الله عنها : يا أم المؤمنين أنبئيني عن خُلق رسول الله ﷺ ؟ قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ! قالت : فإن خُلق رسول الله ﷺ كان القرآن . " (ابن حنبل ، د. ت ، ج٦، ص ٥٤)

ولأن إرادة الله سبحانه وتعالى قد شاءت أن يكون رسول الله ﷺ إنساناً تتمثل فيه الرسالة الخاتمة بكل خصائصها ، ويكون بحياته ترجمة لطبيعتها واتجاهها ؛ لذلك فقد وجدنا حياته الخاصة والعامة كتاباً مفتوحاً لأمته وللبشرية جمعاء ، تقرأ فيه صوراً حية لتطبيقات منهج الرسالة الإلهية في واقع الحياة المعاش .

ومن ثم وجدنا القرآن الكريم والسنة النبوية يعرضان كثيراً من أحداث حياته ؛ حتى ما يكون منها مطوياً في العادة بالنسبة للشخص العادي ؛ حتى مواضع الضعف البشري التي لا حيلة فيها لأحد وكل ذلك بهدف تربية أفراد أمته للإقتداء بسيرته ﷺ تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ

﴿ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾(الأحزاب ،آية ٢١)

ومن أمثلة ذلك أنه ﷺ قد اختار أن يعيش في هذه الدنيا عيشة الكفاف لإيثاره الآخرة على الدنيا . لكن نساءه لما رأين السعة والرخاء قد حللن عليه ؛ طلبن منه الزيادة في النفقة . وقد أحزنه هذا الطلب حتى أنه احتجب عن أصحابه ، وذلك لأن نفسه كانت متجردة لما هو أهم(١)؟

عند ذلك نزلت الآيات الكريمة ؛ تحدد القيم الأساسية التي ينبغي أن تُترجَم واقعاً حياً في بيت النبي ﷺ ، حيث جاء في القرآن الكريم ما نصه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأحزاب آية ٢٨-٢٩)

وكذلك نجد سورة التحريم تعرض لنا صفحة من حياته ﷺ تمثل صورة للانفعالات بين بعض نسائه ، وبينهن وبينه ، ثم تعقب بتوجيهات عامة للأمة في ضوء ما وقع في بيت النبي ﷺ .

أيضاً نجد في سورة الأحزاب أن إرادة الله سبحانه وتعالى قد شاءت أن ينتدب رسول الله ﷺ من أجل تزكية البيئة من بعض عاداتها الموروثة في التحليل والتحريم بغير ما أنزل الله . والأمر هنا يتعلق بإبطال عادة التبني من الناحية العملية . فقد كانت العرب تحرم مطلقة الابن بالتبني حرمة مطلقة الابن من النسب ، وما كان من أحد غير الرسول ﷺ بقادر على احتمال العبء الكبير المتمثل في مواجهة المجتمع بخارقة غير مألوفة لديهم .

---

(١) عن جابر بن عبد الله قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم . قال : فأذن لأبي بكر ، فدخل . ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له . فوجد النبي ﷺ حوله نساؤه، واجماً ساكتاً .قال فقال : لأقولن شيئاً أضحك النبي ، فقال : يا رسول الله ! لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها . فضحك رسول الله ﷺ وقال : هن حولي كما ترى ، يسألنني النفقة . فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها . فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها . كلاهما يقول تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده . فقلن : والله! لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده . ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين . ثم نزلت عليه هذه الآية : { يأيها النبي قل لأزواجك .. } حتى بلغ { للمحسنات منكن أجراً عظيماً } . (الأحزاب ، آيةآية٢٨ -٢٩) . قال فبدأ بعائشة فقال : يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك ! قالت : وما هو ؟ يا رسول الله ! فتلا عليها الآية . قالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبوي ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة . وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت . قال : لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها ، إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً . ولكن بعثني معلماً ميسراً ."(مسلم ، د.ت ، ج٢، الطلاق/ ٤،ص ١١٠٥)

معنتاً : أي مشدداً على الناس وملزماً إياهم ما يصعب عليهم .

متعنتاً : طالباً زلتهم . (النووي في مسلم ،د.ت ، ج٢ ،ص١١٠٥)

وهناك أيضاً قصة الإفك التي تشير إلى الابتلاء الذي هو ضريبة أداء الواجب في سبيل الله . وقد جاءت الآيات توضح كيفية معالجة أمثال هذه الإبتلاءات إذا ما تعرض لها المجتمع المسلم بصفة عامة .

إن هذه الأحداث وغيرها كثير، لتُعبر عن الجهد العظيم الذي بُذل في تربية مسلمي صدر الإسلام . فكأن الله سبحانه وتعالى أراد استصفاء تلك النفوس وتجريدها لدينه ، فكان يأخذ أصحابها بالأحداث وبالتعقيب عليها ليربيهم تدريجياً .

وقد أعد الله رسوله ﷺ من أجل أداء مهمته في تبليغ الرسالة التي أرسله بها إلى الناس كافة رحمة بهم ؛ يبشرهم بالثواب على الإحسان ، وينذرهم العقاب على الإساءة . وإلى ذلك يشير قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء ، آية ١٠٧) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ ﴾ (فاطر ، آية ٢٤)

ومن ثم فقد اشتمل إعداده على تلقينه أساليب الدعوة وتكاليفها وكيفية مواجهة المدعوين ، وكيفية معاملة من يتبعه منهم.... الخ .

ونجد في القرآن الكريم كثيراً من الآيات التي تشير إلى جوانب إعداده ﷺ . من ذلك قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيسرتك الآقربين ﴾، وقوله تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (النحل ، آية ١٢٥) ، وقوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (الأعراف ، آية ١٩٩)

ومن جوانب إعداد الرسول ﷺ أيضاً التوجيهات التي اشتمل عليها القرآن الكريم في نصحه بالتغاضي عن بعض النفوس واستخدام اللين وعدم الشدة في المحاسبة على الأخطاء ، وذلك في بداية قيام المجتمع . وإلى ذلك يشير قوله تعالى : ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ ﴾ (آل عمران، آية ١٥٩)

ثم نجد الموقف يتبدل بعد أن قويت الأمة ، حيث نزلت الآيات تعاتبه على تساهله مع المنافقين . قال تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ (التوبة ، آية ٤٣). وقد استمرت تربيته ﷺ لمسلمي صدر الإسلام منذ بعثته في مكة المكرمة ، وحتى وفاته في المدينة . واحتاج الأمر منه إلى جهود ضخمة ، وعلاج بطيء لصغار الأمور وكبارها ، فكانت حركة بناء هائلة للنفوس ؛ اشتدت أحياناً حتى بلغت درجة الحدود ، ورقت أحياناً حتى بلغت درجة اللمسات الوجدانية الرقيقة . فكان ﷺ يعطي المثل في الصبر على تربية مسلمي صدر الإسلام –

رجالاً ونساءً - وكان يشعرهم أنه معهم في كل شئونهم صغيرها وكبيرها ، حيث كان يعالجها بأسلوب تربوي حكيم ؛ جعلهم يحبونه ويفدونه بأنفسهم وآبائهم .

روى الصحابي معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، فقال : " بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم . فقلت : يرحمك الله . فرماني القوم بأبصارهم . فقلت واثكل أمياه . ما شأنكم تنظرون إلي ؟ ! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم . فلما رأيتهم يصمتونني . لكني سكت. فلما صلى رسول الله ﷺ ، فبأبي هو وأمي ، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه - والله ما كهرني (انتهرني) ولا ضربني ولا شتمني ... وإنما قال : " إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن . "(مسلم ، د.ت، ج١ المساجد/٧،ص ص ٣٨١- ص ٣٨٢)

وإلى جانب اللين والرحمة ، فقد كان من صفاته ﷺ التواضع . فنجد أنه حينما يهابه أحدهم ويرتعد خوفاً أمامه يهدئ من روعه .

روى ابن مسعود رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ رجل . فكلمه فجعل ترتعد فرائصه . فقال له : هون عليك . فإني لست بملك. إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد[1] ." (ابن ماجة. د.ت ، ج٢، ص ١١٠١)

وقد امتدح القرآن الكريم رحمته ، حيث جاء في ذلك قوله تعالى :﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران ، آية ١٥٩)

وكان ﷺ يستخدم الدعابة أحياناً في تعليمه لأصحابه ؛ ليطرد بها السأم ، ويخفف من جدية الحياة . ويشير إلى ذلك بقوله : " إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً . "(المتقي ،١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م، ج١ ،ص٣٢٢)

وبصفة عامة ؛ فقد كان ﷺ بقوله وعمله يمثل الرسالة الإسلامية التربوية في كونها إلهية واقعية إنسانية .

وسوف نستعرض فيما يلي أبرز المبادئ التي وجهت تربية مسلمة صدر الإسلام .

---

[1] من اللحم " ما قطع طولاً وملح وجفف في الهواء ." (المعجم الوسيط ، ج٢ ، ص ٧٢٤)

المبادئ التي وجهت تربية مسلمة صدر الإسلام:

تتوزع المبادئ التي قامت على أساسها تربية مسلمة صدر الإسلام في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، حيث نجد بعضها صريحاً كفرضية التعلم ، وبعضها يمكن استنباطه من أساليب الرسول ﷺ في التعامل مع المرأة .

وفيما يلي ؛ استعراض لأهم المبادئ التي وجهت تربية مسلمة صدر الإسلام :-

١-التعلم فريضة :

تؤكد الأصول التربوية في السنة النبوية على فرضية العلم وترغب فيه ، حيث يقول الرسول ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه : " طلب العلم فريضة على كل مسلم . " (ابن ماجة ، د.ت، ج١،المقدمة ، ص٨١). ويقول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : "ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة . " (ابن ماجة، د.ت ، ج١،المقدمة ، ص ٨٢)

وينبثق وجوب تعليم المرأة المسلمة من مبدأ حفظ كرامتها ومساواتها بالرجل من حيث الأصل والمسئولية . فهي مسئولة عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فيما فرض عليها من عبادات ومعاملات ؛ فكان من واجبها أن تتعلم ما لا يتحقق لها الالتزام بالدين إلا بتعلمه .

وقد عملت التربية النبوية على صياغة مشاعر مسلمة صدر الإسلام وفقاً لأهداف العقيدة ، حتى يتضح موقفها من الحياة والكون والنفس والمجتمع ، بحيث ينعكس أثر ذلك في استجاباتها وانفعالاتها وتصوراتها تجاه هذه الأمور من خلال ممارستها في واقع الحياة .

ومن ثم فقد كان التعليم المنهجي الموحد ؛ ضرورة لازمة لمسلمات صدر الإسلام ، ولذلك وجدنا الرسول ﷺ يأمر الرجال بعدم منع النساء من ارتياد المساجد ، باعتبارها المؤسسة التعليمية الأولى .

يقول الرسول ﷺ فيما رواه سالم عن أبيه رضي الله عنه : " إذا استأذنت أحد كم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها . " مسلم ، د.ت،ج١، الصلاة /٣٠، ص ٣٢٦-٣٢٧)

بل قد وجدناه ﷺ يأمر بخروج النساء جميعاً إلى المساجد ، حتى الحيض منهن ، وذلك كي يشهدن الخير واجتماع المسلمين في العيدين .

فقد روت أم عطية رضي الله عنها فقالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في العيد والأضحى :

العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين .

قلت يا رسول الله : إحدانا لا يكون لها جلباب ؟ قال : لتلبسها أختها من جلبابها ."

(مسلم، د.ت ، ج٢، العيدين / ١، ص ٦٠٦)

ونهاية الحديث فيها توجيه للمرأة المسلمة بأن تبذل ما وفي وسعها من أجل شهود العيدين .

فالرسول الكريم ﷺ قد كان حريصاً على أن تشارك مسلمة صدر الإسلام في التعرف على أحداث الأمة وقضاياها التي تطرح من خلال منبر المسجد . وقد أكد ذلك بفعله ﷺ حين كان يخصص جزءاً من خطبته ويتجه إلى مكان تجمع النساء ليعظهن ويذكرهن .

من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه حيث قال : " خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى ، ثم انصرف فوعظ الناس وأمرهم بالصدقة فقال : يأيها الناس تصدقوا ، فمر على النساء فقال : يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار ، فقلن وبم ذلك يا رسول الله ؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير . ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن يا معشر النساء... ثم انصرف . "(البخاري ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ج٢ ،الزكاة / ٤٤، ص ١٢٦)

وقد أدركت مسلمة صدر الإسلام أهمية العلم في توسيع مداركها ؛ لذلك وجدناها تطالب الرسول ﷺ بالمزيد من فرص التعلم إلى جانب ما تتلقاه مع عامة الناس .

روى أبو سعيد رضي الله عنه قال : قال النساء للنبي ﷺ : غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً – لقيهن فيه ، فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن : " ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار فقالت امرأة واثنين ، فقال واثنين ."

(البخاري ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ج١، العلم/ ٣٦، ص ٣٤)

كما أدركت مسلمة صدر الإسلام أيضاً أهمية ارتياد المسجد في صقل شخصيتها والارتقاء بفكرها ، ومن ثم وجدناها تحرص على غشيان المسجد في شتى المناسبات .

فهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها تحدث عن شهودها لصلاة الكسوف فتقول :

" كسفت الشمس في عهد النبي ﷺ ففزع ، فأخطأ بدرع ، حتى أدرك بردائه بعد ذلك .

قالت : فقضيت حاجتي ثم جئت ودخلت المسجد . فرأيت رسول الله ﷺ قائماً . فقمت معه فأطال القيام حتى رأيتني أريد أن أجلس . ثم ألتفت إلى المرأة الضعيفة ، فأقول هذه أضعف مني فأقوم . فركع فأطال الركوع ثم رفع رأسه فأطال القيام . حتى لو أن رجلاً جاء خيل إليه أنه لم يركع... "

(مسلم، د.ت، ج٢، الكسوف/ ٣، ص ٦٢٦)

فكان ارتياد أسماء ﷺ للمسجد وشهودها لصلاة الكسوف سبباً في أن نتعلم جميعاً كيفية صلاة الكسوف .

وتلك أم هشام بنت حارثة بن النعمان ﷺ تقول : ما أخذت ق والقرآن المجيد إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرأها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس ." (مسلم، د.ت، ج٢ ، الجمعة/ ١٣، ص ٥٩٥)

فلزوم أم هشام لصلاة الجمعة مع رسول الله ﷺ قد كان سبباً في حفظها لهذه السورة الكريمة .

من ذلك ندرك أهمية المسجد في تربية المرأة المسلمة وأهمية ارتيادها له بشرط الالتزام بالآداب التي أمر بها الإسلام والتي أشار إليها الرسول ﷺ في كثير من الأحاديث من بينها مار وته زينب امرأة عبد الله بن مسعود ﷺ حيث قالت : قال لنا رسول الله ﷺ : " إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً ." (مسلم ، د.ت، ج٢، الصلاة/٣٠، ص ٣٢٨)

٣- التعليم فريضة على كل قادر عليه :-

مثل الرسول ﷺ القدوة للمسلمين كافة في تحقيق فرضية التعليم بنفسه استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى في قوله :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾(المائدة ،آية ٦٧)

ونجد الأصول التربوية في القرآن الكريم والسنة النبوية توجه المسلمين كافة إلى التعليم وتنهى عن كتمان العلم . ومن ذلك قوله تعالى :﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (آل عمران ، آية ١٠٤).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يمكن أن يتم إلا بالعلم .

أما النهي عن كتمان العلم فقد جاء في قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾(البقرة ، آية ١٥٩).

وفي معرض حديثه عن معنى هذه الآية ؛ أشار الشيخ محمد رشيد رضا إلى أن الحكم عام : " فكل من يكتم آيات الله وهدايته ؛ فهو مستحق لهذه اللعنة ." (رضا د.ت ، ج٢ ، ص ١٥٢)

كذلك توجه السنة النبوية إلى التعليم في قوله ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو ﷺ :

" بلغوا عني ولو آية ." (الترمذي ، د.ت. ج، ٥ ، العلم /١٣، ص ٣٩) ، وقوله أيضاً فيما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ : " نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه ." (الترمذي ، د.ت ، ج، ٥ ، العلم /٧، ص ٣٣)

كما حذرت السنة النبوية أيضاً من كتمان العلم وذلك في قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة ﷺ : " من سئل عن علم ثم كتمه ، ألجم يوم القيامة بلجام من نار. " (الترمذي ، د.ت، ج ٥ ، العلم / ٣، ص ٢٩)

كذلك نجد السنة النبوية توجه المرأة خاصة إلى التعليم وذلك من خلال طلبه ﷺ من الشفاء بنت عبد الله أن تعلم زوجه حفصة ﷺ رقية النملة وذلك في قوله ﷺ: " علمي هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة . " (أبو داود ، د.ت ، ج ٢ ، الطب / رقم ٣٨٨٧، ص ١١)

وقد كان الرسول ﷺ مربياً ومعلماً للرسالة التي أنزل بها بأقواله ، وأفعاله وتقريراته . وكان القرآن يترل عليه في كل الأوقات ، ومن بينها الأوقات التي يكون فيها مع أهله .

فكانت أمهات المؤمنين ﷺ يشهدن ويسمعن ويتعلمن ما لا يتيسر للرجال، وكن يرويـن ذلك استجابة لأمر الله لهن :﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾(الأحزاب ، آية ٣٤)

وبذلك كانت بيوت النبي ﷺ مدارس للتعليم ، حيث كانت أمهات المؤمنـين يقتدين ، ويؤدين العبادات ، ويتخلقن بالآداب والمعاملات التي شاهدن رسول ﷺ يتخلق بها . فكن في كـل ذلك الأسوة لغيرهن من النساء والرجال ، حتى أننا نجد أن الصحابة رضوان الله عليهم كثيراً ما كانون يختلفون في أمر ما ، فيأتون إلى زوجات النبي ﷺ ليرجعوا بالجواب .

فكانت نساء النبي ﷺ شواهد اختارهن الله سبحانه وتعالى لمعايشة نبيه ؛ فنقلن بشـهادتهن دقائق البيت النبوي وأسراره ، وهن يؤدين مهمتهن في تربية أجيال المؤمنين والمؤمنات .

ولذلك وجدنا بيوت النبي ﷺ منارات يهتدي بها الناس ، من خلال ما يتلقونه من علم على أيدي زوجاته رضوان الله عليهن ، حتى بلغ ما روته أم المؤمنين عائشة ﷺ ألفين ومائتين وعشـرة أحاديث ، فلم يزد عليها من الصحابة إلا أبو هريرة ﷺ .(أبو سنة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٤٣)

روى أبو موسى الأشعري ﷺ قال : " ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديثـاً

قط فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علماً ." (ابن الجوزي ، د.ت ، ج٢، ص٣٢)

كما روي عن عاصم بن حميد رضي الله عنه أنه قال : (سألت عائشة رضي الله عنها: بأي شيء كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل ؟ فقالت : لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك . كان إذا قام كبر عشراً ، وحمد الله عشراً ، وسبح عشراً ، وهلل عشراً ، واستغفر عشراً ، وقال : " اللهم اغفر لي ، واهدني ، وارزقني وعافني ." ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة ." (أبو داود ، د.ت ، ج١، الصلاة /رقم ٧٦٦، ص ٢٠٣-٢٠٤)

وحدث أن سمعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤسهن ، فعندما بلغها ذلك قالت : " .. يا عجبا لابن عمرو هذا !! يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن ! أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن ؟! لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ولا أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات ." (مسلم ، د.ت، ج١، الحيض /١٢، ص٠ ٢٦)

وهكذا ردت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها نظر عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

وفي موقف آخر نجد السيدتين عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما يَرُدان نظر أبي هريرة والفضل بن عباس رضي الله عنه في أن من أدركه الفجر جنباً فلا يصم . فكلتاهما قالت لما سُئلت : كان النبي ﷺ يصبح جنباً عن غير حلم ثم يصوم [1]. " (مسلم ، د.ت ، ج٢، الصيام/١٣، ص ٧٧٩-٧٨٠)

ولم يقتصر علم السيدة عائشة رضي الله عنها على الحديث فقط ؛ بل شمل جوانب أخرى من فروع المعرفة ، أشار إليها عروة بن الزبير حيث قال : " ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ، ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة ." (الأصبهاني ، ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م ، ج٢، ص ٥٠)

---

[1] روى أبو بكر بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال :" سمعت أبا هريرة رضي الله عنه ..... ، يقول في قصصه : من أدركه الفجر جنباً فلا يصم . فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث (لأبيه) فأنكر ذلك . فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما، فسألهما عبد الرحمن عن ذلك . قال : فكلتاهما قالت : كان النبي ﷺ يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم . قال : فانطلقنا حتى دخلنا على مروان فذكر ذلك له عبد الرحمن . فقال مروان . عزمت عليك إلا ما ذهبت الى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول . قال فجئنا أبا هريرة . وأبو بكر حاضر ذلك كله . قال : فذكر له عبد الرحمن فقال أبو هريرة : أهما قالتا ذلك ؟ قال نعم . قال : هما أعلم ." (مسلم ، د.ت ، ج٢ ، الصيام /١٣ ، ص ٧٨٠)

وقد ذكر الشعبي أن عائشة رضي الله عنها قالت : " رويت للبيد نحواً من ألف بيت ." ، وكان يتعجب من فقهها وعلمها ويقول : " ما ظنكم بأدب النبوة ." (الذهبي ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م ،ج٢، ص ١٩٧)

كذلك روى الشعبي قال : " قيل لعائشة يا أم المؤمنين : هذا القرآن تلقيته عن رسول الله ﷺ ، وكذلك الحلال والحرام . وهذا الشعر والنسب والأخبار سمعتها من أبيك وغيره . فما بال الطب . قالت كانت الوفود تأتي رسول الله ﷺ ، فلا يزال الرجل يشكو علة فيسأله عن دوائها فيخبره بذلك فحفظت ما كان يصفه لهم وفهمته ." (الذهبي ، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م ، ج٢ ، ص١٩٧)

و لم يقتصر القيام بالتعليم على أمهات المؤمنين فقط بل شمل غيرهن من الصحابيات .

فهذه أسماء رضي الله عنها تروي من الأحاديث ما عدده (٤٢) اثنان وأربعون حديثاً (أبو سنة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، ص ٢٦٥) . وتلك أم الحسن البصري رضي الله عنها تجلس لتقص على النساء بعضاً من أمور الدين . (ابن سعد ، د.ت، ج٨ ، ص ٤٧٦)

وهناك أم شريك رضي الله عنها التي أسلمت بمكة ، ثُم أخذت تدعو إلى الإسلام سراً في بداية الدعوة الإسلامية ، وغيرهن من الأمثلة التي استوعبت مسئوليتها في إيصال الحق إلى الآخرين .

٣- تكريم المرأة واحترامها :

المرأة أحد شقي الإنسان الذي أراد الله له أن يكون أفضل مخلوقاته ، حيث خلقه بيده وسخر له الكون ، وفضله على غيره من المخلوقات ، وميزه بالقدرة على التعلم ، وبالقدرة على التمييز بين الخير والشر، وأنزل له الشريعة لإصلاح أحواله ووعده بالخلود في الآخرة إذا ما أحسن .

ولهذا وجدنا التربية الإسلامية تستخدم أفضل الأساليب اللائقة بكرامة المرأة ، وتدفعها إلى إعمال عقلها ، وتنمية قدرتها على التفكير، وتنمية الإحساس لديها بمراقبة الله ، حتى تعبده عن وعي وبصيرة .

وتبرز مظاهر تكريم التربية الإسلامية للمرأة ؛ في تحقيقها للمساواة بينها وبين الرجل ، والتي عبر عنها الرسول ﷺ بقوله لأسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها :" انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك

من النساء ؛ أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته ؛ يعدل كل ما ذكرت[1] . " (ابن عبد البر ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٨٧م ، ج٢، ص ٢٣٧-٢٣٨)

فمفهوم المساواة في التربية الإسلامية ؛ يختلف عن مفهومها لدى الآخرين . فالمساواة لا تعني ذات الحقوق ، أو ذات الأعمال وإنما تعني أن لكلٍ من الجنسين مجاله الخاص الذي يبدع فيه ، والتساوي إنما هو في الأجر ، والمنزلة عند الله سبحانه وتعالى .

ويعلق النحلاوي على نص هذا الحديث بقوله :

" وفي هذا تمام شعور المرأة بكرامتها ، ذلك أن الله جعل لها فيما تقدر عليه بحكم طبيعتها الأنثوية من الثواب مثل ما خص به الرجال مما يقدرون عليه برجولتهم كالجهاد ." (النحلاوي ،١٤٠٥هـ١٩٨٥م ، ص ٧٣)

ومن مظاهر تكريم التربية الإسلامية للمرأة أيضاً : إتاحة الفرصة لها في الاختيار، بدءاً من عقيدتها وانتهاء بأدق شئون حياتها . ونجد الأصول التربوية في القرآن الكريم والسنة المطهرة تؤكد هذا الحق للمرأة .

ففي مجال العقيدة يقول الله سبحانه وتعالى :﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾(البقرة، آية ٢٥٦)

وفي مجال الزواج ، يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : " لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولاتُنكح البكر حتى تُستأذن ." (مسلم، د.ت ، ج٢، النكاح/٩، ص ١٠٣٦)

وقد استمتعت مسلمة صدر الإسلام بهذا الحق في واقع حياتها ، فوجدناها في المجال العقدي ؛ تهاجر فراراً بدينها تاركة أهلها ووطنها ، كما فعلت كل من أم سلمة ، وأم حبيبة ، وأم كلثوم بنت عُقبة وغيرهن رضي الله عنهن أجمعين .

وفي المجال الاجتماعي وجدنا مسلمة صدر الإسلام تتمسك بحقها في اختيار شريك حياتها ، وفي البقاء في عصمته أو مفارقته .

فهذه فتاة تذهب إلى رسول الله ﷺ لتشتكي تزويجها رغماً عنها فتقول :

" يا رسول الله ؛ إن أبي ونعم الأب هو ، زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته ، قال : فجعل الأمر إليها ، فقالت : إني قد أجزت ما صنع أبي ، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للأباء من الأمر شيء . "(الدار قطني ، د. ت ، ج٣ ، النكاح ، ص٢٣٢)

---

[1] أنظر الحديث ص ١١٩ .

وتلك بريرة الجارية التي زوجت رغماً عنها من عبد اسمه مغيث ، فلما أُعتقت طلبت الطلاق من زوجها الذي كان يطوف خلفها ويبكي من فرط محبته لها ، فيقول لها الرسول ﷺ : " لو راجعتيه ، فإنه أبو ولدك . قالت : يا رسول الله : تأمرني ؟ قال : " إنما أشفع ." قالت لا حاجة لي فيه." [1] (ابن ماجة ، د.ت ، ج١، الطلاق/٢٩، ص ٦٧)

وفي المجال السياسي نجدها على وعي بحقها في إجارة المستجير ، فتطبق ذلك الحق وتتمسك به . فقد ذكر ابن كثير في تاريخه أن زينب بنت رسول الله ﷺ استجار بها زوجها العاص فأجارته ؛ وذلك أنه كان في تجارة لقريش إلى الشام ، فلما قفل راجعاً ، لقيته سرية من المسلمين فأخذوا ما معه وهرب هو إلى زينب فاستجار بها فأجارته . " فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس ، صرخت من صفة النساء : أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلم رسول الله ﷺ أقبل على الناس فقال : " أيها الناس هل سمعتم الذي سمعت ؟" قالوا : نعم قال :" أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم وإنه يجير على المسلمين أدناهم." (ابن كثير ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، ج٣، ص ٣٣٢)

ولذلك وجدنا أم هانئ رضي الله عنها تجير وتتمسك بحقها في الإجارة . ففي يوم الفتح ؛ فر رجلان من أحماء أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها إليها ... تقول أم هانئ :

" فدخل عليّ أخي علي بن أبي طالب فقال : والله لأقتلهما، فأغلقت عليهما باب بيتي ، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة يغتسل.... فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ، ثم صلى ثماني ركعات من الضُحى ثم انصرف إليّ فقال : " مرحباً وأهلاً بأم هانئ . ما جاء بك ؟ " فأخبرته خبر الرجلين ، وخبر علي فقال : " قد أجرنا من أجرت ، وأمنّا من أمّنت فلا يقتلهما ." (ابن كثير ،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، ج٤، ص ٢٩٨)

---

[1] عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان زوج بريرة عبداً يقال له مغيث كأني أنظر إليه يطوف حولها ويبكي ، و دموعه تسيل على خده . فقال النبي ﷺ للعباس : " يا عباس ألا تعجب من حب مغيث لبريرة ومن بغض بريرة مغيثاً ؟ فقال لها النبي ﷺ : " لو راجعتيه ، فإنه أبو ولدك . قالت : يا رسول الله : تأمرني ؟ قال : " إنما أشفع ." قالت لا حاجة لي فيه ." (ابن ماجة ، د.ت ، ج١، الطلاق/٢٩، ص ٦٧)

ومن مظاهر تكريم التربية الإسلامية للمرأة أيضاً ؛ أنها منحتها الأهلية الاقتصادية الكاملة فأصبحت تملك وترث وتورث ، وفي سبيل ذلك أبطلت كثيراً من العادات الجاهلية التي كانت تحرمها من حقوقها .

وإجمالاً فإنه يمكن القول أن تربية المرأة المسلمة على مبدأ الكرامة يحررها من قيود كثيرة منها :-

- تحريرها من الظلم الذي حاق بها عبر التاريخ .
- تحريرها من الزعامات الزائفة من الأصنام والأوثان والسحرة والمشعوذين .
- تحريرها من استعباد الشهوات التي قد تربطها بالدنيا .
- تحرير عقلها من الخرافات فلا تقبل دون برهان .
- تحرير نفسها من القلق والخوف ، لأنها تستند إلى أعظم قدرة فلا مجال للخوف من المخلوقات الأخرى .

٤- مراعاة الخصائص المشتركة والفروق بين الذكور والإناث:

راعت التربية الإسلامية حقيقة العبودية التي يقف فيها الرجال والنساء سواء أمام الله سبحانه وتعالى ، ومن ثم وجدناها تربي كلاً منهما التربية التي تعينه على تحقيق كمال هذه العبودية .

لهذا وجدنا الخطاب في القرآن الكريم والسنة النبوية يتوجه إلى الرجال والنساء على حد سواء فيما يشتركون فيه من تكليفات اقتضتها الخصائص المشتركة بينهما ، وتتوجه إلى كل منهما على حدة فيما يتفرد فيه من خصائص عن الآخر .

من ذلك مثلاً الأمر بالعلم الذي توجه الخطاب به في أول آية قرآنية إلى النوعين ، باعتبار العلم الناتج عن القراءة هو السبيل إلى معرفة الله ، ومعرفة كيفية أداء حق العبودية تجاهه . وكذلك الأمر بممارسة الشعائر والممارسات التعبدية من فرض ونفل ؛ فقد توجه الخطاب به إلى النوعين حاثاً إياهما على المسارعة في الخيرات لنيل الجزاء العظيم الذي عبَّر عنه الحديث في قوله ﷺ عن ربه :

" أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر."

(مسلم ، د.ت ، ج٤، الجنة ، ص ٢١٧٤)

لكن هناك من التوجيهات ما راعى المصلحة العامة التي اقتضتها فطرة الله سبحانه وتعالى لكل من النوعين بما يميزه عن الآخر .فقد وجه الرجال إلى أهمية الالتزام بأداء صلاة الجمعة والجماعة ، وإلى القيام بمسئولية القوامة وما تستلزمه من رعاية وإنفاق ، و إلى الجهاد في سبيل الله ، في

حين لم يفرض على المرأة شيء من ذلك ، بل جعل إحسانها في أداء ما أُنيط بها من مسئولية العناية والرعاية بالزوج والأولاد ؛ مساوياً لكل ما يقوم به الرجال من أعمال بما في ذلك الجهاد في سبيل الله .

وبالنظر في هذا التقسيم في الوظائف بينهما ؛ نجد أنه يأتي منسجماً مع ما منحه كل من النوعين من مؤهلات وقدرات ، وخاضعاً لأحقية الأصلح في المجال الذي يثبت فيه جدارة به .

وقد وجدنا الرسول ﷺ يراعي وجود الاختلاف بين الرجل والمرأة إلى جانب ما بينهما من مشترك في الخصائص ؛ ففي مجال العلم ، نجده يحث الرجال على عدم منع النساء من ارتياد المساجد ، وفي الوقت نفسه يراعي ما تتميز به المرأة من خلق الحياء الذي قد يمنعها من التصريح بما يعن في نفسها من أسئلة تتعلق بحياتها الخاصة ، ومن ثم وجدناه يلبي رغبة النساء في أن يخصهن بيوم يعلمهن فيه مما علمه الله .

٥- التربية الذاتية :-

بمعنى ترك المتعلم يعتمد على نفسه في تحصيل المعرفة . وفي ذلك تأكيد لحريته الإرادية . ونجد التربية الإسلامية تحرص على تربية الأفراد على هذا المبدأ ؛ من خلال إلزامهم بالواجب الذي تحتمله النفس في العادة في العبادات والمعاملات ، ثم تترك ما بعده لمشيئة الفرد واستطاعته .

ففي مجال العبادات نجد هناك ما هو فرض ، وما هو سنة .

وفي مجال المعاملات نجد هناك الأمر بالعدل ، لكننا أيضاً نجد الأمر بالإحسان .

وقد عزَّز الرسول ﷺ هذا المبدأ في تربيته لمسلمة صدر الإسلام من خلال إتاحته الفرصة لها للسؤال والمناقشة بحرية . وأدركت مسلمة صدر الإسلام أهمية السؤال في تعزيز معرفتها ؛ فأقبلت تسأل عن كل ما تشعر بالحاجة إلى معرفته .

فهذه عائشة رضي الله عنها تسأل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾[1] : " فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله ؟ فيقول : على الصراط . " (مسلم ، د.ت ، ج٤، المنافقين/ ٢، ص ٢١٥٠)

وعندما رأته ﷺ في آخر أمره يكثر من قول " سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه ، قالت : فقلت يا رسول الله أراك تكثر من قول " سبحان الله وبحمده أستغفره وأتوب إليه ؟ " فقال :" خبَّرني ربي أني سأرى علامة في أمتي . فإذا رأيتها أكثرت من قول : سبحان الله

---

[1] (إبراهيم ، آية ٤٨) .

وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها . إذا جاء نصر الله والفتح . فتح مكة . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابـاً . "(مسلم، د.ت ، ج١ ، الصلاة / ٤٢، ص ٣٥١)

وتسأله عن قوله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ [1]﴾: يا رسول الله هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف ؟ قال : " لا يا بنت أبي بكر ، يا بنت الصديق ، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل ." (ابن حنبل ، د.ت ،ج٦ ، ص ١٥٩)

وتسأله أم سلمة رضي الله عنها:" أتصلي المرأة في درع وخمار ليس عليها إزار ؟ فقال ﷺ : " إذا كان الدرع سابغاً يغطي ظهور قدميها . " (البيهقي، د.ت ،ج٢ ، ص٢٣٣)

وتسأله أسماء رضي الله عنها عن غسل المحيض فيقول : " تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها[2] فتطهر فتحسن الطهور . ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكاً شديداً ، حتى تبلغ شؤون رأسها ، ثم تصب عليها الماء . ثم تأخذ فرصة مُمَسَّكة فتطهر بها فقالت أسماء : وكيف تطهر بها ؟ قال : "سبحان الله تطهرين بها ." فقالت عائشة : (كأنها تخفي ذلك) تتبعين أثر الدم . وسألته عن غسل الجنابة فقال : " تأخذ ماء فتطهر ، فتحسن الطهور . أو تبلغ الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شؤون رأسها[3] . ثم تفيض عليها الماء . " فقالت عائشة : نعم النساء نساء الأنصار ! لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين . " (مسلم ، د.ت. ج١ ، الحيض / ١٣ ، ص ٢٦١)

وتسأله أسماء بنت عُميس رضي الله عنها: يا رسول الله : إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه يعد ذلك كذبا ً؟ فقال : فإن الكذب يكتب كذباً ، حتى الكُذيبة تكتب كُذيبة [4]."(ابن حنبل ، د.ت، ج٦، ص ٤٣٨)

---

[1] المؤمنون ، آية ٦٠

[2] السدر : شجر النبق ، والمراد ورقه . (النووي في مسلم ، د .ت ، ج١، ص ٢٦١)

[3] شؤون الرأس : أصول شعر الرأس . (النووي في مسلم ، د .ت ، ج١ ، ص ٢٦١)

[4] عن أسماء بنت عُميس قالت : كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ، ومعي نسوة . قالت: فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحاً من لبن. قالت فشرب منه ، ثم ناوله عائشة ، فاستحيت الجارية . فقلنا : لا تردي يد رسول الله ﷺ ، خذي منه ، فأخذته على حياء فشربت منه ، ثم قال : ناولي صواحبك ، فقلنا : لا نشتهيه . فقال : لا تجمعن جوعاً وكذباً . قالت : فقلت : إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه ، لا أشتهيه بعد ذلك كذباً ؟ قال : إن الكذب يكتب كذباً ، حتى الكُذيبة تكتب كُذيبة . " (ابن حنبل ، د.ت ، ج٦، ص ٤٣٨)

٦- الاستمرار في طلب العلم:

توجه الأصول التربوية في القرآن الكريم والسنة النبوية إلى أهمية الاستزادة من العلم والاستمرار في طلبه ، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى :﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (طه، آية ١١٤)

والاستمرار في طلب العلم يفيد في تعزيز المعرفة ، وإلى ذلك يشير قوله ﷺ فيما رواه أبو موسى رضي الله عنه : " تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده ! لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها ." (مسلم ، د.ت، ج١، المسافرين/٣٣، ص ٥٤٥)

ومما يؤكد اهتمام المربي الأول ﷺ بتوجيه متعلميه إلى الاستمرار في طلب العلم ؛ طلبه من الشفاء بنت عبد الله أن تعلم زوجه حفصة رضي الله عنها رقية النملة [1] كما علمتها الكتابة .

٧- الرفق بالمتعلمين:

توجه الأصول التربوية في القرآن الكريم والسنة إلى أهمية الرفق في كل شيء ، وخاصة من قبل المربي مع من يربيهم . وإلى ذلك يشير قوله تعالى :﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران، آية ١٥٩)

فالله سبحانه وتعالى يشيد بالرحمة التي كانت تملأ قلبه ﷺ ، والتي جعلت الناس يقبلون عليه.

ونجد التوجيهات النبوية تؤكد على أهمية الرفق ، حيث يقول ﷺ فيما روته عائشة رضي الله عنها :" إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه . " (مسلم ، د.ت، ج٤، البر / ٢٣، ص ٢٠٠٤)

وقد كان الرفق من أخلاقه ﷺ ، حتى وجدنا خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه يقول :" خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، والله ما قال لي : أفاً قط ، ولا قال لي لشيء : لم فعلت كذا ، وهلا فعلت كذا ." (مسلم ، د . ت ، ج٤ ، الفضائل/١٣، ص ١٨٠٤)

---

[1] رقية النملة : " قيل أن هذا من لغز الكلام ومزاحه ، كقوله للعجوز " لا تدخل العجز الجنة " ، وذلك أن رقية النملة شيء كانت تستعمله النساء يعلم كل من سمعه أنه كلام لا يضر ولا ينفع ، ورقية النملة التي كانت تعرف بينهن أن يقال : العروس تختفل وتختضب وتكتحل ، وكل شيء تفتعل غير ألا تعصي الرجل . فأراد ﷺ بهذا المقال تأنيب حفصة رضي الله عنها لأنه ألقى إليها سراً فأفشته . (ابن الأثير ، د .ت ، ج٥ ، ص١٣٠) . انظر نص الحديث ص ١٣٤

ونجده ﷺ يطبق خلق الرحمة والرفق مع مسلمات صدر الإسلام ، فلا يشق عليهن ولا يكلفهن فوق ما يحتملن . فقد روت أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها فقالت : " بايعت رسول الله ﷺ في نسوة فقال لنا : فيما استطعتن وأطقتن . قلت : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا . " (الترمذي ، د.ت ،ج٤، السير ٣٦/ص ١٢٩)

فمسلمات صدر الإسلام قد كن على استعداد للمبايعة على كل شيء دون شرط ؛ لكن المربي الرحيم يدرك حدود وسعهن وقدرتهن فيشترط هذا الشرط : " فيما استطعتن وأطقتن . "

وقد عبرت مسلمة صدر الإسلام عن هذه الرحمة وهذا الرفق من رسول الله ﷺ تجاهها حين قالت لعمر : أنت أفظ وأغلظ من رسول الله . وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استأذن على رسول الله ﷺ مرة وبعض النسوة بين يديه ، فابتدرن الحجاب . فلما دخل عمر وجد رسول الله ﷺ يضحك : فقال : " أضحك الله سنك يا رسول الله ! قال : عجبت من هؤلاء كن عندي فلما سمعن صوتك ؛ ابتدرن الحجاب . قال عمر : فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن . ثم قال : أي عدوات أنفسهن ؛ أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟ قلن : نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ . " (البخاري ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م، ج٤، بدء الخلق/١٢، ص ٩٦)

٨- الصحبة في طلب العلم :

صحبة المتعلم لمن يعلمه مبدأ هام في التربية ؛ لما يوفره من إمكانية الإقتداء بالمربي ، والتعرف على سلوكه في جميع أحواله . وهذا ما توفر لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، اللاتي كن بفضل صحبتهن للرسول ﷺ منارات في العلوم التي توفرت لهن في ذلك العصر .

وقد طبق الرسول ﷺ هذا المبدأ في تربيته لمسلمة صدر الإسلام من غير أمهات المؤمنين ؛ حيث كان يحرص على أن يخصهن بمجالس علمية خاصة بهن .

٩ - التربية بالممارسة والعمل :

حيث أن التطبيق العملي ؛ يجعل المعرفة أوقع في النفس وأكثر ثباتاً في الذاكرة ؛ فقد وجدنا مربي مسلمة صدر الإسلام ﷺ يحرص على التطبيق العملي لما يعلمها إياه ؛ ليكون أوقع وأكثر ثباتاً في نفسها .

من ذلك أنه عندما بايع النساء ؛ سألنه المصافحة فقال : " إنما قولي لمائة امرأة ؛ كقولي لامرأة واحدة . " (الترمذي ، د.ت، ج٤، السير/ ٣٧، ص ١٢٩)

ولم يكتف ﷺ بإخبارهن بذلك ؛ بل طبقه عملياً ، ورُوِيَ عنه ذلك حيث قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : " ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط . غير أنه بايعهن بالكلام . " (مسلم ، د .ت ، ج٣، الإمارة/٢١، ص ١٤٨٩)

وكان ﷺ يأمر مسلمة صدر الإسلام بأمر، ويبادر هو فيطبقه ليعطي لها ولغيرها القدوة من نفسه . فنجده ﷺ يأمرها بالصدقة بقوله :" تصدقن . " (مسلم ، د.ت،ج٢، العيدين ، ص ٦٠٣) ، ثم نجد السيدة عائشة رضي الله عنها تصفه بأنه عليه السلام : " كان أجود بالخير من الريح المرسلة . " (مسلم ، د.ت ،ج٤، الفضائل/ ١٢، ص ١٨٠٣)

ونجده ﷺ يحبب إلى المرأة قيام الليل بقوله عليه السلام : " رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء " [1] . ثم يعطي هو القدوة من نفسه حين يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ، فتسأله عائشة رضي الله عنها عن ذلك وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيقول: " أفلا أكون عبداً شكوراً . " (مسلم ، د.ت. ج٤، المنافقين /١٨، ص ٢١٧١)

١٠- التربية المتكاملة :-

ركزت التربية الإسلامية تركيزاً شاملاً ومعجزاً على تربية مسلمة صدر الإسلام ، وإعدادها لحمل الرسالة الإسلامية في نفسها، ثم إلى غيرها بحسب الاستطاعة .

لذلك فقد اهتمت التربية الإسلامية بتكوين شخصية مسلمة صدر الإسلام ؛ التي ستحمل الحق إلى الآخرين ، وتكون قدوة لهم فيه . ومن ثم وجدنا آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ تهدف إلى تكوين المرأة المسلمة خُلقاً وعلماً وسلوكاً ، وتوضح لها كيف تقيم حياتها على هذه الأرض في إطار من الإنسانية العامة المتمثلة في قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(الحجرات ، آية ١٣).

---

[1] أنظر نص الحديث ص ٢٢٥.

وباستعراض منهج التربية الإلهي – القرآن الكريم والسنة النبوية – فإنه يمكن القول بأن تربية مسلمة صدر الإسلام قد اشتملت على **جانبين : نظري وعملي** . وكلا الجانبين قد عملا جنباً إلى جنب ، وذلك من أجل تحقيق الأهداف التالية :

١ – إمدادها بما تحتاج إليه من معلومات عن حقائق النشأة والحياة والمصير .

٢ – توجيهها إلى إدراك سنن الله سبحانه وتعالى في الآفاق والأنفس .

٣ – تربية إرادتها بما يعينها على الارتقاء بنفسها ويحميها من الآفات النفسية .

٤ – إصلاح جوانب الخلل الاجتماعي في البيئة المنحرفة عن هداية الله .[1]

---

[1] أنظر في هذا الموضوع : منهج التربية الإسلامية للدكتور الكيلاني .

المبحث الخامس :

تربية المرأة في عصور الازدهار

عصور الازدهار هي الفترة التي كان يسود الفكر الإسلامي فيها الاجتهاد ، حيث كان هناك انفتاح على ما لدى الآخرين وعلى ما يجد من قضايا ومشكلات ليس لها حلول مباشرة في الكتاب والسنة كما كان الحال في عهد الرسول . ومن ثم فقد كان لابد من إعمال العقل من أجل تلبية الحاجات ومواجهة التحديات . (الكيلاني ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٧٣)

وقد وجهت الأصول السياسية والاجتماعية تربية المرأة فيما بعد صدر الإسلام ، حيث لم تخضع تربيتها لنظام ثابت ، وإنما تنوعت وخضعت لظروف مختلفة .

فقد كان للحالة السياسية والاجتماعية أثر كبير على تربية المرأة خاصة بعد أن عمد الأمراء إلى اتخاذ أعوان من العجم إلى جانب أعوانهم من العرب ؛ مما أدى إلى حدوث نزاع بين الفريقين . (بيلو، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، ص١٧-١٨) . وقد انهزم العرب في مجال السياسة والإدارة ، ولكنهم انتصروا في مجال اللغة والدين ، حيث سادت لغة العرب وتراجع غيرها .

لكن انتصار الموالي في مجال الإدارة والسياسة ؛ قد كان له أثره البعيد في المجتمع ؛ حيث شاع فيه غير قليل من الشر بسبب استقدام الخدم والجواري ، إلى جانب عادات وتقاليد الفرس ، مما أدى إلى شيوع الترف واللهو والمجون والزندقة بين المترفين ومن حولهم من الأتباع من فرس وغيرهم . (بيلو ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص٣٨٤)

وقد تأثر بعض العامة من الناس بما كان عليه علية القوم ، أما الأغلبية ؛ فقد ظلت بعيدة عن اللهو والمجون ، ممثلة مصداق الحديث الشريف (.. خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون ، ويحبون السمن ، يعطون الشهادة قبل أن يسألوها[1] .) (بيلو ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، ص٣٨٤)

وفيما يلي سوف نفصل الحديث عن تربية المرأة المسلمة في عصور الازدهار وذلك من خلال الحديث عما يلي :

١- تطور الحركة العلمية في عصور الازدهار .

---

[1] الترمذي ، د.ت ، ج٣ ،ص٣٣٩)

٢- تعليم المرأة المسلمة في عصور الازدهار .

٣- المبادئ التي وجهت تعليم مسلمة عصور الازدهار .

أولاً : تطور الحركة العلمية في عصور الازدهار :

كان تعليم الدين الإسلامي في عهد الرسول ﷺ شاملاً للجميع صبياناً ورجالاً ونساءً ، حيث نجد ابن حزم يذكر أنه لما توفي ﷺ ؛كانت جميع قرى شبه الجزيرة العربية ومدنها قد دخلها الإسلام ، وقرئ فيها القرآن في الصلوات ، وتعلمه الصبيان والنساء أيضاً . (ا لأهواني ، د.ت ، ص ٧٤)

واستمر الحال على ذلك في عهد الخلفاء الراشدين ، الذين ما أن انتهى عهدهم ؛ حتى ظهرت الفتن السياسية التي أثرت على جميع المجالات .

ونجد ابن تيمية قد تحدث عن ذلك حينما أشار إلى أن عامة البدع في العلوم والعبادات إنما وقعت في أواخر خلافة الخلفاء الراشدين ، فبذهاب دولتهم ظهر النقص في الأمراء ، فكان لابد من ظهوره في أهل العلم والدين أيضا ، ومن ثم فقد وجدنا أنه في آخر خلافة علي ﷺ ؛ ظهرت بدعتا الخوارج والرافضة لتعلقها بالإمامة والخلافة . ثم ظهرت بعد ذلك الفرق الأخرى مع انقراض جمهور تابعي التابعين . وآخر الدولة الأموية وبداية العباسية ؛ أصبح في الولاة كثير من الأعاجم ، وظهر الرأي والكلام والتصوف ، وظهر الكذب في الرواية ، وكثرت الآراء في الفقه ، والتشيع ... و" كان في خيار الناس من العلم والصدق والسنة والفقه والعبادة أمر عظيم ." (ابن تيميه ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ج١٠ ، ص٣٥٤-٣٦٠)

وعلى الرغم من تردي الأحوال السياسية ؛ إلا أن الخلفاء والوزراء والأعيان قد شجعوا البارزين في مختلف العلوم ، مما أسهم في الارتقاء بالنواحي العملية ، حيث تغلغلت الثقافة والمعرفة في جميع أوساط المجتمع ، وكانت حركة الترجمة من أهم أسباب ازدهار الحركة الثقافية . (الجهيمان ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، ص ١٣-١٥)

وقد لاقت علوم العربية اهتماما كبيرا ، سيما بعد شيوع اللحن ، كما ازدهرت العلوم الدينية وعلم الكلام والاعتزال ، ونشأت بعض العلوم في ظلال الحديث الشريف مثل علم الجرح والتعديل ، وكثرت المصنفات في الفقه والحديث والتفسير، ونشأت المذاهب الأربعة . (الجهيمان ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، ص١٥)

ويذكر الدكتور الكيلاني ؛ أن مفهوم التعليم قد ارتبط في عصور الازدهار بطبيعة العصر وظروف المجتمع ، ولذلك جاءت ميادين المنهاج والأساليب ومراحل التربية بما يناسب تطور المجتمع في كل مرحلة ويلبي احتياجاته . (الكيلاني ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص٦٩ ، ص ٨٨)

ثانياً : تربية المرأة المسلمة في عصور الازدهار :

كانت أبواب التعليم والثقافة مفتوحة أمام المرأة المسلمة في عصور الازدهار ، ويشهد على ذلك ما تحفل به كتب التراجم من أعداد كبيرة من النساء اللاتي برزن في مختلف أنواع العلوم التي وجدت آنذاك .

إلا أنه وبصفة عامة ؛ فقد كان تعليم النساء أقل انتشاراً من تعليم الرجال ، ويعلل د.أحمد شلبي ذلك بحاجة طلاب العلم من الرجال إلى الرحيل في طلبه ؛ الأمر الذي كان متعذراً على النساء (شلبي . ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٣٢٩-٣٣٠)

ولعل هذا أحد الأسباب التي قللت من انتشار تعليم النساء في عصور الازدهار ، إذ أن النظر في أحوال المجتمع الإسلامي بعد عصر صدر الإسلام يرشدنا إلى وجود أسباب أخرى من بينها :

أ) التردي الأخلاقي الذي وصل إليه المجتمع الإسلامي في عصور الازدهار :

فقد تردى بعض أفراد المجتمع الإسلامي من الناحية الخلقية ، وتصاعد هذا التردي الأخلاقي تدريجياً بعد وفاة الرسول ﷺ . ولا أدل على ذلك من قول السيدة عائشة رضي الله عنها في ارتياد النساء للمساجد : " لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت بني إسرائيل ." مسلم ، د.ت ، الصلاة /٣١ ، ص٣٢٩)

وكما أشرنا سابقا فقد انتشر في المجتمع الإسلامي – خاصة بين علية القوم شيء من اللهو والعبث والمجون ، الذي اقترن بما يخل بالدين والآداب والأعراف والتقاليد من أعمال . ويدل على ذلك الغزل المكشوف الذي كان يتداوله المجان ، والمتعلق بالأمة ؛ الجارية المتبذلة ، المدربة على فنون الأدب والشعر والغناء ، والإغراء . حيث كانت هذه المرأة هي الأصل الذي يقاس عليه لديهم ، وكانت المرأة الحرة لا وجود لها في نظر هؤلاء الشعراء ، وإن وجدت فهي فاجر بغي . فالنساء العفيفات قد كن متهمات عند المجان من الشعراء . (بيلو ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، ص ٢٥٥ – ٢٥٨)

كما يدل على ذلك ما ذكره أبو الفرج في الأغاني من أن "مطيع بن إياس مر بيحي بن زياد ، وحماد الراوية وهما يتحادثان ، فقال لهما : فيم أنتما ؟ قالا : في قذف المحصنات ! قال : أو في الأرض محصنة تقذفانها ؟

فهم – كما يقول صالح بيلو – ؛ قد اتهموا جميع النساء في عفتهن ، ونظروا إليهن نظرتهم إلى الإماء والجواري ، وإن أظهرن عفة فإنما إلى حين ثم تتهاوى . (بيلـــو ، ١٤٠٨هـــ/ ١٩٨٨م ، ص ٢٥٨)

فهذه الأجواء وإن انتشرت بين الخواص من الناس ؛ إلا أنها قد أثرت على العوام منهم الذيـــن ربما دفعهم حرصهم على نساءهم إلى منعهن من الاختلاط بالجواري اللاتي مثلن أكثر النساء الـــلاتي تلقين العلم في الكتاتيب .

ب: انتشار الجواري :

لما بدأت الفتوحات الإسلامية ، أدخلت الجواري إلى المجتمع الإسلامي من مختلـــف البـــلاد ، فكان عددهن من الكثرة بحيث كان بإمكان أي فرد عادي أن يمتلك منهن ، خاصة مع كثرة الأسواق التجارية التي كانت تعج بهن وبالنخاسين[1] ، حيث كانت المتاجرة بهن صناعة رابحة تدر كسبا باهظا لأصحابها ؛ ومنهم إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ، وإبراهيم المهدي . (العمروسي ، د.ت ، ص٤٤)

وقد تفنن الناس في ابتداع الوسائل التي تزيد من الربح في تجارة الرقيق ؛ ومنها تعليـــم الغنـــاء للجواري . فكان المغنون هم تجار الجواري والمعلمين لهن . وهكذا ؛ ارتفع المستوى العقلي للجواري ، وأصبحن طبقة ممتازة ، ينظر إليها بإعجاب واحترام ، خاصة وقد وجد من بينهن من تعلمـــت الأدب والشعر . فكن مغنيات مثقفات تتطلع إليهن النفوس . (العمروسي ، د.ت ، ص٤٦-٤٧)

وقد بدأت تجارة الرقيق منذ العصر الأموي ، وكان المتوقع أن ينغمس الأمويون في الترف بعد أن انحسرت رهبة الدين في قلوبهم ، والتي تمثلت أعظم ما تمثلت في قتل آل بيت النبي وغـــزو المدينـــة وهدم الكعبة . إلا أن ذلك لم يحدث بسبب تحذير معاوية لهم باعتبارهم السادة الذين ينبغي أن يحافظوا على وقارهم أمام العامة . (عبد الله عفيفي ، ١٤٠٢هـــ/ ١٩٨٢م ، ج٣ ، ص٥١-٥٧)

ثم ازدادت تجارة الرقيق في العصر العباسي ، وكانت الجواري ينتمين إلى أجناس مختلفة ، ولكثرتهن ؛ فقد كان لهن أثر بعيد في قصور الخلافة إلى درجة أن خلفاء بني العباس الستة والثلاثـــين ، كانوا إلا ثلاثة منهم من ولد الجواري . (عبد الله عفيفي ، ١٤٠٢هـــ/ ١٩٨٢م ، ج٣ ، ص ٤٩)

---

[1] نخاس : بائع الرقيق . (الزبيدي ، د.ت ، ج٤ ، ص٣٥٥)

وقد كان تأثير الجواري سيئا في نشر الخلاعة والمجون ، ونجد الجاحظ يعلل ذلك بسبب نشأتهن منذ الولادة وحتى الوفاة في جو يصد عن ذكر الله ، حيث يقول ما نصه :

" وكيف تسلم القينة من الفتنة أو يمكنها أن تكون عفيفة ، وإنما تكتسب الأهـــواء وتتعلـــم الألسن والأخلاق بالمنشأ ، وهي تنشأ من لدن مولدها إلى أوان وفاتها بما يصد عن ذكر الله من لهـــو الحديث ، وصنوف اللعب والأخانيث ، وبين الخلعاء والمجان ، ومن لا يسمع منه كلمة جد ولا يرجع منه إلى ثقة ولا دين ولا صيانة مروءة . " (الجاحظ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص٨٣)

كذلك نشرت الجواري أنواعا من الظرافة قلدهن فيها الناس مثل : حب الأزهار ، وتعشقها ، وكتابة الأشعار الرقيقة على الملابس . وإلى جانب ذلك فقد كن أنشط من الحرائر في الإنشاد الأدبي ، وفي الإيحاء إلى الشعراء ؛ بسبب طبيعة النظام الاجتماعي ، حيث كان الناس يغارون على الحرائر أكثر من الجواري ، ويتشددون في حجاب الحرة . هذا إلى جانب أن علم الجارية كان يقوم أكثر من بدنها . ومن ثم وجد من بين الجواري الأديبات والمثقفات إلى درجة عالية من الثقافة . (أحمد أمـــين ، د.ت ، ج١ ، ص٩٥-٩٩)

وقد ذكر ابن عبد ربه بعض الأقوال التي تشير إلى المكانة الرفيعة التي وضعت فيـــها الجـــواري مقارنة بالحرائر لدى البعض من الناس في ذلك الوقت ومنها :

- " ... وعجبـــا لمن عرف الإمـــاء كيف يقدم على الحرائـــر ."
- " الأمة تشترى بالعين وترد بالعيب ، والحرة غل في عنق من صارت إليه . "

(ابن عبد ربه ، د .ت ، ص٩٦ - ٩٧)

ويؤكد ذلك الجاحظ في حديثه عن وضع المرأة المطلقة في عصره ، حيث يشير إلى أن الناس في عصر الصحابة رضوان الله عليهم ؛ كانوا لا يرون باسا في أن تنتقل المرأة إلى عدة أزواج بعد طلاقها ، في حين أصبحوا في عصره يكرهون الزواج من المطلقة ، ويلزمون من يخطبها العار، ويلحقون به اللوم ، ويعيرونه بزواجه منها ، في حين يتحظون بالإماء وقد تداولها الآلاف .

(الجاحظ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ص٧٣-٧٤)

هـ – التقليل من شأن المرأة :–

بدىء في التقليل من شأن المرأة مع بداية العصر العباسي ، حيث أسهم الخلفاء العباسيون بدور كبير في الحط من شأن المرأة ؛ وذلك بما استحدثوه من بدع ، كان من أبرزها أن يحلف الرجل بطلاق زوجته على أن يبقى على بيعتهم [1] . وكان المقسمون هم ذوو الرأي والجاه من الساسة والقـــادة ، الذين كان من بينهم من هو منصرف بقلبه عنهم إلى سواهم . فوقعوا في حيرة من أمرهم ؛ هل تطلق نساؤهم أم لا . وهنا جهر صوت مالك بن أنس : " بأن طلاق المكره باطل ويمينه لاغية . " ؛ فـــراع أبو جعفر المنصور موقفه وأمر بضربه بالسياط فضرب[2] . (الذهبي ،١٤١٤ هـــ / ١٩٩٤ م، ج٨ ، ص٨٠)

ونجد الجاحظ يؤكد ما سار عليه بعض الناس في عصره من ازدراء النساء واحتقارهن ، وبخس حقوقهن إلى درجة جعلوا معها حب الرجل لأمه وزوجتـــه وولده " دليـــلا على الضعف وبابـــا من الخـــور ." (الجاحظ ، ١٤٠٧هـــ / ١٩٨٧م ، ص٩٩–١٠٠)

ونلاحظ هنا البون الشاسع بين ما كان عليه الناس من تبجيل الأم في عهد معاوية الذي كـــان يفخر بأنه ابن هند ، وبين ما صار عليه بعضهم بعد فترة ليست ببعيدة العهد عنه . (عفيفي ، ١٤٠٢ هـــ/١٩٨٢ م ، ج١ ، ص١٦٤)

وقد كان الجاحظ ممن نادى بإنصاف النساء ورد حقوقهن المسلوبة ، حيث يقول في ذلك مـــا نصه :

" ونحن وإن رأينا أن فضل الرجل على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظـــهر ، فليس ينبغي لنا أن نقصر في حقوق المرأة ، وليس ينبغي لمن عظم حقوق الأبـــاء أن يصغـــر حقـــوق الأمهات ، وكذلك الإخوة والأخوات ، والبنون والبنات ، وأنا وإن كنت أرى أن حق هذا أعظم فإن هذه أرحم ." (الجاحظ ١٤٠٧هـــ / ١٩٨٧م ص١٠١) .

ونجد الجاحظ يجارى المجتمع في التقليل من شأن المرأة من حيث أراد إنصافها ، بإشارته إلى أن حق الأب " أعظم " ، في حين أن الرسول ﷺ حين سأله رجـــل : " من أحـــق النـــاس بحســـن صحابتي ؟ "، جعل حق الأم مقدما على حق الأب ثلاث مرات . (البخاري ، ١٤٠١هـــ/ ١٩٨١م ، ج١، الأدب/٢ ص٦٩)

---

[1] حدث هذا في عهد أبي جعفر المنصور ١٣٦ –١٥٨ م /٧٥٤ /٧٧٥ م .

[2] ذكر ابن خلكان أن الذي ضربه هو ابن عم أبي جعفر المنصور . (ابن خلكان ،د . ت ، ج٤ ، ص١٣٧)

وعلى الرغم من الظروف السابقة المشار إليها ، والتي أسهمت في التقليل من فرص النساء في نيل العلم ، إلا أننا نجد في ثنايا الكتب أسماء لكثيرات من النساء ممن نبغن في مختلف أنواع العلوم . أما السبب في نبوغهن فيرجع إلى ما توافر لهن من بيئات علمية خاصة ؛ كأن يكون الأب أو أحد الأقارب من العلماء ، أو أن تنتمي المرأة إلى علية القوم ممن كانوا يهتمون بتعليم نسائهم فيحضرون إليهن من يعلمهن في دورهن أو قصورهن .

ثالثاً : المبادئ التي وجهت تعليم مسلمة عصور الازدهار :

من أبرز المباديء التي وجهت تربية مسلمة عصور الازدهار ما يلي :

١) عدم تحديد سن لبدء التعليم:

فقد كان الأمر متروكاً للآباء في اختيار الوقت المناسب لإرسال أبنائهم وبناتهم إلى الكتاتيب ، لكن يبدوا أن البعض كان يرسلهم قبل السابعة ، حيث نجد العبدري في كتابه "مدخل الشرع الشريف" ينتقد الآباء الذين يرسلون أبناءهم إلى الكتاب قبل سن السابعة ؛ لما في ذلك من إرهاق جسمي وعقلي لهم . وقد ذكر أنهم إنما يفعلون ذلك للتخلص من متاعبهم في البيت . (الأبراشي ، د.ت ، ص١٨٧)

٢) إلزامية التعليم:

أجمع العلماء في عصور الازدهار على وجوب نشر التعليم بين جميع الأفراد ، (الأهواني ، د.ت، ص١٠١) ، وممن أشار إلى ذلك القابسي في القرن الرابع الهجري الذي علل ذلك بأن المؤمنين والمؤمنات مكلفون جميعاً بنص القرآن ، ولا تتيسر معرفة الدين إلا بنوع من التعليم . (الأهواني ، د.ت ، ص١٠١ ، ص ١٠٤)

وقد أسفر الإيمان بهذا المبدأ عن إيجاد العديد من **المؤسسات التربوية** التي أسهمت في تربية مسلمة عصور الازدهار .

فهناك **الكتاتيب** التي ظلت منذ إنشائها ؛ نظاماً حراً يعتمد على استقلال بعض المعلمين بافتتاح مكاتب للتعليم ، في حين كانت في بعض البيئات تُعان من ذوي اليسار أو من الأوقاف التي يحبسها أغنياء المسلمين .[1] (الأهواني ، د.ت ، ص١١)

---

[1] هناك من المصادر ما يشير إلى أن الكتاتيب قد وجدت قبل الإسلام ، وكان مقرها منزل صاحب الكتاب وبعد أن جاء الإسلام وانتشرت المساجد ؛ لم يعد المنزل هو المكان الوحيد للكتاب بل أضيفت إليه المساجد والأربطة والتكايا . (بن دهيش ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٤٥)

وإلى جانب الكتاتيب ؛ كان هناك **المسجد** الذي ظل منذ عهد الرسول ﷺ دارا للعبادة ، ومركزا تربويا وثقافيا تعقد فيه حلقات العلماء لدراسة القرآن الكريم ، والعلوم المساعدة له من فقه ولغة ؛ إلى جانب كونه مكانا للفتوى ومركزا لتصريف شؤون الدولة .

وقد أسهم المسجد كثيرا في الارتقاء بفكر المرأة المسلمة ، وتوعيتها بأمور دينها ، و لم يجرؤ أحد على منعها منه التزاما بتوجيهات المربي الأول ؛ رسول الله ﷺ الذي نهى عن منع النساء من ارتياد المساجد .

ويلاحظ أن هذا النهي من قبل الرسول ﷺ لم يلغ بعد حادثة الاعتداء التي وقعت على إحدى المسلمات وهي في طريقها إلى المسجد في عهد الرسول ﷺ . .

> فقد روى وائل الكندي :" أن امرأة خرجت على عهد رسول الله ﷺ تريد الصلاة ، فتلقاها رجل فتجللها[٢] فقضى حاجته منها فصاحت فانطلق . ومر عليها رجل فقالت : إن ذاك الرجل فعل بي كذا وكذا ، ومرت بعصابة من المهاجرين ، فقالت : إن ذاك الرجل فعلي بي كذا وكذا . فانطلقوا فأخذوا الرجل الذي ظنت أنه وقع عليها وأتوها فقالت: نعم هو هذا ، فأتوا به رسول الله ﷺ فلما أمر به ليرجم قام صاحبها الذي وقع عليها فقال : يا رسول الله أنا صاحبها ، فقال لها : اذهبي فقد غفر الله لك ، وقال للرجل قولا حسنا ، وقال للرجل الذي وقع عليها ارجموه ، وقال : لقد تاب توبة لو تابها أهل المدينة لقبل منهم . "(الترمذي ، د.ت ، ج٤ ، الحدود/٢٢، ص٤٥-٤٦)

فرغم هذه الحادثة ؛ إلا أن أمر الرسول ﷺ بالسماح للنساء في ارتياد المساجد والنهي عن منعهن قد ظل قائما ، ومن ثم وجدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم ينه زوجه عاتكة عن ارتياد المسجد طاعة لأمر الرسول ﷺ .[١]

ووجدنا كذلك عبد الله بن عمر ينهر ابنا له لقوله : لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دغلا .

---

[٢] تجللها : علاها . (المنجد ، ١٣٩٣ هـ /١٩٧٣ م ، ص٩٥)

[١] جاء في الإصابة أن عاتكة بنت زيد رضي الله عنها كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكانت تكثر الاختلاف إلى المسجد النبوي . وكان عمر يكره ذلك . فقيل لها في ذلك فقالت : ما كنت بتاركته إلا أن يمنعني . فكأنه كره أن يمنعها ." (ابن حجر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، ج٤ ، ص٣٥٧)

فقد روى مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنه قال :" أن رسول الله ﷺ قال :لا تمنعوا النساء من الخروج إلى المساجد بالليل "، فقال ابن لعبد الله بن عمر : لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دغلا [1] .

قال : فزبره [2] ابن عمر ، وقال : أقول قال رسول الله ﷺ وتقول لا ندعهن . " (مسلم ، د.ت ، ج١ ، الصلاة/٣٠ ، ص٣٢٧)

وقد سار المجتمع الإسلامي على ذلك ، حيث كان عدد النساء يزداد في ارتياد المساجد ، حتى أنهن كن يملأن رحبة المسجد في العصر العباسي ، فيضطر الرجال للصلاة خلفهن . (محمد الهاشمي ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ص٢٤)

وهناك أيضا **بيوت العلماء** التي أسهمت في تخريج عدد كبير من العالمات من النساء . فقد جاء في سيرة عيسى بن مسكين المتوفى سنه ٢٧٥هـ / ٨٨٨ م ، أنه كان يجلس إلى الطلبة حتى العصر ، ثم يدعو ابنته وبنات أخيه ؛ فيعلمهن القرآن والعلم . (شلبي ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص٣٣٣)

كما ذكر أن ابن المطرف كانت له جارية أخذت عنه النحو واللغة ، ثم فاقته في ذلك خاصة في العروض وسميت بالعروضية . وكانت تحفظ عن ظهر قلب الكامل للمبرد ، والأمالي للقالي وتشرحهما. وقد درس على يدها هذين الكتابين إلى جانب علم العروض كثير من العلماء . (بغدادي ، ١٤١١هـ/١٩٩١ م، ص١٢٢)

وكذلك اعتنى أسد بن الفرات ٠(توفي عام ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) بتثقيف ابنته أسماء ، حيث كان يسمح لها بالمشاركة بالسؤال والمناظرة في مجالسه العلمية ، وقد توفيت حوالي عام ٢٥٠ هـ٨٦٤ / م . (كحاله ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ج١، ص٤٥)

أيضا هناك **المدارس** التي بدىء في إنشائها منذ منتصف القرن الخامس الهجري ، (عسيري ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ص ٢٤٠) ، حيث يشير ابن جماعة إلى أن من بين مسلمات عصور الازدهار من التحقن بالمدارس الداخلية ، فيقول في ذلك ما نصه :

"والأولى ألا يسكن المدرسة وسيم الوجه أو صبي ليس له فيها ولي فطن ، وألا يسكنها نساء في أمكنه تمر الرجال على أبوابها ، أو لها كوى تشرف على ساحة المدرسة ." (ابن جماعة ، د.ت ، ص٢٢٩)

---

[1] فسادا وريبة . (النووي في مسلم ، د.ت ، ج١ ، ص٣٢٧)

[2] نهره .(النووي ، في مسلم ، د.ت ، ج١ ، ص٣٢٧)

ونلاحظ في عبارة ابن جماعة التركيز الشديد على أهمية الفصل بين الذكور والإناث من أجل الحفاظ على الأخلاق العامة .

كذلك وجدت **البيمارستانات** ، وهي دور علاج المرضى ، والتي مثلت أماكن لدراسة الطب والتدريب العملي عليه . وقد كانت منظمة بشكل جيد حيث كان فيها أقسام للرجال ، وأخرى للنساء ، وكانت مجهزة بالآلات والعدد والمشرفين والخدم . وكان لكل بيمارستان رئيس أطباء يلقي دروسه على طلبة الطب ويأذن لمن أتم دراسته منهم بمنحه إجازة .ولم يكن يسمح له بممارسة الطب قبل امتحان معين . (مرسي ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م ، ص ٢٢٠-٢٢١)

وهناك **الأربطة** التي أقامتها الصوفية ، وجعلت فيها دروسا في الحديث والقراءات لجميع المذاهب . وكان يشترط على من يسكن الأربطة حضور هذه الدروس . (زينب فريد ، د.ت ، ص ٣٧- ٤٠)

ونجد أن كثيرات من النساء قد اعتنقن هذا المذهب منذ نشأته ، وأشهرهن رابعة العدوية[1] المتوفاة سنة ١٣٥هـ . (كحالة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ج١ ، ص٤٣٠)

ومن بين الأربطة التي كانت ببغداد :

- رباط شهدة بنت الأبري العالمة التي توفيت عام ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م .

- رباط زمرد خاتون زوجة المستضيء بالله المتوفاة عام ٥٩٩ هـ/١٢٠٢ م وقد شيدته عام ٥٧٩هـ/١١٨٣ م .

- رباط أرجوان الرومية ، والدة المقتدي بالله والمتوفاة عام ٥١٢هـ / ١١١٢م .

(عسيري ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٢٣٢-٢٣٣)

وأخيرا هناك **الدور والقصور** التي كان التعليم فيها يتم على أيدي معلمين خصوصيين و لم يكن متاحا سوى لبنات علية القوم اللاتي كن يلقين عناية خاصة من ذويهن ، حيث يحضرون لهن المعلمين ، إلى جانب أن حياة الاختلاط التي شاعت تدريجيا بين علية القوم ؛ قد مكنت لعدد غير قليل من النساء من النبوغ ، نتيجة للفرص التي أتيحت لهن في الاختلاف إلى مجالس الأدب والأندية العلمية التي كانت

---

[1] قال ابن الجوزي : كانت رابعة فطنة ، ومن كلامها الدال على قوة فهمها قولها : أستغفر الله من قلة صدقي من قولي أستغفر الله . " (كحالة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ج١ ، ص٤٣١)

تعقد في قصور الخلفاء ، والتي كان يسمح لهن بالمشاركة فيها . (زينب فريد ، د . ت ، ص ٤٧-٤٩)

ومن أبرز المتعلمات في القصور من نساء عصور الازدهار ، زبيدة بنت جعفر زوجة هارون الرشيد ، التي عني أبوها بتربيتها ، فعلمها القراءة والكتابة ، وشجعها على حفظ الأخبار والأشعار ، حتى أنها كانت تزين حيطان حجرتها بستائر موشاة بأبيات من الشعر الجميل . وكان بين جواريها مائة جارية يعرفن القراءة والكتابة ، وقول الشعر، ويحفظن القرآن الكريم . وقد كان الرشيد يستشيرها في أموره لما كان من رجاحة عقلها . ولها أثر كبير في إنشاء المدارس والمستشفيات والمساجد والمشارب. توفيت عام ٢١٦هـ ببغداد . (ابن خلكان ، د.ت ، ج٢ ، ص٣١٤ /كحاله ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج٢، ص٢٩)

وهناك أيضا هند بنت المهلب بن أبي صفرة ؛ زوج الحجاج بن يوسف الثقفي ؛ فأبوها أمير وزوجها أمير أيضا . وقد أتاح لها ذلك أن تأخذ بنصيب وافر من العلم والرواية عن أكابر العلماء ، وكانت على دراية بعلم الفقه . (كحاله ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ج٥ ، ص٢٥٤)

قال أبو أيوب السجستاني: ما رأيت امرأة أعقل من هند بنت المهلب . ومن أقوالها :

- النساء ما زين بشيء كأدب بارع تحته لب ظاهر .

- إذا رأيتم النعم مستدرة ؛ فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال .

ودخل عليها زياد بن عبد الله القرشي , فوجدها تغزل ، فقال لها :" أتغزلين وأنت امرأة أمير؟

فقالت : سمعت أبي يقول : " قال رسول الله ﷺ : أطولكن طاقة أعظمكن أجرا . وهو يطرد الشيطان ؛ ويذهب بحديث النفس ." (كحالة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص٢٥٤ - ٢٥٥)

٣- تركيز الاهتمام على الجانب الأخلاقي :

أدى الحرص على الجانب الأخلاقي للنساء إلى استحداث أمور في التربية لم تكن موجودة في عهد الرسول ﷺ مثل تحريم الكتابة والشعر على المرأة، وكذلك الحرص على تعليمها سورا معينة من القرآن الكريم . ويدل على ذلك قول الجاحظ : "لا تعلموا بناتكم الكتابة ولا تروهن الشعر،

وعلموهن القرآن ، ومن القرآن سورة النور . "(الجاحظ عن الأهـــواني ، ١٣٧٥ هـــ/١٩٥٩ م ، ص١٠٥)

كذلك نجد القابسي يقول :"يقبل في تعليمهن الخير الذي يؤمن عليهن منه ، وما خيف عليهن منه ؛ فصرفه عنهن أفضل لهن وأوجب على متولي أمرهن ." (القابسي، د.ت ، ص٢٨٩)

٤) الفصل بين الذكور والإناث :

أدت شدة الاهتمام بالناحية الأخلاقية إلى الفصل بـــين الذكـــور والإنـــاث في المؤسســـات التربويـــة ، ونجد ابن سحنون في القرن الرابع الهجري يشير إلى ذلك بقوله : " وأكره للمعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهم . " (ابن سحنون ، د.ت ، ص٣٦١)

فكأن البعض من معلمي الكتاتيب لم يكن يراعي تطبيق هذا المبدأ ، وربما كـــان ذلـــك مـــن الأسباب التي حدت من انتشار تعليم النساء في عصور الازدهار .

٥) التدرج في التعليم :

وقد أشار إلى ذلك كل من القابسي وابن سحنون ، فالقابسي يرى التدرج بالمتعلم من مقـــام الإسلام وتربيته حتى يصل إلى مقام الإحسان مرورا بالإيمان . (القابسي ، د.ت ، ص ٣٦٥-٣٧١)

أما ابن سحنون فكان من بين آرائه التدرج في تعليم سور القرآن الكريم . (ابـــن ســـحنون ، د.ت ، ص٣٥٩)

٦) التعلم الذاتي :

جرت عادة المعلمين أن يتركوا لتلاميذهم الفرصة للاعتماد على النفس في القـــراءة والفـــهم والبحث ، ومن ثم فقد كان كل منهم يسير في دروسه بحسب مستواه من الفهم ، وبحسب نوع العلم الذي يميل إليه . (الأبراشي ، د.ت ، ص٣٣)

٧) شمول المنهاج لجميع الحقول المعرفية المتاحة :

وجهت الأصول العقدية والاجتماعية اختيار منهاج تعليم مسلمة عصور الازدهار .

فتبعا للغاية الدينية من التعليم ؛ فقد شكل القرآن الكريم الأساس في المنهاج ، ثم درست علوم

النحو والعربية بعد أن شاع اللحن في المجتمع زمن معاوية بسبب انتشار الموالي في المجتمع . (الكيلاني ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٧٠)

وقد تضمن المنهاج أيضا علم الحساب لغرض ديني ، وهو معرفة المواريث وقسمة الوصايا ، حتى إذا تطور المجتمع ، أضيف إلى أسباب تعلمه غرض اجتماعي ؛ وهو ضبط الحضارة والعمران. (الأهواني ، د.ت ، ص١٠٨ ، ١٧١)

ونجد البعض قد عمد بفعل التوجهات الاجتماعية إلى منع المرأة من تعلم الكتابة والشعر . وإلى ذلك يشير القابسي بقوله :

"وأما تعليم الأنثى القرآن والعلم فهو حسن ومن مصالحها . فأما الترسل ؛ فهو مخوف عليها ، وإنما تعلم ما يرجى لها صلاحه ويؤمن عليها من فتنته ، وسلامتها من تعلم الخط أنجى لها ." (القابسي ، د.ت ، ص٢٨٩)

ويعلق القرشي على هذا الرأي للقابسي ، وعلى ما ذكرناه سابقا من رأي الجاحظ بقوله :

" وهذا الرأي يفقد الأصالة العلمية ، ولا يلتقي مع روح الإسلام وهديه ، فإن الإسلام وجه جميع أجهزته وطاقاته لإقصاء الجهل ، ومحو الأمية وجعل العلم حقا ذاتيا لكل إنسان ذكرا كان أو أنثى ، وألزم الدولة بتهيئة الفرص المتكافئة لتحصيل العلم لكل إنسان بغض النظر عن أصله وقوميته ومكانته الاجتماعية ، وأن كل إنسان له الحق في المشاركة الواسعة في جميع ألوان النشاطات العلمية والفكرية ." (القرشي ، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م ، ص١٩٣)

ثم اشتمل المنهاج على دراسة الحديث الشريف في زمن عمر بن عبد العزيز وذلك بسبب الحاجة إلى التشريع . حيث نجد أن عمر بن عبد العزيز ؛ قد أرسل إلى كبار علماء الحديث يأمرهم بنشره وتعليمه. (الكيلاني ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٧م ص٧٠)

وكانت عمرة بنت عبد الرحمن ممن أمر عمر بجمع رواياتها . (ابن سعد ، د.ت ، ج٨، ص٤٨٠)

وفيما بعد ؛ ظهرت علوم أخرى كالطب والبلاغة ، والنقد ، والشعر ، والغناء ، وذلك بحسب تطور المجتمع .

وقد أقبلت مسلمة عصور الازدهار على هذه العلوم تنهل منها بحسب الفرص التي أتيحت أمامها ؛ فكان من بين النابغات في هذه الفترة :

– **عائشة بن طلحة** رضي الله عنها : التي نشأت في أحضان بيت النبوة برعاية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فكانت على درجة عالية من العلم بالحديث وأخبار العرب وأشعارها وأيامها ، إلى جانب علمها بالفلك . (كحالة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ج٢ ، ص١٥٤)

– **عمرة بنت عبد الرحمن** رضي الله عنها : تلميذة عائشة رضي الله عنها التي كانت على علم كبير بالفقه . وقد تلقى العلم على يدها الزهري ويحيى بن معين وغيرهم . (ابن سعد ، د.ت ، ج٨ ، ص ٤٨٠)

قال ابن حبان ، كانت من أعلم الناس بحديث عائشة رضي الله عنها .(كحالة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ج٣ ، ص٣٥٦)

وقد روي أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن محمد بن حزم : " أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو سنة ماضية ، أو حديث عمرة فاكتبه . فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله . " (ابن سعد ، د.ت ، ج٨ ، ص٤٨٠)

– **نفيسة بنت حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب** : ولدت بمكة سنة ١٤٥هـ/٧٦٢ م ، ونشأت بالمدينة وحفظت القرآن الكريم وتفسيره . ويروى أن الإمام الشافعي لما دخل مصر حضر إليها وسمع عليها الحديث . (كحالة ، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م ، ج٥ ، ص١٨٧)

– **أخت الحفيد بن زهر** : وقد كانت عالمة بصناعة الطب والمداواة ، وكانت تدخل على نساء المنصور أبي يوسف ، ولها خبره جيدة بمداواة النساء . " (كحالة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ج١ ، ص٢٧٨)

ونجد جوستاف لوبون في "حضارة العرب" يشيد بالمستوى العلمي الذي وصلت إليه مسلمة عصور الازدهار حيث يقول :

" ومن الأدلة على أهمية النساء أيام نضارة العرب ؛ كثرة من اشتهر منهن بمعارفهن العلمية والأدبية . فقد ذاع صيت عدد غير قليل منهن في العصر العباسي في الشرق ، والعصر الأموي في إسبانية . "(لوبون ، د. ت ، ص٤٠٣–٤٠٤)

المبحث السادس

تربية المرأة في عصور الركود والتقليد

ابتدأت فترة الركود والتقليد بعد فترة الازدهار والانتشار ، فعاش الفكر الإسلامي فترة انعزال وجمود وركود .

وفي هذه الفترة من التاريخ الإسلامي توقفت النظرة الاجتهادية ، وظهر التقليد ومعارضة الاجتهاد (الكيلاني ن ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص١٣٢) ،و أصبحت التربية الروحية مجرد بحوث جدلية ، وشاعت الخلافات المذهبية ، وانحصرت العلوم في اللغة العربية والعبادات المذهبية بعيداً عن العلوم الكونية . (عبد الحميد الهاشمي ، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م ، ص٢٩) . و استمر الركود والتقليد حتى مطلع العصر الحديث ؛ حيث بدأت محاولات إعادة صياغة الفكر الإسلامي من جديد .

وقد وجهت الأصول الاجتماعية تربية المرأة المسلمة في عصور الركود والتقليد ، وذلك ما سوف نوضحه من خلال البحث فيما يلي : -

١- الحالة الفكرية للمجتمع الإسلامي في عصور الركود والتقليد .

٢- تعليم المرأة المسلمة في عصور الركود والتقليد .

٣- المبادئ التي وجهت تربية مسلمة عصور الركود والتقليد .

أولاً: الحالة الفكرية للمجتمع الإسلامي في عصور الركود والتقليد :

طالب العلماء في بداية القرن الرابع الهجري بوقف باب الاجتهاد ، الأمر الذي أثر سلبياً على نمو العلوم في مختلف المجالات ، وذلك بسبب ما ساد العلماء وطلاب العلم في تلك الفترة من مظاهر التقليد والحزبية المذهبية (الندوي ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ، ص ٢٨١) ، وما طرأ على الفكر الإسلامي من أفكار ومعتقدات ضالة ، وضيق في مفهوم المنهاج . وتفصيل ذلك كالتالي :

١- شيوع ظاهرة التقليد :

بدأت هذه الظاهرة في البروز منذ نهاية عصور الازدهار . ونجد الغزالي يشير إلى ذلك بتوجيهه النقد إلى المقلدين ؛ الذين كانوا يقلدون أصحاب المذاهب في الظاهر فقط ، في حين أنهم يخالفونهم في

أعمالهم وسيرهم . (أبو حامد الغزالي ، د.ت ، ج١ ، ص٢٥) وقد اعتبر الغزالي ذلك دليلا على قلة البصيرة . (الكيلاني ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص١٧٢)

ثم نأتي إلى عصور الركود والتقليد ؛ حيث نجد من بين العلماء من نادى بالتقليد ، والتزام التراث السلفي ، ومن بينهم الزرنوجي الذي كان من أقواله : "عليكم بالعتيق وإياكم والمحدثات . "

(الزرنوجي ، ١٤٠١هـ/١٩٨١ م ، ص٧١)

ونتبين مدى مجانبته للصواب حين نعرف أنه كان ينادي بالتزام طريقة السلف وأسلوبهم في كل شيء ، حتى في الحبر الذي كانوا يكتبون به ، حيث نهى عن استخدام الحبر الأحمر لأنه من صنيع الفلاسفة .يقول في ذلك ما نصه : " وينبغي أن لا يكون في الكتاب شيء من الحمرة ، فإنه من صنيع الفلاسفة لا صنيع السلف ، ومن مشايخنا من كرهوا استعمال المركب الأحمر . " (الزرنوجي ، ١٤٠١هـ/١٩٨١ م ، ص ٨٥)

وبالمقابل نجد من علماء هذا العصر من أدرك خطأ التقليد وحذر منه وبين أخطاره ، ومنهم الإمام الماوردي . (الماوردي ، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م، ص٥٣) ، وشيخ الإسلام ابن تيمية .

(الكيلاني ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص١٤٥ ، ص٢٠١)

ومما أدى إلى تكريس التقليد ؛ إلغاء حرية التعليم ، حيث أصبحت الدولة تشرف عليه ، وترعى مؤسساته ، وتعين المعلمين ، وتقرر المناهج . فأصبح المعلمون مجرد موظفين ، الأمر الذي جلب إلى مهنة التعليم البعض من طالبي الدنيا . (الكيلاني ،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص١٧٩-١٨١)

وقد بلغ التقليد في هذا العصر درجة عظيمة ؛ حيث وجد هناك من رأى بأن التدريس في المسجد أفضل من المدرسة لأن السلف لم يعهدوا المدارس ، كما وجد أيضا من دعا إلى الانكباب على تراث السلف دون زيادة أو تطوير ، لأن علومهم تلبي حاجات كل تطور ، بل زادوا ؛ فرموا كل داع إلى التجديد بالجهل والانحراف . (الكيلاني ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص٢١٤-٢١٥)

٣-إنتشار الحزبية المذهبية :

وجه التعصب المذهبي مؤسسات التعليم التي انتشرت ، فكان لكل مذهب مدارسه إلى جانب الأربطة والزوايا التابعة له . وكان كل مذهب يحدد للمنهاج التربوي تصورا جزئيا لا يخرج عن حدود الإطار العام للمذهب . (الكيلاني ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص١٧٨-١٧٩)

ونجد من علماء هذا العصر من ندد بالتحزب ، وابرزهم ابن تيمية الذي كان من ضمن أقواله: " وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء . وليس لأحد منهم أن يأخذ العهد على أحد بموافقته على كل ما يريده ، وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه . "

(ابن تيمية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ج ٢٨ ، ص ١٥ -١٦)

٣- تسرب الأفكار والمعتقدات الضالة :-

وقد حدث ذلك عن طريق الترجمة ، ومن بين من انتقد ذلك ابن تيمية ، الذي أوضح بأسلوب علمي ؛ أن مهمة التربية إنما تتمثل في تصحيح الأخطاء التي لحقت بالمجتمع جميعها ، للعودة إلى ما كان عليه السلف من أصول صحيحة . (ابن تيمية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ج١١ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦)

٤- ضيق مفهوم المنهاج :

إلى جانب مناداة العلماء بالتزام التراث ؛ أصبح هناك تركيز على علوم الدين واللغة العربية ، وأصبحت العلوم الطبيعية والاجتماعية ينظر إليها بعين الارتياب ، مما حصر المعرفة في مجرد ترديد معارف السلف ، أو شرحها ، أو تلخيصها . وأصبح الإقتداء هو أبرز العلوم العقلية . (الكيلاني ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص١٨٤-١٨٦ ، ص٢١١-٢١٢)

ومما ظهر في هذا العصر ؛ نظم مؤلفات السلف في قصائد شعرية ، كما ظهرت الحواشي التي تكتب على الشروح . فأصبح المنهاج يقوم على تدريس الشروح والتلخيصات والمنظومات الشعرية والحواشي . واستمر هذا الضيق ؛ حتى آل المنهاج إلى شرح كتب الأقدمين وهو الحواشي ، وشروح توضح الغامض ، وهي التقرير . وأصبح التعليم يدور حول المتن والشرح والحاشية والتقرير . (الكيلاني ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص٢٣٤-٢٣٩)

فهذه المظاهر التي تميز بها الفكر الإسلامي في عصور الركود والتقليد بصفة عامة ؛ قد أثرت على تعليم المرأة في هذا العصر بصورة أكبر بكثير ؛ حيث حصرته في مجرد قراءة القرآن ، وبعض أمور الدين ، وشيئاً من الحساب في الغالب كما سنرى لاحقاً .

ثانياً : تعليم المرأة المسلمة في عصور الجمود والتقليد :

نتيجة للغلو في تطبيق قاعدة سد الذريعة ؛ وضعت قيود كثيفة على حياة المرأة بعد عصر الرسالة الذي نعمت فيه المرأة بكامل الحقوق التي منحها إياها الخالق . وقد بلغ الغلو درجة من

التطرف جعلت من المسلمين من يأنف من التصريح باسم زوجته أو أخته ، ويغار من ذكره ولو لحاجة عارضة .(أبو شقة ، ١٤١٠ هـ /٠ ١٩٩ م ، ج٣ ، ص١٨٤-١٨٨ ، ص٢٠٧)

وقد بدأت مؤشرات انحراف المسلمين عن تعاليم دينهم في معاملتهم للمرأة بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة ، وأول ما تمثل في المناداة بمنعها من المسجد الذي نهى الرسول ﷺ عن منعها منه .

وقد استدل القائلون بالمنع من ضمن ما استدلوا به قول عائشة رضي الله عنها الذي روته عمرة بنت عبد الرحمن ، حيث قالت : " لو أن رسول الله ﷺ رأي ما أحدث[1] النساء لمنعهن المسجد كما منعت بني إسرائيل ." (مسلم ، د.ت ، ج١ ، الصلاة/٣١ ، ص٣٢٩)

فالقائلون بالمنع – كما يقول أبو شقة – قد نسوا بأن الشريعة لا ينسخها كلام أحد من الناس مهما ارتفعت منزلته . (أبو شقة ، ٤١٢٠ هـ /١٩٩٠م ، ج٣ ، ص ٣٥) ، إلى جانب أن عددا من العلماء قد جاء بكلام جيد في تأويل قول عائشة رضي الله عنها ومن ذلك قول الحافظ ابن حجر :

> "و..تمسك بعضهم بقول عائشة في منع النساء مطلقا ، وفيه نظر ، إذ لا يترتب على ذلك تغيير الحكم ، لأنها علقته على شرط لم يوجد بناء على ظن ظنته فقالت : " لو رأى لمنع . " فيقال عليه : لم ير و لم يمنع . فاستمر الحكم حتى أن عائشة لم تصرح بالمنع وإن كان كلامها يشعر بأنها كانت ترى المنع . وأيضا فقد علم الله سبحانه ما سيحدثن فما أوحى إلى نبيه بمنعهن ولو كان ما أحدثن يستلزم منعهن من المساجد لكان منعهن من غيرها كالأسواق أولى . وأيضا فالإحداث إنما وقع من بعض النساء ، لا من جميعهن فإن تعين المنع فليكن لمن أحدثت . والأولى أن ينظر إلى ما يخشى منه الفساد فيجتنب لإشارته ﷺ إلى ذلك بمنع التطيب والزينة[2] .." (ابن حجر ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ج٢ ، ص٦٢٤)

وعلى الرغم من أن البعض هو الذي أخذ بهذا التشدد في تعامله مع المرأة خاصة في القرون الأولى ، وهو معلوم من الحرية التي كانت تنعم بها المرأة في ظل خير القرون ، إلا أنه ومع توالي القرون ؛ قد ازداد البعد عن هدي الله في شأن المرأة ، حيث دخلت على المسلمين تصورات باطلة منافية لما شرعه الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بالمرأة .

---

[1] يعني من الزينة والطيب وحسن الثياب . (النووي ، في مسلم ، د .ت ، ج١ ، ص٣٢٩)

[2] للمزيد أنظر (أبو شقة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، ج٣ ، ص٣٥ ، وما بعدها)

من ذلك ما جاء في مصنف ابن أبي شيبة مما يشير إلى الغلو الشديد في معاملة المرأة بما ينافي شرع الله ومما جاء فيه :[1]

١- من كره أن تؤم المرأة النساء . (ابن أبي شيبة ، ج١،٥٣٧)

٢- من كره خروج النساء إلى العيدين . (ابن أبي شيبة ، ج٢ ، ص٨٨)

٣- من كره خروج النساء إلى المسجد . (ابن أبي شيبة ، ج٢ ، ص٢٧٦)

كذلك شاعت بين المسلمين روايات وأحاديث إما موضوعة أو قريبة من الوضع ، انتهت بالمرأة إلى الجهل التام ، حيث أصبح تعليمها معصية ، وإطلاعها على شؤون المسلمين أمر لا يخطر على بال .

لقد تجرأ وا ضعوا الأحاديث على وضع أحاديث تخص أمور العقيدة ، ومن ثم فما من شك في أنهم كانوا أكثر جرأة في وضعهم الأحاديث عن المرأة ؛ مما كان له أسوأ الأثر في تشويه صورة المرأة في أذهان كثير من المسلمين ، لأنها تحذر من شر المرأة ، وتؤكد أنها أصل البلاء وسبب الشقاء للرجل ، ومنها ما يؤكد أهمية سوء الظن بها ، ومخالفتها ، ومنها ما يأمر بإذلالها واحتقارها حتى لا تقاوم الرجل ، ومنها ما يحط من قدر الجميلات أو السوداوات ، ومنها ما يحط من قدر المنجبات ، ومنها ما يذم غير المتزوجات ...الخ .

ومن بين هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة :[2]

١- شاوروهن وخالفوهن : مع أن الرسول ﷺ قد أخذ بمشورة أم سلمة يوم الحديبية . قال الألباني: "لا أصل له . " (الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، ج١، ص٤٢٩)

٢- الطيرة في الدار والمرأة والفرس : وهذا حديث ضعيف حيث قال فيه الألباني : " هذا مختصر من الحديث الصحيح : " إن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس . والحديث يعطي بمفهومه أن لا شؤم في شيء لأن معناه لو كان الشؤم ثابت في شيء ما لكان ثابتاً في هذه الثلاثة . "

(الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م ، ج١ ، ص ٤٢٩)

---

[1] أنظر في ذلك أبو شقة ،١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، ج٣ ، ص٣٥ وما بعدها

[2] هذه الأحاديث والتعليق عليها مأخوذة عن (القيسي ،١٤١١هـ/١٩٩١ م، ص١٥٩ -١٦٩)

ويؤيد ذلك قول الرسول ﷺ " لا طيرة ولا هامة ولا صفر . "(ابـــن ماجـــة ، د.ت ، ج٢، الطب / ٤٣، ص ١١٧١) حيث ينهى عن التشاؤم والتطير ويذكر بعض ما كانوا يتطيرون به في ذلك العهد .

٣- الحديد في ناحيـــة البيت خير من امرأة لا تلد .

٤- تخيروا لنطفكم واجتنبوا هذا السواد فإنه لون مشوه :(الألباني ، سلســـلة الأحـــاديث الضعيفـــة ،١٣٩٩ هـــ/١٩٧٩ م ، ج ٣، ص٢٧)

٥- دفن البنات من المكرمات : قال الألباني : "ضعيف" ، (الألباني ، سلسلة الأحـــاديث الضعيفـــة ، ١٣٩٩ هـــ/١٩٧٩ م ، ج٣ ، ص ١٥٥)

٦- طاعة المرأة ندامة : " موضوع " (الألباني ، سلسلة الأحاديث الضعيفة ،١٣٩٩ هـــ/١٩٧٩ م ، ج٤ ، ص٨)

٧- هلكت الرجال حين أطاعت النساء :"ضعيف" (الألباني ، سلسلة الأحـــاديث الضعيفـــة،١٣٩٩ هـــ/١٩٧٩ م، ج٦ ، ص ٤٣)

٨- لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابـــة وعلموهن الغزل وسوره النور :"موضوع" .(ابـــن الجوزي ، ١٣٨٦ هـــ/١٩٦٦ م ، ج٢ ، ص٦٩٩)

وهكذا دفعت عامه النساء دفعاً للبقاء في الجهل محرومات من نور العلم . بل إن الفتيات كـــن إذا ما تجرأن على الخروج لطلب العلم بفضل تشجيع الأهالي والمقربين ؛ يقابلن بملاحظات قاســـية من قبـــل الآخرين ، خاصة النساء اللاتي كن يقابلنهن في طريق الذهاب أو العودة من وإلى المؤسســـات التعليمية العالية التي وجدت آنذاك . بل إن من بين المتعلمات من كانت تتلقى تهديدات بهدف منعهـــا عن إكمال مشوارها التعليمي ، وقد حدث هذا مع عنبرة الخالدي المولودة في عـــام١٣١٥ هـــ/ ١٨٩٧م بلبنان ، والتي بعد إنهاء دراستها في الكتاب ، انضمت إلى مدرسة تنتمـــي لجمعيـــة ثمـــرة الإحسان ، وكانت في العاشرة من عمرها حين بدأت تتسرب إلى سمعها كلمات تهديـــد وملاحظات قاسيـــة ، من نساء يصادفنها في الشارع ، فيعبرن عن عدم رضاهن بخروجها لنيـــل العلـــم خـــارج المـــنزل . (نصر الله ، ١٤٠٦هـــ/١٩٨٦م ، ج١ ، ص٢٤٩-٢٥٠)

وحدث ذلك أيضا بصورة أخرى مع الأميرة العمانية سالمة بنت سعيد بن سلطان [1] ، وذلك أن تعلم الكتابة كان ممنوعا على البنات في جميع البلاد الإسلامية بصفة عامة ، وقد شعرت الأميرة برغبة ذاتية في تعلمها ، فعمدت إلى ذلك سرا عن ذويها ، فلما انكشف أمرها لاقت الكثير من اللوم والتقريع والسخرية والاستهزاء ممن حولها . وتصف هي ذلك فتقول :

" بدأت أتعلم الكتابة بنفسي وبطريق بدائي جدا ، وكان علي أن أعمل هذا بالسر والكتمان فما يجوز لامرأة أن تتعلم الكتابة أو تعلن معرفتها بها ، وكانت دروسي الأولى أن أحاول محاكاة حروف القرآن على عظم بعير، وهو يقوم في زنجبار مقام السبورة . وقد شجعني نجاحي على الاستمرار في المحاولة والتوفيق فيها . ولكن بعد مرحلة معينة كان لابد من وجود معلم يعلمني أصول الخط ، وقد عهدت إلى أحد عبيدنا المتعلمين شرف تعليمي أصول الخط . ولكن أمري سرعان ما انكشف للجميع ، فثارت علي زوابع اللوم والتقريع وحملات السخرية والاستخفاف ، ولكني لم أحفل بها و لم تفل عزيمتي شيئا ، فمضيت في دروسي حتى أتقنتها . ولست الآن بآسفة على تلك الساعات الطوال التي قضيتها في هذا الدرس ، فالكتابة الآن هي وسيلتي الوحيدة للاتصال بالقلائل من أصدقائي الأوفياء المخلصين في وطني البعيد ." (سلطان ، د.ت ، ص ١٠٤)

وعلى النقيض من موقف المحيطين بالأميرة سالمة ؛ نجد موقف المحيطين بالأميرة عائشة ؛ ابنة السلطان عبد الحميد الثاني ، وعلى رأسهم والدها ووالدتها . فقد بذل الجميع كل ما في وسعهم من أجل جذبها للعلم ، ووفروا لها الجو الملائم لذلك .

فبعد أن وصلت الأميرة عائشة إلى مرحلة التحصيل ، عرضت أمها الأمر على والدها الذي رتب أمر تعليمها هي وإحدى أخواتها معا ، وقامت الأم بإعداد حقيبتها المدرسية ، واتخذت جميع

---

[1] سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان أميرة شرقية ابنة سلطان عربي ؛ خرجت على دين قومها وتقاليدهم ، وتزوجت شابا ألمانيا ، وهجرت وطنها من أجله . عاشت في ألمانيا ، واستبدلت اسمها باسم أعجمي هو البرنسيس أميلي روث ، ثم عادت إلى ديارها بعد عشرين عاما ، لكن أغلقت الأبواب أمامها . ولدت بين عامي ١٨٤٤م و١٨٤٥م / ١٢٦٠ و ١٢٦١ هـ ـ وخرجت من عمان في عام ١٨٦٦م/ ١٢٨٢ هـ ، وتوفيت عام ١٩٢٢م / ١٣٤١ هـ وهي في حوالي الثمانين ، وزارت بلادها عام ١٨٨٥م / ١٣٠٣ هـ . (سلطان ، د .ت ، ص٩ ، ص ٤٨)

ولا ترى الباحثة من سبب لهذه المأساة سوى الجهل الذي أعمى هذه الأميرة عن رؤية الحق الذي تنعم به ، لتتركه إلى الباطل ؛ حيث ارتدت عن الإسلام من أجل تحقيق شهوة النفس .

الاستعدادات لذلك ، مما أدخل على قلب الابنة الفرح والسعادة بما هي مقبلة عليه ، ونجدها تعبر عن تلك الفرحة التي غمرتها بقولها :

" وكانت فرحتنا بلا حدود ، أعدت لي والدتي حقيبة المدرسة ، وكانت من القطيفة البنفسجية الرائعة المطرزة بخيوط الفضة ، وضعت فيها كتاب الأبجدية المذهب والأهلة[1] الذهبية ذات الأطراف الماسية . ولأنني كنت أحب اللون البنفسجي كثيرا ؛ فقد أعدوا لي حقيبتي منه . واختاروا يوم الخميس الأول من شهر المولد النبوي (ربيع الأول) وسلمونا إلى المربية في هذا اليوم حتى نبدأ باسم الله ، ومضينا إلى حجرة الدرس وجميع العاملين في السراي يقفون عند باب الحريم لتوديعنا وهم يقولون : " يفتح الله عليكن ، كما كان الأغوات عند السلاملك والعمال الآخرون في السراي يرددون نفس الدعاء ."

ويبدوا إدراك الأم لأهمية تعلم ابنتها ؛ من هذه الاستعدادات التي اتخذتها ، وكذلك من نصحها لابنتها بطاعة المعلم الذي يفوق فضله فضل الأبوين. (أوغلي ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، ص ٢٠٠-٢٠١)

كما يبدو اهتمام الوالد أيضا من الترتيبات التي أعدها لتعليم ابنته ، وكذلك من التشجيع الذي لم يكن يبخل به على ابنته . فبعد أول درس لها ؛ تذكر الأميرة عائشة أنها قد ذهبت لتقبل والدها الذي شجعها وأختها بقوله : " اليوم بدأتن الدروس ، هل صحيح ؟ إن شاء الله تدرسن جيدا ، وعلي المقابل ." (أوغلي ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ص ٢٠٠-٢٠١)

ثم نجدها بعد أن تعلمت الكتابة ؛ يطلب منها معلمها كتابة دعاء لوالدها لتعرضه عليه ، ثم يضع الورقة المكتوبة في مظروف كبير لتقدمه لوالدها عقب تهنئته في ذكرى جلوسه على العرش . وتصف عائشة الموقف بقولها :

" والتزمت هذا الأمر ، فدخلت والورقة بيدي ، ثم قبلت يده وقدمتها إليه ، فتناولها الوالد ، وضحك ، ثم فتحها وقرأ ما فيها ،... وبعدها جذبني إليه وقبلني من الوجنتين ، ومسح على رأسي ثم قال : " أحسنت يا ملاكي ! كتبتها بأجمل ما يكون ، أشكرك ، إنك تتقدمين ، ما شاء الله" ، ويومها فرحت كثيرا ، وأعرب معلمي عن فخره بي. وبعدها أنعم عليه السلطان ، وأرسل من ينقلون إليه شكره على حسن اجتهاده مع الأميرات ، وجعلت أمي هذا الخط في إطار لازلت أحتفظ به حتى الآن تذكارا . " (أوغلي ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، ص١٥٥ -١٥٦)

---

[1] تطلق كلمة (هلال) على الأعواد الرفيعة التي تصنع من العظام والعاج والفضة وغيرها لاستخدامها في الإشارة إلى حروف الهجاء للأطفال المبتدئين في تعلم القراءة والكتابة . (أوغلي ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، ص ٢٠٠)

وقد كان التعليم المتخصص للنساء في عصور الركود والتقليد غير متيسر إلا للقلة ممن ينتمين إلى علية القوم ، أو ممن أتاح لهن القدر الانتماء إلى بيئة علمية أو تهتم بالتعليم ، في حين كانت غالبية النساء يتلقين تعليما بسيطا في الكتاتيب .

لقد كان الآباء من المتعلمين يهتمون كثيرا بتعليم بناتهم ؛ خاصة إذا ما وجدوا لديهن استعدادا لذلك ، فيحضرون لهن المدرسين إلى المنزل .

فنجد في بداية هذه العصور ؛ شهدة الدينورية ، التي اعتنى أبوها المحدث أبو نصر أحمد بن الفرج الدينوري بتعليمها ، (يوسف ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣، ص ٥٩) ، وفي نهايته نجد في السودان مريم بنت الحاج عطوة ، التي اعتنى والدها الفقيه عطوة المغربي بتعليمها ؛ حيث علمها الفقه ، وكذلك أم كلثوم بنت القرشي ؛ والدها العالم القرشي ود الزين الذي بلغ درجة عالية من العلم . (الطيب، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص ٢٥٣-٢٥٤)

كذلك نجد زينب فواز المولودة بين عامي ١٢٦٢- ١٢٧٧هـ / ١٨٤٥- ١٨٦٠م ؛ قد شجعها صديق العائلة حسن حسني الطويراني (صاحب مجلة النيل) على قراءة الأدب والشعر وتعلم التاريخ . وهدى شعرواي ؛ كانت أمها على قدر من الوعي جعلها تدرك أهمية تعليم ابنتها ؛ فأحضرت لها مدرسين في المنزل لتعليمها العربية والتركية والفرنسية والموسيقى . وعنبرة سلام الخالدي ، كان أبوها زعيم قومه ، وكانت أمها متعلمة ، وهو أمر نادر في زمانها . فشجعها والدها على التعلم في المدرسة الأولية عند الشيخة، ثم في مدرسة جمعية ثمرة الإحسان ، وكذلك شجعها على التعلم أحمد مختار بيهم ؛ الذي كان يقدم جوائز تشجيعية للطالبات المتفوقات . وفيما بعد أحضر والدها لها كبار الأساتذة للإشراف على تعليمها في المنزل ، منهم الشيخ عبد الله البستاني الذي علمها قواعد اللغة العربية وآدابها ، وذلك فيما بعد عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م . وكان هذا المعلم في حدود السبعين من عمره ، وقد رضي أن يقوم بالمهمة أداء لحق الصداقة بينه وبين والد عنبرة . كذلك أحضر الوالد لعنبرة معلمة لتدريسها اللغة الفرنسية ، وقسيسا يدعى الأب يوسف الزهار ليدرسها العلوم ، ومعلمات ليدرسنها الموسيقى . (نصر الله، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ج١ ، ص ١٤٩-١٥٠، ص ٢٠٥-٢٥١)

أما سنية حبوب المولودة عام ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م ؛ فقد كانت أمها تجهل القراءة والكتابة ، لكنها سعت إلى تعويض ما لديها من نقص في أبناءها ، لذلك نجدها وزوجها قد شجعا أبنتهما على طلب العلم ، حيث ألحقها أبوها وهي لم تكمل عامها الثالث بعد ؛ بمدرسة الشيخ عمر في بيروت . (نصر الله ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ج١، ص ٢٦٢)

وإلى جانب تشجيع الآباء والمقربين ؛ تأثر تعليم البنات في هذه الفترة أيضا بالمستوى المعيشي للأسرة . فنجد أن من بين المبرزات في العلوم من ينتمين إلى الطبقات العليا في المجتمع . فعنبرة الخالدي ؛ أبوها زعيم قومه ، ولذلك أتيحت لها فرصة الدراسة بالخارج . وكان لذلك أثره في إثراء ثقافتها . (نصر الله ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ص ٢٥١)

وعائشة أوغلي ؛ ابنة السلطان عبد الحميد الثاني ، رتب والدها أمر تعليمها على أيدي معلمين خصوصيين ؛ وهما كاتب السر حسيب أفندي ؛ للقرآن واللغة العربية واللغة الفارسية ، وكاتب الشفرة الخصوصي كامل أفندي ؛ للغة التركية والقراءة والقواعد العثمانية والحساب والتاريخ والجغرافيا . (أوغلي ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١، ص ٢٠٠)

ومع نهاية عصور الركود والتقليد ، وبعد أن دخل الاستعمار في البلاد الإسلامية ؛ أقيمت هناك المدارس المختلطة للأطفال من الذكور والإناث ، والتي أسهمت بدورها في تعليم المرأة المسلمة .

ففي السودان بدأ المنصرون نشاطهم منذ عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م ، وأقاموا مدارس مختلطة للأطفال تعلم القراءة والكتابة والحساب وصناعة الخشب والبناء والرسم والغناء والموسيقى . وقد تعلمت المرأة في السودان ، وتدرجت في تعلم اللغات الأجنبية أيضا . ونجد المنصرين هناك قد ابتكروا طريقة الطواف على البيوت ، بعد أن كان مجهودهم محصورا في مراكزهم وفي الكنائس ، حيث عرفوا أن التقاليد لا تسمح بخروج المرأة في وضح النهار في بعض الأماكن ، لذلك قامت المنصرات بتعليم النساء في بيوتهن فن الطبخ والخياطة والتطريز ، إلى جانب مبادئ الكتابة والقراءة والحساب . وقد تقبلت كثير من الأسر هذا النمط من التعليم .كذلك أسهمت المنصرات في تعليم كثير من الإماء بعد تحريرهن ؛ فن التوليد والتمريض شفويا . (بدري ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٥)

وندرك من ذلك كيف أن حرمان المرأة من حقوقها المشروعة ؛ يفتح المجال للآخرين لتحقيق أغراضهم في المجتمعات الإسلامية تحت غطاء الحقوق المشروعة .

ويلاحظ مما سبق أن دور الأم في تعليم البنت كان ضئيلا أو منعدما في الغالب ، وذلك بسبب قلة الأمهات المتعلمات تعليما عاليا ، ومحدودية علم الغالبية منهن ، لذلك لم نجد سوى القليل من الأمهات اللاتي شجعن بناتهن على طلب العلم .

ومما يؤسف له أن محدودية علم الأم قد كانت تقف حائلا أمام رغبة ابنتها في طلب العلم في بعض الأحيان ، كما حدث مع عائشة التيمورية التي كانت أمها تصر على تعليمها شئون المنزل وفن

الحياكة ، في حين كانت هي تنفر من ذلك رغبة في تعلم الأدب والفكر، فكانت دائما ما تنسل من مجالس النساء ؛ حيث التطريز وشئون المنزل ، إلى مجالس أبيها العامرة بأهل الفكر والأدب . وقد وجدت التشجيع من والدها الذي وقف مع ابنته ؛ حين لم تكتف أمها بالكلام بل هددت وتوعدت ، فحسم الموقف بقوله : " احذري من أن تكسري قلب هذه الصغيرة ، وأن تثلمي طهره ، وما دامت ابنتنا ميالة بطبعها إلى المحابر والأوراق ، فلا تقفي في سبيل ميلها ورغبتها وتعالي نتقاسم بنيتينا : فخذي (عفت) وأعطني (عصمت) ، وإذا كانت لي من عصمت كاتبة وشاعرة فسيكون ذلك مجلبة الرحمة لي بعد مماتي ... " وعصمت هو الاسم الذي اختارته عائشة فوقعت به ديوانها باللغة التركية . (زيادة ، ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م ، ص٦١)/(نصر الله ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج١، ص ١٤١-١٤٢)

ثالثا: مبادئ وجهت تربية المرأة في عصور الجمود والتقليد:

من المبادئ التي وجهت تربية مسلمة عصور الركود والتقليد :

١- التعلم الذاتي :

وذلك أن الرغبة في مواصلة التعليم ؛ لم تكن تفرض من قبل القائمين عليه ؛ بل كانت تعتمد على المتعلمات أنفسهن ومدى حرصهن على مواصلة التعليم .

وقد رأينا كيف أن سالمة بنت سعيد ؛ الأميرة العمانية ، قد بذلت مجهودا كبيرا لتعلم الكتابة بنفسها وبطريقة بدائية جدا. وهناك أيضا عائشة التيمورية التي ولدت عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م ؛ نجدها في فترة من فترات حياتها تشعر برغبة في تقوية لغتها العربية ، ومن ثم تحضر من يعينها على ذلك، وفيما بعد نجدها بعد وفاة ابنتها " توحيدة" ؛ تقبل على تعلم الحديث النبوي وتفسير القرآن الكريم . (نصر الله ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ج١، ص ١٤٣ـ ١٤٦)

٢- الجمع بين الذكور والإناث في مراحل التعليم الأولي:

فقد كان المجتمع بصفة عامة يتقبل تعليم الذكور مع البنات في مرحلة الدراسة الأولية بالكتاب .

ولذلك وجدنا العديد من الكتاتيب تضم خليطا من الذكور والإناث ، كما في كتاب الشيخ عمر ببيروت في أوائل القرن العشرين (نصر الله ١٤٠٦هـ/ـ١٩٨٦م، ج١، ص ٢٦٢) ، وكما هو الحال في كثير من الخلاوي (الكتاتيب) التي وجدت في أنحاء متفرقة من السودان (الطيب ،

١٤١١هـ/١٩٩١ م ، ص٢٥٠) ، وكذلك في مدغشقر ؛ حيث كان الأولاد من الذكور والإناث يرسلون إلى الكتاب في السادسة من العمر ليدرسوا معا ، ولا يفصل بينهم إلا في سن البلوغ (ستودارد ، ١٣٩٣/ ١٩٧٣م ص ١٥٣) ، وكذلك في زنجبار ؛ كان يسمح لبعض المعلمين بتعليم البنات الصغيرات فقط ، خاصة في العوائل الميسورة . (سلطان ، د.ت ، ص ١٢٥-١٢٧)

لكن المجتمع لم يكن يتقبل هذا الخلط أبدا بالنسبة للفتيات البالغات ، بل كان يقابله بالاعتراض الذي قد يصل إلى درجة التهديد للفتاة التي تتعلم مع الذكور خاصة ، بعد أن وجدت المدارس والجامعات المختلطة في ظل الاستعمار .

ولذلك وجدت سنية حبوب رسائل التهديد تصلها من قبل المعترضين على انضمامها إلى جامعة البنين لتلقي بعض صفوف العلوم والرياضيات التي لم تكن متوفرة في كلية البنات التي كانت تدرس بها ، على الرغم من التزامها بالحجاب ؛ الأمر الذي جعل بعض أساتذتها يرافقونها عند خروجها من الجامعة حتى تصل إلى الكلية . (نصر الله ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦، ج١، ص ٢٦٣)

٣- إعداد الفتاة لتكون ربة بيت :

فبعد أن تنتهي الفتاة من مرحلة الدراسة الأولية في الكتاب ؛ غالبا ما كان يفرض عليها البقاء في المنزل لتواصل تعلم ما تحتاجه في المستقبل باعتبارها ستصبح زوجة وأما .

ففي تونس كانت جميع الفتيات يتدربن على أعمال الإبرة ؛ من خياطة وتطريز . وكان ذلك يتم بهدف إعداد الفتاة لكي تهيئ بنفسها جهاز منزلها وثياب عرسها . وتتعلم الفتاة ذلك إما في المنزل على يد والدتها أو على أيدي معلمات ماهرات ، مقابل عوائد تؤخذ من ذوي الفتاة في مواسم معينة . (الحداد ، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م ، ص ١١٨)

وقد كان ذلك منتشرا في كثير من البلاد الإسلامية ، ويشير إلى ذلك في مصر ؛ ما كان يحدث من أم عائشة التيمورية من إصرار على تعليم ابنتها شئون المنزل وفن الخياطة ، لأنها تعتبر " أن المنسج هو أداة النساء وأستاذ المعارف لبنات حواء " ، ولما رأت نفور ابنتها من ذلك ظنت أن في طبعها شذوذا ، فكانت " تسأل الله عليها صبرا ، ولها معونة . " (نصر الله، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ج١، ص ١٤١)

ونجد فن التطريز والخياطة قد أصبح جزءا من المنهج في المدارس التركية في ظل الحكم العثماني .

(عمارة ، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م ، ص ٧٥)

٤- الإيمان بالخرافات والدجل والشعوذة :

فقد شاعت الخرافات في هذا العصر كما أشرنا سابقا ، وانتشرت بين العامة الذين أخذوا يعالجون الأمور بغير أسبابها . وأكثر من تأثر بذلك هو المرأة ، وهو أمر ظاهر في سلوكياتها المختلفة في واقع حياتها .

فنجدها مثلا بدلا من معالجة الحسد بالرقية التي علمنا إياها رسول الله ﷺ ؛ تعمد إلى الحجب والتمائم ، وبدلا من الاهتمام بالصحة وقواعدها ؛ تلجأ إلى الدجل الشعوذة . وقد سيطرت الخرافات على عقول النساء في هذا العصر بدرجة " تصعب مقاومتها " على حد تعبير سالمة بنت سعيد . (بن سلطان ، د.ت ، ص ٢٤٤)

من ذلك أن النساء في زنجبار ؛ كن يعمدن إلى ربط حجاب إلى ذراع الطفل الأيسر في حالة الحسد . وكان هذا الحجاب يحوي بصلة أو ثومة أو عظما أو صدفة ، وهذا بالنسبة لعامة الناس . أما الطبقة العليا من المجتمع فقد كان أفرادها يستعيضون عن الحجاب بآيات قرآنية منقوشة على قطع من الذهب أو الفضة تدلى من العنق بسلسلة . وكان الصرع عندهم ؛ يعالج بعزل المريض في غرفة مغلقة مليئة بأنواع البخور من أجل طرد الأرواح الشريرة . (بن سلطان ، د.ت ، ص ٩٨، ص ١١٩)

وقد كان الاعتقاد بقدسية بعض الأماكن . وقدرتها على تحقيق الأمنيات ، وعلاج المرضى منتشرا في أرجاء العالم الإسلامي ، ولذلك كانت النساء يعمدن إلى التقرب إلى هذه الأماكن بألوان النذور من أجل الشفاء أو محو الذنوب . (فيصل ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م، ص ١١٧) ـ (بن سلطان ، د.ت ، ص١٧٣)

وكانت تربية البنات على الاعتقاد بالخرافات تبدأ منذ الصغر ؛ وذلك من خلال سرد قصص العفاريت والجان على الأطفال من أجل تسليتهم أو تخويفهم .

وقد عبرت هدى شعراوي عن ذلك في مذكراتها بقولها : " بدأت حياتي تحت رعاية خدم جهلاء ، يخفون عن الأطفال أمثالي ما كان يجب أن يعرفوه من الحقائق ، أو يحيطونها بنسيج من الخرافات له خطره وتأثيره على عقول الصغار ." (نصر الله ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ،ج١ ، ص ١٧٣)

ونفس الأمر كان شائعا في زنجبار ؛ حيث كان أطفال علية القوم يتلقون على أيدي المربيات قصص العفاريت والجان من أجل تسليتهم أو تخويفهم . (سلطان ، د.ت ، ص ١٢٢)

وإذا كان هذا حال علية القوم ، فلاشك أن الأمر كان أسوأ بكثير بالنسبة للعامة [1] .

5- تعدد المؤسسات التربوية التي يمكن أن تلتحق بها مسلمة عصور الركود والتقليد :

على الرغم من الركود والتقليد اللذين رانا على العالم الإسلامي في هذه الفترة من التاريخ ، إلا أنه قد وجدت في هذا العصر العديد من **المؤسسات التعليمية** التي أسهمت في إخراج مسلمة عصور الركود والتقليد ، والتي انتشرت في كافة أرجاء العالم الإسلامي . وكان التحاق مسلمة هذه الفترة التاريخية بها ؛ يعتمد على مدى إدراك ذويها لأهمية تعليمها .

وأولها **الكتاتيب** التي كانت منتشرة في جميع البيئات تقريبا ، والتي ظلت تؤدي دورها في إمداد الفتاة المسلمة بالتعليم الديني المطلوب "من قبل المجتمع . "

فمثلا في مكة المكرمة ومع نهاية هذا العصر وجدت هناك الكثير من الكتاتيب التي كانت تقوم عليها معلمات من النساء ؛ حيث تعمد سيدة أو مجموعة من السيدات إلى التعليم في منازلهن . ومن ذلك كتاب آسية في المروة (الشامخ، ص ٢٩) وكتاب سلمى كفيل الدين الراري في المسفلة .[2]

وفي السودان كانت هناك الكثير من الكتاتيب التي يسمونها (الخلاوي) ، ومفردها خلوة . وكانت هذه الخلاوي تقوم بتعليم الصغار من الذكور والإناث ، أحيانا منفصلين ، وأحيانا مختلطين بحسب الإمكانات المتاحة . (الطيب ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، ص٢٥٠)

وفي بيروت كان هناك كتاب الشيخ عمر مع بداية القرن العشرين ، وكان يجمع فيه بين تعليم الذكور والإناث . (نصر الله ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ج١، ص ٢٦٢)

---

[1] تذكر سالمة سعيد أنهم كانوا يعتمدون على العرافات لاستطلاع عودة الغائبين ومعرفة المستقبل ، حيث أدى بهم الجهل إلى عدم ربط الأسباب بمسبباتها ، فأصبحوا يشعرون بالضعف أمام ظواهر الطبيعة ، فيخافون منها ومن أحداث الحياة ، مما دفعهم إلى تصديق التفسيرات الغامضة ، والتشبث بالأساطير الواهية ، بحيث أنه كلما ازداد التفسير إبهاما وغموضا ؛ ازداد تصديقهم له . وكانت النساء العرافات أستاذات هذا الميدان ؛ حيث كان لهن القول الفصل في أمور المرض والزواج والولادة وغيرها من أمور الحاضر والمستقبل . فكان السحر والشعوذة تجارة رابحة لمن يقوم بها . (سلطان، د .ت ، ص ١٥١-١٥٣)

[2] كل ما يخص كتاب سلمى كفيل الدين في هذا البحث من معلومات تحصلت عليها الباحثة من خلال مقابلة أجرتها مع عزيزة خياط ؛ إحدى تلميذات المعلمة سلمى .

وإلى جانب الكتاتيب ؛ ظلت **دور العلماء** في هذا العصر ، كما في العصر السابق ؛ منبعا ثـــرا لبنات العلماء أو قريباتهم من النساء ، وخاصة العلماء الذين كانوا مدركين لأهمية العلم في الارتقـــاء بوضع المرأة المسلمة ، وهم قليل .

ومن هؤلاء العلماء : أبو نصر أحمد بن الفرج الدينوري ، المحدث الذي عني كثيرا بتعليم ابنتـــه شهدة المولودة عام ٤٨٠هـــ ، حتى وصلت إلى مرحلة متقدمة من العلم جعلت الكثير من طـــلاب العلم وعلمائه فيما بعد يشهدون لها . وكان والدها يشجعها على السماع من المشائخ . (يوســـف ،١٤١٣هـــ/ ١٩٩٣م ، ص٥٩)

وكذلك عبد الغني بن علي العبدري ؛ الذي اعتنى كثيرا بتربية ابنته سيدة وتعليمـــها بهـــدف تأهيلها " لحرفة " تعليم النساء . فتعلمت القرآن وبعض العلوم من بينها الخط الذي أجادته . ثم علمت في دور الأشراف والأغنياء وتوفيت سنة ٦٤٧هـــ/١٢٤٩ م . وعبد الرحيم بن الحسن العراقي الذي اهتم بتعليم ابنته زينب المولودة عام ٧٩١هـــ/١٢٨٨ م ، حتى أصبحت محدثة . وعبد الله بن الحســـن الأصفهاني الذي حمل ابنته زينب معه إلى أصبهان ، وأتاح لها الفرصة للسماع من عدد من العلماء وعلي بن محمد الطوخي ، الذي أولى ابنته زينب المولودة عام ٨٣٠هـــ١٤٢٦ م عنايته ورعايته حتى أصبحت محدثـــة ، حافظـــة للقرآن الكريم ، ولعدد من كتب الفقه ، كما أنه اهتم بتعليمها الكتابـــة أيضـــا . ومحمد الشريف بن شمس الدين محمد الرويدشتي الأصفهاني ، الذي عني كثيرا بتعليم ابتنـــه حميـــدة المتوفاة عام ١٠٨٧هـــ/١٦٧٦ م ، حتى أصبحت على قدر عال من الفصاحة والعلم بتحقيق الحديث . وكان يدعوها علامته . ومحمد نجيب الذي اهتم كثيرا بتربية ابنته أمينة المولودة عام ١٣٠٥هـــــ / ١٨٨٧م ، حتى أصبحت تقول الشعر . وسعيد شرتوني الذي اهتم بتعليم ابنته أنيسة فأرســـلها إلى المدارس حتى إذا لاحظ عليها ميلها إلى الكتابة ؛ " خرجها في الإنشاء والأصول العربية" حتى تمكنـــت من الأدب وأقبلت على الكتابة في المجلات [1] . وكذلك الفقيه عطوة المغربي ، الذي علم ابنته مـــريم القرآن الكريم والفقه ، حتى صارت من أفقه الناس في بيئتها بالسودان . (الطيـــب ، ١٤١١هـــــ/ ١٩٩١م ، ص ٢٥٣)

وهناك أيضا قائد الجهاد الصوكوتي بالسودان ؛ عثمان دان فوديو الذي أصر على أن تعطى بناته ونساؤه نفس الفرصة المتاحة للرجال للتعمق في الدراسات الدينية ، وقد كان من آثار ذلك أن أصبحت ابنته نانا أسماء من أبرز علماء عصرها ، وكانت مؤلفة وشاعرة ومعلمة ومستشارة . وكان

---

[1] انظر في ذلك (كحالة ، ١٣٩٧هـــ/١٩٧٧م ،ج١ و ج٢)

دان فوديو[1] يصر على أن تحضر النساء وعظه ودروسه ، بحيث يجلسن في مكان منفصل عن الرجـــال . وحين انتقده البعض على ذلك رد عليهم بقوله : " السماح للنساء بحضور الدروس خير من تركهن فريسة للجهل . " إلا أن هذا التقليد سرعان ما اضمحل بعد فترة ، و لم يبق له سوى أثر بسيط لدى بعض الأسر التي كانت تحرص على تعليم نساءها القرآن الكريم ضمن نطاق الأسرة والأقارب . (ليمو في ندوة التعليم الإسلامي ، ١٤٠٨هـــ/ ١٩٨٨م ، ص ١٣٥)

وهناك اللغوي الشيخ ناصيف اليازجي الذي اهتم كثيرا بتعليم ابنتـــه وردة ، المولـــودة عـــام ١٢٥٤هـــ / ١٨٣٨م . وإسماعيل باشا تيمور الذي أحضر المعلمين لتعليم ابنته عائشة، المولودة عـــام ١٢٥٦هـــ /١٨٤٠م . (نصر الله ، ١٤٠٦هـــ / ١٩٨٦م ، ج١ ، ص ١٢٨، ص ١٤٠)

وهناك أيضا أمونة بنت عبود في السودان ، والتي اهتمت بالتعليم ؛ فبدأت بأفراد أســـرتها ، ثم أبناء قريتها والقرى الأخرى المجاورة . وكان الأهالي إذا ما سمعوا بها سارعوا إلى إحضار أبنائهم وبناتهم إلى منزلها . (الطيب ، ١٤١١هـــ / ١٩٩١م ، ص ٢٥٣)

كذلك فقد ظلت **دور الحكام** وعلية القوم ؛ تمثل في هذا العصر إحدى المؤسسات التربوية التي كان يتم فيها تعليم بناتهم على أيدي مدرسين خصوصين .

ونجد الأميرة سالمة سعيد تحكي عن تعليم البنات والبنين في قصر والدها ، بأنه كـــان تعليمـــا إلزاميا، يقوم به معلمون من الذكور والإناث ، وأن القادرين من العامة في زنجبار كانوا (يستأجرون) معلمين خصوصين لتعليم صغارهم من الذكور والإناث . (بن سلطان ، د.ت ، ص ١٢٥- ١٢٩)

كذلك أسهمت دور الحكام في تعليم غير بناتها من النساء المقربات إلى الأسرة الحاكمـــة ، أو ممن هن على اتصال بها لسبب أو لآخر ، حيث نجد أن أسرة زينب فواز كانت مقربة مـــن الأســـرة الأسعدية الحاكمة في لبنان ، الأمر الذي أتاح لزينب الفرصة في الاتصال بالسيدة فاطمة بنت أسعد الخليل زوجـــة علي الأسعد ، والتي أحاطتها برعايتها وشجعتها على طلب العلم وأسهمت في تعليمها القراءة والكتابة . (نصر الله، ١٤٠٦هـــ/ ١٩٨٦م ، ج١ ص ١٥٢-١٥٣)

أيضا أسهمت **المدارس** في إخراج مسلمة هذا العصر، والتي انتشرت في أقطار العالم الإسلامي كافة خاصة مع نهايته ، حيث أتيحت الفرصة لعامة النساء في ارتيادها بعد أن كن شبه محرومات منها ، حيث كانت الغالبية تتلقى تعليمها في الكتاب فقط .

---

[1] في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي ؛ ظهر دان فوديو الذي وحد شعب الفولاني القادم من الغرب ، وفرض سيطرته على الهوسا ، واتخذ الإسلام قاعدة له ، وتلقب باسم أمير المسلمين ، وعمل على نشر الإسلام . وقد توسعت إمارته حتى شملت أواسط نيجيريا وشمالها . (ياغي وشاكر ، ١٤٠٣ هـــ/ ١٩٨٣ م ، ص٢٥٧)

فمع نهاية عصور الجمود والتقليد ؛ عمدت الحكومة التركية إلى افتتاح كثير من المدارس الخاصة بتعليم البنات . كذلك قام المنصرون والمستعمرون بافتتاح كثير من المدارس التي لم يقبل عليها في بداية الأمر سوى البعض من الأهالي في حين صد عنها الغالبية .

ونجد أنه مع نهاية العهد العثماني ؛ كانت علية القوم من النساء تتلقى تعليمها في المدارس التركية التي كانت تقدم أنواع العلوم المختلفة للبنات . (خليل خليل، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩، ص٧)
ومن بين النساء اللاتي تلقين تعليمهن في المدارس في هذا العصر عنبرة الخالدي ، التي تعلمت في مدرسة (مار يوسف) منذ عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م وحتى عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م . وكذلك سلوى نصار المولودة عام١٣٣٢هـ / ١٩١٣م ، التي تلقت علومها الابتدائية في مدرسة الضيعة عند المعلمة (ملكة) ثم انتقلت إلى مدرسة (عين القسيس) لصاحبها المعلم فارس بدر .
(نصر الله، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ج١، ص ٢٥٠، ص٢٦٨)
وتشير سالمة بنت سعيد إلى أنه وجدت في زنجبار في هذا العصر مدارس عامة لأبناء الفقراء .
(سلطان ، د . ت ، ص١٢٩)
كذلك فقد أسهمت **الأربطة** في إعداد مسلمة عصور الركود والتقليد ، حيث كان لكل رباط في هذا العصر شيخ للرجال (أو شيخة للنساء) ، يقوم بوعظ وتعليم المقيمين فيه .

ومن الأربطة النسائية التي وجدت في هذا العصر ، رباط بنت السقلاطوني ، الذي تولت مشيخته زين العرب بنت عبد الرحمن بن عمر بن الحسين المحدثة التي توفيت عام ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤ م وهذه قد سمعت من ابن القرطبي ، وأجاز لها السخاوي ، وتقلدت مشيخة الحرمين في أواخر أيامها . (كحالة ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، ج٢ ، ص ٤٤)

٦-ضيق المنهاج ومحدوديته :-

استهدفت تربية مسلمة عصور الركود والتقليد بصفة عامة **هدفين اثنين** :

الأول : تعليم المرأة مبادئ الدين (وفي بعض الأحيان القراءة والحساب .)

الثاني : إعدادها للحياة المترلية .

ولذلك وجدنا منهاج تعليم مسلمة عصور الركود والتقليد ضيقا جدا حيث مثل تعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين المحور الرئيسي . ويساند ذلك تعليم الهجاء من أجل تجويد قراءة القرآن الكريم . وكانت بعض الكتاتيب تقدم دروسا في الحساب والتقويم والعقائد ، كما في زنجبار، وهو أمر نادر . (ستودارد ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ، ص ١٥٣)

ونجد أن تعليم الحساب في زنجبار مثلاً ؛ كان يتضمن عد الأرقام من الواحد إلى المائة وكتابتها ، وحفظهـــا دون كتابة حتى الألف . (سلطان ، د.ت، ص ١٢٧)

وبصفة عامة ؛ فقد كان منهج كتاتيب لبنات مشابهاً لمنهج كتاتيب البنين ، وهو في الغـالب " مواد لتعليم القراءة والكتابة وقراءة القرآن الكريم وحفظه وتجويده والحساب ومباديء العلوم الدينيـــة والسيرة النبوية والأخلاق " (بن دهيش ، ١٤١٨ هـــ / ١٩٩٧ م ، ص٣٢)

وكان معلموا الكتاتيب ومعلماتها يبدأون بتعليم الحروف الهجائيـــة ثم الحـــروف المحركـــة بالحركات ، ثم الحروف الأبجدية فيما كان يعرف بالقاعدة البغدادية ، ثم تعلـــم الكتابـــة وتركيـــب الكلمات . وفي نفس الوقت يتم تعليم بعض السور القرآنية القصيرة بدءاً بالفاتحة ثم جزء عـــم ، ثم جزء تبارك وهكذا . (بن دهيش ، ١٤١٨ هـــ / ١٩٩٧ م ، ص٤٧)

وسوف نورد فيما يلي صورة لمحتوى منهاج تعليم المرأة المسلمة في عصور الركود والتقليـــد ، وذلك من خلال عرض مختصر لمحتوى منهاج كتاب " الفقيهه سلمى" .

فقد كانت المعلمة سلمى كفيل الدين الراري ؛ تعلم الدارسات في كتابها ، مبتدئة بـالحروف الهجائية؛ فتبدأ ب " أليف لا شيون عليها" ،و "الباء واحدة من تحتيها وهكذا . "

ثم " أنكم ، بينكم ، تنكم ... وهكذا . "

ثم " أنسب أ، بنسب ب وهكذا ."

بعد ذلك تبدأ في تعليمهن القرآن الكريم ، مبتدئة بسورة الفاتحـــة ، ويسمونها الحمد . وكانوا يطلقون على كلمة سورة لفظ " لوح " ؛ فهذه لوحها الحمد ، وتلك لوحها إنا أعطيناك ، وأخـــرى لوحها ألم نشرح وهكذا .

وكان كتاب سلمى كفيل الدين هو لتعليم القراءة فقط ، فلم تكن الفقيهة تعلم الدارســـات الكتابة . وكانت إلى جانب القرآن الكريم تقوم بتحفيظ الدارسات بعض مبادئ التوحيـــد والفقـــه ، وذلك على النحو التالي : -

أول كلمة طيب : أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله .

كلمة شهادة : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

كلمة تمجيـــد : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

كلمة توحيـــد : لإله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمـــد وهـــو على كل شيء قديـــر .

إيمان مجمـــــل : آمنت بالله كما هو بأسمائه وصفاته وقبلت جميع أحكامه وأركانه .

إيمان مفصـــل : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى والبعث بعد الموت .

ثم تقوم بتعليمهن كيفية الصلاة حيث يبدأن قبل الصلاة بقول : " إني وجهت وجهي للـــذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين . نويت أن أصلي لله تعالى ركعتين صـــلاة الفجر سنة رسول الله ﷺ متوجهةً إلى الكعبة الشريفة ... الله أكبر. "

وفي الفريضـــة : " نويت أن أصلي لله تعالى ركعتين صلاة الصبح فرض هذا الوقـــت..... الله أكبر. "

ثم تعلمهن دعاء الاستفتاح :

" سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك . "

وكان لهذا المحتوى نغمات خاصة يُردِّد بها وكأنه نشيد ، وكانت الفقيهة " المعلمة " حريصة على مراجعة حفظ الدارسات له حتى لا ينسينه .

كذلك كانت المعلمة سلمى تقوم بتحفيظ الطالبات" المولد" ، وهو عبارة عن عدد من القصائد في مدح الرسول ﷺ ، وكان لكل قصيدة منها لحن معين . وفيما يلي الأبيات الأولى لكل قصيـــدة من قصائد المولد :

القصيدة الأولى :

الصـــلاة على النـــبي والســـلام على الرسول
النـــبي الأبـــطحـــي ومحمـــــــد عـــــربي
خير من وطيء الثرى المشفـــــع في الـــورى
من بـــه حلت عرى كل عبـــــد مذنـــب

القصيد الثانية :

صـــلاة من المـــولى على من حوى الفضـــل
على من عليـــه الله ورب السمـــاء صلـــى
بشهر ربيـــع قـــد بـــدا نـــوره الأعلـــى
فيا حبـــذا نـــــور بـــذاك الحمى يجلـــى

القصيدة الثالثة :

صلـــي على المـــدني　　محمـــد رفيـــع الشـــــان

ما غـــرد على الفنـــن　　قمـــري علـــى الأغصـــان

تنقلت في أرباب سؤدد　　كذا الشمس في أبراجها تتنقل

القصيدة الرابعة :

الله ولي الله ولي نعم الولي　　صلوا على هذا النبي محمد

ولد الحبيب وخده متورد　　والنور من وجناته متوقـــد

القصيدة الخامسة :

ألف صلو على النبي　　بركاته يحصل المـــراد

أحمـــد الهادي الذي　　عم جوده على الأنام

إنه حجـــي وعمرتي　　رؤيتي روضة المقـــام

حصل القصد والمراد　　وصفا الوقت والوداد

القصيدة السادسة :

صلى الله على محمد　　صلى الله عليه وسلم

يا نبي سلام عليـــك　　يا رسول سلام عليك

يا حبيب سلام عليك　　صلوات الله عليـــك

القصيدة السابعة :

مولاي صلي وسلم دائماً دهراً

على الحبيب علا فوق العلى وسرا

القصيدة الثامنة :

مولانـــا يا مولانـــا　　يا سامـــع دعانـــا

بحرمـــــة محمـــــد　　لا تقطـــع رجانـــا

وبعد الانتهاء من المولد يقلن :

" صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم ، ونحن على ذلك من الشاهدين ."

وقد أتيح لبعض النساء في هذا العصر تعلم الخط وتجويده ، ومن بينهن مريم بنت الحاج عطـوة المغربي التي كانت تنسخ المصاحف وبعض كتب الأدعية والصلـــوات . (الطيـــب ، ١٤١١هـــ/ ١٩٩١م ، ص ٢٥٣)

كذلك احتوى منهاج تعليم مسلمة عصور الركود والتقليد على أشغال الإبرة من خياطـــــة وتطريز والذي – كما أشرنا سابقاً – كان يتم على أيدي الأمهات أو معلمات ماهرات .

وإلى جانب الهدفين السابقين ، فقد كانت هناك **أهداف أخرى** لتعليم مسلمة عصور الركود والتقليد ، وهذا بالنسبة لتعليم القلة من نساء علية القوم أو الخواص ، واللاتي كانت أهداف تعليمهن تتنوع بحسب تنوع المتعلمات ، والبيئات المحيطة بهن ، وكذلك بحسب الرغبة الذاتية للمتعلمة .

وقد رأينا كيف اهتم كثير من العلماء بتعليم بناتهم وقريباتهم حتى وصلت بعضهن إلى مراتب عليا في الحديث والفقه وغير ذلك من العلوم المتاحة .

وإلى جانب من أشرنا إليهن فيما سبق ؛ نجد هناك من النساء من تعلمن الطب أيضاً ، إلا أن عددهن كان محدوداً جداً . من بينهن جليلة تمرهان وهي قابلة حبشية الأصل مصرية النشأة . وقد خلفت والدتها في مدرسة القوابل التي نفرت النساء المصريات من الالتحاق بها . وتفوقت جليلة في دراستها حتى صارت تعلم في نفس المدرسة ، وألفت كتاب " محكم الدلالة في أعمال القبالة " الذي طُبع عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م . وقد توفيت عام ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م . وهناك أيضاً : صوفيا سيف علي وهي طبيبة تركية أُتيحت لها الفرصة للدراسة بألمانيا ، وتخرجت قبل عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م من إحدى الجامعات هناك ، وفتحت عيادة خاصة بتطبيب النساء . وهي تعتبر أول طبيبة تخرجت من كليات الطب الحديث بتركيا . وقد ألفت كتاباً في الصحة جاء فيه : " أن صحة المرأة التركية أحسن بكثير من صحة أختها المرأة الغربية ، ونسبت ذلك إلى ما تقوم به المرأة التركية كل يوم من الوضوء والاستحمام .." ، وكذلك زينب بنت محمد بن الحسن التي تعلمت النحو والأصول والمنطق وعلم النجوم والرمل والسيمياء [1] . وقد توفيت عام ١١١٤هـ / ١٧٠٢م . وحافظة بنت محمد سعيد ، التي تعلمت الخط حتى أجادت النسخي و الثلثي ، ولها من الآثار بعض اللوحات من آي القرآن الكريم بخط يدها ، وقد توفيت عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م . وخديجة بنت أحمد الحميدي الفاسية ، التي حفظت القرآن الكريم وقرأته برواياته وتوفيت بفاس سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م . وسارة الحلبية ، التي تعلمت الأدب والطب وعدداً من الصناعات حتى مهرت فيها . وكانت تكتب الخط وتحل الذهب بمعرفة وخبرة فتكتب به . وقد عاشت في نهاية القرن السابع الهجري . [2]

ونجد أنه مع نهاية هذا العصر ، كانت نساء علية القوم يتلقين تعليمهن في المدارس التركية – كما أشرنا سابقاً – حيث كن يدرسن فيها تاريخ العثمانيين ، والأدب التركي ، والقراءة والكتابة ، والموسيقى ، إلى جانب الخياطة والتطريز .

(خليل خليل ، ١٤٠٩هـ/ م ١٩٨٩م ، ص ٧ ــ عمارة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ٧٥)

---

(١) السيمياء : لفظ عبري يطلق على غير الحقيقي من السحر ، و حاصله إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس " (المعجم الوسيط ، د . ت ، ج١ ، ص ٤٧١)

(٢) أنظر : (كحالة ، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م ، ج١ ، ج٢ ، ج٥).

وقد تنوعت أهداف تعليم المرأة في البيئات الخاصة وفقاً لرغبة المتعلمات أو ذويهن ، وإن كان وجود الرغبة لدى المتعلمات كانت في الغالب تشكل الموجه الأول لما يتعلمنه .

فإسماعيل تيمور باشا ؛ حينما لمس لدى ابنته عائشة ميلاً إلى تعلم القراءة والكتابة ؛ عمد إلى إحضار من يعلمها ذلك ، إلى جانب القرآن والفقه والخط ، في حين قام هو بتعليمها اللغتين التركية والفارسية . (نصر الله ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ج١، ص ١٤٠- ١٤٢)

كذلك فإن ناصيف اليازجي حينما وجد لدى ابنته وردة ميلاً نحو العلم والأدب ؛ عمد إلى تعليمها العربية ، وأحضر من يعلمها الفرنسية ، وكان يتعمد مراسلتها شعراً لترد عليه بالشعر الذي بدأت تقرضه وهي في الثالثة عشرة من عمرها ، وذلك من أجل صقل موهبتها الشعرية . (نصر الله ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م ، ج١، ص١٢٨-١٢٩)

ومثلهما في ذلك سلام الخالدي الذي أحضر من يعلم ابنته عنبرة قواعد اللغة العربية وآدابها . وكذلك مبادئ العلوم .

٧ -الاعتماد على التلقين:

كان التلقين يمثل الأسلوب الأساسي وشبه الوحيد في تعليم المرأة المسلمة في عصور الركود والتقليد ، وخاصة في الكتاتيب التي كان المعلمون فيها ، وخاصة النساء ، يعمدن إلى تلحين الدروس التي كانوا يقدمونها أياً كانت نوعية تلك الدروس .

وقد كانت بعض المعلمات يعتمدن هذا الأسلوب الذي يعتمد أساساً على الذاكرة دون أن تكلف نفسها عناء شرح ما تقدمه من معلومات للمتعلمات . وندرك هذا مما كان يحدث في كتاب سلمى كفيل الدين ، التي كانت تعلم تلميذاتها بعض الأدعية التي كن يرتلنها بعد انتهائهن من قراءة بعض سور القرآن الكريم ، مثل :

قول : " لا إله إلا الله والله أكبر " في نهاية سورة الكوثر .

قول: "يا رب أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة والفوز بالجنة والنجاة من النار"، وذلك في نهاية سورة القارعة .

قول " يا حافظ يا حفيظ حفظنا القرآن المجيد " وذلك في نهاية سورة البروج .

والأمر المؤسف أن الفقيهة لم تكن توضح لتلميذاتها بأن هذه الأدعية خارجة عن نص السورة ، مما جعل بعض الدارسات يعتقدن ذلك ، حتى أنهن كن يقرأن بها في الصلاة [1]

---

[1] إحدى الدارسات أخبرت الباحثة بأنها قد عانت كثيراً في سبيل التخلص من قول هذه الأدعية في الصلاة ، بعد أن علمت بعدم تعلقها بالسورة القرآنية ، وأنها قد نجحت في ذلك ولكن بعد عناء شديد .

وشبيه بما كان يحدث في كتاب سلمى كفيل الدين بجده في خلوة (كتاب) الشيخة خديجة بنت الفكي علي ، إحدى زوجات المهدي بالسودان ، والتي كانت تقوم بتعليم البنات ، ويساعدها في ذلك أحد المقرئين " ، وكان التعليم أساساً يعتمد على الذاكرة ، بواسطة تلحين الدرس سواءً كان قرآناً أو حديثاً أو درساً في النحو، وكذلك راتب المهدي (مجموعة أدعية) . (بدري ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٧)

٨-الدراسة شبه المنظمة:

إن الناظر في مؤسسات تربية مسلمة عصور الركود والتقليد ؛ يجد في غالبيتها غير قليل من التنظيم للبرامج المقدمة ، وكذلك لاستخدام أساليب الثواب والعقاب ، وإن كان غالبيته يمثل استمرارا للتنظيم الشكلي الذي وجد منذ عصور الازدهار .

ففي الكتاتيب التي مثلت المؤسسة الأولى والأكثر انتشارا لتعليم مسلمة عصور الركود والتقليد ؛ كانت الدراسة فيها إما على فترة واحدة صباحية ، أو على فترتين صباحية ومسائية . وقد كانت تبدأ منذ الصباح الباكر حتى أذان العصر أو المغرب ، تتخللها فترة لتناول طعام الغداء ونيل قسط من الراحة . وكانت هناك عطلة أسبوعية من بعد ظهر يوم الخميس وحتى صباح السبت ، وهناك إجازات في العيدين والمناسبات الدينية و الرسمية وفي أيام هطول الأمطار . إضافة إلى أن هناك إجازة تمنح للطالب المتخرج في حفظ القرآن الكريم أو جزء منه .وكانت مدة الدراسة لا تقل عن سنتين ولا تزيد عن ست سنوات . (بن دهيش ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م ، ص ٦١)

أما أدوات التعلم فقد كانت في الغالب تتكون من لوح خشبي للكتابة عليه ، ومادة تسمى المدر أو المضر لمحو المكتوب على اللوح ، إلى جانب نسخة من القرآن الكريم أو جزء منه . (بن دهيش ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٥٦)

ويعطينا تنظيم الدراسة في كتابي الفقيهة سلمي كفيل الدين الراري و الخوجة [1] فاطمة الطيب الهزازي ، صورة أكثر وضوحاً لتنظيم الدراسة في المدارس الأولية لتعليم المرأة المسلمة في عصور الركود والتقليد .

كانت الدراسة في كتاب الفقيهة سلمى على فترتين صباحية ومسائية حيث كانت الدارسات يذهبن إلى بيوتهن لتناول طعام الغداء ثم يعدن إلى الكتاب ، وذلك طوال أيام الأسبوع ماعدا الجمعة الذي كان يوم عطلة . كما أن الدراسة في يوم الخميس كانت صباحية فقط . وفي هذا اليوم ؛ تقوم الدارسات بقراءة جزء عم بكامله ، وسورة يس ، وسورة الملك ، والمولد .

وكان ذلك يستغرق منهن وقتاً طويلاً ، فلا يعدن إلى بيوتهن إلا في وقت متأخر من الظهيرة .

---

[1] فقيهة وخوجة : لفظتان كانتا تطلقان على معلمات الكتاتيب .

أما في كتاب " الخوجة " فاطمة فقد ان هناك مع بين تدريس العلوم الدينية والمعرفية ، وكلنت مدة الدراسة أربع سنوات تنتهي بحصول الدارسة على شهادة إتمام الدراسة الإبتدائية . وكانت الخوجة تتقاضى ريالين شهرياً رسماً للدراسة التي كلنت تتم في فصل شبيه بالفصول الدراسية في المدارس ؛ حيث كانت هناك مقاعد تجلس عليها التلميذات اللاتي يشترين الكتب الدراسية التي يدرسن فيها ، ويستخدمن الدفاتر والأقلام . (أبو حسين ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١٩١)

و لم تخل المدارس أيضاً من التنظيم ، فقد كان لكل مدرسة نظامها الخاص بها، لكن وبصفة عامة لم يكن هناك نظام تام في جميع المدارس وقد عبرت عن ذلك سنية حبوب بقولها :

" لم نعرف النظام المدرسي إلا في مدرسة " الست أليس " التي جعلت الطالبات يجلسن فوق المقاعد، وأمامهن طاولات للكتابة " ... " الست أليس علمتنا النظام والإنشاد وأدخلت نهضة جديدة إلى عالم التربية حينذاك . وفي مدرستها ختمت القرآن . " (نصر الله ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ج١، ص ٢٦٢)

وفيما يتعلق **بأساليب الثواب** التي استخدمت في هذه الفترة فقد وجدت **الإجازة** مع بداية عصور الركود والتقليد ، والتي كانت تعطي للمتعلمة ، دليلاً على وصولها إلى مرتبة تؤهلها لتعليم غيرها .

ونجد من بين المتعلمات اللاتي حصلن على إجازات رقية بنت يحي البصرية المحدثة التي ولدت عام ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م ، وتوفيت عام ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م ، وقد أجازها الذهبي والمزي وابن سيد الناس ، وزينب بنت الكمال وغيرهم . (كحالة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ج١، ص ٤٥٩)

وهناك أيضاً آسية بنت جار الله الشيباني الطبري المولودة بمكة سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م ، وقد أجاز لها السخاوي ، والعراقي وغيرهما . (حائري ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ج١، ص ١٩٣)

ونجد أن تفوق من أتيحت لهن الفرصة من مسلمات عصور الركود والتقليد لم يتوقف عند مجرد نيل الإجازة بل وإعطائها أيضاً .

فرقية البصرية ، قد نالت إجازة من زينب بنت الكمال . وآسية الطبري قد أجازت محمد بن عبد الرحمن ابن محمد السخاوي . بل نجد من بين العلماء من حاز على شهادات من كثير من العالمات من النساء ، من بينهم أبو الفتح العثماني الذي تحصل على إجازات من زينب الدمشقية المولودة سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م ، وست القضاة بنت عبد الوهاب بن عمر بن كثير المتوفاة سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م ، ورقية البصرية . [1]

---

[1] أنظر : (كحالة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ج١.

هذا فيما يتعلق بمرحلة الدراسة العالية .

أما في مرحلة الدراسة الأولية ، فقد اختلفت أساليب الثواب باختلاف البلدان والعادات والتقاليد . فنجد في السودان وفي خلوة الشيخة خديجة بنت الفكي علي ؛ كانت هناك " الشوافة " التي تمثل شهادة إكمال كل درس ، وهي حفلة تشريف تقدم فيها العصيدة بملاح الروب " اللبن الحامض" ، وبعد أن تأكل الشيخة والمقرئين ، يأكل الصبية ، ثم يقومون بمسح أيديهم على رأس الدارسة التي أُقيم الحفل على شرفها . (بدري ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص ٧)

وصورة أخرى نجدها في الكتاتيب في مكة المكرمة حيث كانت الاحتفالات تتمثل في نوعين: **الإصرفة و الإقلابة** .

فالإصرافة :حفل بسيط ، حيث يأتي أهل التلميذة إلى الكتاب" للاستماع إلى السورة التي بلغتها ابنتهم ، وبعد ذلك تقدم بعض الهدايا للفقيهة، وتوزع الحلوى على التلاميذ، ثم يعلن ذلك اليوم إجازة ، ابتهاجا بالمستوى الذي وصلت إليه ، ويزين لوح التلميذة في ذلك اليوم بالأحمر والأخضر .

ويصف الأستاذ محمد علي مغربي هذا الاحتفال للبنت فيقول : " فإذا وصلت البنت (في جدة) إلى سورة الضحى ؛ عملت لها (الصرافة) وهي عبارة عن حفلة تخرج فيها الفقيهة ، ومعها البنات ، تتقدمهن البنت المتخرجة ـــ إن صح هذا التعبير ـــ وهي تحمل اللوح وقد كتب عليه سورة الضحى ، فيسرن إلى بيت أهل الطفلة الذين يستعدون لهذه المناسبة باستدعاء الأهل والصديقات والجارات ، فإذا وصل الموكب أجلست الفقيهة البنت أمام الحاضرات وأمرتها بقراءة السورة ، فتقرأها في اللوح ، فترتفع الزغاريد وتوزع الحلوى على الحاضرات ويوزع **النبات** (سكر معقود) على البنات ، ثم تبقى الفقيهة لتناول الطعام لدى أهل البنت المتخرجة ، ولا تخرج إلا وقد أتحفت بمبلغ محترم من النقود من والدة البنت والنقوط [1] من أهلها ، وربما أعطيت بدلة كاملة لاجتهاها في تعليم البنت وإيصالها إلىهذا الحد العظيم من العلم . " (بن دهيش ، ١٤١٨ هـ /١٩٩٧ م ، ص ٥٥)

أما الإقلابة : فهي تعني قلب الكتاب رأساً على عقب ، إذا ما أتمت إحدى الدارسات جزءاً معيناً ممن القرآن الكريم ، حيث يقيم أهلها حفلاً كبيراً ، وتسير الدارسات في موكب شعبي يطفن بالتلميذة شوارع البلدة وينشدن الأناشيد . وكن ينتظمن صفوفاً صفوفاً في مربعات أو مسدسات ، ويجلن ما اتسع لهن الوقت في الطرقات من الكتاب إلى الكتاب ، فيدرن في الشوارع قبل الذهاب إلى بيت التلميذة الفائزة . وكن يلبسن ملابس معينة" برقع ملاية " تشبه ثوب العروس في المدينة المنورة

---

(١) (٢) النقوط : ما يرمى من نقود على لوح الطالبة في أثناء الاحتفال بالطالبة من الحاضرات للحفل كتشجيع للطالبة (بن دهيش ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٥٥)

قديماً . وكان ثوب الفائزة يزين بحبات من القصب ، ويتم تناول طعام الغداء في بيت الفائزة . (الشامخ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٣٩)

ويذكر محمد علي مغربي أن حفل الإقلابة أو القلابة كان يعني أنه لا مكان للبنت في بيت الفقيهة بعده ، حيث يجب أن تتعلم بعد ذلك علوماً أخرى .(بن دهيش ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ ، ص ٥٥)

ويذكر بن دهيش أن مظاهر التعبير عن هذه الإحتفالات كانت تختلف من أسرة لأخرى ومن مدينة لأخرى وذلك بحسب ظروف الأسرة من غنى أو فقر (بن دهيش ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧، ص ٥٣)

أما فيما يتعلق **بأساليب العقاب** في مؤسسات تربية مسلمة عصور الركود والتقليد ، فقد كان غالباً ما يتم باستخدام العصا . (نصر الله ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ج١، ص ٢٦٢) ، إلا أن بعض المعلمات كن يجمعن بين العصا والفلقة [1] ، فنجد أن المعلمة سلمى كانت أحياناً تحضر قطعة قماش ، فتربط بها رجل التلميذة المقصرة في وسطها ، ثم تجعل تلميذتين غيرهما تمسكان بطرفي قطعة القماش ثم تبدأ هي بضرب الفتاة المقصرة .

وأسلوب آخر استخدمته المعلمة سلمى، تمثل في تكليف التلميذات القيام ببعض أعمال منزلها من كنس وغسل ملابس وأعمال المطبخ .

٩ -إسهام المؤدبين في تعليم النساء التعليم المتخصص:-

شاعت في هذا العصر ظاهرة المؤدبين الذين كان أهالي المتعلمات يحضرونهم إلى منازلهم من أجل تعليم البنات التعليم المتخصص في بعض الحقول المعرفية ، خاصة قبل إنشاء المدارس ، حيث كان التعليم الذي تقدمه الكتاتيب محدوداً جداً كما رأينا .

وقد كان هؤلاء **المؤدبين** من المعلمين والمعلمات .

فمن بين **المعلمين** المؤدبين : كان هناك خليل رجائي ، أستاذ القراءة والكتابة ، ومؤنس أفندي ، أستاذ القرآن والفقه والخط ، واللذين أسهما في تعليم عائشة تيمور. وهناك أيضاً الشيخ

---

[1] الفلقة أو الفلكة : بفتح الفاء وتسكين اللام وفتح الكاف ثم التاء المربوطة ، وهي الأداة التي يستخدمها مدرس الكتاب لعقاب الطلاب عندما يرتكبون أي ذنب ولو بسيط جداً أو عندما لا يقومون بعمل الواجب المطلوب منهم . وهي تصنع في الغالب من شجر العرعر على شكل المغزل ، وفي أطرافها ثقوب ، وفي كل ثقب حلقة معدنية قوية مربوطة بحبل سميك موصل إلى الحلقة الأخرى , توضع فيها أقدام الطالب المذنب ، أو الذي لم يحفظ دروسه ، ثم ترفع من قبل طالبين ، وتدار الخشبة حتى تشد على قدمي الطالب ، ثم يقوم المدرس بجلد الطالب على موطيء قدميه عدداً من الضربات بعصي الخيزران اللين ، وهذه الطريقة يكون عقاب الطالب المهمل لواجباته . (بن دهيش ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧، ص ٤٩)

عبد الله البستاني ، أستاذ قواعد اللغة العربية وآدابها ، والأب يوسف الزهار أستاذ مادة العلوم واللذين أسهما في تعليم عنبرة الخالدي . (نصر الله ، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م ، ص ١٤٠-١٤٢)

وإلى جانب هؤلاء المعلمين وغيرهم ، فقد وجدت في هذا العصر بعض **المعلمات من الإناث** ممن أُتيحت لهن الفرصة للتعمق في دراسة بعض التخصصات ، الأمر الذي شجعهن على تعليم البنات إما في منازلهن أو العمل مدرسات خصوصيات لدى العائلات . بل إن من بينهن من تلقى العلم على يدها كثير من الذكور .

ومن هؤلاء شهدة الدينورية التي كان من بين تلاميذها ابن الجوزي وعلي بن وهبة الله والشافعي ، وعبد الرحمن بن عبد الوهاب الحنبلي وغيرهم . وأسماء بنت إبراهيم التي كانت تلقن النسوة القرآن الكريم وتعلمهن العلم . وقد توفيت عام ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م . وزينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسية ، وهي محدثة ولدت عام ٦٤٧ / ١٢٤٨ م . وقد سمع عليها محمد الوافي جزءاً من مسلم ، وسمع عنها ابن بطوطة في جامع بني أمية بدمشق ، وتوفيت عام ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م . وألف بنت عبد الله بن علي الكتاني التي قرأ عليها السخاوي ثلاثيات مسند أحمد ، وتوفيت عام ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م . و أسماء بنت موسى الضحاعي ، يمانية من زبيد ، كانت تقرأ التفسير وكتب الحديث وتسمع النساء وتعظهن وتؤدبهن ، وقد توفيت عام ٩٠٤هـ /١٤٩٨ م [1].

وكذلك فاطمة الأزهرية وستيتة الطبلاوية اللتين تلقت على أيديهما عائشة تيمور علوم النحو والعروض حتى برعت فيهما . (كحالة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ج٣، ص ١٦٢)

وقد أشارت الأميرة سالمة إلى أن قصر والدها قد اشتمل على معلمات من النساء إلى جانب المعلمين من الرجال (سلطان ، د .ت ، ص ١٢٥-١٢٧)

أما الأميرة عائشة بنت السلطان عبد الحميد الثاني ، فقد كانت إحدى مربياتها تساعدها على حفظ دروسها ، كما أنها درست الموسيقى على يد معلمة اسمها دريكتا . (أوغلي ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص ٢٠٢)

١٠-إسهام المرأة المسلمة في إنشاء وإدارة المؤسسات التعليمية والإنفاق عليها:

أسهمت كثيرات من مسلمات عصر الركود والتقليد في إنشاء المؤسسات التعليمية من مدارس وكتاتيب وأربطة ، مما يشير إلى ما كان يعتمل في نفوسهن من ميل شديد إلى العلم .

---

(١) أنظر : (كحالة ، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م ، ج ١ ، و ج٢) .

وهناك الكثير من الأمثلة الدالة على ذلك ؛ منها أن ست الشام بنت أيوب بن شادي أخت صلاح الدين الأيوبي التي توفيت عام ٦١٦هـ / ١٢١٩م ، قد قامت بإنشاء مدرستين عظيمتين هما المدرسة الشامية البرانية والمدرسة الشامية الجوانية بدمشق .

وكذلك قامت بابا خاتون بنت أسد الدين شيركوه ، ابنة عم صلاح الدين بالوصاية بأملاكها لتكون بعد وفاتها مدرسة ومدفناً ومواضع للسكنى ، فكانت ثمرة ذلك المدرسة العادلية الصغرى بدمشق . وقد أوصت أيضاً أن يكون للمدرسة مدرس ومعيد وإمام ومؤذن وبواب وقيم وعشرون فقيهاً. وجعلت أوقافها وقفاً على هذه المؤسسات وذلك في أوائل رمضان عام ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م .

(كحالة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ج٢، ص ١٥٥ ــ محمد يوسف ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، ص ١٧-١٩)

وهناك أيضاً خديجة بنت الملك شرف الدين عيسى ابن الملك العادل التي توفيت عام ٦٦٠هـ / ١٢٦١م ، نجدها قد أنشأت المدرسة المرشدية بدمشق عام ٦٥٤هـ /٢٥٦م .

(محمديوسف ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، ص ٣٣)

وعائشة زوجة شجاع الدين الدماغ التي أنشئت المدرسة الدماغية بدمشق داخل باب الفرج وذلك في عام ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م . (كحالة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ج٣، ص ١٣٦)

وهناك أيضاً عصمة الدين مؤنسة خاتون ابنة الملمك العادل أبو بكر بن أيوب التي ولدت عام ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م ، وتوفيت عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م . وقد كانت محدثة كثيرة الصدقة تركت مالاً جزيلاً وأوصت ببناء مدرسة يجعل فيها فقراء وقرّاء ، ويشترى لها وقف يغل عليها . وقد نفذت وصيتها وجعل فيها درس للشافعية وآخر للحنفية . (محمد هاشم الندوي في ابن جماعة، د.ت ، ص ١٩٥) . وقد توفيت عام ٧٢٦ أو ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨/١٣٢٥م (كحالة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ج٢، ص ٤) ، وبركة بنت عبدالله أم السلطان الأشرف التي أنشأت سنة ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م مدرسة بالقاهرة وخصصت بها درساً للشافعية ودرساً للحنفية وجعلت على بابها حوض ماء للسبيل . وقد رتبت فيها دروساً للمذاهب الأربعة وحضوراً في كل يوم للصوفية ومكتباً للأيتام . وأغل خاتون بنت محمد القازانية البغداديه التي أوقفت المدرسة الخاتونية بباب الحديد جوار الحرم بالقدس ، ثم أكملت عمارتها ووقفت عليها أصفهان شاه بنت الأمير قازان سنة ٧٨٢هـ/ ١٤٧٧م . والأميرة أمينة أم المحسنين ، حرم الخديوي توفيق التي أنشأت مدرسة للبنات دعتها باسمها ، ثم ضمت إلى وزارة المعارف المصرية ، وقد توفيت عام١٣٥٠هـ / ١٩٣١م .[1]

---

(١) أنظر : (كحالة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج ١ ، و ج٢) .

وصولت النساء التي أنشأت المدرسة الصولتية بمكة المكرمة والتي أكمل بناؤها عام ١٢٩٢ هـ /١٨٧٥ م .[1] (بغدادي ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٢٤١)

وقد أشرنا فيما سبق إلى الكتاتيب باعتبارها من المؤسسات التعليمية التي أسهمت مسلمة عصور الركود والتقليد في إنشائها خاصة مع نهاية هذا العصر .[2] ومن أمثلتها " الخلاوي" الكتاتيب " الكثيرة التي أسهمت المرأة السودانية في إنشائها ، وأجرت كسبها إنفاقاً على الطلبة والطالبات .

ومن هؤلاء " أمونة بنت عبود التي أسست مكتبين أحدهما للغلمان والثاني للبنات ، ورغم أن زوجها – الذي كان قائداً عسكرياً – كان راغباً في مساعدتها على النفقات إلا أنها قد رفضت أن يشوب إنفاقها على المدارس شائبة ، فكانت تنفق على المتعلمين العائد من أرضها الواسعة على النيل التي كانت تزرع بالقطن. وبعد الحصاد كانت نساء الحي والطالبات يقمن بغزله، ثم استقدمت نساجين لينسجوه ، وكانت توزع ذلك النسيج كساء للطلبة والطالبات . وما زاد تتصدق به على الحجيج المارين بها من غرب أفريقيا . (الطيب/ ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ص ٢٥٠-٢٥٢)

وكان اهتمامها بالحجيج كبيراً، وهم الذين نشروا أخبارها في كثير من بلاد أفريقيا . وبعد أن رأى الأهالي نجاحها ؛ تنازل كثير منهم عن أراضيهم لله ، فصارت أراضيها الزراعية واسعة ، استغلتها كلها في الإنفاق على التعليم . وقد كرمها أهل قريتها بعد فترة حيث أصبح كل ما في القرية يحمل اسمها " أمونة "، وقد عاشت في الربع الأول من القرن التاسع عشر . (الطيب، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، ص ٢٥٢)

وهناك مريم بنت الحاج عطوة التي كانت تدرس القرآن الكريم والفقه لكافة الناس ، وتخصص جزءاً من وقتها للوعظ . (الطيب ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، ص ٢٥٣) ، وفاطمة بنت جابر التي كانت تدرس القرآن الكريم في خلوتها بقرية (ترانج) مع أخويها إبراهيم وعبد الرحمن اللذين أسسا أول الخلاوي لتعليم القرآن الكريم بمنطقة " كريمة " بالسودان . (بدري ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص ٣)

---

[1] صولت النساء : سيدة هندية من مقاطعة كلكتا بالهند . جاءت إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج عام ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م ، وأبدت رغبتها في بناء رباط بمكة المكرمة ، وكان زوج ابنتها على صلة بالشيخ رحمة الله مؤسس المدرسة الصولتية ، فأوضح له أن بمكة المكرمة العديد من الأربطة ، وأن ما ينقصها هو مدرسة تعنى بتعليم أبناء المسلمين ، وقد لاقت الفكرة قبولها لدى صولت النساء التي قدمت الأموال اللازمة للمشروع ، واشترى الشيخ رحمة الله أرضاً بحارة الباب بمكة المكرمة ، وبنى عليها أول بناء للمدرسة التي سميت بالصولتية نسبة إلى المتبرعة المحسنة . بغدادي ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٢٤١)

[2] أنظر ص٢١١ حيث الحديث عن كتاتيب البنات في المملكة العربية السعودية في هذا العصر .

وهناك أم كلثوم بنت القرشي ، ووالدها الشيخ العالم القرشي ود الزين ، الذي بلغ درجة عالية من العلم ، فقد التزمت أم كلثوم منذ شبابها بتدريس البنات والبنين ، ثم بعد أن انتشرت الخلاوي للبنين اقتصرت على تدريس البنات ، وتوسعت في بناء الخلاوي الدراسية والسكنية بعد أن توافدت عليها البنات ، وقد كانت تركز على الماهرات من طالباتها فتحرص على تعليمهن وتحفيظهن ، ولا تدعهن يخرجن إلا في حالات الزواج . (الطيب ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، ص ٢٥٤-٢٥٥)

وكذلك الشيخة خديجة الأزهري ، التي كانت من بين من أسهمت إسهاماً فعالاً في نشر التعليم الأهلي إلى جانب غيرها ، وكانت إلى جانب إدارتها لخلوتها ؛ تطوف على النساء في المنازل لتعليمهن ، وكذلك الشيخة الفقيهة رقية بت عبد القادر ، وهي من أهالي جزيرة توتي ، كانت تطوف على المنازل . وقد عملت هؤلاء المعلمات على تقليد المبشرات في طوافهن على المنازل ، فكانت حلقة الشيخة منهن" بحق مدرسة متحركة أفادت كثيراً في توعية النساء ونشر المعرفة بينهن" (بدري ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص ٨)

وفي لبنان كانت هناك المعلمة ملكة صاحبة الكتاب الذي درست فيه سلوى نصر ، (نصر الله، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ج١، ص٢٨٥) ، وفي تونس كانت هناك بعض المعلمات الماهرات في فنون الإبرة من خياطة وتطريز، واللاتي جعلن من بيوتهن" مدارس" ترتادها الفتيات الصغيرات ليتعلمن فيها مقابل عوائد بسيطة يدفعها الأهل . (الحداد، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م، ص ١١٨)

المبحث السابع

محاولات صياغة أصول تربية المرأة المسلمة في العصر الحديث

تمثل مرحلة صدر الإسلام وعصور الازدهار مرحلة متميزة في تاريخ المرأة المسلمة ، حيث توفرت لها الفرصة للمشاركة مع الرجل في بناء الحضارة الإسلامية الرائعة ، وقد وجدناها في قلب الأحداث منذ بدء الرسالة ، حيث تعلمت ، وعملت وسمعت وحدثت ، وأثمر كل ذلك عن بناء الجيل الذي مثل أفراد خير أمة أخرجت للناس .

لكن تلك المرحلة قد كانت مرحلة قصيرة سرعان ما أخذت تضمحل رويداً رويدا ، خاصة بعد أن بدأت الحضارة الإسلامية في الانحسار في ظل عصور الركود والتقليد ، وقد ألقى كل ذلك بظلاله على المرأة التي عزلت عن الحياة، وهمش دورها ، وضرب عليها بسور عظيم من العادات والتقاليد باسم الدين ، حيث حرمت – تقريباً – من التعليم ، ومن الخروج للعبادة في المساجد ومن الإسهام في الأنشطة الاجتماعية المناسبة .

ونجد أن البعض قد تجاوز الحد في نظرته القاصرة للمرأة حيث رسخ في ذهنه أن التعليم والفقه لا يجتمعان ، وأن عقل المرأة ناقص[1] ومستعدة بطبيعتها للغش والحيلة بحيث لو تعلمت لم يزدها التعليم إلا براعة في ذلك . (الدهان في مؤتمر المرأة والتنمية في الثمانينات ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ج١، ص ٤٩٤)

ومع مطلع العصر الحديث ؛ وقعت كثير من الدول الإسلامية في قبضة الاستعمار ، وقد جاء في كتاب" تاريخ البشرية " أن الدول المستعمرة للبلاد الإسلامية ، لم تكن تعتبر تعليم الشعب من الأمور المهمة بالنسبة إليها ، وأن الجهود التعليمية التي وجدت خلال الاستعمار كانت اختيارية وتعتبر استمراراً لما كان سائداً من قبل. أما الإدارات الاستعمارية فقد أنشأت بعض المؤسسات التعليمية في المناطق التي تسودها الأمية في الشرق الوسط وآسيا وأفريقيا ، وكانت تقدم من خلالها تعليماً غربي الطراز لإعداد صفوة غريبة عن المجتمع تحتاجها في إدارة مستعمراتها . كذلك فقد كان النفوذ الثقافي الفرنسي واضحاً في دوائر التعليم العالي في إيران وسوريا ، كما كانت ثقافة صفوة المتعلمين في مصر وتركيا فرنسية أو بريطانية أو ألمانية . (تاريخ البشرية ، ١٣٩١هـ /١٩٧١م، مج٦ ، ج٢، ص ٣٥٦، ص٣٦٢)

---

[1] أنظر المعنى الحقيقي لنقصان عقل المرأة الوارد في الحديث في المبحث الثالث عشر

فهذا الكلام وإن كان صحيحاً جزئياً ، إلا أنه لا يمثل إلا جزءاً من الحقيقة التي تتمثل في أن الاستعمار كان يهدف إلى إبعاد النشء المسلم عن ينابيعه الصافية . ويتضح هذا مما أوردته مجلة المجلات العربية ، في عددها الأول للسنة السابعة عام ١٩٠٧م / ١٣٢٥ هـ ، ص ٣٦ ، حيث جاء فيها فيما يتعلق بالمدارس الأجنبية ما نصه :

" فهم يعلمون الفتاة قبل كل شيء أن تحتقر مبادئ قومها وترفض معتقداتهم فتتخرج من المدرسة ، وهي إلى الدين المسيحي أقرب منها إلى الإسلام ، وإلى الأخلاق والعادات الإنجليزية أو الفرنسية .. أقرب منها إلى الأخلاق والعادات العربية الإسلامية ، فإذا رأت أمها تلبس (الحبرة والبرقع) هزأت بها وضحكت منها ، لأنها لم تلبس قبعة و لم تخرج بلا نقاب... .... " (مجلة المجلات العربية في أبو عمشة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، ص ٦٨)

لقد كانت هذه المدارس من الأدوات التي استخدمت في هدم أخلاق النشء من البنين والبنات ، الأمر الذي دفع ببعض الغيورين إلى أخذ زمام المبادرة في التربية .... وذلك بتأسيس المدارس الأهلية وتأليف الكتب المناسبة. وممن دعا إلى ذلك ؛ عبد الله النديم الذي قال : "أفلا يحسن في أعينكم أن تفتحوا مدارس لأبنائكم ، تهذبونهم فيها وتعلمونهم وتحولون بينهم وبين الوجهة الأوروبية ، تداركوهم قبل أن تفقدوهم ، عرّفوهم أنكم آباؤهم قبل أن ينكروكم ، لقنوهم ما أنتم عليه من الدين قبل أن يخالفوكم ، حفظوهم تاريخ بلادكم وأجدادكم قبل أن يجهلوكم، ردوهم إلى الوطنية قبل أن يحملوا سلاح العداوة ليتقربوا بدماءكم إلى من ربوهم ." (عبد الله النديم في أبو عمشة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، ص ٦٧-٦٨)

ومما يؤكد الأغراض الخبيثة للاستعمار في فتحه لهذه المدارس ؛ أن هذا الموقف من النديم لم يعجب (اللورد كرومر) " فسعى لدى الخديوي عباس الثاني لينفيه من مصر . " (أنور الجندي في أبو عمشة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، ص ٦٨)

في هذه الفترة من التاريخ ، بدأ بعض الغيورين الذين أدركوا الهوة السحيقة التي تردى إليها المجتمع الإسلامي في المناداة بإصلاح وضع المرأة المسلمة باعتبارها تشكل النواة الأساسية في الأسرة ، التي تمثل المؤسسة الأولى في المجتمع . و لم تقتصر هذه الفئة على الرجال فقط ، بل شملت النساء أيضاً . فكان من بين الرجال الرواد في المطالبة بإصلاح وضع المرأة المسلمة : رفاعة الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق ، وعلي مبارك ، ومحمد عبده ، وقاسم أمين ، والطاهر الحداد .

وكان من بين أبرز الرائدات من النساء : عائشة التيمورية وزينب فواز وأنيسة الشرتوني وملك حفني ناصف .

وسوف نتناول فيما يلي جهود كل من هؤلاء الرواد والرائدات ؛ موضحين الأصول التي انطلقوا منها في مطالبتهم بإصلاح وضع المرأة المسلمة التربوي .

أولاً: الرواد من الرجال:

١- رفاعة الطهطاوي [1] : (٢١٦/ ١٢٩٠هـ - ١٨٠١/ ١٨٧٣م)

انطلق رفاعة الطهطاوي من الأصول الاجتماعية والاقتصادية ؛ فرأى أن المرأة تمثل طاقة فكرية مجمدة ، وقوة عمل معطلة ، ومن ثم فإنه ينبغي تزكية فكرها بالتعليم ، وتحريك قوتها بالانخراط في الأعمال المنمية للثروة . فدعوته كما يقرر فرج بن رمضان ؛ تندرج ضمن الدعوة إلى تحرير وسائل الإنتاج المادية والمعنوية . (بن رمضان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ص ١٥)

وقد رأى الطهطاوي في العادات والتقاليد الآبائية دافعاً كبيراً إلى معارضة تعليم البنات ، لذلك نادى بتغيير تلك العادات والتقاليد حتى تتغير نظرة المجتمع إلى تعليم البنات حيث يقول :

" وليس التشديد في حرمان البنات من الكتابة إلا التغالي في الغيرة عليهن من إبراز محمود صفاتهن أياً ما كانت في ميدان الرجال تبعاً للعوائد المحلية المشوبة بحمية جاهلية ... ولو جرب خلاف هذه العادة لصحت التجربة... "(عمارة ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص ٣٤٥- ٣٤٦)

ومطالبته بتعليم المرأة لم تقتصر على مجرد التعليم الأولي بل تعدته إلى جميع المعارف والآداب بصفة عامة لتتمكن من التخلص من أغلال الجهل ، والارتقاء في مرتبة الذوق الأدبي بما يمكنها عند الضرورة من تعاطي ما يتناسب مع طاقاتها وقدراتها من أعمال .

ونجد أن دعوة الطهطاوي إلى تعليم وعمل المرأة لم تقتصر على مجرد الرغبة في تحرير وسائل الإنتاج، بل تعدته إلى الرغبة في تحرير المرأة من أغلال الجهل والخرافة والفراغ حيث يقول في ذلك :

> " يمكن للمرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها ، فكل ما يطيقه النساء من العلم يباشرنه بأنفسهن ، وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة ، فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء وافتعال

---

[1] أنظر التعريف به ص ٧

الأقاويل ، فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة ، وإذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال فهي مذمة عظيمة في حق النساء، فإن المرأة التي لا عمل لها تقضي الزمن خائضة في حديث جيرانها، وفيما يأكلون ويشربون ويلبسون ويفرشون، وفيما عندها ، وهكذا ؟! "

وقد تأثر رفاعة الطهطاوي كثيراً بما شاهده في فرنسا من وضع المرأة ، مما يخالف تماماً ما هو عليه في بلده ، لذلك فقد تزامنت دعوته المتعلقة بالمرأة مع عودته من هناك . ويشير الأستاذ محمد حسين إلى ذلك بقوله أن فيما كتبه الطهطاوي في " تخليص الإبريز في تلخيص باريز" من تهوين للاختلاط بين الجنسين مما يكاد يكون دفاعاً عنه ، ما يدل على تأثره بما شاهده في المجتمع الأوروبي ، ويتضح ذلك أكثر مما أورده عن كراهيته لتعدد الزوجات . (محمد حسين ، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م ، ص ٢٠١-٢٠٢)

ونجده يفرق بين الخلوة والاختلاط لأسباب مشروعة ، حيث يقف مع تحريم الخلوة التي هي مظنة الشبهة أو الداعية إلى الزلل والانحراف ، وفي الوقت نفسه لا يرى بأساً في خلوة رجل أو عدة رجال بنسوة ثقات ، لا رجل أو عدة رجال بامرأة واحدة . " (عمارة ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م ، ص ٣٥١)

وهو يؤكد على أهمية التربية في تزكية نفسية البنات بما يمنعهن من السقوط حيث يقول في كتابه المرشد الأمين ، ١٨٣٢م / ما نصه :

" إن وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن ، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة " (وادي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٢٨-٢٩)

٢ -أحمد فارس الشدياق [1] : (١٢١٩٠/١٣٠٤هـ -- ١٨٠٤/١٨٨٧م) :

انطلق من الأصول الاجتماعية ؛ حيث رأى سوء وضع المرأة في المجتمع ، من حيث كونها كائناً مسلوب الإرادة منذ الميلاد وحتى الوفاة ، تنال أسوأ تربية ، حيث لا تدري من الدنيا شيئاً سوى بيتها ، ولا تعاشر أحداً غير أهل بيتها والخدم ، وتخشى الأم على ابنتها من معرفة أي شيء خشية

---

[1] احمد فارس يوسف بن منصور الشدياق. عالم باللغة والأدب . ولد في قرية عشقوت بلبنان وأبواه مسيحيان مارونيان سمياه فارساً . رحل إلى مصر فتلقى الأدب عن علمائها وتنقل في أوروبا ، ثم سافر إلى تونس فاعتنق فيها الدين الإسلامي وتسمى أحمد فارس، وتوفي بالأستانة . ونقل جثمانه إلى لبنان. من آثاره: كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ، وكشف المخبا عن فنون أوروبا ، والجاسوس في القاموس . (الزركلي ،د .ت ، ج١، ص١٨٤)

وقوع المحذور . لذلك فقد نادى بتحرير المرأة وتثقيفها وإعطائها مكانتها اللائقة بها في المجتمع ، وجاءت آراؤه في كتابه " الساق على الساق ." (عائدة ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ص ٩٦-٩٧)

وقد أكد الشدياق على أهمية شغل البنت بالعلوم والفنون النافعة العقلية واليدوية ، لأن تحررها الحقيقي لا يتحقق إلا إذا تحررت من الجهل الذي يكبلها ، لذا فقد نادى بفتح مكاتب لتعليم البنات مثل تعليم الصبيان ، وإتاحة الفرصة لها للعمل وتولي المناصب مثل الرجال . (عائدة ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ، ص ٩٩-١٠٠)

لقد تأثر الشدياق بالطهطاوي بدون شك ، وقد أشار هو إلى ذلك بقوله : " ولهذا أستأذنه في ذكر ما أضرب عنه بالكلية أو أشار إليه إشارة فقط... " لكنه كان أكثر منه وضوحاً حيث أشار إلى كثير من المتاعب التي تواجهها النساء الغربيات ، وانتقد بعض العادات الغربية كاصطحاب النساء للكلاب وغيرها. (أبو عمشة ، ١٤٠١هـ/١٩٩٨١، ص ٤١)

فالشدياق لم ينبهر ببريق الحياة الغربية إلى الحد الذي يعميه عن رؤية حقيقتها ، بل وجدناه يدرك الظلم الواقع على المرأة الأوروبية ما جعله يدافع عن جهل امرأة الشرق الذي يعد العيب الوحيد فيها ، في حين أن امرأة الغرب تزيد عليه مكراً وخبثاً . ومن ثم فقد دعا إلى تعليم النساء القراءة والكتابة واشترط استعمال ذلك بشروطه المتمثلة في الإطلاع على الكتب التي تهذب الأخلاق ، وتبعد المرأة عن استخدام الحيل والمكائد. وفي ذلك يقول الشدياق ما نصه :

" والأولى عندي أن تشغل البنت بأحد الفنون أو العلوم النافعة ، سواء كان ذلك عقلياً أو يدوياً. فإن النساء إذا علمن من أنفسهن أنهن أكفاء للرجال في الدراية والمعارف تترسن دونهم بمعارفهن ، وتحصن بها عند تطاول الرجال عليهن ، بل الرجال أنفسهم يشعرون بفضلهن... ..."
(أبو عمشة ١٤٠١هـ /١٩٨١م، ص ٤٦)

٣ -علي مبارك [1] : (١٢٣٩/١٣١١هـ - ١٨٢٤/١٨٩٣م)

جاء بعد رفاعة الطهطاوي ، فكتب سنة ١٨٧١م / ١٢٨٨ هـ كتاباً أسماه " طريق الهجاء والتمرين على اللغة العربية " حيث انطلق فيه من الأصول الاجتماعية ، منادياً بتعليم الفتيات ، الذي

---

[1] علي بن مبارك بن سليمان الروجي : " وزير مصري ، من المؤرخين العصاميين النوابغ. ولد في قرية برنبال... بمصر وتلقن العربية وحذق بعض الفنون، وسافر سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤ م مع بعثة مصرية إلى باريس ، فتعلم الاستحكام والمفرقعات الحربية ، ثم عاد إلى مصر، فتقلب في الوظائف العسكرية ، ثم عين ناظراً للأوقاف المصرية ، وأضيفت إليه المعارف ، فانشأ مدارس كثيرة . ومن آثاره دار الكتب المصرية في القاهرة . توفي بالقاهرة . ومن مؤلفاته : قصة علم الدين في ثلاثة مجلدات وهي عبارة عن مباحث دينية واجتماعية ، حقائق الأخبار في أوصاف البحار (مدرسي) ، خواص الأعداد (مدرسي) (الزركلي ، د . ت ، ج٥ ، ص ١٣٨-١٣٩)

هو من جملة الإحسان إليهن بحيث يدربن على أصول تربية الأطفال وأشغال الخياطة والتطريز وتدبير المترل، وأن ذلك مما يزيدهن كمالاً .

يقول في ذلك ما نصه :

وإن من جملة الإحسان إليهن " أن يجعل لهن حظ في التربية العمومية ، ومشاركة فيما يليق بهن من المزايا العلمية فضلاً عما يجب تمرينهن عليه من أصول حسن تربية الأطفال وأشغال الخياطة والتطريز وحسن تدبير المنازل والمحال، فإن ذلك يزيدهن جمالاً وعفة وكمالاً، وهو وصف مدح لهن ، كما هو حقهن في ضمان النوع البشري... " (أبو عمشة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٥٤)

ويبدو تأثر علي مبارك بأوروبا متمثلاً في اتخاذه للنظم الفرنسية في التعليم نموذجاً ، احتذى به بعد أن عين وكيلاً للمعارف بمصر عام ١٣٨٨هـ/ ١٨٦٨م . وقد كان له دور كبير في إنشاء مدارس خاصة بالبنات بمساعدة زوجة الخديوي إسماعيل ، منها المدرسة السيوفية ، والمدرسة القربية . (أبو عشمة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٥٤)

٤ ـ محمد عبده [1] ١٢٦٦/١٣٢٣هـ ـ ١٨٤٩/١٩٠٥م)

انطلق محمد عبده من الأصول العقدية والاجتماعية فأقحم دعاة المحافظة وأنصار الوضع القائم بإشارته إلى أن واقع المرأة المسلمة ليس من الإسلام في شيء ، حيث تدنى المسلمون بالمرأة عن المترلة العالية التي أكرمها بها الإسلام ، وحرموها حقوقها ، وأن إحياء الإسلام في المجتمع يستوجب من ضمن ما يستوجبه إصلاح وضع المرأة . (بن رمضان ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م ، ص ١٨)

وقد استهدف بأفكاره الإصلاحية التصدي لتياري الجمود والتغريب وذلك من خلال إزالة الركام عن حقيقة الإسلام التي حجبت عن الأذهان ، وأعتبر ذلك شرطاً أساسياً لإصلاح المجتمع الذي لا يتم إلا من خلال التربية التي اعتبرها بمثابة " العصا السحرية " التي يمكن بواسطتها تغيير حال المجتمع ، فبدونها يفقد الإنسان القدرة على التحلي بصفات الكمال الإنساني ، حيث أن الجاهل يمكن أن يظلم في حين يعتقد أنه يمارس العدل . ومن ثم فقد طالب محمد عبده الأغنياء بالتعاون من أجل توفير المؤسسات التربوية التي تعمل على تربية أفراد المجتمع ، وإمدادهم بتعليم أصيل يربطهم بجذورهم

---

[1] محمد عبده بن حسين خير الله : من آل التركماني ، مفتي الديار المصرية ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. قال أحد من كتبوا عنه : " تتلخص رسالة حياته في أمرين: الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد ، ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة" ولد في قرية من قرى مصر . توفي بالإسكندرية بعد ١٣١٧هـ/١٨٨٩ م ودفن بالقاهرة . من كتبه : تفسير القرآن الكريم (لم يتم)، رسالة الواردات في الفسلفة والتصوف ، الإسلام والرد على منتقديه . (الزركلي ، د.ت ، ج٤ ، ص ١٣١)

ويستجيب لظروف العصر الذين يعيشون فيه . (عمارة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ص ٥٠، ص ٢١٣- ٢٢٦)

وقد اهتم محمد عبده كثيراً بالمرأة ، ونادى بتعليمها حتى تتفقه في دينها ، وتستيقظ من سبات الجهل الذي تغرق فيه والذي جعل منها عنصراً من أهم العناصر التي أدت بالمجتمع الإسلامي إلى التخلف والجمود . لذلك وجدناه ينتقد نساء عصره اللاتي : " ... ضرب بينهن وبين العلم بما يجب عليهن في دينهن أو دنياهن بستار" ، بحيث " لا يخطر بالبال أن يعلمن عقيدة أو يؤدين فريضة سوى الصوم " ، وانتقد كذلك تعلل خصوم تعليم المرأة الذين يزعمون بأن جهل المرأة هو سبب تحليها بالعفة والحياء ؛ موضحاً " أن ما يحافظن عليه من العفة فإنما هو بحكم العادة وحارس الحياء ، أو قليل جداً من موروث الاعتقاد بالحلال والحرام " في حين أن الجهل قد أسهم في "حشو أذهانهن بالخرافات . " (عمارة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ص ٢٤٣-٢٤٤) ، أما العلم ؛ فهو السبيل إلى تنمية عقل المرأة المسلمة وتأهيلها للإسهام في إصلاح المجتمع ، في حين أن تركها للجهل كي يفترسها وتستهويها " الغباوة" ؛ يعد من الجرم العظيم الذي يمثل أحد أخطر أسباب ضعف المسلمين .

(بن رمضان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٩ـ وادي ،١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م ، ص ٢٨)

٥ – قاسم أمين[1] : (١٢٧٩/١٣٢٦هـ ـ ١٨٦٣/١٩٠٨م)

انطلق قاسم أمين من الأصول العقدية في تطابق مع المبادئ الأساسية للإسلام في معالجته لقضية المرأة حيث حاول التوفيق بين حدود الوضع القائم ، ومقتضيات الحضارة الوافدة من خلال الرجوع للإسلام في أصوله النقية ، وذلك في أول كتاب له وهو بعنوان " المصريون "، الذي قام فيه بالرد على دوق داركور الفرنسي الذي شن حملة عنيفة على مصر والمصريين والإسلام والمسلمين سنة ١٨٩٤م / ١٣٠٠ هـ . (بن رمضان ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ٢٥-٢٦)

وقد تبني أمين في هذا الكتاب أشد الاتجاهات محافظة على الوضع القائم ، فيما يتعلق بالمرأة، منتقداً وضع المرأة الغربية ، انتقاداً لاذعاً إلى حد الاستهجان والازدراء ، ومدافعاً عن وضع المرأة المسلمة، وانفصالها عن الرجل الذي لا يشكل- في رأيه- أي مانع لها من الإسهام فيما يفيد المجتمع . (عمارة ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م ، ص٥٥)

لكن تغير اتجاه قاسم أمين تماماً بعد ذلك ؛ حيث عمد في كتابه تحرير المرأة إلى القول بعدم أهمية أثر الدين في حركة المجتمع . وقد انطلق في كتابه هذا من أصول علمانية غربية ، حيث أظهر فيه

---

[1] أنظر التعريف به ص ٧

تمجيده للقيم الاقتصادية الرأسمالية وانطوت آراؤه على دعوة إلى تحرير المرأة أظهر مما فعله صراحة ، ونجده قد ركز على الأصول الاقتصادية والاجتماعية بصورة كاد أن ينكر معها أثر العوامل الحيوية ، والفروق الفطرية بين النوعين .

يقول قاسم أمين: " ... ولو كان لدين ما سلطة وتأثير على العوائد ، لكانت المرأة المسلمة اليوم في مقدمة نساء الأرض .(قاسم أمين ،١٤١٠هـ/١٩٩٠ م ، ص١٥)

فهو يرى بأن المرأة المسلمة لا تصلح لأن تكون أنموذجاً يُحتذى به . وقد رتب نساء الغرب بحسب الأولوية في الرقي كالتالي :المرأة الأمريكية ثم الإنجليزية ثم الألمانية ثم الفرنسية ثم النمساوية ثم الإيطالية ثم الروسية . (قاسم أمين ،١٤١٠هـ/١٩٩٠ م ، ص١٥)

ونجده في هذا الكتاب يبين عن ميوله المتغربة حيث يرى في الحجاب عائقاً يحول بين المرأة المسلمة والتقدم، كما يرى في الاختلاط سبيلاً لتعزيز التعلم ، حيث أن عدم الاختلاط يتسبب في نسيان المرأة لما تعلمته بعد زمن وجيز. (قاسم أمين ،١٤١٠هـ/١٩٩٠ م ، ص ٦٨ -٧٧)

وفي كتابه الثالث ؛ المرأة الجديدة " ، أعلن قاسم أمين صراحة عن خروجه على محور الفكر الإصلاحي ، وأشهر تبنيه للتمدن الغربي، حيث طالب بأن تربى المرأة على الشعور بالذات بعيداً عن الرجل. (قاسم أمين ،١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ص ٢٨-٣١)

كذلك أكد قاسم أمين قي كتابه هذا على عدم صلاحية التمدن الإسلامي ليكون أنموذجاً يحتذى به ، بل أرجع الفضل إلى الأمم الأوروبية التي ورثت علوم اليونان والرومان ، وأحلت سلطة العلم محل سلطة رجال الدين بعد جهاد طويل ، ومن ثم فإنه ينبغي تربية النشء الجديد على معرفة شئون المدنية الغربية والوقوف على أسرارها ومجاراة أصحابها. (عمارة ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ص ٨٤ -٩٦)

ويتضح من أفكاره أنه ينفي أي تمييز، أو أية خصوصية حضارية للأمة المسلمة حيث نجده يطالب بتبنيها لقيم الآخرين واتجاهاتهم .

وقد ركز أمين كثيراً على الأم على اعتبار أن مدار التربية يقوم عليها منذ الولادة وحتى المراهقة، إلى جانب أثرها الكبير الذي تتركه على من حولها من الرجال . (عمارة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ص ٤٧٣، ص ٤٧٧)

وفي تصوره لأصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة ؛ نبه أمين إلى وجوب الاهتمام بالنواحي الجنسية والخلقية والعقلية للمرأة بحيث تشتمل تربيتها على ما يلي :

أ- من الناحية الجسمية : تعليمها أصول الصحة ، وتعويدها الرياضة منذ الصغر ، مما يساعدها على تحمل مشاق الحمل والولادة ، والعناية بوقاية نفسها وأولادها من الأمراض .

ب-من الناحية الخلقية : تعريفها بالآداب التي تساعدها على نشر الأخلاق بين أولادها .

ج: من الناحية العقلية :تعريفها بالعلوم والفنون التي تمكنها من التعرف على ما في الكون من موجودات .

يقول قاسم أمين ما نصه :

" ومهما عظم اشتغال المرأة ؛ فإنها تجد من الوقت ما تثقف فيه عقلها وتهذب نفسها . ولو خصص نساؤنا للمطالعة عشر الوقت الذي يقضينه اليوم في البطالة ولغو الكلام والخصام لارتقت بفضلهن الأمة المصرية ارتقاء ماهراً . ".(قاسم أمين ن ١٤١٠ هـ /١٩٩٠ م ، ص ٢٦ – ٦٦)

والتربية العقلية لا تتم من خلال القراءة والكتابة واللغات الأجنبية بل بتعلم أصول العلوم الطبيعية والاجتماعية والتاريخية ؛ لكي تعرف القوانين الصحية التي ترجع إليها حركات الكائنات وأحوال الإنسان ، وإلى تعلم مبادئ قانون الصحة ووظائف الأعضاء لتتمكن من تربية أولادها . والمهم هو تشويق المرأة للبحث عن الحقيقة ، وليس حشو ذهنها بالمواد ، كما ينبغي أن تتعلم صناعة الطعام وترتيب البيت ، وتنمية ميلها إلى الفنون الجميلة ثم التصوير والرسم والموسيقى . فهذه هي التربية التي تيسر للمرأة الجمع بين واجباتها المختلفة لتكون إنساناً يكسب عيشه بنفسه، وزوجه قادرة على توفير أسباب الراحة ، وأماً صالحة . (عمارة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ٤٨٨- ٤٩١)

ويتحدث بن رمضان عن هذا التحول في أفكار قاسم أمين الذي بدا وكأنه من النقيض إلى النقيض، فيرجع ذلك إلى أمرين :

الأول : طبيعة المرحلة التاريخية وانعكاساتها على الحياة الفكرية .

الثاني : انتماء قاسم أمين الطبقي وموقعه الأيديولوجي .

فالتحولات تعبر عن محاولة للحاق بالواقع ، ومواكبة ما يطرأ من تغيرات ، فعندما هاجم داركور مصر والمصريين ؛ رد عليه من موقع الوطني الذي أسيء إلى وطنه ، ثم بضغط الحاجة الاقتصادية والاجتماعية للطبقة البورجوازية الناشئة ، نادى بتحرير المرأة الذي أثار عليه حملات عاتيات ، أدت بضغطها إلى إذاعة ما ضمنه في الكتاب الثاني " .. تحرير المرأة " في كتابه الثالث " المرأة الجديدة " . فهو يمثل مسيرة البورجوازية وانتقالها من المعسكر الوطني إلى الارتماء في أحضان التبعية الغربية عملاً وفكراً . (بن رمضان ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ٣٣-٣٦)

ويؤكد خليل خليل ما ذهب إليه بن رمضان حيث يشير إلى أن قاسم أمين قد رأى الرجل في الطبقة العليا من المجتمع قد تعلم واستنار عقله ، في حين بقيت نساؤها جاهلات ، مما يدفع به إلى

ازدراء زوجته ، حيث لا أثر لها في حياته ، فتضيق لذلك وتشعر بظلمه ، سيما وأن الرجال قد سلبوا ثقتهم من النساء واعتقدوا أنهن أعوان لإبليس ، وكانوا يتساءلون ما إذا كان تعليمها القراءة والكتابة مما يجوز شرعاً أم لا، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك حيث كانوا من باب التحقير ؛ يعيرون فلاناً بأنه تربية امرأة . (خليل خليل ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ص ١١١-١١٢)

فقاسم أمين قد أخطأ من حيث أراد تصويب وضع المرأة في المجتمع من حوله ، لأنه حاد عن أصالته ، وانبهر بالتمدن الغربي ، ولذلك وجدناه بعد أن رأى الآثار السلبية الكثيرة التي نتجت عن دعوته ؛ قد عاد عنها في أواخر أيامه .[1] ولكن رغم ذلك فإنه لابد من الإشادة بما قدمه من آراء فيما يتعلق بالمنهج الواجب أن تشتمل عليه تربية المرأة المسلمة من أجل إعدادها لمستقبلها ، والذي اشتمل على كثير من المعارف التي كانت تفتقر إليها تربية المرأة المسلمة في عصره .

٦ – الطاهر الحداد [2] : (١٣١٧/١٣٥٤هـ – ١٩٠١/١٩٣٥م)

جاءت أفكار الحداد تتويجاً لأفكار من سبقه من الرواد منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد أورد خلاصتها في كتابه " امرأتنا في الشريعة والمجتمع " الذي كتبه في أواخر حياته ، والذي – كما يقول بن رمضان – انطوى على رؤية متسقة متكاملة العناصر متعمقة في القضية "، حيث التقت فيه جميع الأبعاد التاريخية من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية . (بن رمضان ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ص ٤١-٤٦)

وقد نادى الحداد بتربية متكاملة للمرأة ، لذلك وجدناه في كتابه قد أنطلق من الأصول العقدية ، فأقبل يتدبر واقع المسلمين المتسم بالجمود الذي كاد يقضي عليهم بالموت ؛ فطالب بتنقية الإسلام من الأوهام المهلكة ، والقضاء على العقلية الخرافية ، وترسيخ مبادئ التربية العقلانية ، وتنقية القيم مما لحق بها من ألوان الزيف والنفاق ، وتصفية العادات الاجتماعية السيئة . كذلك انطلق من الأصول الإجتماعية مستهدفاً قمة الهرم المعرفي المتمثل في العلماء ؛ معتبراً أن دورهم في الإصلاح هو الأهم ، كما أنه اعتبر المرأة أحد أهداف المشروع وأداة في الوقت نفسه حيث اهتم بإبراز نظرة الإسلام الحقيقية تجاه المرأة ، وفي الوقت نفسه وجه المرأة إلى أهمية الانصراف إلى تربية أبنائها على

---

(١) أنظر المبحث العاشر .

(٢) الطاهر بني علي بن بلقاسم الحداد : كاتب وأديب وشاعر وصحفي،نصير المرأة ، ينحدر من أسرة عمالية فقيرة . حفظ القرآن بأحد الكتاتيب ثم التحق بجامع الزيتونة . حاز الجزء الأول من شهادة الحقوق في حين منع من احتياز الامتحان الخاص بالجزء الثاني والنهائي بسبب الضجة التي أثارها كتابه " امرأتنا في الشريعة والمجتمع" ، والتي وصلت إلى محاولة القتل " كفراً لا حداً" واستمرت تلك الحملة لعدة سنوات .(محفوظ ، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م ، ص ١٠٩-١١١)

أساس من الفهم الصحيح للإسلام ، بعيداً عن الانجراف وراء التبعية للآخريـــن .(الحـــداد ، ١٣٤٤هـــ/ ١٩٢٦م ، ص ٦، ص ١٠٦ -١٣٣)

وقد اعتبر المرأة ضحية للمجتمع التونسي ، وفي الوقت نفسه أحد أسباب مرضه ، ومن ثم فقد ندد بالمتعلمات المتحذلقات اللاتي لا يزدن عن الجاهلات بأكثر من الغرور والاستكثار من الزينة الـــتي يقلدن فيها الغربيات . وهو يرى بأن المرأة إذا ما تغيرت أصبحت أداة فعالة للتغيير ، ويقصد بذلـــك تغيير النفوس ، حيث أن تربية المرأة تنعكس على من حولها ، وأولهم أطفالها . (الحداد ، ١٣٤٤هـــ/ ١٩٢٦م ، ص ١٩٦)

وانطلق الحداد أيضاً من الأصول الاقتصادية في حديثة عن أهمية تطوير الصناعات النسائية وتعميمها ، وكيف أن جهل المرأة بأبسط أصول الحساب يجعلها عرضة للغش من التجار عند الشـــراء ، وكذلك فإن تعليمها ينعكس أثره على حياة عائلتها وعلى تربيتها لأبنائها بحيث تصبح" في منزلها كالرجل في محل عمله ، تقوم بما فيه من تكاليف ، وتهيئ له أسباب الراحة والطمأنينة ."

(الحداد ، ١٣٤٤هـــ / ١٩٢٦م ، ص ١٣٨، ص ١٥٩)

ويشير الحداد إلى أن وضع المرأة ؛ إنما يمثل عنصر استنزاف وعامل تبديد للثروة ، ويعمل علـــى إبعادها عن النشاط الاجتماعي المنتج ، إلى جانب معطيات أخرى نفسية وفكرية، وأن ذلك لا يقتصـر على نساء الطبقات المتوسطـــة والكادحـــة ، بل يشمل جميع الأوساط . ففي الأسر الموسرة ؛ نجـــد المرأة تتفنن في تبديد الثروة ، بسبب الفراغ الذي يدفعها إلى إفراغ طاقتها في الاستهلاك الذي يخـــدم المؤسسات الاقتصادية الغربية ، إضافة إلى تبديد مال الزوج حتى لا يجد ما يعدد به عليها غيرها . هـــذا من جانب ، ومن جانب آخر فهناك عادات الزواج وما فيها من مجاراة للآخرين ؛ مما يعود علـــى غير الأسر الموسرة بالديون . (الحداد ، ١٣٤٤هـــ/ ١٩٢٦م ، ص١٤٠ -١٤٤)

كذلك تحدث الحداد عن المهن التي تشتغل بها النساء في البدو والحضر ، وكيف أنهـــا ظلـــت جامدة دون تطوير ، كما ورثت عن السلف ، ودعا إلى تعصيرها وتعميمها . (الحداد، ١٣٤٤هـــــ/ ١٩٢٦، ص ١١٨-١٢٠)

فهو قد استهدف تعصير عمل النساء ، وتطوير أساليبه من أجل تنمية الثروة الوطنية وضمـــان قدر من المناعة الاقتصادية للوطن .

وقد وضع الحداد منهاجاً متكاملاً لتربية المرأة المسلمة ، رأي فيه سبيلاً يساعدها على القيـــام بوظيفتها ، وحدد أهداف كل حقل معرفي في المنهاج وذلك على النحو التالي :-

أ- تعليم المرأة أصول دينها وتاريخه ولغة قومها وتاريخ بلادها لتسهم في تزويد أبنائها بالفضائل .

ب- العلوم الرياضية والطبيعية لتعرف الأشياء على حقيقتها ، وتزدري الماديات ، وتزول من ذهنها الخرافات وينعكس أثر ذلك على أبنائها .

ج- الرياضة البدنية درساً وعملاً لما فيها من قوة ونشاط يعينان على النشاط المعنوي ويساعدان المرأة على تحمل مصاعب الحمل والولادة والاهتمام بصحة أولادها .

د-مبادئ الصحة لتحتاط في تغذية أولادها ولا تنخدع بإرشاد الجاهلات .

هـ- فن التربية بما يمكنها من الإحسان في تربية أولادها .

و- الروايات القصصية والتمثيلية ذات المغازي الأخلاقية والاجتماعية ففي ذلك إكمال لثقافتها بحيث تأخذ العبرة والعظة من حياة الآخرين .

ز- تدبير المترل وبعض الصناعات كالخياطة والتطريز لتسهم في وضع ميزانية الصرف ، وتوفر بعض الأموال، إذ لا يكفي في ذلك الإعداد المترلي الموروث .

ح- بعض الحرف والصناعات لتعين زوجها عند الحاجة .

ط- الفنون الجميلة من شعر وموسيقى وتصوير للقضاء على الأدب السافل المنتشر .

وقد أكد الحداد على أهمية البدء بالتربية منذ النشأة ، وأكد على أهمية القدوة الحسنة وتوجيه المرأة بما ينمي لديها الشعور الكامل بواجباتها في الحياة .

(الحداد ، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م ، ص ٢٠٦-٢٠٩، ص ٢١١-٢١٢)

ثانياً:الرائدات من النساء:

بدأت جهود بعض السيدات منذ حكم محمد علي في مصر حيث شاركت المرأة في النهضة التعليمية متعلمة في المدارس الأجنبية التي افتتحت عام١٨٣٦م/١٢٥٢هـ،ثم معلمة ، حيث قامت بعض السوريات المتخرجات من هذه المدارس بالتدريس .

وسوف نورد فيما يلي عرضاً لأفكار أبرز الرائدات اللاتي حاولن نقل جهودهن إلى مجال الإصلاح الاجتماعي للمرأة ، وذلك في نهاية عصور الركود والتقليد وبداية العصر الحديث .

1 -عائشة تيمور[1] :

تعد عائشة تيمور أول من نادى بضرورة العناية بتربية المرأة وتهذيبها ، وذلك في الربع الأخير من القرن التاسع عشر . ولها مقال بعنوان :" لا تصلح العائلات إلا بتربية البنات " ؛ انطلقت فيه من الأصول الاجتماعية ، حين رأت سوء تربية النساء لأبنائهن بسبب الجهل الذي يرسفن يه ، وقد

---

[1] عائشة عصمت بنت إسماعيل تيمور . ولدت بالقاهرة سنة١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠ م فأخذت النحو والعروض على فاطمة الأزهرية وستيتة الطبلاوية ، فبرعت فيهما ، وأخذت الصرف واللغة الفارسية على خليل رحماني والقرآن الكريم والخط والفقه على إبراهيم مؤنس ولها ثلاثة دواوين : بالعربية والتركية والفارسية ، من إنتاجها : الأحوال في الأقوال والأفعال وهي قصة مكتوبة على تسعة مقامات . (كحالة ، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م ، ج٥ ، ص ٣٢٨)

ركزت في توجيهها على الرجل باعتباره الولي المسئول عن تربية المرأة ، كما أشارت إلى اهتمام المجتمع بالزينة الوهمية للمرأة والحرص عليها ، والمتمثلة في الحلي والمجوهرات ، في غفلة عن الزينة الحقيقيـــة ؛ والتي تتمثل في العلم والمعرفة اللذين يزينان العقل ، ويساعدان المرأة على الإحسان في إدارة شئونها .

تقول عائشة ما نصه :

" ... فكان التأمل في هيولي هذا الكون موجباً على الهيئة الرجوليـــة العناية بتأديب البنات وتهذيب العائلات ، لأن ثمرة السؤدد راجعة إليها . فلربما أنه عقد أمر على الرجل فلمته الزوجة بأطراف بنانها الرقيقـــة وأخمـــدت (جذوة) ولوعه بتدابيرها الدقيقة وهو مع ذلك يجتهد في أن يكتم فضلها بـــين أفراد الهيئة ويحذر من إعلانه خشية أن يقال هي معلومية فيكدر عيشه الصافي بخلاف الدولة الغربية فالأسف ثم الأسف على هيئة لم تمض فحصها في هـــذا النسق البديع و لم تجهد نفسها في البحث على هذا الشرف الرفيع والعجب ثم العجب على مدينة تشغف بتزيين فتياتها بحلي مستعار وتستعين على إظـــهار جمالهن بزخرف المعادن والأحجار وتتخيل أنها زادتهن بسطـــــة في الحســـن والدلال والحال أنها ألقت تلك الأحداث في أخدود الوبال لأنه لم يعد عليـــهن من تلك المستعارات إلا العجب والغرور المؤدي بهـــن إلى ســـاحة المباهـــاة والفجور وذلك لكف بصيرتهن عن الإدراك وعدم عملهن (علمهن) بنتـــائج الأحوال وعواقب الأمور... ... ... فلو عني رجالنا معاشر الشرقيين بتربية بناتهم وأجمعوا على تلقين العلوم لهن بمقدار شفقتهم لنالت أرفع مجد وأهنأ جد ولعوضت تلك الفتيات عن ذلك القلق براحة العرفان وأوســـعت بســـواعد معلوميتهن مضيق السلوك إلى ساحة الإذعان وقامت بواجبات التدبير وهمـــت بوقاية أساس حليتها من التدمير لأن تخرب الدور بعد انقطاع أهلها طبيعـــي والطبيعي ليس بضار ."(كحالة ، د.ت ، ج٣ ، ص ١٧٠- ١٧٣)

ونجدها في بعض كتاباتها تؤكد على أهمية التربية والتهذيب للمرأة وأثر ذلك في إصلاح مـــا ساد المجتمع من فساد خلقي . وهي في تأكيدها هذا لم توافق قاسم أمين في دعوته إلى السفور بـــل ظلت متمسكة برأيها في ضرورة المحافظة على الحجاب . وقد قالت في ذلك قصيـــدة شعرية جـــاء فيهـــا :

بيد العفاف أصون عز حجابي

وبعصمتي أسمو على أترابي

ما ساءني خدري وعقد عصابتي

وطراز ثوبي واعتزاز رحابي

ما عاقني خجلي عن العليا ولا

سدل الخمار بلمتي ونقابـــــــــــــــــي .

(زيادة ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ص١٨٨١ — ١٨٢)

2 –زينب فواز : [1] (١٢٧٧/١٣٣٣هـ — ١٨٦٠م/١٩١٤م)

كانت زينب ومن أوائل المطالبات بتغيير وضع المرأة المسلمة بعد أن تألمت لما هي عليه من ظلم اجتماعي . وقد ألفت كتاباً أسمته " الرسائل الزينبية" انطلقت فيه من الأصول الاجتماعيـــة مطالبـــة بنهوض كل من المرأة والمجتمع ، وذلك عن طريق العلم والمعرفة . وقد تطرفت زينب في مطالبتـــها إلى الحد الذي جعلها تنادي بإتاحة الفرص للمرأة لممارسة ما يتعاطاه الرجال من أعمال ، واتخذت مـــن المرأة الغربية مثالاً لها في ذلك . (كحالة ، ١٣٩٧هـــ /١٩٧٧م ، ص ٨٤)

تقول زينب في مقالة لها بعنوان" الإنصاف" :

" وما من أمة فشا فيها داء الكسل وسرت إليها علـــة الخمـــول إلا دمرتهـــا وهدمت أركان عزمها ودكت حصون تمدنها ومما يؤيد لنا ذلك ، هو ما ظهر لنا مـــن تقدم الغرب على الشرق في هذا العصر حين ما عولج أهله وشفي جســـمهم مـــن داء الكسل والخمول فازدهى عصرهم على جميع العصور وفاق كافة الدهور إلى حد أنـــه صار النساء فيه يبارين الرجال ويشاركنهم في الأعمال ، وحيث قد أجمع السواد الأعظم منهم على أن الرجل والمرأة متساويان بالمنزلة العقلية وعضوان في جسم الهيئة الاجتماعية لا غنية لأحدهما عن الآخر فما المانع إذاً من اشتراك المرأة في أعمال الرجال ، وتعاطيـــها الأشغال في الدوائر السياسية وغيرها متى كانت جديرة تؤدي ما ندبت إليـــه.... "

(كحالة ، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧، ج٢، ص ٨٦)

ونجد أنه رغم دعوتها إلى المساواة في الأعمال بين الرجال والنساء ، إلا أنها لم تكن تقصد مـــن وراء ذلك مخالفة مبادئ دينها ، حيث نجدها تؤكد على أهمية الشريعة " كمرشد يدعو كل واحـــد إلى الوقوف عند حده ."

ويؤكد ذلك أنها لم تكن ممن طالبن بإلغاء الحجاب ، وإنما كانت تنتقد بشدة التشدد الذي كان يمارسه الرجل على المرأة بحيث يمنعها من التعليم ، ومن الخروج من المنزل ، ومن حضـــور المحـــافل النسائية العامة . (أبو عمشة ، ١٤٠١هـــ/ ١٩٨١م ، ص ١١١)

---

[1] أنظر التعريف بها ص ٨

3–أنيسة بنت سعيد شرتوني[1] : (١٣٠١/١٣٢٤هـ – ١٨٨٣/١٩٠٦م)

كاتبة وأديبة ، لها مقالات كثيرة منشورة في الصحف من بينها مقال بعنوان : " فصل الخطاب في الرجل والمرأة" ، انطلقت فيه من الأصول العقدية – بعد أن لمست تطلع بعض نساء عصرها إلى تعاطي ما يتعاطاه الرجال من أعمال – لتؤكد على حكمة الخالق في طبع كل من الذكر والأنثى بما يلائم وظيفته التي وجد من أجلها . وقد تعجبت أنيسة من المطالبات بامتهان أعمال الرجل ، حيث يغفلن عن عظمة العمل الذي خلقت من أجله المرأة والمتمثل في وقاية النوع البشري من " الفناء والاضمحلال ." كما لفتت الأنظار إلى بعض المهن التي تتناسب وتكوين كل من الرجل والمرأة والتي يمكن للمرأة أن تشارك فيها مثلها في ذلك مثل الرجل كالكتابة ، ونظم الشعر وغيرها . (كحالة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ج١، ص ٩٩-١٠٣)

تقول أنيسة ما نصه :

" من المعلوم لكل أحد أن الرجل والمرأة مصدر الكائنات البشرية والعلة في بقائها . فإذا انقرض أحدهما ، انقرض النوع البشري برمته حتى لا يبقى في الغبراء ديار ولا نافخ نار... وقد صاغ الخالق الحكيم كلاً منهما صيغة مناسبة لما أراد به ، كما صاغ كل واحد من المشاعر الخمس صيغة لا يتصل المقصود من تلك الحاسة إلا بها.... وإذا نظرت المرأة إلى الغرض العظيم الشأن الذي كونت تكويناً كاملاً للقيام به رأت أنها منبت الورى كلهم أجمعين من ضعيف وقوي ومسكين وجاهل وعالم وسوقه وملك ، .. وعلمت علم اليقين أنه لم يأت العالم رجل إلا خاضعاً لسلطانها منقاداً لحكمها لائذاً برأفتها مستخرجاً رزقه من ثدييها لا ملجأ له سواها وإنما هي أول أستاذ له وأول حاكم عليه فما على وجه البسيطة من ملك لم يكن أول عهده بالدنيا تحت يد المرأة وما من سلطان لم تعرك المرأة أذنه أو تضرب خده بكفها فإذا التفتت أخي المرأة إلى ما ذكرت رأت أنها في مقام عالٍ في الاجتماع الإنساني ، بل رأت أنها أحد ركني الكون العظيمين وإذا نظرت إلى ذلك حق لي القول أن من العجب العجاب ما يقرأ من المقالات لبعض النساء اللواتي يطلبن أعمال الرجال كالقضاء مثلاً مع أن الطبيعة تشهد بغير لسان أن الصيغة التي صيغت عليها المرأة لم تعدها لمثل ما تطلب نساء البلاد الزاهرة الحضارة المستأثرة بحمل راية المعارف والصنائع دون سائر بلاد الله كلها جمعاً .

---

[1] كاتبة أديبة ولدت في بيروت سنة ١٣٠١ هـ/ ١٨٨٣م.. فكانت تختلف في البداية إلى مدرسة الراهبات الناصريات ثم انتقلت إلى مدرسة عين طورة ، ثم مدرسة التقدم في بيروت حيث درست فيها لمدة ثلاث سنوات : أصول العربية وقواعد اللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا والحساب ومبادئ الطبيعيات وفنون الأعمال اليدوية كالزركشة والتطريز ، وشجعها والدها على الكتابة فنشرت العديد من مقالاتها في الصحف . (كحالة ، د . ت ، ج١، ص ٩٩-١٠٠)

وعظمة العمل الذي أعدت له المرأة ينحط عنده كل عمل ألا وهـــي خلقـــت لوقاية النوع البشري من الفناء والاضمحلال وهي التي برئت لأن تمدي إلى الدنيا الذرية البشرية الكافلة لبقاء العمران . (كحالة ، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م، ج١، ص١٠٠-١٠٢)

وتؤكد أنيسة على أهمية الالتزام بالأصالة في التعامل مع الأفكار المستحدثة ، وذلك من خـلال وزنها بدقـــة قبل اتباعها بحيث ، يتمسك الفرد بالقديم إذا ما علم أنه الصواب ، وهي تؤكد علـــى أن فكرة المساواة التي طرحتها المرأة الغربية هي من باب " مخالفة الطبيعة ولا يعرف في الكون عمـــل خالف الطبيعة ونجح ." (كحالة ، ١٣٩٧هـــ/ ١٩٧٧م ، ج١، ص ١٠٤-١٠٥)

4 – ملك حفني ناصف [1] : ١٣٠٤/١٣٣٧هـــ ـــ ١٨٨٦/١٩١٨م)

تعد ملك حفني ناصف أهم المصلحات وأبعدهن أثراً منذ بداية القرن العشرين ؛ حيث تزعمت الحركة النسائية بعد قاسم أمين الذي كان يهدف إلى تغيير أحوال المرأة المسلمة بالكلية ، بينما هدفـت ملك إلى إصلاح أحوال المرأة من خلال استرداد ما خسرته من حقوق في عصور الجمود والتخلف .

فهي كما يقول فرج ، لم تهدف إلى " إنصاف المرأة على حســـاب الرجـــل ، وإنمـــا أرادت إنصافها من أجله ومن أجلها ، ومن أجل الأمة كلها ."(فرج ، ١٤٠٩هـــ/ ١٩٨٩م، ص ٨٣-٨٤)

وتعد ناصف أول مصرية تمثل النساء في مؤتمر حكومي عام ، وذلك سنة ١٩١١م / ١٣٢٩هـ ، حيث قدمت مشروعاً إصلاحياً للمرأة أجملت فيه أهدافها ومنها :-

1- تعليم البنات الدين الصحيح أي تعاليم القرآن الكريم والسنة الصحيحة .

2- تعليم البنات التعليم الابتدائي والثانوي وجعل التعليم الأولي إجبارياً لكل الطبقات .

3- تعليم التدبير المترلي علماً وعملاً ، وقانون الصحة وتربية الأطفال والإســـعافات الطبيـــة والوقتية .

4- تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب والتخصص فيه وكذلك فن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء في هذه المجالات .

5- إطلاق الحرية في تعليم العلوم العالية لمن تريد .

6- تعويد البنات منذ الصغر على الصدق في القول والجد في العمل والصبر، وغير ذلك مـــن الفضائل .

(فرج ، ١٤٠٩هـــ/ ١٩٨٩م ، ص ٨٦)

وهكذا فقد جاء برنامجها متكاملاً حيث أنطلق من الأصول العقدية والاجتماعية والاقتصاديـــة ، واهتم بجميع الجوانب الخاصة بتربية المرأة .

---

[1] أنظر التعريف بها ص ٩

وقد أكدت ناصف على أهمية الأصالة في تربية المرأة المسلمة حيث أشارت إلى أن إصلاح المرأة لا يتم من خلال تجريب أساليب الأوروبيين ، بل من خلال نقد العادات والتقاليد، وتربية المرأة وتعليمها.

ومن ضمن كتاباتها مقالة لها عن المرأة المصرية والمرأة الغربية ؛ انتقدت فيها التقاليد البالية التي توقع الظلم على الأنثى منذ الولادة ، وذلك من خلال التشاؤم بولادتها ، ثم إهمال تربيتها ، وممارسة التفرقة بينها وين الذكر طوال سنوات الطفولة والمراهقة .

وقد ركزت في مقالها على المناداة بأهمية تعليم البنت تعليماً أصيلاً بعيداً عن التقليد الأعمى للغرب الذي بدا لدى بعض العائلات اللاتي بدأن في إرسال بناتهن إلى المدارس ليتعلمن ما لا يفيدهن في مستقبل حياتهن . كما أكدت على أهمية التربية الخلقية بحيث تبعد البنت عن غير اللائق من القصص والأشعار . وأكدت أيضاً على أهمية التربية العقلية التي تطلق عقل المرأة منذ الصغر بعيداً عن الجهل والخرافات ، لتعيش عصرها بتقدمه ، وعابت على من يرى في تجهيل المرأة وسيلة لإبعادها عن مفاسد الاختلاط، حيث أن التربية الصحيحة هي الوسيلة المثلى لذلك .

وتقول ناصف في ذلك ما نصه :

"بعض أضداد تعليم الفتاة يرون أن تظل الفتاة جاهلة خير لها من أن تتعلم لأن التعليم يوسع عليها حيل الاختلاط الذي لا تبرره العادة ولا يسمح به أولياؤها وهي نظرية فاسدة لأن التربية الحقة تحول دون ذلك فالفتاة الكاملة تجد من عفتها وقدوة أهلها وآداب نفسها ما يخيفها من سوء الأحدوثة وتعلم أن سمعة الفتاة كالزجاج الصافي يتلوث من أقل الأشياء وإذا انكسر فلا يجبر . أما الفاسدة فتميل إذا وجدت مسرباً سواء كانت عالمة أو جاهلة وغاية الأمر أن الجاهلة أسرع شططاً وأدنى إلى أن تشهر بنفسها وقلما تعرف نتيجة تصرفها السيئ إلا بعد وقوعها في سوء مغبته . (كحالة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ج ٥ ، ص ٧٩-٨٧)

وقد أنكرت ناصف على المستبدين في استعباد المرأة من خلال آراءهم وأفكارهم التي تتراوح ما بين النقيضين المتمثلين في الغلو في كل من الحجاب والسفور ، وأكدت على أهمية أخذ الأفكار بوعي وتمحيص من قبل المرأة . (كحالة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ج٥، ص ٩٣)

كذلك فقد أكدت ناصف في كتاباتها على أهمية الالتزام بالأصالة في الاقتباس من الحضارة الحديثة حيث تقول في ذلك ما نصه :

" وإذا أردنا أن نكون أمة بالمعنى الصحيح تحتم علينا أن لا نقتبس من المدينة الأوروبية إلا الضروري النافع بعد تمصيره حتى يكون ملائماً لعاداتنا وطبيعة بلادنا . نقتبس منها العلم والنشاط والثبات وحب العمل . نقتبس منها أساليب التعليم والتربية وما يرقينا حتى نبدل من ضعفنا قوة وإنما

لا يجوز في عرف الشرف والاستقلال أن نندمج في الغرب فنقضي على ما بقي لنا من القوة الضعيفة أمام قوته المكتسحة الهائلة ." (كحالة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ج٥ ، ص ٩٥)

إنه ما من شك في أن جهود الرواد التي أشرنا إليها آنفاً ؛ قد جاءت استجابة للظروف التي عمت المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت . وما يجمع بينهم أنهم انطلقوا من المطالبة بالتغيير والإصلاح لحال المسلمين الذين تخلفوا في مختلف المجالات المادية والخلقية والفكرية ، وكانوا يرون أن تغيير وضع المرأة يمثل جانباً مهماً في تغيير وضع المسلمين.

لكنهم قد بالغوا في تضخيم المرأة باعتبارها أداة، وبالغوا في الدور الذي يمكن أن تؤديه، ولعل السبب في ذلك على ما يبدو ؛ هو نوع من رد الفعل لليأس من الإصلاح من خلال الآخرين . (بن رمضان ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ص٧٤-٧٥)

ونجد خطاب المفكرين قد ظل محكوماً بنظرة معيارية نفعية استهدفت **أمرين** لا ثالث لهما : **الأول** تعليم المرأة **والثاني** عملها . " فالمرأة أداة إنتاج معطلة ينبغي تحريكها وتحريرها ، وإنما يكون ذلك بالتعليم أولاً حتى تقوم بإنتاج العنصر البشري الصالح، فتفي بحاجة المجتمع إلى نموذج من الإنسان جديد جسماً ونفساً وعقلاً ، ويكون التحرير بالعمل ثانياً ، وبه تساهم(تسهم) المرأة في تدعيم القاعدة المادية للكيان الوطني ." (بن رمضان ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ ص ٧٦)

ورغم أن هناك من تجاوز هذه النظرة ؛ إلا أن ذلك لم يكن على قدر من القوة التي تتغلب على هذا الاتجاه الغالب أو تخفف من أثره ، إلى جانب أن خطاب الرواد قد توجه أساساً نحو المرأة الأم ، ولم يهتم بالفتاة قبل الزواج إلا من حيث إعدادها لتكون زوجة وأماً .

وكما رأينا فقد فتن كثير من الرواد والرائدات بالتقدم الغربي الذي شاهدوه حينما ذهبوا إلى الغرب أو جاء إليهم (عن طريق الاستعمار) ، ومن ثم اندفعوا يطالبون بالإقتداء به في كل خطواته ، غير واعين بخطورة النتائج المترتبة على الأخذ بأفكارهم ، وقبل ذلك غفلوا عن الحضارة العظيمة التي ينتمون إليها والتي تمتلك جميع مقومات التقدم والرقي التي تحتاج إلى أن تبعث من رقادها الذي طال خلال عصور الركود والتقليد .

ويلاحظ أن قضية المرأة قد عالجها الرجال أولاً ، وأنه على الرغم من ظهور فئة من النساء أسهمت في ذلك ، إلا أنه لم تظهر من بينهن رائدة فرضت حضورها على مستوى الفكر فطرحت قضية المرأة من وجهة نظر المرأة نفسها، ونجد أنه حتى ملك حفني ناصف التي قدمت تصوراً لبرنامج جيد لإعداد المرأة ؛ إلا أن أفكارها قد تغوضي عنها بذهابها . وظلت قضية المرأة مثارة من قبل الرجال .

وترى الباحثة بأن السبب الأساسي في ذلك ربما يرجع إلى قلة المتعلمات من النساء ، وتدني المستوى التعليمي للمتعلمات منهن ، إلى جانب قلة أو انعدام – الفرص التي تسمح للنساء بالتعبير عن آراءهن وتصوراتهن .

ثالثاً:مابعدالرواد:-

بنهاية عهد الاستعمار وحصول الاستقلال السياسي ؛ تحقق الحلم وأصبح تعليم المرأة المسلمة واقعاً مفروضاً على المجتمع ، وكذلك انخراطها في العلم ، ولكن بدرجات متفاوتة من بلد لآخر ، وسوف نورد فيما يلي ملخصاً لبدايات التعليم في عدد من الدول الإسلامية ، ونفصل الحديث بعض الشيء عن تعليم البنات في المملكة العربية السعودية باعتباره تجربة متميزة :

١ – بداية تعليم المرأة في مصر:

لما تولى محمد علي الحكم ؛ أراد إنشاء دولة متقدمة تقوم على العلوم الحديثة ، فكان من ضمن ما فعله أن أقام مدرسة للبنات ؛ يتعلمن فيها بعض علوم الصحة ، وقد أحضر للتدريس فيها مولدات وطبيبات . فكانت الفتيات يتعلمن فيها الفرنسية وبعض الفنون اليدوية والموسيقى وذلك عام ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م. (يوسف أسعد ، د.ت ، ص ٨٦-٩٠)

ثم أنشئت عدة مدارس للجاليات الأجنبية ، لكن ثاني مدرسة تابعة للحكومة هي مدرسة البنات بالسيوفية والتي أنشئت عام١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م ، ثم المدرسة القربية عام١٢٩١هـ / ١٨٧٤م ، وكانت الأقلية المتعلمة هي التي تدفع ببناتها للالتحاق بتلك المدارس .(زيادة ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ، ص ص١٤٠-١٤١)

وقد طالبت الفتيات المصريات بدخول الجامعة، الأمر الذي أضطر أحمد لطفي السيد ، أول مدير لجامعة القاهرة (فؤاد سابقاً) إلى اللجوء إلى الحيلة حتى يمكن الفتيات من الالتحاق بالجامعة تجنباً للقوى المعارضة . فعمد إلى عدم ذكر الجنس عند تقديم الطلب ، وبذلك دخلت الفتاة لأول مرة إلى الجامعة المصرية عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨ م في كلية الطب وفي نفس العام افتتحت كلية البنات لتعليم الاقتصاد المترلي بحي الزمالك . أما الأزهر فلم يفتح أبوابه لتعليم البنات إلا في بداية الستينات . (خليل خليل، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ١٠٥-١٠٦ – فرج، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ، ص ١١٢-١١٣)

٢ – بداية تعليم المرأة في لبنان :

أسست أول مدرسة للبنات عام (١٢٥٠هـ /١٨٣٤م) من قبل رجل يدعى إيلي سميث وزوجته ، وكانت هذه أول مدرسة في بلاد الشام يقام لها بناء خاص . ثم بعد ذلك تم افتتاح عدد

كبير من المدارس حتى وصل عددها عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠ م إلى ٣٣ مدرسة تضم نحو ١٠٠٠ تلميذ ٢٠ % منهم من الإناث . (خليل خليل، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ص ١٣٣)

كذلك قامت منظمة راهبات المحبة وغيرها من المنظمات الدينية ؛ بتأسيس مدارس للبنات وصغار البنين في بيروت وبعلبك ودمشق كما قامت الجمعيات الخيرية الإسلامية بمثل ذلك بدءاً من عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م . (خليل خليل ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ١٣٣)

٣ – بداية تعليم المرأة في السودان :

قامت أول مدرسة نظامية للبنات في رفاعة عام ١٣٢٥هـ – ١٩٠٧م بجهود الشيخ با بكر بدري . وهي الأساس الذي قام عليه تعليم البنات في السودان . وفي عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م أنشأت الحكومة خمس مدارس ، كما أنشأت كلية للمعلمات بأم درمان ؛ لتدريب معلمات المدارس الأولية وذلك في عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٢١م . وفي عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م تأسست مدرسة الأحفاد الأهلية الوسطى للبنات . أما الثانوية فقد بدأت عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م بمدرسة الأحفاد بالثانوية . وفي عام ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م أنشئت أول كلية للبنات من أجل تقديم تعليم فوق الثانوي ، وهي كلية الأحفاد الجامعية للبنات . بدري ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٢-١٩)

ويعتبر السودان سباقاً لغيره من الدول العربية في إنشاء جمعية علمية للدراسات النسائية ، وذلك في عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ، بهدف تنشيط دراسات المرأة وتوجيهها . وقد أسس هذه الجمعية مجموعة من المدرسات . وأنشئ كذلك " اتحاد المرأة في السودان " وهو لجنة من الرجال والنساء المتخصصين في شؤون المرأة والشؤون الاجتماعية بصفة عامة ؛ للقيام بالدراسات الدقيقة عن قضية المرأة . وهناك مركز الدراسات الإنمائية التابع لجامعة الخرطوم ، وهو مؤسسة أكاديمية تعنى بدراسات المرأة . (سمارة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص ٢٢)

٤ – بداية تعليم المرأة في إيران :

أنشئت أول مدرسة في طهران للبنات عام١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م ، وذلك من قبل إحدى الجمعيات التبشيرية الأمريكية (*The American Presbyterian Missionary Society*) ولذا فإنه لم تلتحق بها في البداية سوى الفتيات من الأرمن والمسيحيات. أما المسلمات فلم يطرقنها إلا في عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م . أما أول مدرسة أنشأتها الحكومية الإيرانية للبنات ، فقد افتتحت عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م . ولم يتح للنساء الالتحاق بالجامعة إلا في عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م .

(Beck and Keddie, 1978, p 191,p300)

٥ – بداية تعليم المرأة تونس :

ذكر الحداد في كتابه أن الحكومة التونسية قد أنشأت معاهد لتعليم البنات أشبه ما تكـــون بمعامل صناعية ؛ من أجل تخريجهن في النسيج والإبرة كالزرابي والطرز، على مثال العمـــل في ديـــار المعلمات قبل الاستعمار . وقد أضيف إلى ذلك دروس في الفرنسية قراءة وكتابة ، إلى جانب التـــاريخ الفرنسي ،ومبادئ الحساب والجغرافيا . وهذا هو التعليم الفرنسي. أما التعليم العربي فقد كان يتم على يد مؤدب أو مؤدبة ؛ وذلك لحفظ سور من القرآن الكريم مع التمرين على القراءة والكتابة. وهنـــاك مدرسة نهج الباشا بالعاصمة التي تهيئ للشهادة الابتدائية . (الحداد ١٣٤٤هـــ/ ١٩٢٩م ، ص ١٩٤)

٦ – بداية تعليم المرأة في الجزائر:

امتنع غالبية الناس في الجزائر عن إرسال بناتهم إلى المدارس في عهد الاستعمار ؛ لأنها كـــانت تمنع تدريس العربية ، إلى جانب عدم وجود مدارس في الريف ، وجعل الأولوية للأولاد . وكل ذلك قـــد أسهم في تأخر التحاق البنات بالمدارس الحديثة . وفي عام ١٩٧١م-١٩٧٢م /١٣٩١هـــ ١٣٩٢هـــ ، بُذلت بعض الجهود لنشر تعليم البنات ؛ أثمرت عن التحاق ما نسبته ٣٢% من طلاب المرحلـــة الابتدائية . وقد عملت الحكومة على تحديد سن ١٤ للتعليم الإلزامي الذي لم يتحقق كمـــا في غـــير الجزائر من الدول . وكان الغرض من التعليم الإلزامي ؛ تحديث العقليات التي تمكن من تحرير المـــرأة ، لكنه لم يتحقق لأن الجزائر كانت ضد التحديث على النمط الغربي ، على العكـــس مـــن تونـــس ومصـــر . (*Beck and Keddie, 1978, pp. 160- 161, p169*)

٧ – بداية تعليم المرأة في فلسطين :

نتيجة لموجة التعليم التي شهدتها الدول المجاورة في أواخر القرن الماضي، فقد انتشرت المـــدارس في فلسطين خاصة التنصيرية منها . وقد كانت الدولة العثمانية تقف ضد هذه المدارس –التنصيريـــة – في بداية الأمر، لكن ضعفها في سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها ؛ قد قلل من تأثيرهـــا المباشر على مناطق نفوذها المختلفة ومنها فلسطين ، حيث أقرت بريطانيا نظام التعليم الإلزامي، وأقبل الأهل على تعليم أبنائهم وبناتهم في هذه المدارس ، رغم رفضهم للفكر الغربي الجديد الذي حملتـــه. وقد صاحب كل ذلك موجة محلية وطنية ؛ حيث أنشأت السيدة نبيهة نـــاصر عـــام ١٣٤٣هـــ-١٩٢٤م مدرسة بيرزيت التي أصبحت فيما بعد كلية بيرزيت ، ثم جامعة بـــيرزيت في عـــام ١٣٩٦ هـــ/١٩٧٦ م .ولم تحرم فتاة القرية من التعليم ؛ حيث أنه في عـــام ١٣٦٤هـــ ـــ ١٣٦٥هـــ، ١٩٤٤م-١٩٤٥م ؛كانت نسبة الفتيات في المدارس ٤٢% ، ٨% منهن يدرسن في القرى . (سمـــارة ١٤١٤هـــ/١٩٨٤م، ص ١٩٨-١٩٩)

٨ – تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية :

يعد تعليم البنات في المملكة العربية السعودية تجربة فريدة ومتميزة عن غيرها من التجارب المماثلة في الدول الإسلامية . وهذا التفرد والتميز يتعلق بظروف نشأة هذا التعليم ، ومعدل تطوره واكتماله والذي استغرق أقل من عشرين عاماً .

ونجد أن عصور الركود والتقليد قد ألقت بظلالها على جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية ، فيما عدا الأجزاء التي تركزت حول مكة المكرمة والمدينة المنورة ، باعتبارهما محط أنظار الناس من حجاج وزوار .

وقد أقام بعض الأعيان والتجار عدداً من **الكتاتيب** التي كسرت الجمود السائد ، وأدت الدور المرجو ، إلا أن المراجع قد أغفلت حق هذه المؤسسات ؛ حيث لا نجد عنها سوى القليل جداً من المعلومات .

ونجد أول تقرير رسمي للحكومة العثمانية ، والذي صدر في عام ١٣٠١ هـ ، قد أشار إلى أنه في عام ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ – ١٨٨٤ م كان بمكة ثلاثة وثلاثون كتُاباً ، بها ١١٥٠ طالبا وطالبة ، وهي موزعة في أنحاء مكة ز ثم أخذ العدد يتزايد ؛ حيث أشار التقرير الصادر في عام ١٣٠٩ هـ/ ١٨٩١ ـ ١٨٩٢ م إلى أنها قد بلغت ٤٣ كتابا . (بن دهيش ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ١٧ – ١٨)

ومن أشهر الكتاتيب التي وجدت :

١ – **كتاب الأستاذة الهزازية** : وكان مقره منزل آل الكندواني بالصفا . وقد تأسس في أواخر الأربعينات الهجرية ، ثم أقفل بعد بضع سنوات . (بن دهيش ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٣٣)

٢ – **المدرسة الفخرية بالمدينة المنورة** : ومعلمتها فخرية هانم . وقد تطورت هذه المدرسة عام ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م عن الشكل التقليدي للكتاب حيث أدخلت فيها السبورة بدل الألواح الخشبية ، والكتب المدرسية ، وعدلت مناهجها لتلائم مرحلة التطور التي كانت تمر بها البلاد آنذاك ؛ حيث تحولت بعض الكتاتيب إلى ما يشبه المدارس التحضيرية الحديثة .[1](بن دهيش ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٤١ – ٤٢)

ويذكر بن دهيش أن موافقة الحكومة شرطاً لم تكن لافتتاح الكتاتيب ؛ حيث كان بإمكان أي شخص مؤهل أن يفتح كتابا . (بن دهيش ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٥٠)

---

[1] للمزيد في الموضوع أنظر بن دهيش ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٣٢ – ٤٢ .

ثم تطور التعليم على شكل مدارس أهلية ، وحظيت مكة المكرمة والمدينة المنورة بحظ وافر منها بسبب انطلاق التعليم فيهما على يد علماء قدموا من أقطار إسلامية أخرى لأداء الحج . (الزيد ، ١٤٠٤ هـ /١٩٨٤ م ، ص ١٦) . وبذلك يكون التعليم الأهلي قد اضطلع بمهمة تعليم الفتاة قبل تأسيس الرئاسة العامة لتعليم البنات بحوالي عشرين عاما .

ومن أشهر المدارس التي وجدت آنذاك :

١ – **المدرسة الخيرية العارفية للبنات بمكة المرمة** : وقد تأسست عام ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٨ م . وكانت تقوم بالتدريس فيها زوجة محمد عارف مؤسس المدارس العارفية . (آل الشيخ ، د . ت ، ص ١٥٨)

٢ – **مدرسة خوجة هاشم بالطائف** : وقد تأسست عام ١٦٠ هـ / ١٩٤٠ م ، وكانت تديرها لسيدة الطاف عمر هاشم ، وكانت أقرب إلى مدارس محو الأمية ؛ لافتقارها إلى المنهج الدراسي الواضح . وكان التركيز فيها على تدريس القرآن الكريم . (آل الشيخ ، د . ت ، ص ١٥٨)

٣ – **دار الحنان بجدة** : وقد أسسها جلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز على نفقته الخاصة وجعلها تحت رعاية حرمه ، وكانت مخصصة اليتيمات والمحتاجات من الفتيات ، ثم افتتح بها قسم خارجي . وقد ضمت مراحل : الروضة ، والتمهيدي ، والابتدائي ، والمتوسط ، والثانوي . وبعد فترة من افتتاحها ؛ أدخلت المدرسة ضمن مناهجها بعض البرامج والدراسات في الآلة الكاتبة ومسك الدفاتر والملفات ، وذلك من أجل تخريج فتيات يقمن بمؤهلات الوظائف الكتابية بمدارس البنات . (فصول ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م ،ص ٦ ، ص ١٦)

٤ – **مدرسة البنات الأهلية بمكة المكرمة** : وقد أنشئت عام ١٣٦٢ هـ /١٩٤٢ م . وهي امتدادا لنشاط مؤسس دار العلوم الدينية للبنين التي أنشئت عام ١٣٥٣ هـ /١٩٣٣ م . وقد أسسها مجموعة من الأندونيسيين و الملاويين ؛ من أبرزهم فضيلة السيد محسن بن علي بن عبد الحمن الساوي [1] الذي كان له ولأولاده وعائلته دور كبير في تعليم البنين والبنات . (فصول في تاريخ المملكة ،١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م ، ص ١١)

---

[1] ولد الساوي بمدينة فلمبان في سومطرة في عام ١٣٢٣ هـ / ، وقدم إلى مكة المكرمة عام ١٣٤٠ هـ / ، والتحق بالمدرسة الصولتية ، وتخرج منها ثم درس بها . وفي عام ١٣٥٣ هـ / أسس دار العلوم الدينية . (فصول في تاريخ المملكة ،١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م ، ص ١١)

وكانت أول مديرة للمدرسة زوجة الشيخ حسين عبد الغني فلمبـــان [٢] . وقـد ضمت المدرسة منذ إنشائها جميع صفوف المرحلة الابتدائية وفقاً لمنهج وزارة المعـارف ، إلى جانب منهاج للثقافة المترلية يضم دروسا في الخياطة والتطريز ورعايـة الطفـل . ثم سارت المدرسة على مناهج الرئاسة العامة لتعليم البنات بعد افتتاحها ، كما افتتحت عـام ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م فرع إعداد المعلمات . (فصول في تاريخ المملكة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م ، ص ١١ – ١٢)

٥ – **مدرسة الفتاة للثقافة والتدبير المترلي بمكة المكرمة** : وقد أسسها الشيخ حسـين عبـد الغني فلمبان عام ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م ، وتولت إدارته زوجته بعد أن استقالت مـن إدارة مدرسة البنات الأهلية . ثم غير اسمها عام ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ليصبح مدرسـة الفتاة الأهلية . وقد سارت هذه المدرسة على مناهج البنين مع تعديـل طفيـف حيـث استبدلت الرياضة البدنية بالتربية المترلية ، ثم سارت على مناهج الرئاسة العامـة لتعليـم البنات بعد إنشائها . وقد اقتصرت المدرسة على المرحلة الابتدائية حتى عـام ١٣٨٦ ــ ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ م ، حيث افتتح بها فرع للمرحلة الإعدادية . (فصـول في تاريخ المملكة ،١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م ، ص ١٣)

٦ – **المدرسـة النصيفيـة بجـدة** : وأنشئت عام ١٣٧٥ هـ / بمساعدة الشيخ محمد نصيف ؛ الذي شجع الفكرة ودعمها وتبرع بتوفير المكان . وقد بدأت المدرسة بـالصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية تحت إشراف السيدة صديقة شرف الـدين التي كانت تقـوم هي ووالدها وشقيقتها ومعلمة بالتدريس فيها إلى جانب إدارته دون مقابل . (أبو حسـين ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١٩٦)

وكان لكل مدرسة منهجها الخاص بها ، وبعضها كان يتبع منـاهج البنـين ، إلا أن المناهج قد أخذت في التنظيم والتوحد بعد قيام الرئاسة العامة لتعليم البنـات . (فصـول في تاريخ المملكة ،١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٣٠) ، كما أن عددها قد تقلص بعد انتشـار المدارس الحكومية وما صاحبها من حسن أداء . (أبو حسين ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٢٠٤)

---

[٢] حسين عبد الغني فلمبان : من مواليد سومطرة عام ١٣١٩ هـ / . هاجر إلى مكة المكرمـة عـام ١٣٣٠ هـ / ن وحصل على إجازة التدريس في الحرم المكي الشريف عام ١٣٤٧ هـ / . وقد عين مدرسا بمدرسة دار العلوم الدينية عـام ١٣٥٥ هـ / ، وبقي بها حتى عام ١٣٦٧ هـ / حيث افتتح مدرسة الفتاة للثقافة والتدبر المترلي . .(فصول في تـاريخ المملكة ،١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م ، ص ١٣)

وقد تأخر الجهاز التعليمي للبنات في المملكة العربية السعودية ثلاثين عاما بعد تأسيسها (فصول ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٢) وذلك بسبب ما كان يسود البلاد آنذاك من أعراف اجتماعية تعارض تعليم البنات الحكومي عموما ، والنسوي خصوصا . فهذه الأعراف ـ خاصة في نجد ـ كانت تعتبر التعليم مفسدا للمرأة ، مبعدا لها عن وظيفتها الأساسية . ولذلك فقد عمدت الحكومة على التريث في الأمر من أجل تهيئة الرأي العام ؛ حيث بدأت الصحف في مناقشة الموضوع ، وتوضيح مدى أهميته ومشروعيته ، الأمر الذي كان له دور كبير في إقناع المعارضين ، وطمأنة المتخوفين .(آل الشيخ ،د . ت ، ص ١٦٠)

وقد أوضح آل الشيخ الذي ـ كان أحد المسئولين عن تعليم البنات في ذلك الوقت ـ كيف أن معارضي تعليم البنات قد خلطوا بين مبد أ تعليم المرأة وبين ما يجب أو لا يجب أن تتعلمه وبين أسلوب تعليمها من حيث الاختلاط بالرجال من عدمه ، وأنهم لم يتنبهوا إلى الخطر العظيم الذي يمثله الجهل على الأسرة ، ولا إلى الفوائد الجليلة التي تعود عليها من وراء تعلم أهم فرد فيها وهو المرأة . وجرت في تلك الفترة محاولات كثيرة لإقناع هؤلاء من خلال الحوار ، إلا أن أكبر إجراء سد الباب أمامهم تمثل في إنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات تحت إشراف مجموعة من العلماء ؛ لتكون الجهاز المسئول عن تعليم البنات . (آل الشيخ ، د . ت ، ص١٤١ ـ ١٤٢)

وقد كانت هذه المعارضة طبيعية في مجتمع لا زال يعيش في أجواء الركود ، ويتمسك بالعادات والتقاليد التي منها ما هو عديم الصلة بالإسلام ، إلى درجة أن سكان إحدى المدن الصغيرة قد تكتلوا لمنع افتتاح مدرسة ببلدهم ، واستنجدوا بالأمير فيصل بن عبد العزيز ـ ولي العهد ورئيس الوزراء آنذاك ؛ إلا أنه أصر على إبقائها حين لم ينجح في إقناعهم . (عسه ، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م ، ص ٥٦٨ ـ ٥٦٩)

إنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات:

صدر القرار بإيجاد تعليم البنات في شهر ربيع الثاني عام ١٣٧٩ هـ / أكتوبر ١٩٥٩ م ، وذلك بمرسوم ملكي جاء فيه :

> " الحمد لله وحده وبعد فقد صحت عزيمتنا على تنفيذ رغبة علماء الدين الحنيف في المملكة في فتح مدارس لتعليم البنات العلوم الدينية من قرآن وعقائد وفقه وغير ذلك من العلوم التي تتمشى مع عقائدنا الدينية : كإدارة المنزل ، وتربية الأولاد ، وتأديبهم مما لا يخشى منه في العاجل أو الآجل أي تأثير على معتقداتنا وتكون هذه المدارس في منأى عن كل شبهة من المؤثرات التي تؤثر على أفكار النشء في أخلاقهم وصحة عقيدتهم وتقاليدهم . وقد أمرنا بتشكيل هيئة من كبار العلماء الذين يتحلون

بالغيرة على الدين والشفقة على نشء المسلمين لتنظيم هذه المدارس ووضع برامجها ومراقبة حسن سيرها فيما أنشئت له وتكون هذه الهيئة مرتبطة بوالدهم حضرة صاحب السماحة المفتي الأكبر الشيخ حمد بن إبراهيم آل الشيخ على أن تختار المدرسات من أهل المملكة وغيرهن من اللواتي تتحقق فيهن حسن العقيدة وصدق الإيمان ، ويضم في هذه المدارس ما سبق فتحه من مدارس للبنات في عموم المملكة وتكون جميعها مرتبطة في التوجيه والتنظيم إلى هذه اللجنة تحت إشراف سماحته مع العلم أن التشكيل يتطلب الوقت الكافي لتهيئة وسائل التأسيس ونأمل أن يكون ذلك في وقت قريب ، والله الموفق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . " (مصلح ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٦٨)

وقد مثل هذا القرار نقطة تحول أتاحت الفرصة للمرأة في نيل حقها الذي حرمت منه ، ثم أنشئت الرئاسة العامة لتعليم البنات بعد صدور هذا القرار . (فصول ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٦)

وبعد إنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات ؛ أصبح تعليم البنات في المملكة العربية السعودية يشمل المراحل الثلاث : الابتدائية والمتوسطة والثانوية والتي تسير وفقا للسلم التعليمي لمدارس البنين ، عدا المنهج الخاص بالتدبير والفنون المنزلية .

وقد سار تعليم البنات في المملكة العربية السعودية متوجهاً بالسياسة العامة للدولة ، ومتوافقاً مع القيم والعادات والتقاليد ضمن إطار الإسلام .

وفي عام ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م صدرت وثيقة ترجم السياسة التعليمية للدولة ، والتي تستهدف الإنسان بشكل كامل ومتوازن . واشتملت السياسة على جزء خاص بتعليم البنات ؛ جاء فيه ما نصه :

" ١٤٢ : يستهدف تعليم الفتاة تربيتها تربية إسلامية صحيحة لتقوم بمهمتها في الحياة لتكون ربة بيت ناجحة وزوجة مثالية وأما صالحة ، لإعدادها للقيام بما يناسب فطرتها كالتدريس والتمريض والتطبيب .

١٤٣ : تهتم الدولة بتعليم البنات وتوفر الإمكانات اللازمة ما أمكن لاستيعاب جميع من يصل منهن إلى سن التعليم ، وإتاحة الفرصة لهن في أنواع التعليم الملائمة لطبيعة المرأة والوفاء بحاجة البلاد .

١٤٤ : يمنع الاختلاط بين البنين والبنات في جميع مراحل التعليم إلا في دور الحضانة ورياض الأطفال .

١٤٥ : يتم هذا النوع من التعليم في جو من الحشمة والوقار والعفة ، ويكون في كيفيته وأنواعه متفقا مع أحكام الإسلام . "

وقد اهتمت الدولة بتعليم البنات والتزمت بتوفير كافة الضمانات الكفيلة بإنجاحه واعتبرته حقا لكل فتاة وصلت إلى سن التعليم ابتداء من رياض الأطفال وانتهاءً بالتعليم العالي (أبو حسين ، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٦ م ، ص ٣٠١) ، حيث نجد أن جامعات المملكة تضم أقساما خاصة بالطالبات تسمح للملتحقات بالانتظام أو الانتساب بها بحسب ظروفهن ، كما أنشأت كليات البنات التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات لتسهم بدورها في إعداد الكفاءات اللازمة لخدمة العلم وأهله .

وكانت أول كلية للبنات قد أنشئت عام ١٣٩٠ – ١٣٩١ هـ /١٩٧٠ – ١٩٧١ م، وذلك بعد عشر سنوات فقط على افتتاح أول مدرسة حكومية للبنات . " (مصلح ،١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٥٢٧)

وقد تفرد تعليم البنات في المملكة العربية السعودية بالسرعة التي استكمل بها مراحله وأنواعه بدءاً من رياض الأطفال وانتهاءً بالتعليم العالي ، إلى جانب العناية بمحو الأمية ، وتعليم المعوقات ، والتعليم المهني .

المبحث الثامن

واقع تعليم المرأة المسلمة في الوقت الحاضر

لم يؤت الإسلام في تاريخه الحديث من ثغرة أشد خطراً من وضع المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي . فقد منح الإسلام المرأة حقوقاً ومكانة تتوافق مع فطرتها ، ومن ذلك حقها في التعليم ، الذي اعتبره الإسلام فريضة عليها كما هو على الرجل ، واعتمد حسن توظيفه وسيلة من أجل إعمار الكون وتحقيق الخلافة .

لكن عصور الركود والتخلف والتقليد ؛ قد ألقت بظلالها على فهم المسلمين للخطاب الإسلامي ، وإدراكهم لأبعاده . ومن ثم فإنه بدلاً من إعطاء المرأة حقها في التعليم الذي حث عليه الإسلام ؛ فقد آلت المجتمعات الإسلامية إلى حرمان المرأة منه ، حيث حُددت حاجتها للعلم بالقرآن الكريم وبعض مبادئ الدين . ومن ثم ظلت المرأة المسلمة ولقرون عدة ؛ تعيش في ظلام الجهل ، شاءت إرادة الله بعدها أن تمتد إليها الأيدي الغربية والقريبة لتنتشلها من غياهبه مدفوعة بدوافع مختلفة.

والأيدي الغربية تتمثل في الجهود التي قامت بها الدول المُستَعمِرة ، أما الأيدي القريبة فتتمثل في الحكومات الإسلامية التي استشعرت أهمية تعليم المرأة ؛ فأفسحت لها المجال في المؤسسات التعليمية الخاصة بها أو المختلطة .

ويلاحظ أن الاستعمار لم يكن يشجع تعليم البنات في الدول الإسلامية المستعمرة ، بل كان يقاومه مقاومة شديدة ، ويعمل باستمرار على تخلف المرأة الذي يبقى على تخلف المجتمع كله .

وقد حدث هذا في السودان وفي غيرها من الدول الإسلامية ، فقد جاء في التقرير السنوي لوزير المالية أثناء الحكم البريطاني للسودان ؛ أن السبب في عدم تعليم البنات يعود إلى عدم توفر الأماكن الملائمة لإقامة المدارس . (سمارة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ص ٢٢٣-٢٢٤)

وما شجعه الاستعمار ؛ هو المدارس التنصيرية التي وقفت الدولة الإسلامية ضدها - أيام قوتها - في المناطق الواقعة تحت نفوذها ، وذلك لما تحمله هذه المدارس من فكر غربي . (سمارة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ص ١٩٨)

ونجد الحداد يشير إلى أن هذه المدارس قد مثلت أكبر عقبة في طريق المرأة المسلمة ؛ لأنها كانت تهيئ الملتحقات بها لمواصلة تعليمهن في المدارس الفرنسية ، وكانت تجعلهن يتعلقن بالجديد المستحدث وينبذن القديم دون أن تؤهلهن بما يمكنهن من هضم الجديد ومعرفة أوجه صلاحه وفساده. فهذه المدارس

لم تكن إلا صورة من صور التطور الشكلي الذي يوفر مطالب الجسد دون الروح والعقل . (الحداد ، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م ، ص ١٩٤-١٩٧)

وقد وجدنا الأهالي في كثير من البيئات يمتنعون عن إرسال بناتهم إلى أمثال هذه المدارس كما في الجزائر والسودان ؛ حيث ظل الوضع التعليمي للمرأة فيها دون المستوى المطلوب حتى عام ١٩٧٠م . (بدري ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٣٥)

وعلى الرغم من اختلاف بدايات التعليم للإناث من بلد لآخر، إلا أن تعليم البنات في جميع الدول الإسلامية قد أخذ ينمو باضطراد منذ الخمسينات الميلادية . (تقرير العائلة العربية ..، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م ، ص ١٠)

لكن وبصفة عامة ؛ فإن الواقع التعليمي للمرأة المسلمة في العصر الحديث ، يعكس **أمرين** اثنين : انعدام الأصالة ، واقتصاره على إعداد المرأة للعمل وإهمال وظيفتها الإنسانية ، وسنناقش هذين الأمرين فيما يلي .

أولاً: انعدام الأصالة في تعليم المرأة المسلمة في العصر الحديث:

انطلق تعليم المرأة المسلمة في العصر الحديث من منطلق غير إسلامي بعد مجيء الاستعمار . وقد كان لآراء كثير من الرواد دور في ذلك ، حيث نادوا باحتذاء النهج الغربي في تعليم المرأة . فكانت النتائج متمثلة في الواقع المتردي الذي يعيشه المجتمع المسلم اليوم برجاله ونسائه .

ومن أبرز المؤشرات الدالة على فقدان الأصالة في تعليم المرأة المسلمة في الوقت الحاضر ما يلي :-

١- افتقاد المناهج التي تقدم للرؤية الإسلامية ، حيث نجدها نسخاً غير مطورة للمناهج الغربية بمفاهيمها وقيمها . بمعنى أن الطابع الإسلامي لا يصبغ جميع المواد والعلوم التي تقدمها المناهج الدراسية ؛ فالمقررات الإسلامية تتخصص في تدريس المواد المتعلقة بعلوم الشريعة والفقه ، ولا تمتد لتصبغ العلوم الطبيعية والاجتماعية ، وهذا ما جعل نفراً من الباحثين يشعرون بأهمية أسلمة التربية ومن بينهم العلواني الذي يقول ما نصه :

" إن المواد والمناهج التي تدرس في جامعات العالم الإسلامي هي نسخ غير مطورة عن المواد والمفاهيم الغربية ، وهي تفتقد الرؤية الصحيحة للعالم الإسلامي الذي لا ينفع له كل مستورد ، ومن ثم فهي أداة تعليم قاصر أو ضار ، يبعد الطلبة عن جذورهم وحضارتهم ويفقدهم هويتهم ،

ويسهم في تكريس التخلف . والكارثة الكبرى تتمثل في افتقـــاد غالبيـــة الأساتذة للمنظور الإسلامي إن لم يكونوا أعداء له . "

ويضيف قائلاً :

".... ولا توجد حتى الآن مؤسسة أكاديمية في العالم الإسلامي يدرس فيها الفكـر الإسلامي والرؤية الإسلامية بشكل متكامل ، كما تدرس الأفكـــار والرؤيـــة الغربية لطلبة الدراسات الثانوية في الغرب ، أي بترابط وشمولية وجدية والتزام من قبل الجميـــع .[1] (العلواني ، ١٤١٣هـــ/ ١٩٩٢م ، ص ٨٤-٨٥)

٢- اعتبار مادة " الدين " من المواد الهامشية في بعض البيئات الإسلامية [2]

٣ الاختلاط بين الذكور والإناث في المؤسسات التعليمية في غالبية الدول الإسلامية .

وقد أشار الأستاذ محمد قطب إلى أن هذا الأمر قد تطور من جعل بعض المعلمين من الرجال في البداية ، حتى وصل إلى أن أصبحت المدارس مختلطة تضم الذكور والإناث معاً . (محمد قطب ، ١٤٠٦ هـــ/١٩٨٧ م ، ص٥٠)

إن انعدام الأصالة في تعليم المرأة المسلمة المعاصرة قد أفقد المؤسسات التربوية في المجتمع الإسـلامي القدرة على إخراج المرأة المسلمة التي تترجم المبادئ التي تؤمن بها إلى سلوك تطبيقـــي في واقـــع الحيـــاة . وهي- المؤسسات- بما تقدمه من تعليم موحد للذكور والإناث مما لا يتلاءم مع مسئولية المرأة ورسالتها ، ولا يتناسب مع تكوينها النفسي والاجتماعي والحيوي ، قد أبعدتها عن إدراك الهدف الحقيقي لوجودهـا، فلم يعد أمامها هدف محدد تسعى إليه ، مما أسهم كثيراً في تخلفها ، ومن ثم تخلف باقي أفراد المجتمع المسـلم باعتبارها المربية الأولى . [3]

ويورد ستودارد وصفاً لحال المرأة المسلمة التي تخرجت من التعليم المتغرب فيقول ما نصه :

---

[1] أشار الصواف إلى أنه في ثانوية "الأعظمية" للبنات في العراق ، كانت هناك كثير من المخالفات للشريعة الإسلامية من سفور وتـبرج ، وأن المناهج كانت تخلو من أي أثر أو توجيه إسلامي ، مما جعل المتعلمات يجهلن أبسط الأحكام الشرعية . وقد تأكد له ذلك مـــن خـــلال استجابتهن السريعة لما كان يلقيه عليهن من محاضرات . (الصواف ، ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م ، ص ١٢٢-١٢٣)

[2] لم تكن مادة " الدين" من المواد الرئيسية في مصر في السابق حيث أن الطالب كان يمكنه أن ينتقل إلى صف أعلى مع رسوبه فيها حتى عين د.حلمي مراد وزيراً للتعليم ، فأصدر قراراً يقضي بجعلها مادة نجاح ورسوب . " حسين في الشعب ، ١٤١٧هـــ/- ١٩٩٧م ، ع ١١٣٦)

[3] في دراسة أجريت بلبنان وجد أن ثقافة البنات المنقطعات عن التحصيل هي في مستوى الحس الشعبي المشترك ، حيث لم يؤهلهن تعليمهن للتحرر من التقاليد والأساطير، إلى جانب أن استهلاكهن الثقافي محصور بصفة عامة في الاستماع للإذاعة ، ثم مشاهدة التلفاز، وبدرجة أقـل قراءة الصحف السياسية ، مع ارتفاع في قراءة المجلات الغرامية والجنسية وشبه انعدام في مطالعة الكتب حتى ولو كانت روايات بوليســية . (خليل خليل، ١٠٤٩هـــ/ ١٩٨٩م ، ص ١٣٤-١٣٥)

" إن انتشار التعليم الغربي في الأقطار الشرقية خلال بضعة العقود الأخيرة ليدعو للاعتبار لأنه قد نقض ما هو معهود في الشرق منذ القديم من نظم التهذيب والتعليم ، فقد كانت أصول فن التعليم جارية على سنن التقليد في جميع الشرق من مراكش حتى الصين لا تخرج عن حد تحفيظ الكتب الدينية والأسفار المقدسة تحفيظاً مقروناً بتعليم فروض الدين وممارسة شعائره... "

ثم يشير إلى أن تعليم الإناث قد انتشر انتشاراً كبيراً ولكن على نحو أضيق من تعليم الذكور، حتى ظهر في الحواضر الأكثر تمدناً مثل القسطنطينية (اسطنبول) والقاهرة ومدن الهند : " طراز جديد من النساء العصريات ، المهذبات ، الراقيات ، ولاسيما من معلمات المدارس اللاتي نزلن منزلة رفيعة في المجتمع الذي أخذن يعملن فيه . " [1] (ستودارد ،١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م)، ص ٢٣٤، ص ٢٣٨)

ثانياً: اقتصاره على إعداد المرأة للعمل وإهمال وظيفتها الإنسانية:

على الرغم من حرص الإسلام في إعداده للمرأة المسلمة على تهذيبها وتعليمها وتوفير كافة الضمانات التي تساعدها على التفرغ لمسئوليتها الأولى في إعداد الإنسان المؤهل لعمارة الكون.إلا أنه مع ذلك لم يمنعها من العمل ؛ بل أباحه لها بشرط أن لا يزاحم واجباتها الأساسية .

لكن الملاحظ على التعليم الحديث للمرأة المسلمة المعاصرة أنه يجعل الهدف الأول من تعليمها ؛ إعدادها لسوق العمل ، متوجهاً في ذلك بالنظرة الغربية الموجهة لنظم التعليم في الدول الغربية (الرميحي في ندوة المرأة ودورها.. ، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م ، ص ٢٣٥)

ونجد أن خروج المرأة الغربية للعمل ، قد يكون فيه تحرير لها من أعباء المنزل ، لكنه قد تسبب لها في كثير من المعاناة النفسية الناجمة عن عدم الإحساس بالاطمئنان والاستقرار الذي يمنحها إياه قيامها بمسئولياتها الأساسية داخل المنزل .

ويلخص بارسونز (Parsons) هذه المعاناة للمرأة الأمريكية بقوله :

" إن المرأة الأمريكية حين وجدت نفسها تعيش في خضم المجتمع الاستهلاكي المتفوق في الميكنة والتقنية ، شعرت بالتحرر من أعباء الأشغال المنزلية التي كانت تتحملها جدتها من قبل . وإن كان ذلك

---

[1] من الأمور الموسفة أن هذا الرقي- البعيد عن الأصالة – قد أفرز أنماطاً من النساء تفرعنت فلم تكتف بتجاوز حدها في الغفلة عن الالتزام والتمسك بالفطرة بل راحت تجاهر بالعداء لدينها وتقاليد قومها . وكل ذلك بسبب غياب التعليم الديني عن الواقع التعليمي للمرأة المسلمة المعاصرة والذي أدى في مصر وغيرها إلى ظهور تنظيم " عبدة الشيطان" من الجنسين (المسلمون، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٦٢٧) ، وأدى في تركيا إلى قيام بعض النساء بمظاهرات ضد خطط الحكومة الهادفة إلى تشجيع المجتمع التركي على العودة إلى بعض العادات والتقاليد الإسلامية . (الحياة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١٢٤٠٧)

أدى إلى شعورها بالفراغ القاتل ، ومن ثم الجري وراء الأشياء التافهة ، ومن ثم بدأت تعاني القلق والتوتر والأرق وعدم الشعور بالاطمئنان النفسي ، ومن ثم أصبحت تتردد على عيادات التحليل النفساني . " تلك التي صادفت بصناعتها رواجاً كبيراً ... " (تعقيب حكمت أبو زيد على نشابه في ندوة المرأة ودورها .. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص ٤٥٦)

وعلى نفس المنوال نجد المرأة المسلمة المعاصرة التي أعدها العلم لسوق العمل في كثير من البيئات الإسلامية ، دون مراعاة للضوابط الشرعية التي حددها الإسلام ؛ فلأن خروجها لم يكن وليد تطور اجتماعي استوجبته تغيرات المجتمع ، بل وليد تقليدها للآخرين ؛ لذلك فقد وجدنا سوق العمل لا يوفر لها التنظيمات التي تراعي مسئوليتها الأساسية ، ولا الإمكانيات التي تتيح لها الاستفادة من طاقاتها في الارتقاء بوضع المجتمع ، ولا القوانين واللوائح التي تيسر لها الجمع بين مسئولياتها المختلفة في ظل الضوابط الشرعية .

وقد تحملت المرأة المسلمة المعاصرة كل ذلك ، فكانت النتيجة أن عليها أن تدفع الثمن في الحالتين ؛ فإن عملت كانت النتيجة إرهاقاً نفسياً ينعكس أثره على أسرتها ، وإن لم تعمل كانت النتيجة انعزالا عن واقع الحياة الاجتماعية .

وهناك كثير من الدراسات التي تؤكد على الآثار السلبية الناجمة عن خروج المرأة المسلمة المعاصرة إلى العمل دون ضوابط ومن بين هذه الآثار[1] :-

١. **أن الأم العاملة أصبحت أقل البشر فراغاً** حيث أن ساعات اليوم لا تكاد تكفي واجبات عملها ومنزلها .

٢. **معاناة المرأة من الازدواجية** بسبب توزعها بين أعمالها داخل المنزل وخارجها وشعورها بعدم القدرة على التوفيق بينهما .

يقول غارودي :

" إن النساء اللواتي يعملن في أكثر من ميدان يعانين من التمزق الشديد حيث يواجهن صعوبات جمة من جراء قيامهن بواجبات الأمومة ، وبالعمل خارج المنزل إلى جانب أعمال المنزل في وقت واحد ، رغم أن وسائل الدعاية تحاول إقناعهن بأن الأدوات المنزلية الحديثة تحررهن من بعض أعمالهن . وهن

---

(١) أنظر في ذلك : آدم ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص ٢٦٠/ ، ص ٥٨ – عبد المعطي في مؤتمر المرأة والتنمية .. ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، ص ٧٣٤ – تقرير العائلة العربية .. ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، ص ٣٥ – يوسف أسعد ، د.ت ، ص ٥٠ .

يخدعن بخصوص نوعية الخدمات ، ومدة الاستعمال ، والأسعار . " (غارودي وآخرون ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص ١١٣- ١١٤)

وتشير نتائج بعض الدراسات إلى أن من بين الأزواج من يتهمون زوجاتهم بالعنف والعصبية الزائدة الناجمة عن التعب والإرهاق النفسي نتيجة الجمع بين المسئوليات ، وعدم القدرة على تلبية المطالب المادية والعاطفية للزوج . وإذا ما تمكنت المرأة من تحقيق شيء من التوازن ؛ كان ذلك على حساب جهازها العصبي والنفسي ، حيث تتعامل مع ما يفوق قدرتها وطاقتها البشرية ، فتنعكس انفعالاتها على من حولها ويتعكر صفو الأسرة . (آدم ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص ٢٦٠)

كما تشير الدراسات أيضاً إلى ارتفاع حالات القلق والاكتئاب نتيجة لعمل المرأة ؛ مما يضطرها إلى اللجوء إلى العيادات النفسية هي وأبناءها . (تقرير العائلة العربية وآثار التحولات ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، ص ٣٥)

٣. **فتور المشاعر بين الزوجين** : وذلك بسبب شعور المرأة بالندية والمساواة التي تجعلها تشعر بالاستغناء عن زوجها ، إلى جانب أن الرجل لم يعد يشعر بالسعادة التي كان منبعها العطاء . فحدث هناك فقدان جزئي للقوامة المادية التي يشير إليها قوله تعالى : ﴿ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ (النساء ، آية ٣٤) ، إلى جانب أن دخل المرأة قد أصبح يتسبب في كثير من النزاعات بين الزوجين في ظل طغيان النزعة المادية على أفراد المجتمع في الوقت الحاضر .

٤. **شعور المرأة بالاستقلال الاقتصادي** وبأهميتها في المجتمع ؛ قد يكسبها اتجاهات سلبية تؤثر على أداءها لمسؤلياتها الأساسية ، حيث قد يؤدي إلى مبالغة في تقدير الذات ، يستتبعها قلة اهتمام بالآخرين من حولها ممن كلفها الله بواجبات تجاههم ؛ مثل الزوج والأبناء والأقارب .

٥. **عمل المرأة بين الرجال** قد يكسبها بعض خصائصهم ، فتبدوا مسترجلة في سلوكها ، وينعكس أثر ذلك على علاقتها بزوجها .

٦. **حرمان الأطفال من الرعاية النفسية والعاطفية** التي تعتبر الأم المصدر الرئيسي لها .

يقول سيد قطب :

> " وأعجب العجب أن انحراف التصورات الجاهلية ينتهي بناس من المعاصرين إلى أن يعتبروا نظام العمل للمرأة تقدماً وتحرراً وانطلاقاً من الرجعية ! وهو هو هذا النظام الملعون ، الذي يضحي بالصحة النفسية لأغلى ذخيرة على وجه الأرض ... الأطفال ... رصيد المستقبل البشري... وفي مقابل ماذا ؟ في

مقابل زيادة في دخل الأسرة ، أو في مقابل إعالة الأم ، التي بلغ من جحود الجاهلية الغربية والشرقية المعاصرة ، وفساد نظمها الاجتماعية والاقتصادية أن تنكل عن إعالة المرأة التي لاتنفق جهدها في العمل ، بدل أن تنفقه في رعاية أعز رصيد إنساني وأغلى ذخيرة على وجه الأرض ." (سيد قطب ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، مج١، ص ٢٣٥)

وإلى جانب هذه الآثار ؛ نجد المرأة المسلمة المعاصرة قد أصبحت مقلدة لنظيرتها الغربية في كل شيء ، ومن ثم كان جريها وراء " الموضة" والاستهلاك ، تاركة وراءها تراثاً عميقاً دون أن تفرق بين طيبه وخبيثه ، أو بين ما يناسب حياتها الجديدة وما يعارضها ، ومن ثم وجدناها تجري لاهثة وراء التقليعات الجديدة التي يعبر عنها بو علي ياسين بقوله :

" .... نوع من الهيستريا أصاب فئة من النساء في تقليد الغرب الاستهلاكي (لا الإنتاجي) ، في تقليد نساء السينما والدعاية والمجلات (لا النساء العاملات العاديات) ، تسبب أشد الضرر للمجتمع العربي الذي يضطر في إنتاجه وتجارته الخارجية وفي ثقافته أن يراعي رغبات نسائه ."(ياسين ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص ١٤٢-١٤٣)

وقد دفعت المرأة المسلمة المعاصرة ضريبة فادحة ثمناً لتطورها الحديث ؛ وهي انحرافها عن طريقها الطبيعي ومهمتها الأساسية ، تاركة إياها للخادمات أو الجدات ، و لم تدرك أن الهدف الأساسي من إخراجها ؛ ليس سداً لفراغ يشكو منه المجتمع ، بل لتصبح هي أماً مثقفة ، ومواطنة صالحة ، تحسن أداء مهمتها التي وجدت من أجلها ، ولاتحصر جهودها في العمالة الرسمية .

وتؤكد حكمت أبو زيد على تحديد مهمة المرأة في عملية الإنجاب والتنشئة الاجتماعية ، وأن الأمة تحتاج من أجل النهوض من تخلفها إلى " جيل صحيح الجسم معافى الذهن ، متوقد الذكاء، متوازن الانفعالات ."

وهي تنطلق من حقيقة التكامل بين النوعين في جميع الأدوار والمواقف ، لكنها تقدم المرأة على الرجل في التصدي لمهمتين اثنتين وهما : عملية الاستمرار البيولوجي (الحيوي) ، وعملية الاستمرار الاجتماعي .

فعملية **الاستمرار البيولوجي** توفر للأمة العدد اللازم من الأفراد للبناء وللذود عن الحرمات، وعملية **الاستمرار الاجتماعي** توفر الأفراد الذين يتميزون بالطموح والثقة بالنفس والقدرة على فعل المستحيل . (أبو زيد في تعقيبها على نشابة في ندوة المرأة ودورها ..، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص٤٥١)

وبمعنى آخر فإن المرأة تقدم على الرجل ، ولها مسئولية كبيره فيما يتعلق ببقاء النوع ورقيه .

ومما يزيد من إغفال المرأة المسلمة لحقيقة دورها ؛ أن القائمين على التربية الحديثة يركزون على خدمة القطاع الاقتصادي الحديث ، ويجعلون له الأولوية على القطاع التقليدي ، كما أن التربية الحديثة تجعل الأولوية للآلة على الإنسان ، يضاف إلى ذلك أن التربية الحديثة – في العالم الثالث – قد أصبحت في الوقت الحاضر غير قادرة على مواكبة التطورات السريعة في الاقتصاد الحديث بعد ظهور عدد من المؤشرات السلبية ؛ مثل بطالة المثقفين الظاهرة والمقنعة في الوقت الذي تفتقر فيه بعض النشاطات الاقتصادية والاجتماعية إلى مهارات وتخصصات ، يقصر النظام التعليمي عن الوفاء بها ، وبدا واضحاً أن هذا التعليم بشكله الحالي " يقصر عن تخريج الإنسان الذي يقدر على مواكبة التطورات السريعة الحادثة والمرتقبة . " (غنام في التربية الجديدة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، ص ١٧)

وقد أشار المؤتمر الأول للتعليم الإسلامي الذي عقد في مكة المكرمة عام ١٣٩٧ هـ /١٩٧٧ م ، إلى الآثار السلبية للتعليم الحديث – المقلد للغرب – في بعض المجتمعات الإسلامية التي طبقته ؛ حيث جاء ضمن توصياته ما يلي :

" وبالنسبة لتعليم البنات فإن المؤتمر يرى أن البلاد التي أقامت نظماً مختلطة للتعليم وعلمت المرأة على مناهج موضوعة في الأصل لتناسب طبيعة الرجل واحتياجاته متجاهلة طبيعة المرأة ووظيفتها الإنسانية والاجتماعية ، قد بدأت نتائج تلك النظم تظهر في مجتمعاتها من فساد الناشئة وجنوحها إلى الإجرام والشذوذ مما يأباه الإسلام وتنفر منه الفطرة السوية ، لذلك يوصي بأن يكون تعليم البنات مستقلاً عن تعليم البنين . "

وانطلق المؤتمر من ذلك ليوصي بأهمية وضع نظام تعليمي خاص مبني على أسس علمية تراعي فطرة المرأة ووظيفتها ، حيث جاء فيه ما نصه :

> " يوصي المؤتمر بوضع نظام خاص مبني على أسس علمية مدروسة لتعليم البنات يقوم على استقلال الدراسة في كل مراحل التعليم ويراعى فيه ما يناسب طبيعة المرأة وما يحتاج إليه المجتمع من خدمات نسوية ويحقق ما يهدف إليه الإسلام من المحافظة على الفطرة السوية لكل من الرجل والمرأة والمحافظة على الأسرة والأخلاق الفاضلة ويعمل على مراعاة التخصصات الوظيفية الفطرية ، في ذات الوقت الذي يسعى فيه إلى نشر التعليم بين النساء على أوسع نطاق لأن طلب العلم فريضة على

المسلمين كافة رجالاً ونساءً ."(توصيات المؤتمرات .. ، ١٤٠٣ هـ /١٩٨٣ م ، ص ٢٢ –٢٣)

ونجد أن أخطر ملامح التقدم في عصرنا الحاضر ؛ يتمثل في القدرة العلمية والتقنية التي تخطت مجال الطبيعة إلى الإنسان ؛ فأصبحت تؤثر في ذاته جسداً وعقلاً ونفساً ، وذلك من خلال الوسائل الحيوية والكيماوية والنفسية والاجتماعية . وهو امتداد طبيعي ، بعد فترة طويلة من إهمال الإنسان لنفسه ، حيث كرس وقته لاستكشاف الطبيعة واستغلالها ، فكان تقدمه الرائع في المجال الطبيعي ، مقارنة بتخلفه الهائل في استكشاف أسرار نفسه ، وتنمية كفاءاته الخلقية ، (زريق ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ص ٣٧) ، وهذا مجال كبير من مجالات التغيير الذي نريده لتعليم المرأة المسلمة المعاصرة ؛ بحيث تبدع ما يساعدها على الإحسان في أداء الأمانة التي كلفت بها والتي يعبر عنها قوله تعالى :﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (الأحزاب ، آية ٧٢) ، وذلك من خلال تنمية ذاتها بالعلم معرفة وخلقاً ؛ بحيث يكون أداة تمكنها من الإسهام في تلمس مواطن الخلل في المجتمع ، وتمدها بالوسائل التي تؤهلها للإسهام في تشخيصها وعلاجها .

وليس من الضروري ولا من المفيد أن نقلد غيرنا ؛ لأن الزمن قصير والواجب عسير ، فالأمر يقتضي منا تجنب أخطاء غيرنا ، فمثلاً : من الخطأ على نسائنا أتباع الدول المتقدمة في أنماطها الاستهلاكية التي لم تصل إليها إلا بعد مراحل عديدة من الإنتاج والتصنيع ، والأولى بنا توخي الاقتصاد والاعتدال والانضباط وغيرها من الصفات التي أصبح المهتمون ينادون بتربية إنسان الدول المتقدمة عليها . (زريق ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ص ١٩١)

ولابد أن يتطور إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يتماشى مع العصر ؛ بحيث يعمل على تحقيق الأهداف التالية :

١– توفير التعليم المناسب الذي يحقق إلى جانب أهداف التربية الإسلامية العامة **أمرين أساسيين** :

أ – **تمكينها** من أداء مسئوليتها الأولى بإحسان .

ب– **تمكينها** من إتقان مهنة مناسبة تمارسها عند الحاجة .

٢– توجيه المرأة إلى أهمية استغلال وقتها كاملاً بحيث تكون عنصراً فعالاً مفيداً لنفسها ولغيرها بعيداً عن البطالة ، وشغل أوقات الفراغ فيما لا يفيد من تسليات .

يقول الرسول ﷺ : " لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه ، وماذا عمل فيما علم . " (الترمذي ، د.ت ، ج٤، القيامة /١، ص ٥٢٩)

ثالثاً: آثار التعليم الحديث على سلوك المرأة المسلمة المعاصرة:

إن الناظر في واقع حال المرأة المسلمة المعاصرة ـــ خريجة التعليم الحديث المقلد للغرب ـــ ؛ يجد أن التعليم الحديث قد ترك بصماته عليها فلم يخرجها الإخراج اللائق بأمة الرسالة المحمدية الشاهدة على الناس ؛ وإنما جعل منها إنساناً متغرباً مشوهاً ، بعيداً عن الصورة المثلى التي ينبغي أن تكون عليها . ومن أبرز آثار هذا التعليم على المرأة ما يلي :-

١- التبعية والتقليد :

إن تربية التبعية التي تلقتها المرأة المسلمة المعاصرة ؛ قد ركزت على إيجاد الإنسان المتخلف غير المنتمى لديها ، وقضت على أية مبادرة استقلالية تربطها بشخصيتها الإسلامية. فالمناهج تحشو فكرها بالعلوم المادية التي تصور لها المدنية الحديثة بصورة المنقذ للبشرية ؛ مما يزيد من إيمانها بالعلم ، ويضعف إيمانها بالإسلام ، وهي- المناهج- تدور في الإطار الأكاديمي الغربي منهجاً ومرجعاً ومصدراً وكتاباً . (العلواني ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ، ص ٨٠)

ومما يزيد الأمر سوءاً ما أشرنا إليه من افتقاد غالبية المعلمات - والمعلمين- في هذه المؤسسات للمنظور الإسلامي إن لم يكونوا أعداء له ، إلى جانب أن العلم الذي تدرسه مؤسساتنا حتى الجامعية منها لا يفتقد للرؤية الإسلامية فقط بل هو علم فاسد ، انتهت مدة صلاحيته وتجاوزه الزمن .

لقد عجز التعليم الحديث عن أن ينمي لدى المرأة القدرة على إدراك الخصوصية التي تميز إسلامها ، ولا الإحساس بخطأ الانكباب على الآخرين ؛ ومن ثم وجدناها تندفع في تقليد المرأة الغربية ظاهراً وباطناً ؛ في زيها وأفكارها ، فراحت تطالب مثلها بالمساواة رغبة منها في إثبات جدارتها وقدرتها على أداء ما يؤديه الرجل من أعمال ، وزادت فهجرت دينها ، وقيمها وجاوزت الحد حيث راحت تهتدي بالصيحات الغربية ؛ فتطالب بحقوق مصطنعة بدعوى أنها حرمت منها في ظل الإسلام[1] .

وقد تنبه بعض المفكرين المسلمين منذ البداية إلى إمكانية وصول المرأة المسلمة إلى الحال الذي نراها عليه اليوم ، ومنهم الطاهر الحداد الذي نبه إلى أهمية وضع أصول كاملة للنهوض بالمرأة من

---

[1] أنظر المبحث التاسع : حركة تحرير المرأة المسلمة .

التخلف الذي ترسف فيه ، حيث أن ذلك هو السبيل إلى النهوض بالمجتمع الإسلامي ، وإلا انجرفت المرأة وراء تيار التطور الحديث على غير هدى فجاء في مقولته ما نصه : -

" إن المرأة ذاهبة في تيار التطور الحديث بقوة لا تملك هي ولا نحن لها رداً . وهي تجري في ذلك على غير هدى أو كتاب منير، وذلك ما يزيد روح الفوضى رسوخاً كل يوم . فلابد من التعاون بوضع أصول كاملة للنهوض بالمرأة الذي هو نهوض للجميع ، وبذلك نكون قد طهرنا الماء الصالح للحياة قبل أن يتحول إلى عفونة تهدمها وتبيدها ." (الحداد ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م ، ص ٩)

وهناك من المفكرين من توجه إلى المرأة في محاولة لترشيد سيرها ، وفي مقدمتهم مصطفى صادق الرافعي الذي قال :

" إنه يجب على المرأة أن تحتفظ **بثلاث خصال** ؛ الحياء الصادق ، والعفة الصحيحة ، والخضوع الجميل الذي هو مظهر الحب لمن يجب له الحب " ؛ فيجب عليها ألا تشغل نفسها بالتبرج والإسراف في اللهو والاختلاط . وعليها أن تترك تقليد المرأة الغربية لأن ذلك يجعلها غير صالحة لبناء المجتمع بل لهدمه . (فرج، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، ص ١٢٣)

٢- الازدواجية المتنافرة بين الاعتقاد والسلوك :

وتبدوا آثار هذه الازدواجية واضحة في حياة المرأة المسلمة المعاصرة خاصة في مظهرها الخارجي ؛ حيث نجد أن كثيراً من المسلمات أصبحن لا يتميزن في هيئتهن الخارجية عن غيرهن على اختلاف انتماءاتهن العقائدية ، فنجد الواحدة منهن تخرج من بيتها وهي تمسك بآخر خطوط الموضة التي تبرز جمالها الموهوب لها من الله ، فلا تشكر خالقها عليه باتباع أوامره التي تحضها على ستر جمالها عن الأعين الفضولية ، وإنما يُغريها الشيطان ببذله لكل عين ، فنجدها غير مدركة لحقيقة كونها مسلمة ، تؤمن بالله ورسوله وكتابه ، رغم ولادتها عن والدين مسلمين وفي بيئة مسلمة . وفرق كبير بين أن يولد الإنسان عن والدين مسلمين في بيئة مسلمة ، وبين التفكير في حقيقة الإيمان بالله ، وما يترتب على ذلك من التزام يجعله واقعاً حياً في سلوك الإنسان .

وأهم أسباب هذه الازدواجية في واقع حياة المرأة تتمثل في الازدواجية في القيم التي تتلقاها المرأة ، حيث أنها تتلقى في المدرسة من القيم ما يخالف القدوة التي تقدمها وسائل التربية الأخرى ، مما يغرس في نفسها أن ما تتلقاه من قيم في المدرسة ؛ لا محل لها في الواقع ، ومن ثم تندفع في الإقتداء بنماذج القدوة التي تقدمها وسائل التربية الأخرى ، لتعيش في جو موبوء ، مليء بالغيبة والنميمة والكذب والنفاق والرياء والمباهاة ، وغير ذلك من ألوان السلوك التي تهبط بها عن المستوى التكريمي اللائق بها .

وقد أسهم الغرب بدوره في ذلك من خلال تصديره لمفاهيمه وقيمه المتحللة إلينا عن قصد وسابق تصميم . ويشير إلى ذلك سرور المنصرين لما يرونه من فساد أخلاق أبناء المسلمين . وفي ذلك يقول أحدهم: " .... ويلوح لي أن هوليود قد أثرت في الجيل الحاضر من المسلمين أكثر من تأثير مدارسهم الدينية . " (مجذوب ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣، ص ٧٧)

أما السبب في ذلك فيرجع إلى اعتقاد الغربيين بأن القيم الإسلامية قيم بالية ، لم تعد تتماشى مع العصر . وذلك ما يوضحه هوفمان بقوله :

" ومن البديهي بعد ذلك أن يكون المخطط الإسلامي لفلسفة الحياة ، والذي يفرض نفسه بديلاً قادماً من بيئة مخالفة ؛ في مواجهة حقيقية تصدم الفلسفة العصرية الغربية ، وجهلها بالقيم ، وإباحيتها المطلقة لكل شيء ، حسب التعبير الأمريكي" لاشيء ممنوع" . هذه المدنية العصرية الغربية تصطدم بالمخطط الإسلامي المضاد الجاد ، الذي يراه البعض عنيفاً بالياً لا لشيء سوى قيام صرحه واستمراره ، غير مرتبط بعنصر الزمان ، بمعنى صلاحيته لكل العصور . "(هوفمان، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م ، ص٢٠٦)

فالغرب يعمل جاهداً منذ زمن في فرض قيمه التي أثبتت فشلها في بيئتها ، حيث أصبح الإنسان الغربي المعاصر يعيش مأزقاً حرجاً ؛ تبدو مؤشراته في انتشار الأمراض الاجتماعية والأخلاقية . وقد أدرك عدد من علماء الغرب أن المخرج من هذا المأزق يتمثل في نظام جديد من القيم ، ويضعون لهذا النظام مواصفات نجدها تنطبق على نظام القيم في الإسلام . ومن ذلك مثلاً قول ديفيد بوهم :

" ... فنحن نحتاج إلى نظام قيم لا تتحكم به الرغبات والأهواء القاصرة ، وينسجم مع قوانين الكون والحياة . وتحقيق ذلك يحتاج إلى مناهج معرفة قادرة على تقديم نظام القيم المنشودة وتجسيد هذا النظام في مناهج تربوية شاملة صائبة . فالمعرفة والقيم عنصران متكاملان في عملية واحدة غير قابلة للتجزئة، وحينما يحاول أحد أن ينجز ما يعتبره معرفة متحررة من القيم فإن هذا يعني أنه يقبل القيم الجارية في المجتمع الذي يعيش فيه ، أو يقبل القيم المتضمنة في خيالاته الذاتية دون تمحيص . " (بوهم عن الكيلاني، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ص ١٢٤)

والمجتمع الإسلامي يملك النظام القيمي الذي يكفل له التسامي والارتقاء في الدنيا والآخرة ، لكنه تخلف لعدم تنزيله لقيم الإسلام على الواقع المعاش ، بسبب الأثرة والأنانية التي غلفت حياة المسلمين .

وقد انسحب أثر ذلك على جميع المجالات ؛ فأصبحت الازدواجية هي السمة الغالبة على سلوك المسلمين الذين لم تعد العقيدة توجه سلوكهم في واقع الحياة ؛ إلا من رحم الله .

٣- فقدان التوازن في نمو القدرات والاستعدادات: -

وذلك بسبب تماثل مناهج البنين مع البنات تماثلاً يلغي أية فروق بينهما في كثير من البيئات الإسلامية ؛ فكان من نتائج ذلك أن وجدنا من بين المتعلمات من قصر التعليم عن تحقيق النمو السليم لشخصياتهن، فبقيت " الجوانب الأنثوية لديهن في حالة قوة، و لم تتحول إلى حالة الفعل، لأنه لم تتهيأ لها أسباب النمو الكافية، وأحياناً قد يحدث لها نمو غير مرغوب فيه ." (يوسف أسعد ، د .ت ، ص١٣٥ - ١٣٦)

ومن أسباب فقدان التوازن أيضاً ؛ التركيز على جزء من الناحية العقلية لدى المرأة والمتعلق بالذاكرة؛ وكأنها الوسيلة الوحيدة لبناء العقل- وتبدوا آثار ذلك واضحة في تخصيص المعلمات - والمعلمين- كل بموضوع محدد؛ بحيث تصبح المعلمة غير قادرة على تكييف المواد وفقاً لحاجة التلميذات ومشكلاتهن .

٤- السطحية في التفكير :

أدى اهتمام التعليم الحالي بالدرجات والحصول على الشهادة ، وإهماله لكثير من القدرات ؛ إلى عدم اهتمام المتعلمات بالحصول على معرفة حقيقة ؛ لأن مجرد استظهار المعلومات ثم تسطيرها في أوراق الامتحان يكفي للنجاح ؛ ثم تنسى تلك المعلومات .

فكان من نتائج ذلك أن تغلبت على شخصية المرأة المسلمة المعاصرة ؛ السطحية في التفكير ، والتي انتقلت من مجال الدراسة إلى واقع حياتها ؛ فشملت أهدافها وفهمها للحياة وسلوكها وعبادتها أيضا . وهذا من الأسباب التي جعلتها تتصف بالازدواجية التي أشرنا إليها سابقاً .

والسطحية في التفكير تؤثر على العبادات فينتفي أثرها الحقيقي على السلوك ، وتؤثر على القيم فتقدها حقيقتها ، وتؤثر على الشخصية أيضاً ؛ فتجعلها سريعة التقبل للأفكار الأخرى دون تمحيص ما إذا كانت صائبة أو مغلوطة أو منحرفة ، ولذلك وجدنا المرأة تنخدع بسهولة بفعل الإعلانات والدعايات الكاذبة .

الفصل الثالث

الأصول الاجتماعية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة

المبحث التاسع

التربية وثقافة المرأة المسلمة المعاصرة

إلى جانب تفرد المرأة في المعادلة الاجتماعية بكونها حاملة لبذور المستقبل ، فإنه ينبغي في تربيتها الاهتمام بإمدادها بالثقافة اللازمة التي تنمي قدراتها العقلية لتكون مؤهلة لأداء رسالتها على أكمل وجه .

وسوف نتناول فيما يلي ماهية الثقافة الواجب تقديمها للمرأة المسلمة المعاصرة وذلك من خلال المحاور التالية :

أولاً : مفهوم الثقافة .

ثانياً : العلاقة بين التربية وثقافة المرأة المسلمة المعاصرة .

ثالثاً : وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة .

رابعاً : موضوعات واتجاهات تركز على تناولها وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة .

خامساً : موضوعات واتجاهات ينبغي أن تسلط وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة الضوء عليها .

أولاً : مفهوم الثقافة :

شاع استخدام لفظ ثقافة في عصرنا الحاضر ، وهو لفظ ما يزال يكتنفه الغموض حيث لم يوضع له حتى الآن تعريف واضح محدد .

فإذا ما نظرنا إلى المعاجم **اللغوية** ؛ وجدنا أن كلمة ثقافة هي من ثَقَفَ أي هذب وحذق ، وعلى ذلك فان الثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها ، وإنسان ثقف ؛ أي ثابت المعرفة بما يحتاج إليه (ابن منظور ، د . ت ، ج١، ص ٣٦٤)

ويفرق الأستاذ عمر الأشقر بين اللفظ المفرد لكلمة " ثقافة " واللفظ المركب " ثقافة الأمة " حيث يرى بأن كلمة " ثقافة " تعني " الأخذ من كل علم بطرف وليس التعمق في دراسة أي علم من العلوم ."(الأشقر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ١٧)

أما ثقافة الأمة فهي " تراثها الحضاري والفكري في جميع جوانبه النظرية والعملية الذي تمتاز به الأمة . وهذا التراث الذي يشكل ثقافة الأمة متداخل مترابط يشكل إطاراً ومحيطاً يحكم الأفراد والأسر والمجتمع في كل أمة " .(الأشقر،١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م ، ص١٧-١٨)

ويلاحظ أن هناك علاقة بين معنى كلمة " ثقافة " عند الأشقر ، ومعناها المستمد من المعاجم اللغوية .

أما العلواني ؛ فيعرف الثقافة على أنها " مجموعة المعارف التي تشكل الشخصية ."(العلواني ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ، ص ٤٩)

ويعرفها بنسعيد على أنها " مجموع أنماط السلوك المحدد للروابط بين الناس ، وهي توفر لهم تصوراتهم عن العالم من حولهم ، والحكم عليه ، وهي تشمل المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والعادات والتقاليد . "(بنسعيد في الشرق الأوسط ،١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥، ع ٥٨٩١)

وفي تعريفه للنموذج الثقافي ؛ يعرف محمد عمارة مصطلح " الثقافي " على أنه " جماع ما يعمر النفس الإنسانية ويصونها ويهذبها من سائر ألوان الإبداع والعطاء ؛ إبداع الإنسان وعطاء المحيط . وينتقل من ذلك إلى تعريف الثقافة على أنها عمران النفس الإنسانية ، إذ فيها تتجلى الخصوصيات بين الأمم والحضارات لاستقصاء النفس ." (عمارة في الحياة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ع ١٢٢٢٤)

ويستعرض نصر عارف في أثناء حديثه عن " الحضارة والثقافة والمدنية " معاني كلمة " ثقافة " لدى الآخرين ، ثم ينتهي إلى القول بأن الثقافة في أصلها العربي تعني مجموعة من الدلالات يجملها فيما يلي :-

١- " .... تنقية الفطرة البشرية وتشذيبها وتقويم اعوجاجها ثم دفعها لتوليد المعاني الجوانية الكامنة فيها وإطلاق طاقاتها لتنشئ المعارف التي يحتاجها الإنسان . "

٢- البحث والتنقيب والظفر بمعاني الحق والخير والعدل وغيرها من القيم التي تصلح الوجود الإنساني ، وهذا مفهوم يفتح الباب أمام العقل لكل المعارف النافعة .

٣- أنه يركز في المعرفة على ما يحتاجه الإنسان وفقاً للبيئة والمجتمع الذي يعيش فيه ، فالإنسان المثقف ؛ يكون مرتبطاً بمجتمعه وقضاياه بغض النظر عن كم المعارف لديه ، ودوره هو دور المصلح .

ويرى عارف بان أخذ الثقافة بمعنى المعارف والعادات والقيم .... الخ قد يؤدي إلى ظهور أنماط من المثقفين يكون الواحد منهم ؛ إما تابعاً لنمط حضاري آخر يخرب مجتمعه من أجل تطبيق ما يؤمن به ويعتقد أنه الحقيقة المطلقة ، دون فهم لظروف مجتمعه وما يصلحه ، أو مثقفاً ليس إلا وعاءً لأكداس من المعارف والمعلومات المتضاربة .

٤- أنها عملية متجددة باستمرار ؛ بمعنى " .... تكرار التهذيب ومراجعة الذات وتقويمها وإصلاح اعوجاجها . "

٥- أنه مفهوم لا يحمل في ذاته أحكاماً قيمية ، فالثقافة تتبع قيم مجتمعاتها وظروفها .

٦ـ أنه مفهوم عام للإنسان والجماعة والمجتمع ، يشتمل على جميع أنواع الممارسات الإنسانية بمختلف درجاتها ، ويعطي دلالاته على أي مستوى تحليلي يستخدم فيه ، طالما تحقق مطلق التهذيب والتقويم . (عارف ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ص ٣٠-٣٣)

ونأتي أخيراً إلى تعريف عمر عبيد حسنة في تقديمه لكتاب التخلف العلمي ، والذي يرى بأن الثقافة هي الارتقاء بخصائص وصفات ومزايا الإنسان ، وحسن تأهيله وتربيته ، واكتسابه مجموعة معارف تسهم في تشكيل شخصيته ، وتكوين نظرته السوية إلى الكون والحياة ، وتحديد هدفه وتكوين نسيجه العام ، أي أن موضوعها الإنسان نفسه (عالم الأفكار) والإبداع في مجال المعنويات .

(حسنة في النجار ، ١٤٠٩هـ/- ١٩٨٩م ، ص ١٧)

ونحن في هذا البحث سوف نأخذ بهذا التعريف لحسنه ، مع وضع تعريف نصر عارف بعين الاعتبار ، فنحدد معنى الثقافة المطلوبة للمرأة المسلمة المعاصرة في أنها تعني :-

" مجموعة المعارف التي تسهم في تشكيل شخصية المرأة المسلمة المعاصرة ، وتحديد أهدافها وتكوين نظرتها السوية للكون والحياة بما يعينها على معايشة العصر الذي تعيش فيه ضمن الإطار الذي ارتضاه لها الإسلام . "

ثانياً : العلاقة بين التربية وثقافة المرأة المسلمة المعاصرة :-

يرى عفيفي ، بأن الثقافة تكتسب من خلال التعلم والتدريب والممارسة في دوائر الحياة الاجتماعية منذ الولادة ؛ بمعنى أنها تكتسب من خلال التربية ، وفي الوقت نفسه فإنها تمثل مصدراً أساسياً للتربية ، حيث تستمد منها تصوراتها ومقاييسها . (محمد عفيفي ، د.ت ، ص ٣٧ ، ص ٦٧)

ويؤكد مرسي على أهمية نقل الثقافة إلى الناشئة من خلال التربية ضماناً لتحقيق نضجهم الكامل ، وهو هنا يؤكد على التربية المقصودة ، ويحذر من ترك الأمر للتلقائية لأن ذلك لا يضمن اكتساب النشء للثقافة المرجوة ، خاصة في ظل المتغيرات الكثيرة في الوقت الحاضر ، الذي أصبح فيه العلم وتطبيقاته يمثلان أداة كبيرة من أدوات التغيير . (مرسي ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، ص ١٢٩-١٣٠)

مما سبق ندرك أن التربية السليمة للمرأة المسلمة المعاصرة لا تتم بعزلها عن الثقافات الأخرى لأن ذلك أصبح أمراً غير ممكن بعد أن أصبحت ثقافات الأمم الأخرى تأتي إلينا في عقر دورنا بفضل ثورة الاتصالات الحالية ، وإنما يحتاج الأمر أولاً إلى تعميق قيم الأصالة في نفس المرأة المسلمة المعاصرة ، ثم إفساح المجال أمامها للتفاعل مع الثقافات الأخرى على بصيرة . فالتربية لابد أن

توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى كيفية استثمار الجيد من ثقافات الآخرين ، وترك الغث منـــه ، وأن تعينها على امتلاك القدرة على مواجهة التحديات من خلال تهيئة الوسائل والظروف المناســبة لبنــاء شخصيتها بحيث تكون واعية ، وقادرة على تجاوز الواقع والإسهام في تغييره .

ويحدد طايل عدداً من القيم العليا التي يرى بأنها لابد وأن تمثل العمود الفقري للثقافة وهي :

١- **الإيمـــــان** .

٢- **العلـــــم** : والأصل فيه أن يكون نافعاً ما لم يحرم حلالاً و لم يحل حراماً .

٣- **العمـــل** : وهو وسيلة إعمار الأرض ، ويشكل مع العلم والإيمان ثلاثة ينبغي أن تكون مرتبطــة مع بعضها ، وهو وسيلة لطلب الرزق وشكر الله وامتثال أوامره ، فهو عبادة ، "..... ونظام التعليــم يجب أن يقوم ــ إلى جانب تلقين المعلومات ، وغرس القيم ــ بتنمية المهارات واكتشــاف المواهــب والقدرات ، وترقيتها ، فلا يخرج فرد من أية مرحلة من مراحل التعليم إلا وهو مؤهــل لعمــل مــا يتناسب وإمكاناته الذهنية والجسمانية . "

وبالنسبة للمرأة فإن إعدادها للعمل يكون بإعدادها لأداء مســئوليتها الأولى أولاً ، ثم تنميــة مهاراتها بحيث تتمكن من العمل المناسب الذي لا يتعارض مع مسئوليتها الأولى ، ويقيها ذل الحاجة عند الضرورة .

٤- **تكريم الإنسان** :وتكريم المرأة لا يسمح بالارتداد عن الدين ، ولا بالزواج من غير المســلم ، ولا بالإجهاض أو الشذوذ الجنسي ، ولا بالسفور والابتذال فهذه قيم غربية مســتوردة مــن خــلال الإعلام والتعليم .

٥- **وحدة الأمة الإسلامية** .

٦- **العـــــدل** : ومعياره تطبيق شرع الله ومنهاجه في كل شئون الحياة ، ومع الجميع .

٧- **الشـــورى** .

(طايل ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ١٠٩-١١٤)

فهذه هي القيم الأساسية التي يحددها طايل والتي يرى بأنه ينبغي **صيانتها** ، وذلك في رأيه إنما يتم مــن خلال **ثلاثة أمور** :-

١- **التكافل الاجتماعي** : بشقيه المادي والمعنوي . فالمادي يتمثل في الزكــاة والصدقــة والنفقــة . والمعنوي يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢- **الدعوة الإسلامية** : بالحكمة والموعظة الحسنة وذلك من خلال بث القيــم الإســلامية وليــس إعادة تصدير القيم الغربية إلى الغربيين وغيرهم ، فوسائط الثقافة لابد وأن تهتم بعلــوم الشــرع ، وتعرف متغيرات العصر ومزاج الشعوب .

٣- **الجهاد في سبيل الله** : وهو أمر مفروض على الأمة الإسلامية لامناص لها منه ، "..... فالحرب الثقافية العالمية التي تدور رحاها الآن لن تهدأ حتى يحكم الله بين المتحاربين فيها ، فيكون النصر للحق . وهي حرب - كما نشاهد - تنتهك فيها الأعراض والحرمات ، وتسلب الثروة ، وتتخطف الذرية ، وتقاتل فيها حاملات الطائرات العملاقة أفراد الناس ..... الخ "

(طايل ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ص ١١٤-١١٥)

ثالثاً : وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة :

تعددت اليوم الوسائط الثقافية بفضل الله ثم بفضل التقدم التقني والاجتماعي المعاصرين ، وغدا لها من العمق والنفاذ وسرعة الانتشار ما يجعلها أقوى أثراً من التربية التقليدية .

وقد ذكر الرحال أن من أبرز وسائط الثقافة في العصر الحالي : **مناهج التربية والتعليم** ، منذ مرحلة ما قبل الابتدائي وانتهاء بالتعليم العالي ، و**الصحافة بكل لغاتها** وتوجهاتها السياسية والثقافية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية سواء المحلية أو المستوردة ، و**الرائي بكل قنواته** ، و **الإذاعة** بمختلف موجاتها ، و **الأشرطة** (كاسيت وفيديو) ، و**السينما والمسرح** ، و**المتاحف** ، و **المعارض** للفن والثقافة والمنتوجات وغيرها ، و**الكتب** بجميع توجهاتها ، و**الأحزاب** المعلنة وغير المعلنة ، و**الجمعيات** رجالية ونسائية ، دينية وعلمانية ، و**المكتبات** ودور النشر والطباعة ، و**الأندية** المختلفة ، و**الحدائق العامة** .

فكل من هذه النوافذ يمكن توظيفها من أجل الإصلاح أو الإفساد ، أو المزج بينهما .

(الرحال ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص ٢٠١-٢٠٣)

فهذه الوسائط هي لتثقيف كل من الرجل والمرأة على حد سواء ، لذلك فإننا نؤكد هنا على أهمية أن تعمل هذه الوسائط ضمن الإطار الأخلاقي للسلوك الإنساني الذي يترجم عن قيمة الإنسان باعتباره موجوداً متميزاً عن غيره من الموجودات في هذا الكون .

وهذا الكلام ينطبق على وسائط الثقافة بمختلف توجهاتها ، لكن فيما يتعلق بتربية المرأة المسلمة المعاصرة ، فإن الأمر يحتاج من وسائط الثقافة إلى التركيز على خصوصية المجتمع المسلم عند تناولها للقضايا المتعلقة بالمرأة من حيث الطرح والمعالجة ؛ بحيث تعمل على إبراز دورها الحقيقي في المجتمع ، وتوضح تناقضات المنطلقات في المجتمع الإسلامي في نظرتها إلى المرأة ، وتوضح كذلك تداخلات العرف والشرع في تحديد هوية وحقوق ومسئوليات كل من الرجل والمرأة ، وكيف أن ذلك قد أوجد حالة من اللبس الدائم بين الحديث عن المثاليات المرغوب فيها ، وتجاهل الأوضاع الحقيقية التي تعيشها المرأة ا المسلمة المعاصرة في مجتمع له جذوره التاريخية والاجتماعية . فمثلاً رأينا كيف أن

تعليم المرأة قد واجه تخوفاً وتردداً في بعض المجتمعات الإسلامية ، وكذلك الأمر بالنسبة لعمل المـــرأة ومشاركتها في الحياة الاجتماعية ، حيث أن نظرة العامة تحذر منه وتؤكد أنه غير ضـــروري ، وأن في خروجها تفكيك للأسرة ، في حين أن الأمر يتعلق بالظروف المحيطة بكل حالة .

وأهم ما ينبغي على وسائط الثقافة أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إليه ، يتمثل في الفـــروض الواجبة عليها في هذا العصر المليء بالتحديات .

ونجد حوي يشير إلى أن هناك **نوعان** من الفروض الواجبة على كل مسلم وهما :

١- **فرض الوقت** : وهو ما يجب على المسلم بسبب ظرف طارئ افترض الإسلام التعامل معـــه بنوع ما ، مثلاً : إنسان يغرق ؛ ففرض الوقت إنقاذه . (حوى ، ١٤٠٨هـــ/ ١٩٨٨م ، ص ٥٠-٥١)

ونجد هناك كثيراً من فرائض الوقت في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأســـرة ، والجوار ، لابد أن توجه وسائط الثقافة المرأة المسلمة المعاصرة إليها لكي تنبهـــها إليـــها وإلى أهميـــة أدائهـــا ، بحيث تنمي لديها الاتجاه نحو محاسبة النفس على التقصير فيها محاسبتها على التقصـــير في الفرائض الثابتة ، والبداية الصحيحة تكون بتعليمها ما هي فروض الوقت في العصر الحاضر وكيفيـــة أدائها .

٢- **فرض العصر** : من المعلوم أن فروض الكفاية هي عين في حق من تعين لها ، فـــلا يستطيعها غيره . ونحن في عصر العلم والتقنية والمخترعات ، فالمشاركة في هذه المجالات أصبحت في العصر الحـــاضر فرضاً على المسلمين ، في حين لم تكن كذلك في العصور السابقة ، فهي مثال لفرض العصـــــر . (حوي ، ١٤٠٨ هـــ/ ١٩٨٨ م ، ص ٥١)

فينبغي على التربية أن توجه وسائط الثقافة لكي تعمل على تعريف المرأة المســـلمة المعـــاصرة بأوجه الصراع بين الحق والباطل ، وكيفية مواجهته ، والإسهام في الدفاع عن الحق . وكل ما تحتاجـــه المرأة المسلمة المعاصرة من معلومات ومهارات واتجاهات في هذا الجانب فإنها تدخل ضمـــن فـــرض العصر .

وفيما يلي سوف نتحدث عن أبرز **الوسائط** التي ذكرناها سابقاً وكيف تسهم في تربية المـــرأة المسلمة المعاصرة ، ودور التربية في ترشيد عملها .

١- الكتب العامة :

يشير حسنة إلى الكم الهائل من الكتب التراثية والمعاصرة التي تملأ السوق والتي تجمع بين الغث والسمين . الأمر الذي يجعل من الصعب على النشء ذكوراً وإناثاً أن يختار من بينـــها إلا إذا قـــامت التربية بمسئوليتها في توجيهه إلى الجيد منها وذلك من خلال عرض دوري انتقائي لمجموعة من الكتـــب التراثية والمعاصرة التي تسهم في تكوين ثقافة المسلم بحيث تكون ثقافة عصرية .

ويضيف حسنه بأن من الواجب على التربية أن تحرص أيضاً على انتقاء ما يترجم من كتب ومقالات ، خاصة في ظل ما يحدث حالياً من ترجمات تعالج مشكلات المجتمعات الأخرى التي يختلف واقعها عن واقع مجتمعاتنا . (حسنة ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م ، ص ٤٨)

٢- الكتب الدراسية :

يلاحظ على غالبية المناهج الدراسية في المجتمع الإسلامي أنها مشتركة بين الذكور والإناث ، فهي تتغاضى عن الفروق بينهما ، وبذلك تربى المرأة بعيداً عن كيانها الأنثوي ، إلى جانب أنها - وهذا هو الأهم - لا تعمل على تقديم فهم شامل للإسلام ولا للمنهج السليم لفهم الأحداث من خلاله . (الطايع في قضايا دولية ، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م ، ع ٢١٤ ، ص ٣٠)

وهذا الأمر ينطبق حتى على مناهج المؤسسات الجامعية التي أسهمت في زيادة عدد المتعلمات فعلاً ، لكن ذلك لم يصاحبه تغيير في وعي المرأة ، بسبب ما أشرنا إليه سابقاً من افتقادها للرؤية الإسلامية . بل إنه كثيراً ما تبطل بعض النظريات في مواطنها في حين نظل نحن غافلين عن ذلك ، وندرسها لأبنائنا ، خاصة في مجال علم النفس الذي نغفل فيه عن كثير من النظريات التي وضعها علماؤنا الأوائل وانتفع بها علماء الغرب ، وتركت عليهم طابعها المميز ، لكن مؤلفي الكتب لدينا ليس لديهم علم بذلك ، لأنهم استراحوا إلى الترجمة باعتبار الغرب هو مصدر العلم الصحيح . (مجذوب ، د.ت ، ص ٢١٦)

والواجب عند إعداد المناهج الدراسية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة ؛ أن يتم أولاً تحديد المعلومات الأساسية والمهارات والاتجاهات الواجب تقديمها للمرأة منذ بداية السلم التعليمي وحتى نهايته ، ثم تختار أفضل الأساليب لتدريبها بما يمكنها من الحصول على المعرفة ذاتياً وبمجهوداتها الخاصة مع مراعاة أهمية التطبيق العملي للمعرفة المتحصلة ، وبذلك تسهم المؤسسات التربوية إلى حد بعيد في إعداد المرأة المسلمة للعصر الذي تعيش فيه .

٣- الأسرة :

لازالت الأسرة المسلمة تمثل أداة هامة في نقل الثقافة للنشء ؛ خاصة فيما يتعلق بالقيم والأعراف والتقاليد . لكن مما يؤسف له أن هذا النقل يتم أحياناً دون مراعاة لمدى قرب الأعراف والتقاليد أو بعدها عن الإسلام .

ويؤيد ذلك عرابي حيث يشير إلى أن كثيراً من الأسر في مجتمعاتنا لا زالت تعتبر الفتاة قاصراً مهما بلغت من العمر ، وتربيها على الخضوع التام للأعراف والتقاليد ، ولا تشجعها على المبادرة والإبداع ؛ مما يحبط لديها أية رغبة في المبادرة . (عرابي في المستقبل العربي ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ع ١٣٦، ص ٦٣-٦٤)

وتؤيده أيضاً أميمة الدهان التي ترى بأن من بين المسلمين من لا يعترف بالتغيير باعتباره قانوناً كونياً شاملاً ، خاصة فيما يتعلق بالمرأة ؛ حيث يجمد على عوائده وأعرافه وتقاليده المتعلقة بها .
(الدهان في مؤتمر المرأة والتنمية .. ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ج٢ ، ص ٤٩٢)

فينبغي على المؤسسات التربوية أن توجه أفراد المجتمع الإسلامي إلى أهمية قيام الأسرة بوظيفتها في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يعينها على إخراج نفسها من وضع العبثية والتقليد والتخلف ، لتتمكن من الإسهام في تغيير حال الأمة الإسلامية نحو الأفضل ، مع التأكيد على أهمية توفير الرعاية الصحية للمرأة منذ الصغر بما يحقق أمنها النفسي ، ويساعدها على إدراك مسئوليتها في تحقيق الخلافة وصولاً إلى رضى الله سبحانه وتعالى .

٤- السينما والمسرح :-

يلاحظ على السينما والمسرح تركيزهما على موضوعات معينة ، تستخدم فيها المرأة من أجل الإغراء ، وخاصة موضوعي الحب والجنس . فهما يهبطان بالمرأة عن المستوى التكريمي اللائق بها . والأمر يستدعي من التربية توجيه هاتين الأداتين إلى الموضوعات الأخرى المهمة في واقع الحياة إلى جانب ترشيد تناولهما للقضايا المثارة حالياً .

ومن أهم ما ينبغي على التربية أن تستفيد فيه من هاتين الأداتين ؛ هو القدرة الكبيرة التي يمكن أن يسهما بها في العودة بالمرأة المسلمة المعاصرة إلى شخصيتها الإسلامية المفقودة في صفائها ، وإزالة ما علق بها من تشوهات ، وبعث الروح فيها من أجل مقاومة التحديات ، ومعايشة العصر الذي تعيش فيه .

٥- الصحافة :

في حديثه عن العقل المسلم المعاصر ، يشير حسنة إلى أن العقل المسلم المعاصر لا يزال بعيداً عن تقدير قيمة التخصص ، متوهماً أن الإنسان قادر على ممارسة كل شيء . وأن هذا القول ينسحب فيما ينسحب فيه على مجال الصحافة التي نجدها مفتقدة لأهل الاختصاص ، حيث يلاحظ أن خطابها مايزال داخلياً في معظمه ، و لم يستطع الوصول بعد إلى مرحلة الخطاب العام والعالمي . (حسنة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ، ص ٤٢-٤٣)

وفيما يتعلق بالمرأة بخاصة ؛ نجد عواطف عبد الرحمن تشير إلى أن الصحافة لم تستطع الوصول إليها من أجل تصحيح المفاهيم والتقاليد الخاطئة التي تسير عليها بالأسلوب السليم .
(عواطف عبد الرحمن في مؤتمر المرأة والتنمية ..١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م،ج٢، ص ٤١)

ومن ثم فإنه ينبغي على القائمين على شؤون التربية أن يعملوا على توجيه الصحافة إلى أهمية تجاوز الموضوعات التقليدية خاصة ما يتعلق منها بالطبخ والتربية الأسرية الضيقة ؛ إلى مجالات

أرحب ، تتعلق بتحريك الفكر والاهتمام بالقضايا العالمية ، وتوعية كل من الرجل والمرأة بأهمية استيعاب كلمة " شقائق " التي تجعل من مبادئ الإسلام منطلقاً للتعامل بينهما ، بحيث ينظر للمرأة باعتبارها كائناً إنسانياً ذا عقل وروح وقلب وقدرة على الارتقاء بالجنس البشري ، وليس استمرار نوعه فقط .

كذلك ينبغي أن توجيه الصحافة إلى أهمية الإسهام في تصويب ما يشوب وضع المرأة المسلمة المعاصرة وممارساتها من أخطاء ، وتوضيح المكانة المتميزة والخصوصية التي تتعلق بوضع المرأة في المجتمع المسلم للرأي العالمي ، وكيف أن اختلاف العقائد سبب في اختلاف أساليب الحياة ، وذلك لأن الملاحظ على الصحافة الغربية – كما أشارت الكاتبة فوزية الزواوي والتي تعمل في معهد العالم العربي بباريس – أنها " تصور المرأة العربية على أنها مازالت في حالة عبودية ، مسجونة بين أربعة جدران ، لا تعمل ولا تحتك بالناس . " (الزواوي في مجلة الشرق الأوسط ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ع ٤٨٢ ، ص٨ ٤)

أيضاً ينبغي على المؤسسات ا التربوية أن تسهم في معاونة الصحف والمجلات الإسلامية على التغلب على التحديات الكبيرة التي تواجهها ، والتي تتمثل في الكم الهائل من الصحف والمجلات التي تحاول سلب فكرة المرأة المسلمة المعاصرة ودفعها باتجاه الغرب . و حيث أن هذه الصحف والمجلات تتفوق في طباعتها وإخراجها على الصحافة الإسلامية ؛ فإن الأمر يتطلب من الأخيرة أن تبذل أقصى الجهود من أجل كسب إقبال وقناعة المرأة المسلمة المعاصرة بحيث تنبهها إلى حقيقة كونها صاحبة رسالة ، تتطلب منها ألا تحصر نفسها ضمن الأسرة والأولاد ؛ رغم أهمية ذلك ، بل تسهم في ارتقاء الأمة من خلال الأنشطة المختلفة التي لا تتعارض مع مسئوليتها الأولى .

وهنا نؤكد على أهمية الاهتمام في تربية المرأة المسلمة المعاصرة بتأمين قدرتها على تحقيق التوازن بين واجباتها المختلفة بحيث تقدم الأهم فالمهم .

٦– الأقمار الصناعية (الرائي بكل قنواته) .

أصبح الإعلام المرئي يمثل أهم وسيط للثقافة في عالم اليوم بعد الثورة التقنية في مجال الأقمار الصناعية ، بل ويذكر د. مصطفى حجازي إلى أن هناك إعداد لظهور التلفاز المبرمج والمرتبط بالأقمار الصناعية ، وإنتاج مادة إعلامية مرتبطة بالكمبيوتر الذي يحتوي عليه التلفاز ، وكل ذلك سوف يقدم مادة مرئية لا حد لها ، مما سيجعل للإعلام المرئي دوراً كبير في التربية لا يجب إغفال أهميته . (همام في زهرة الخليج ،١٤١٩ هـ/١٩٩٥ م ،ع٨١٢ ، ص ١٠)

ويشير حسنة إلى أن الإعلام اليوم قد أصبح علماً له" مقوماته ، ومعاهده ، وشروطه ، وتقنياته ، ومتخصصوه ، وفناً له مستلزماته ، وأدواته "، كما أصبح ثمرة تشارك في إنضاجها جميع

الحقول المعرفية ، وتوظف لها أرقى الخبرات وترصد لها أكبر الميزانيات ، وتغيرت وظيفته من مجرد التسلية والترويح ؛ إلى توظيف ذلك في صناعة الأحداث وتشكيل العقول . (حسنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، ص ٣٧)

ويكفي في الدلالة على القوة التي أصبح الإعلام يشكلها في التأثير على مراكز صنع القرار ؛ ما أشارت إليه مادلين أولبرايت - وزيرة الخارجية الأمريكية - عندما كانت مندوبة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة ، والذي كرره الأمين العام السابق للمؤسسة بطرس غالي ، بأن "مجلس الأمن يتكون من ستة عشر عضواً ، خمسة عشر عضواً من الدول الدائمة أو المنتخبة من الجمعية العامة ، وأن العضو السادس عشر هو محطة ال CNN الإخبارية الدولية . " (الرميحي في العربي ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ع٤٦٠ ، ص ٢٥)

وهناك ما يشير إلى أن تطور وسائل الاتصال سيتضاعف خلال السنوات السبع القادمة حوالي ٤٥مرة ، وهو أمر له نتائجه على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية حيث سيعمل على تغيير كثير من الثوابت في عالم اليوم . (الرميحي في العربي ، ١٤٧٩ هـ/ ١٩٩٧ م ، ع ٤٦٠ ، ص٢٢)

وقد أصبح العالم اليوم يشهد حرباً إعلامية بين دول تمتلك كافة الإمكانات ، ودول لا تمتلك شيئاً ، الأمر الذي يضع على عاتق التربية مهمة إدراك حقيقة ما تتميز به البرامج " الأخرى " من جذب وتشويق ، والعمل على مواجهتها بشكل فاعل يسهم في ترسيخ قيمنا الإسلامية والمحافظة على هوية الأفراد في المجتمع المسلم وخاصة المرأة التي يتوجه إليها الإعلام بكل السبل الممكنة من أجل إلهائها عن حقيقة رسالتها في الحياة . وهذا ما تشير إليه نهى سمارة عند حديثها عن أجهزة الإعلام التي " تتوخى أكثر الطرق فاعلية في غسل دماغ الإنسان واستلابه وتغريبه ، وبالتالي إلهائه عن موقعه ودوره في الحياة . والأجهزة الإعلامية المسموعة والمرئية كالتلفزيون والإذاعة هما الأكثر خطراً لأنهما يخاطبان النساء الأميات أو شبه الأميات فيؤثران على صورتهن ورؤيتهن لذواتهن " ، في حين تستمع النساء إلى كل ذلك وهن مغمضات الأعين . (سمارة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، ص ٣٩)

ومما يؤسف له ؛ أن القائمين على الإعلام في العالم الإسلامي لم يعدوا للأمر عدته ، وإنما اكتفوا بعد فتح القنوات الفضائية باستيراد ما يملأ ساعات البث الطويل ، التي نجد أن ٨٠% منها مستورد ، في حين أن ٢٠% منها فقط هو من النوع المحلي الذي يحاكي المستورد في معظمه . ومن ثم أصبح شأننا في الإعلام استهلاكي قد ينتهي بنا إلى " لون من الارتهان الثقافي والحضاري ، لأن الإعلام إنما يسهم بتشكيل الإنسان ، وتحضيره لقبول المعلومة التي يريد دون أن يدع له الفرصة لفحصها واختبارها ، لقبولها أو ردها . " (حسنه ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ص ٣٨)

وقد أخذ القلق العالمي يزداد من جراء تدهور الأخلاق الذي يسهم فيه البث العالمي إلى حد كبير بما يقدمه من مشاهد عنيفة ، ومواد غير أخلاقية تتعارض مع ديانات وقيم وأعراف كثير من بلدان العالم . وهذا ما دعا ممثلي ٢١ دولة آسيوية إلى الاجتماع في طوكيو وفي مقدمتهم إلى جانب اليابان ؛ الصين وكوريا الجنوبية وأستراليا وإندونيسيا ، واتفقوا على مجموعة من القواعد العامة التي تستهدف محاربة برامج البث التلفزيوني العالمي المشار إليها ، و قد أجمعوا على ضرورة احترام قنوات البث الفضائي لقيم وسياسات وثقافات الشعوب التي تستقبلها . (صلاح الدين في المدينة ،١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م ، ع ١١٧٠٦)

ويعلق الكاتب على هذا الخبر بإبداء أسفه لما يقوم به بعض "الإمّعات " من أبناء المسلمين الذين يصرون على المضي والتجربة من جديد ، والخوض فيما خاض فيه الآخرون من عرض لأمور لا أخلاقية ، دفعت بالغيورين إلى الغضب ، حتى دعا الكثيرون منهم إلى منع صحون الالتقاط (الديشات) أو إلغاءها (صلاح الدين في المدينة ، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م ، ع١١٧٠٦) ، وهو أمر - كما يقول بنسعيد - إن كان ممكناً اليوم ؛ فإنه لن يكون كذلك في الغد القريب ، بل وحتى التشويش لن يكون مجدياً في المستقبل القريب ، ومن ثم فإن الانغلاق أمر غير واقعي . (بنسعيد في الشرق الأوسط ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٥٨٩١)

والحل الأمثل هو ما أشار إليه د. حجازي ؛ والذي يتمثل في التزود بالتقنية ، وتوفير الكفاءات البشرية المدربة ، والتثقيف العام لأفراد المجتمع ، إلى جانب المطالبة بحقوقنا كأوطان ؛ في مراعاة الإعلام العالمي لحقوق المجتمعات المختلفة . (هام في زهرة الخليج ،١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م ، ع ٨١٢، ص ١٠)

وكما نلاحظ فإن للمؤسسات التربوية دورها الكبير في تحقيق ما دعا إليه د. حجازي من أمور ، باعتبارها المعنية بإعداد كل من الفرد والمجتمع من أجل امتلاك التقنية المتقدمة ، وهي التي توفر الكفاءات البشرية المدربة ، إلى جانب إسهامها الكبير في التثقيف العام لأفراد المجتمع بأهمية المحافظة على التميز الذي خصهم الله سبحانه وتعالى به حين اختار لهم الإسلام ديناً يشكل الإطار العام لدقائق حياتهم اليومية .

ولابد من توجيه القائمين على القنوات الفضائية إلى أهمية مواجهة البث الفضائي (الآخر) بخطط حضارية تتمتع بدرجة عالية من الوعي ، بحيث تبتعد عما تقدمه حالياً من تفاهة وضحالة سواء في الجانب الفني أو الثقافي ، وتستعيض عن ذلك بالفن الراقي والمناقشات الموضوعية حول مختلف المجالات التي تهم العالم الإسلامي بصفة عامة ، والمرأة بصفة خاصة ، بحيث تعمل على الارتقاء بوضعها

نحو الأفضل ، وتستخدم في ذلك أحدث الأساليب التي تجذب المشاهدات ، وتمدهن بالمعلومات التي تمكنهن من الإحسان في اختيار ما يشاهدنه.

إن مهمة وسائل الإعلام لا تقتصر على مجرد بيان واقع الحال الذي تعيش فيه الأمة الإسلامية ؛ بل ينبغي أن تكون له مهمة تربوية بنائية بحيث يحاول الارتقاء بالمجتمع إلى الآفاق المطلوبة ، لأنه يمثل تعليماً مستمراً وتربية مستمرة ، ووسائله هي أدوات التنمية الحقيقية للأمة . (حسنة ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، ص ٥٠)

ولذلك وجدنا المتخصصين الإعلاميين يضعون **ثلاثة مستويات** لابد للبرامج الإعلامية من مراعاتها حتى يتحقق دورها المنشود في التربية وهي :-

١- **الانطلاق من العقيدة** والانضباط بالقيم الإسلامية والثقافة الإسلامية ، مع العناية بالمضمون الاجتماعي والاقتصادي في التوجيه الديني ، وتوصيله بأساليب جذابة مشوقة .

٢- تأتي بعد ذلك **التربية الوطنية** لتكمل التربية الإسلامية ؛ وذلك من خلال تنمية الحس التاريخي وتطوير التفاعل بين بلدان العالم الإسلامي .

٣- ثم تأتي بعد ذلك **التربية العالمية** لتكمل المستويين السابقين على أساس أن البشر في المجتمع الإسلامي هم جزء من الإنسانية جمعاء التي تتقاسم وحدة المصير على الأرض . وهذا يتطلب الانفتاح على العالم والتواصل والمشاركة . (زهرة الخليج ،١٤١٥ هـ /١٩٩٥، ع ٨١٢ ، ص ١١)

فالتزام الإعلام بتحقيق هذه المستويات الثلاث ؛ سوف يسهم في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة للحاضر والمستقبل ، في ظل من الأصالة الإسلامية ، والمعاصرة للواقع المعاش .

لكن في ظل الإعلام الحالي فإنه ينبغي الاهتمام بتوجيه المرأة المسلمة المعاصرة لكي تكون إعلاماً متحركاً وفقاً لأمر الله سبحانه وتعالى للفرد المسلم بقوله :﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل ، آية ١٢٥)

وبدلاً من تركيز اهتماماتها على الأكل والشرب ونحوه ؛ لابد أن توجه التربية المرأة المسلمة المعاصرة إلى كيفية شكر الله بأداء حق السمع والبصر باعتبارهما أجهزة بث واستقبال للخير وهبها الله إياها ، وسيحاسبها على كيفية استخدامها .

كذلك ينبغي على التربية أن تعمل على توعيتها بدورها الإعلامي من أجل الوقوف في وجه التحديات التي يواجهها الإسلام والمسلمون من قبل وسائل الإعلام الحديثة والمسيطرين عليها .

وفيما يلي سوف نشير إلى أهم الموضوعات المتعلقة بالمرأة والتي تركز عليها وسائط الثقافة ؛ خاصة الإعلامية منها ، ثم نتبع ذلك بالحديث عن أبرز الموضوعات التي ينبغي توجيه اهتمام المرأة المسلمة المعاصرة إليها حتى تتمكن من معايشة عصرها عن وعي وحسن إدراك .

رابعاً : موضوعات واتجاهات تركز على تناولها وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة :

من أبرز الموضوعات التي تركز على تناولها وسائط الثقافة في الوقت الحاضر ما يلي :

١- تعميم الثقافة الرأسمالية :

على العكس من العقيدة الإسلامية التي تعمل على إنشاء مجتمع إنساني عالمي مفتوح ، يمكن لأي فرد أن ينضم إليه ، بدون إكراه : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾(البقرة، آية ٢٥٦) ، نجد الدول الغربية ؛ مدفوعة بالقيم الرأسمالية ؛ تحاول فرض هيمنتها وسيطرتها على الدول الأخرى .

ومحاولة فرض الهيمنة الغربية ، تمثل نوعاً من العصبية التي تطورت أشكالها عبر التاريخ من أسرية إلى قبلية إلى إقليمية إلى عرقية ، وهذه يمثلها اليوم " الرجل الأبيض الذي يجبر الأعراق الأخرى للتنازل عن حرياتها وممتلكاتها ثم تتوسل إلى عواصم الغرب لتستعيد جزءاً مما تنازلت عنه تحت اسم (المعونات والمساعدات) ."(الكيلاني ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ١٦٣-١٦٤)

ونجد أن من أخطر نواتج الاستلاب الثقافي ؛ الاعتقاد بعالمية الثقافة من قبل الناشئة ذكوراً وإناثاً ، وهي فكرة ترسخ في أذهانهم نتيجة لغلبة الثقافة المهيمنة والترويج لها إعلامياً وتعليمياً .

ومما يسر لحدوث ذلك ؛ توقف العقل المسلم عن الإبداع مكتفياً بالاندفاع في تقليد الآخرين سواء كانوا آباء أم محدثين .

فمقلدي الآباء يحاولون محاكاة التاريخ الثقافي لكنهم عاجزون عن الإبداع والإفادة من ذلك للحاضر والمستقبل ، بينما مقلدي المحدثين يميلون إلى استهلاك الجاهز الذي لا يد لهم ولا لأسلافهم فيه ، مما يكرس التخلف ويجعلهم يؤمنون بعالمية الثقافة .

وهذه الفكرة إنما روج لها أصحاب الثقافة المهيمنة بغية صهر الثقافات الإنسانية في بوتقة الثقافة الغربية ، وهو ما حاولوه قديماً من خلال الاستعمار ، وحديثاً من خلال وسائل الاتصال .

(الأشقر ،١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م ، ص ٦٠)

والملاحظ في الوقت الحالي أن الثقافة الرأسمالية هي المسيطرة على غيرها ، ونجدها تعمل جاهدة من أجل تشييء الإنسان ، بحيث يصبح ذا بعد واحد ، يتمثل في الجانب المادي فقط . وقد باتت مهمة العلوم في الغرب ، تذويب حرية الإنسان وفاعليته ليصبح ممتثلاً طائعاً ، وذلك عبر وسائل الإعلام التي تواكب التطور الاقتصادي فتحول كل شيء إلى سلعة . فمثلاً نجد التلفاز ينطلق من مبدأ التسلية ليخاطب الجانب غير الناضج لدى البالغين ، وهو ما نلاحظه من الانخفاض التدريجي للمستوى الثقافي لبرامجه ، مما سبب لدى الجمهور طفولة يسرت التلاعب بهم من خلال الدعايات التي لا تهدف إلا إلى

تسخيف وعي الإنسان وإغراقه في الملهيات التي تحول حياته إلى لا معنى . (أبو شعيرة في قضايا دولية ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ع ٢٨٦ ، ص ٢٥)

ويؤكد ذلك بيجوفيتش الذي يسم الثقافة الجماهيرية[1] بالصبيانية التي تجعل الإنسان المعاصر يتصرف بطريقة طفولية تتفق مع المستوى العقلي للمراهقة الذي يتسم بـ " تسليات مبتذلة ، غياب روح الفكاهة الأصيلة ، الحاجة إلى أحداث مثيرة ومشاعر قوية ، الميل إلى الشعارات الرّنانة والاستعراضات الجماهيرية والتعبير عن الحب والكراهية بأسلوب مبالغ فيه ، اللوم والمدح المبالغ فيهما ، وغير ذلك من العواطف الجماهيرية القاسية . (بيجوفيتش ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ص ١٠٩)

وفيما يتعلق بمجال المرأة بصفة خاصة ؛ نجد وسائط الثقافة - وخاصة وسائل الإعلام تنقل مظاهر المساواة في العالم ، " وإن كانت ذات صبغة بورجوازية في أحيان كثيرة " ، وتنقل كذلك ممارسات الجنس غير الشرعي ، والحب قبل الزواج .... الخ ،وغير ذلك من الأمور التي تتصل بعالم آخر لا تعيشه المرأة المسلمة المعاصرة ، ومن ثم يتولد عن هذا التناقض بين المشاهد والمعاش ؛ أن تثور المرأة وتشعر بالغبن فتندفع لتطالب هي الأخرى بالمساواة . (بوعلي ياسين ،١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م ، ص ١٧٢)

ومن الوسائل التي ابتكرها الغرب من أجل فرض نظمه وقيمه وثقافته على المستوى العالمي ؛ المؤتمرات الدولية والتي تتمثل حصيلتها في تثبيت السيطرة الغربية عالمياً في جميع المجالات ، وذلك من خلال ما ينبثق عنها من اتفاقيات ووثائق ملزمة . (شبيب في قضايا دولية ،١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ، ع٣٠٠ ، ص ٤٧)

وقد عقدت في السنوات الأخيرة سلسلة من هذه المؤتمرات التي تستهدف الأسرة بصفة عامة والمرأة بصفة خاصة ، والتي استهدف الغرب من خلالها فرض مفاهيمه وقيمه على العالم " خاصة حضارات الجنوب والحضارة الإسلامية على وجه الخصوص . " (عمارة في مؤتمر المسكن في المسلمون ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٥٦٧)

ومما دعا د. عمارة وغيره إلى تأكيد استهداف القيم الإسلامية بهذه المؤتمرات ؛ ما حدث في مؤتمر بكين وغيره من تركيز للعداء ضد الإسلام .

يقول د. عمارة :

---

[1] يفرق بيجوفيتش بين الثقافة الجماهيرية والثقافة الشعبية ، فهو يرى بأن الثقافة الشعبية " أصيلة ، حية ومباشرة وبريئة من البهرجة ومن الأعمال الأدبية والفنية الهابطة ، وهي تقوم على الإجماع والمشاركة من قبل الجميع . بينما تقوم الثقافة الجماهيرية على التلاعب ، فبرامج التلفاز مثلاً ، وكذلك برامج وسائل الإعلام الأخرى الجماهيرية كلها ، إنما هي في الحقيقة وسائل للتلاعب بالجماهير ، حيث نجد معدي البرامج فئة قليلة من الناس ، بينما هناك ملايين المشاهدين السلبيين . (بيجوفيتش ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ص ١٠٦-١٠٧)

" على الرغم من أن العالم مليء بفلسفات وتيارات فكرية لا تتفق مع مؤتمر بكين ، إلا أن العداء من قبل المشاركات كان مركزاً ضد الإسلام ؛ لأنه يمثل النموذج المعادي بعمق لكل هذه التيارات المعادية للقيم الإنسانية ... " (عمارة في مؤتمر المسكن في المسلمون ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٥٦٧)

ويقول السيد ولد أباه :

إن " مؤتمر بكين إن هو إلا حلقة في سلسلة من المؤتمرات [1] التي تحاول الدول الغربية من خلالها أن تمد النموذج الغربي إلى الفضاءات الحضارية التي كانت مغلقة عنه وممتنعة عليه . " (ولد أباه في الشرق الأوسط ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٦١٣٠)

ومما يؤسف له أن الأفكار المزخرفة والشعارات المقنعة التي تُعَوِّل عليها هذه المؤتمرات ؛ قد وجدت طريقها إلى فكر عدد غير قليل من مسلمات الوقت الحاضر ، حتى وجدنا من بينهن من تتبع الغرب وتتبنى أفكاره لتنال حقوقها التي كفلها لها الإسلام وحرمها منها المجتمع الجاهلي المعاصر ، لكنها ضلت الطريق بسبب وعيها الزائف بحقيقة وضعها ومكانتها في الإسلام .

ولهذا وجدنا كثيرات من المسلمات يجارين الغربيات في الحملات الظالمة ضد الإسلام وضد الشريعة الإسلامية على اعتبار أنها قد ظلمت المرأة وأعطتها مكانة أقل من الرجل .

تقول أماني أبو الفضل ، وهي إحدى المشاركات في مؤتمر بكين من جمهورية مصر العربية : " مؤتمر بكين حضره حوالي ٤٠ ألف امرأة من جميع أنحاء العالم بينهن أكثر من ٧٠٠٠ مسلمة من العالم العربي ، نصفهن جاء بهدف مهاجمة الشريعة الإسلامية والتشهير بها وطلب الحماية من غير المسلمين . " (مؤتمر المسكن .. في المسلمون ،١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٥٦٧)

ومن هنا تبرز أهمية توعية المرأة المسلمة المعاصرة من خلال وسائط الثقافة المختلفة ؛ بالبديل عن هذه الأفكار والشعارات الزائفة ، وذلك بتوضيح مكانة المرأة في الإسلام الذي جاء من أجل تحريرها تحريراً حقيقياً حين جعل منها إنساناً سوياً مكرماً له مهمة محددة تتمثل في تحقيق الاستخلاف في الأرض .

إن هذه المؤتمرات وغيرها من وسائل مهاجمة الإسلام لتدعونا - كما يقرر د. عمارة - إلى رفض الانعزال " فالمسلمون يقرب عددهم من ربع تعداد البشرية ، والإسلام يمثل نصف المتدينين بالديانات السماوية ، والإسلام يقدم البديل لتحرير المرأة تحريراً حقيقياً يجعل منها إنساناً سوياً يقوم بالاستخلاف . فالرفض نصف الفضيلة ، لكن الفضيلة كاملة تتمثل في البديل الحقيقي.."

---

[1] من المؤتمرات المقصودة بالحديث : مؤتمر السكان بالقاهرة ، ومؤتمر كوبنهاجن للتنمية الاجتماعية ، ومؤتمر فينا لحقوق الإنسان ، (مؤتمر المسكن في المسلمون ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٥٦٧) ،(ولد أباه في الشرق الأوسط ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٦١٣٠)

ونحن لا ننكر أن لدينا مشكلة للمرأة ، حيث توجد لدينا تقاليد تمثل قيوداً على المرأة ليست من الإسلام في شيء ، والفارق بيننا وبين الغربيين " أننا نريد تحرير المرأة وفقاً للنموذج الإسلامي ليس تعصباً للإسلام ، وإنما لأن هذا النموذج هو الذي يمثل التحرير الحقيقي ويقدم نموذجاً لسعادة المرأة والرجل في ذات الوقت ." (عمارة في مؤتمر المسكن في المسلمون ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٥٦٧)

ونحن حين نقف هذا الموقف من أمثال هذه المؤتمرات ، لابد وأن نشعر بالعزة والمنعة التي نستمدها من قيمنا الموجهة لنا في اتخاذ هذا الموقف ، الذي هو ذات الموقف الذي وقفه المحافظون من أصحاب الديانات الأخرى . ففيما يتعلق بمؤتمر بكين خاصة ، وقف رجال الدين المسيحي من الأرثوذكس والبروتستانت إلى جانب المسلمين وغيرهم من الجماعات المحافظة في العالم التي عارضت قرارات المؤتمر بشأن القضايا التي تعمل على تدمير الأسرة وقواعد الأخلاق من خلال محاولة إضفاء الشرعية على كل ما هو حرام وشاذ ، كإعطاء المرأة مطلق الحرية في ممارسة الجنس ، وفي تحديد النسل ، وفي الإجهاض ، وغيرها من الأمور التي تأباها الفطرة السليمة . (ولد أباه في الشرق الأوسط ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٦١٣٠)

ويعلق السيد ولد أباه على موقف رجال الدين والمحافظين بقوله :

" ..... ويوضح لنا موقف الدول الغربية وغيرها من الدول المحافظة ،كيف أن الخير والشر في صراع دائم ، كما يشير ذلك إلى حاجة العالم المعاصر إلى المؤمنين لكي يتصدوا بالخير لتيار الشر الجارف الذي يوشك أن يعصف بالعالم المعاصر . (ولد أباه في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع٦١٣٠)

٢- الفن والفنانين :

موضوع الفن أو مجال الفن هو أحد ميادين الانهزام أمام الحضارة الغربية ، وذلك لأنه بات يصوغ أفكار الناس وأذواقهم ، وميولهم واتجاهاتهم العقلية والنفسية والخلقية والاجتماعية والسياسية . (القرضاوي ،١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص ٢٥)

ونجد وسائط الثقافة وخاصة الإعلامية تعمد إلى عرض قضايا المرأة بصورة تخالف ما هي عليه في الإسلام ؛ فتعدد الزوجات مستحيل ، والزواج الثاني فاشل دائماً ، وزوجة الأب ظالمة على الدوام ، وكذلك زوج الأم .

كما نجد الحديث عن المرأة لا يعبر عن واقع الحياة ، بل غالباً ما ينطلق من واقع الآمال والأحلام ، ومن ثم تحرم المرأة المسلمة المعاصرة من أن تعي دورها الطبيعي ، وبدلاً عن ذلك ترتبط

حياتها بشخصيات نساء السينما والمسرح والتلفاز وغيرهن سواء عن قصد أو غير قصد ، ومن ثم تعمد إلى تقليدهن في كل شيء .

وهكذا تصبح المرأة – إلا من رحم الله – تابعة لمن يحملن أسماء إسلامية ، وهن لا يعرفن معنى الإسلام ، ممن نجدهن حتى في المسلسلات الإسلامية ؛ يقدمن صورة مشوهة لا تمثل المرأة المسلمة لا من قريب ولا من بعيد . فالمرأة الساقطة ؛ أصبحت هي المثال الذي تحذو حذوه المرأة المسلمة المعاصرة – إلا من رحم الله – في الهيئة ، وتصفيف الشعر والأزياء .... الخ .

ويلاحظ أن الفن الهابط كان ولا يزال عبر التاريخ الإنساني ، يمثل أحد أهم الأساليب التي تستخدمها المجتمعات الجاهلية من أجل تحطيم الحصون الأخلاقية وإفساد الضوابط الفطرية للنفس الإنسانية ؛ وذلك بما تزينه للناس من شهوات ، بأساليب تدفعهم إلى الانجراف وراءها ، وفي ذلك يقول سيد قطب :

" ..... كل هذا من سمات الجاهلية الهابطة التي جاء الإسلام ليطهر المشاعر البشرية والمجتمعات البشرية منها . وهي هي بعينها سمة كل جاهلية .. والذي يراجع أشعار امرئ القيس في جاهلية العرب يجد لها نظائر في أشعار الجاهلية الإغريقية والجاهلية الرومانية ... كما يجد لها نظائر في الآداب والفنون المعاصرة في جاهلية العرب والجاهليات الأخرى المعاصرة أيضاً ، كما أن الذي يراجع تقاليد المجتمع ، وتبذل المرأة ، ومجون العشاق ، وفوضى الاختلاط في جميع الجاهليات قديمها وحديثها يجد بينها كلها شبهاً ورابطة ، ويجدها تنبع من تصورات واحدة وتتخذ لها شعارات متقاربة .

ومع أن هذا الانطلاق البهيمي ينتهي بتدمير الحضارة ، وتدمير الأمة ، إلا أن الجاهليين لا يتعظون بما حدث لمن سبقهم من أمم سرت مسراهم منجرفين وراء حرية وهمية هي في حقيقتها عبودية للميل الحيواني وانتكاس إلى مرتبة البهائم ، بل أضل ، لأن الحيوان محكوم بقانون الفطرة الذي فطر عليه ، في حين أن الإنسان ، قد وهب العقل ليرتقي بنفسه التي كرمها خالقها .

وبذلك ندرك عظمة الإسلام في حرصه على حماية الإنسان من تدمير نفسه من خلال ما فرضه من عقوبات على الفاحشة ، كما ندرك عظم الجرم الذي تقوم به الأجهزة التي تعمل على تزيين الفاحشة وإشاعتها تحت مسميات الفن والحرية والتقدم .... "(سيد قطب ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، مج١ ، ص ٦٠١-٦٠٣)

ومن ثم فإنه ينبغي على وسائط الثقافة أن تهتم بإبراز الصورة الحقيقية للمرأة المسلمة ، وأن تعمل على توعية المرأة المسلمة المعاصرة بدورها في تحسين وضعها وتحسين وعيها بذاتها ؛ وذلك لأن مما يؤسف له أن من يعملن في الفن من النساء توجد من بينهن كثيرات ممن نلن قسطاً لا بأس به من التعليم ، الأمر الذي يؤكد أن المرأة المسلمة المعاصرة تتحمل جزءاً كبيراً من المسئولية تجاه التشويه الذي لحق بصورتها .

٣ – المرأة جسد :

أصبحت المرأة في الوقت الحاضر سلعة تباع وتشترى ، وذلك ملحوظ من خلال إقحام صورتها في كل شيء . ونجد وسائط الثقافة قد أسهمت في الاتجار بها ؛ وذلك من خلال صورها العارية ، أو شبة العارية في الأفلام والمسلسلات والمجلات والإعلانات وغيرها .

ففي مجال التمثيل مثلاً ، نجد أنه لا يكتفي فقط بالنظر إلى المرأة باعتبارها جسداً يعمل على جذب الجمهور ، بل إن اختيار الممثلات وأجورهن يتناسب مع درجة إثارتهن ، وما يمكن أن يظهرنه في هذا الصدد من فنون ، بل وحتى المذيعات نجدهن يقدمن كشكل جميل ، في حين أن المضمون هو بيد المعد أو المخرج . (عبد المعطي في مؤتمر المرأة والتنمية .. ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١، ج٢ ، ص ٧٤١)

وتؤكد البحوث أن المرأة ، ونتيجة للنشاط الاستهلاكي لوسائل الإعلام ، قد أخذ يستقر في وجدانها أنها مجرد جسد جميل لابد من إظهار مفاتنه ، وهذا ما جعلها تشعر بالاغتراب عن أدوارها الإنسانية ، فبقيت قانعة بدورها كدمية جميلة . [1] (سمارة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، ص ١٣٤-١٣٥) وقد أدى حرص بعض وسائط الثقافة – وخاصة الإعلامية منها – على تقديم كل ما يؤجج الغريزة بين الجنسين ؛ إلى معاناة الشباب من الضغوط النفسية في ظل الصعوبات التي تكتنف الزواج ، ومن ثم فلا مجال للتنفيس إلا من خلال تقليد ما يشاهدونه ، مما أدى إلى تشكيل العلاقات بين الجنسين على غير الوجه الشرعي ، وهكذا استحالت بيوت كثيرة إلى جحيم ، وأصبحت الخيانة بين الزوجين من الأمور الشائعة . (الرحال ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص ٢١٦)

---

[1] يعتبر بيجوفيتش الفن الإباحي والكتابات الداعرة جرائم مقننة لأن القائمين بها لا يفكرون فيما يرضي الله حينما يعدونها ، خاصة وأنه قد وجد أن فلماً داعراً أرخص في إنتاجه من الفيلم العادي بعشر مرات ، في حين أن أرباحه تزيد عن أرباح الفيلم العادي بعشر مرات . (بيجوفيتش ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ص ٢٠٢)

فينبغي الاهتمام بتوعية المرأة المسلمة المعاصرة من خلال وسائط الثقافة بما يبعدها عن جعل الجنس الشغل الشاغل لها ؛ لأن للفرد المسلم تبعات أخرى ، إضافة إلى أنه لا يجوز للمرأة - أياً كانت ديانتها - أن تعرض نفسها لتكون ملهاة لذوي الشهوة ، لأنها عند ذاك سوف تكون كما يقول الأستاذ محمد قطب " كالحارس الذي يدعو الناس لسرقة ما يحرس من مال) ، حيث أن عرضها أمانة لديها . "(محمد قطب ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ج١ ، ص ١١٥)

خامساً : موضوعات واتجاهات ينبغي أن تسلط وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة الضوء عليها :

من الأمور المؤسفة في عصرنا الحالي ؛ أن عامة المسلمين قد ألفوا النظر إلى المرأة على أنها قاصر ، ولها مهمة محددة ، ومن ثم فإنها لا تحتاج إلى أن تخاطب فكرياً أو ثقافياً ، لأنها في الغالب غير مدركة لحقيقة الأمور .

وقد أدى ذلك إلى تفشي الأمية وشيوع الدجل والخرافة ، خاصة في الأوساط الجاهلة . وهؤلاء قد غفلوا عن أن الخطاب القرآني موجه إلى الناس جميعاً بما فيهم العامي والأمي ، حيث أن التكليف لم يحدد بمواصفات ثقافية ، أو مستوى تعليمي ، بل هو عام وشامل لكل مكلف ، وهو الإنسان البالغ ، العاقل ، إلى جانب أنه ميسر للذكر لأي إنسان أياً كانت درجة ثقافته . (العلواني ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص ٧٤-٧٥)

ونجد أن غيبة التوجه الإسلامي لوسائط الثقافة في المجتمع الإسلامي ؛ قد أسفر عن تمكن الثقافات الأخرى من اختراق المرأة المسلمة المعاصرة ، وإفقادها لذاتيتها دون أن تشعر ، الأمر الذي جعلها تنجرف وراء الأفكار والشعارات البراقة المخادعة كما أسلفنا . ويلاحظ أن وسائط الثقافة في المجتمع الإسلامي بصفة عامة تفتقر إلى الدراسات والمعلومات الجادة فيما يتعلق بالمرأة حيث اقتصر اهتمامها على توجيه المرأة إلى واجباتها الأسرية الضيقة فقط .

وقد أشارت أمة العليم السوسوة وكيل وزارة الإعلام بجمهورية اليمن ، إلى ذلك في أثناء حديثها عن وسائل الإعلام التي نجدها تقصر اهتمامها بقضايا المرأة على الواجبات الأسرية ، ولا تتعداها إلى العلاقات الأسرية التي أصبحت ضعيفة في الوقت الحاضر ، الأمر الذي يناقض وظيفتها في التنوير والإرشاد ، إلى جانب أنها تعزل المرأة عن قضايا المجتمع حين تركز الاهتمام على الأمور الشخصية للمرأة .(لقاء مع أمة العليم السوسوة في المرأة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، ع ٦)

ومن أجل العودة بالمرأة المسلمة المعاصرة إلى ذاتيتها المفقودة ، وأصالتها ، فإنه ينبغي على وسائط الثقافة المختلفة أن تقوم بدورها التربوي على أكمل وجه سواء من حيث الأساليب أو الوسائل

أو الموضوعات التي ينبغي عليها أن تراعيها في توجهها للمجتمع المسلم بصفة عامة ، وللمرأة المسلمة المعاصرة بصفة خاصة .

وفيما يلي عرض لبعض الموضوعات والاتجاهات التي ترى الباحثة أنه ينبغي على وسائط الثقافة أن تعمل على توعية المرأة المسلمة المعاصرة بها ، وتوجهها إليها ؛ حتى تتمكن من فهم الواقع الذي تعيش فيه وتعايشه بما يحقق مرضاة الله أولاً ، ثم الإسهام في تغيير المجتمع الإسلامي نحو الأفضل .

١-تصحيح الأفكار والعادات والتقاليد الخاطئة المتعلقة بالمرأة :-

إن النظرة الفاحصة إلى حقيقة الظلم الذي حاق بالمرأة المسلمة عبر التاريخ؛ تشير إلى أنه يكمن في الأفكار والعادات والتقاليد الخاطئة التي ما أنزل الله بها من سلطان ، والتي توجه عقول أفراد المجتمع توجهاً معيناً نحو المرأة ؛ فيه تهوين من شأنها ، وتقليل من أهميتها ودورها في الارتقاء بالمجتمع .

ومن بين هذه الأفكار والتقاليد :

أ) النظر إلى المرأة من خلال الجنس وإنجاب الأطفال :-

فالملاحظ في المجتمع الإسلامي بصفة عامة تركيز الاهتمام على دور المرأة في حفظ النوع البشري دون الارتقاء به ، وهذا ما جعل الاهتمام بها ينصب على مظهرها الخارجي وقدرتها على الإنجاب بالدرجة الأولى .

ويشير عبيد إلى أن اعتبار المرأة مجرد أداة للمتعة ولإنجاب قد دفع بالمرأة إلى تركيز الاهتمام على مظهرها الخارجي ، ولذلك بالغت في الاهتمام بجسدها على حساب روحها ، و انعكس أثر ذلك على سلوكها إزاء ما يواجهها من ابتلاءات ، ومن ذلك العقم الذي نجده في غالب الأحيان " ..... يجعل حزنها عميقاً .. حيث يصبح مركزها مزعزعاً وعرضة للطلاق لأن التبعة غالباً تقع عليها .." (عبيد في المستقبل العربي ، ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م ، ع١٣٦ ، ص ٦٢)

ونجد هذه الأفكار تدعم في ذهن المرأة من خلال وسائط الثقافة المختلفة ، ومن ذلك الأمثال الشعبية التي تجرى على الألسنة وتستقر في الأذهان بسرعة ، ومنها قولهم (اللي ما لوش ولد عديم الظهر والسند) (عبيد في المستقبل العربي ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠ م ، ع ١٣٦ ، ص ٦٠)

وكذلك من خلال **الأحاديث الضعيفة والموضوعة** التي رويت على أنها من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ذلك :

- (الحصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد) قال الحافظ العراقي : و لم أجده مرفوعاً .
- (لا تزوجن عجوزاً ولا عاقراً) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير وقال الألباني : أنه ضعيف .

- (تخيروا لنطفكم وانتخبوا المناكح وعليكم بذات الأوراك فإنهن أنجب) أورده ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية .(القيسي ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص ١٦٥)

ب- الزواج المبكر :

فالملاحظ أن المرأة في بعض البيئات الإسلامية خاصة في الريف - لازال تزويجها يتم مبكراً جداً ، بل أحياناً ما يتم قبل البلوغ .

ويشير عبيد إلى أن بعض البيئات تعمد إلى تزويج الابن مبكراً من أجل إحضار (خادمة) لأهله ، أو (عاملة) زراعية ، حيث ينظر للمرأة أنها مكسب ، وأن ما يدفعه من أجلها (حلال) .(عبيد في المستقبل العربي ، ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م ، ع١٣٦ ، ص ٦١)

وللتربية دور هام في ترشيد الاتجاه نحو الزواج المبكر باعتباره توجيهاً نبوياً كريماً حث عليه الرسول ﷺ لما يوفره للمجتمع من استقرار ، لكن لابد من الاهتمام بإعداد الفتاة لمسئوليات الزواج حتى تحسن في أدائها على أكمل وجه .

ج- تأكيد تفوق الرجل :

فهناك كثير من الأفكار التي تنظر إلى المرأة على اعتبار أنها أقل منزلة من الرجل ، وأنها كائن ناقص عاجز ، وشيطان رجيم ، وعورة ينبغي سترها .... الخ (عبيد في المستقبل العربي ، ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م ، ع ١٣٦ ، ص ٦٢) ، وأنها أصل البلايا وسبب شقاء الرجل ، ونجد هذه الأفكار تروج من خلال الأحاديث الضعيفة والموضوعة ومنها :

- " الشباب شعبة من الجنون والنساء حبالة الشيطان " قال الألباني أنه ضعيف .
- " طاعة المرأة ندامة " قال الألباني أنه ضعيف .
- " كن من خيار النساء على حذر " ليس بحديث
- أعدي عدوك زوجتك التي تضاجعك ، وما ملكت عينيك " . قال الألباني أنه ضعيف .
- " للمرأة ستران القبر والزوج : قيل : وأيهما أفضل قال القبر " .

واه الطبراني في المعجم الكبير والصغير وهو موضوع .

- " موت البنات من المكرمات " ليس بحديث " .

(القيسي ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص ١٦٠-١٦٤)

د- تحديد دور المرأة باعتبارها ربة بيت وزوجة فقط :

فهذه الفكرة لازالت سائدة في كثير من البيئات الإسلامية التي نجدها تغرس في ذهن البنت منذ الصغر قيمة الزواج باعتباره (المستقبل) الذي ينتظرها ، والذي يجب أن تُعد له مبكراً . ويشير عبيد إلى بعض أساليب غرس هذه الفكرة في الأذهان ومنها الدعاء للبنت بالستر " الله يوعدك بابن الحلال "

وكيف أنه إذا ما تأخر زواج البنت فإنها تصبح " بائرة " . (عبيد في المستقبل العربي ، ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م ، ع١٣٦ ، ص ٦٢)

ونجد أن العنوسة صفة تطلق على البنت في بعض البيئات - خاصة الريفية - إذا ما جاوزت العشرين دون زواج ، الأمر الذي ينعكس أثره سلبياً على نفسية البنت فتميل إلى الانزواء والانطواء والحزن .

كما نجد أن سيطرة هذه الفكرة -الزواج- على أذهان الأهل ؛ تجعلهم يغفلون أهمية التعليم في إحسان إعداد المرأة لدورها الذي ينشدونها له ، إذ يعتقدون بأن الزوج لا يحتاج إلا إلى امرأة مطيعة ، وجسد جميل ، ومن ثم يتم التركيز على إعدادها لتكون مؤهلة للقيام بذلك .

هـ - عدم الاعتراف بدور المرأة الإنتاجي :

فالكثيرون - حتى من المثقفين - ينظرون إلى المرأة على اعتبار أنها تمثل نصف المجتمع ، لكنه نصف معطل ، حيث لا يعتبرون لإسهاماتها داخل المترل أي أثر على الاقتصاد في المجتمع .

٣-التعريف بحقيقة الدعايات بمختلف أنواعها:-

أصبحت الدعاية في العصر الحاضر فناً له مختصوه ، وله وسائله التي يمكن لمن يحسن استخدامها أن يصل إلى القلوب والعقول بأيسر الطرق .

وللتربية دورها الكبير في توجيه وسائط الثقافة إلى أهمية تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بهذا الفن واستخداماته وحقيقة الأفكار التي تروج من خلاله .

ونجد الدعايات تستخدم حالياً للأغراض التجارية وغيرها ، ومن بين هذه الأغراض :-

أ) الترويج للبضائع :-

فالدعايات تستخدم من أجل ترويج البضائع بغرض الاستهلاك ، وهذا الأمر يُستهدف به جميع أفراد المجتمع ، لكن ما ينبغي أن تنبه إليه المرأة المسلمة المعاصرة ؛ هو الصورة غير اللائقة التي لا تتناسب مع أهمية المرأة ودورها في المجتمع ، والتي تحرص الدعايات عمداً على إظهار المرأة بها بغية ترويج البضائع من خلال مخاطبة الجانب غير الناضج لدى المتلقين .

كذلك ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة ؛ تحذيرها من خطورة الانغماس في الدنيا والسقوط تحت سيطرة الاغراءات المادية ونسيان الآخرة ، وأهمية العمل في الدنيا بغرض الوصول إلى أعلى الدرجات في الآخرة .

ولابد من توجيه وسائط الثقافة إلى أهمية توعية المرأة المسلمة المعاصرة بأساليب الترويج التي منها ما هو غير أخلاقي ، حيث لوحظ أن من بين أصحاب الشركات المنتجة من يعمد إلى ترويج بضائعه من خلال تحذير المتلقين من منتجات أخرى ، وذلك عن طريق بث إشاعات وحكايات لا

أساس لها من الصحة ، كأن يقال مثلاً : أن نوعاً من أنواع الكريم يخدش الجلد ويشـــوهه ..... أو يتسبب في حدوث أمراض معينة على المدى الطويل ... وهكذا .

وهذا الأسلوب يستخدم كثيراً في العصر الحاضر وهو إنما يشير إلى " تجارة الخـــوف " الـــتي أصبحت تستخدمها عشرات القطاعات بدءاً بالأغذية والمشروبات ومواد التجميل ، وانتهاء بالأدويـــة وغيرها من المنتجات التي تمس حياة غالبية البشر . وذلك إنما ينبهنا إلى مقدرا التشـــويه الـــذي لحـــق بإنسانية الإنسان في ظل الحضارة المادية المعاصرة التي أبت بعض النفوس المريضة التي تحيا في ظلالهـــا إلا أن تعيش على حساب تسويق الذعر بين أبرياء يقعون ضحايـــا ، يتلاعب بعواطفهم بســـبب قلـــة معرفتهم .(اللاذقاني في الشرق الأوسط ، ١٤١٥ هـــ/١٩٩٥ م ،ع٦٢٠٠)

ب- ترويج أفكار مضللة عن الشعوب الأخرى :-

لا يقتصر استخدام الدعايات في الوقت الحالي على مجال التجـــارة فقـــط ، بـــل ينســـحب استخدامها حتى على مجال العلاقات بين الشعوب أيضاً ؛ حيث نجد أنه في الوقت الذي يتواصل فيـــه إعجاب الغالبية لدينا بالغرب ، يتواصل فيه أيضاً احتقار غالبية الغربيين لكل ما يمت للإسلام والمسلمين بصلة .

ففي السينما مثلاً ، تقترن الكوفية والعقال غالباً بمناظر مشينة . (كلمة عربي أو مسلم .. في " المسلمون ، ١٤١٦هـــ/١٩٩٥م ، ع ٥٥٨)

وقد غفل المسلمون عن خطورة الدعاية السوداء المضادة على مصالحهم وسمعتهم ، والتي تمثلت في الحملات الثقافية ضد العرب والمسلمين ، وترتب على ذلك أن أدت هذه الحملات غرضها في تشبع الغربيين بها ، مما أسفر عن الانتهاك السافر لحقوق المسلمين والنيل من سمعتهم واعتراض مصالحهم .

ولا أدل على ذلك من الاستطلاع الذي أجري في أسبانيا عن مكانة الأجناس البشرية في نظـر الرأي العام الأسباني ، حيث جاء الجنس العربي في ذيل التصنيف . (الركابي في الشـــرق الأوســـط ،١٤١٥ هـــ/ ١٩٩٥م ، ع ٥٩٩٦)

ولذا وجدنا وسائل الإعلام وغيرها تسارع إلى قذف العرب والمسلمين بأبشع التـــهم ودون تمحيص عندما حدث التفجير في (أوكلاهوما) . (الركابي في الشرق الأوسط ، ١٤١٥ هـــ/١٩٩٥ م،ع٥٩٩٦) ، ووجدنا أيضاً الفرنسيين يلاحقون المهاجرين العرب عقب التفجيرات التي حدثـــت في فرنسا ، حيث عمدوا إلى توقيف العرب اعتماداً على ملامح الوجه فيمن يشتبه في أنهم عرب مـهجرين . (طاهري في الشرق الأوسط ، ١٤١٦ هـــ/١٩٩٥م ، ع ٦١٤٩)

وفي بريطانيا نجد هناك بيانات تنشر عبر أجهزة الفاكس تتضمن إشارات من شأنها زرع عقدة خوف لدى المواطن البريطاني تجاه الإسلام ، وتحمل انتقادات حادة للحكومة في تركها المسلمين وعدم

إنذارهم بمغادرة البلاد طوعاً ، ومنها ما يعتبر المسلمين سبباً للحرب في (يوغوسلافيا) السابقة ، وتحذر من أنهم سيكونون سبباً للعنف في بريطانيا .(المسلمون ، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م ، ع ٥٢٦)

ومما يؤسف له أن تشترك في شن هذه الحملات الظالمة بعض وسائط الثقافة في الدول الإسلامية سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ، ومن ذلك ما تقوم به بعض قنوات التلفاز في تركيا ، حيث تعمد إلى تقليد منطلقات الإعلام الغربي بغرض تحقيق الربح المادي ، فتنشر إعلانات فيها تعتيم على الحقائق ، وتزييف للوقائع ؛ بغرض تشويه صورة الإسلام من أجل كسب جمهور المراهقين ، وتسيء بذلك إلى المصلحة العامة من أجل كسب مؤقت . (إلياس في الشرق الأوسط ، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥م ، ع٦٠٩٣)

وهنا يكمن الدور التربوي لوسائط الثقافة بحيث تعمل على تنمية الوعي لدى جميع أفراد المجتمع الإسلامي – بما فيهم المرأة – بخطورة الإعلام المضاد على كيان الأمة ، وأهمية الحذر حتى لا يكونوا ضحايا للدعايات الكاذبة التي تسعى إلى إلصاق ما هم برآء منه من التهم بهم .

ج– الترويج للأشخاص :–

وهذا الأسلوب تستخدمه وسائط الثقافة في المجتمعات المختلفة بغرض تحقيق أهداف معينة من وراء إبراز أشخاص ذوي انتماءات حزبية أو مذهبية معينة ، وإغفال غيرهم .

ومن بين أبرز الأشخاص الذين برزت أسماؤهم ، والذين عمل الغرب على الترويج لهم في الآونة الأخيرة من المسلمين ؛ تسليمة نسرين وسلمان رشدي ، الذين عمدا إلى الهجوم على الدين الإسلامي من خلال كتاباتهما .

فتسليمة نسرين هي طبيبة بنغلادشية كتبت رواية أسمتها (العار) ، أشارت فيها إلى ظلم المسلمين لغير المسلمين في بلادها ، وإلى ظلم المسلمين للمرأة المسلمة ، فخرجت المظاهرات تطالب برأسها بعد صدور فتوى باستحلال دمها (عبد المجيد في العربي ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ع ٤٤٣ ، ص ٩٢) ، وهربت الكاتبة إلى فرنسا ، وتصدرت قضيتها أمهات القضايا التي يعيشها العالم ، حيث خصصت كبريات الصحف والمجلات في جل الدول الأوروبية أغلفتها لها ، وراحت شبكات التلفاز العالمية تتسابق لإجراء مقابلات معها ، ثم ترجمت روايتها الوحيدة (العار) إلى عدة لغات . وعلى الرغم من سطحيتها وعدم جودتها فنياً باعتراف جل النقاد والقراء ، إلا أن الحفاوة بصاحبتها قد تضاعفت من قبل الزعماء ، كما سارعت اللجان المختصة إلى منحها جوائز عالمية مثل جائزة برلمان الاتحاد الأوروبي ، وجائزة سخاروف وغيرها ، وأصبحت نسرين عضوة بارزة في البرلمان العالمي للكتاب إلى جانب كبار الكتاب والمفكرين .

أما سلمان رشدي فقد كتب قبل ذلك رواية بعنوان " الآيات الشيطانية " استهزأ فيها من الرسول صلى الله علية وسلم ، وقد أهدرت الحكومة الإيرانية دمه ، وأثار الأمر ضجة كبرى في الدول الغربية التي حفته بالدعايات الضخمة وبالدعم غير المحدود ، ودافعت عنه ضد الحملات التي واجهته في الدول الإسلامية . (يحيى ، د.ت ، ص ٥)

ونجد الأمر نفسه يحدث في بعض بيئاتنا الإسلامية حيث تعمل وسائط الثقافة على الاحتفاء بالكتاب والشعراء والأدباء من أصحاب اتجاهات معينة كما أشرنا ، وتغفل غيرهم ، حتى أصبحت شهرة الأديب – كما يقول خلدون الشمعة – يصنعها الإعلام وليس عدد القراء ، وقد ضرب مثالاً لذلك بأدونيس والبياتي اللذين لا تدل شهرتهما على حجم استثنائي ؛ بقدر ما تؤكد أن " النجومية ظاهرة يصنعها الإعلام دون أن تكون لها علاقة بتوزيع الكتاب أو رواجه الحقيقي . " (الشمعة في الشرق الأوسط ، ١٤١٦هـ /م ١٩٩٥م ، ع ٦٠٩٣)

ويدخل ضمن ذلك أيضاً التجاهل الذي يلقاه الأدباء والمفكرون الإسلاميون بصفة عامة من غالبية وسائط الثقافة في غالبية الدول الإسلامية ، في حين يحتفي بهم من قبل ذوي الاهتمام في الدول الغربية ، وقد أشار إلى ذلك(سوسكا) ؛ الباحث في كلية الدراسات الإنسانية بجامعة بون ، في حديثه عن الاهتمام الذي يحظى به الأدب الإسلامي ، والكتاب والروائيين وأدباء الثقافة الإسلامية ، من قبل العديد من الباحثين والروائيين والدارسين في أوربا ، وكيف أنهم يحظون بشهرة واسعة ، ولمؤلفاتهم انتشار واسع هناك . (عبد الرحمن في المستقلة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٨٣)

فينبغي على وسائط الثقافة أن تهتم بتوعية أفراد المجتمع الإسلامي – والمرأة بخاصة – بحقيقة الدعايات التي تصاحب المشاهير من الأدباء والمفكرين وغيرهم ، والدوافع التي تقف وراء الاهتمام بهم ، بما يمكنها من التمييز بين الأصالة والضحالة في الفكر والأدب .

فالاهتمام بسلمان رشدي وتسليمة نسرين مثلاً ؛ إنما مرده الصورة الخاطئة التي يحملها غالبية الغربيين عن الإسلام والمسلمين ، وقد أكد ذلك كثير من المفكرين والأدباء والساسة الغربيين ، ومن بينهم سوسكا الذي قال : " وجدت في مصر ؛ ما يؤكد أن صورة المسلمين التي يبثها الإعلام الأوروبي خاطئة تماماً ، وللوحدة الأوربية عامل مساعد في تشجيع العنصرية ، التي هي ليست في ألمانيا كما في غيرها . (عبد الرحمن في المستقلة ، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م ،ع٨٣)

وفي لقاء أجري مع وزير الثقافة الفرنسي (جاك توبو) ؛ سئل عما إذا كانت الطريقة التي تعامل بها نسرين كبطلة ضد التخلف الإسلامي هي الطريقة الصحيحة في مثل هذه الأمور ؛ فأجاب بأن الموضوع لم يكن يستحق كل ما حدث من عداء واضح للإسلام والمسلمين ، خاصة وأن كل

مثقف حقيقي يعرف سماحة الإسلام . (عبد المجيد في العربي ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ع ٤٤٣ ، ص ٩٢)

وهذا ما أكدته الكاتبة الألمانية (شيميل) ؛ التي نالت جائزة الكتاب الألماني على كتاب لها عن الحضارة الإسلامية حيث قالت في حفل تسلمها الجائزة ما نصه: " إن امرأة تركية فقدت خمسة من أولادها في حريق عنصري متعمد في مدينة ألمانية عام ١٩٩٣م ، ولكن هذه المرأة لا تشعر بكراهية للألمان ، وهذا يجسد تسامح الإسلام الذي عرفته لعشرات السنين . " (المسلمون ،١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٥٥٩)

وفيما يتعلق بقضية نسرين ، فقد حدث أن قامت مجلة (فولوس) في ميونيخ ، بإجراء حوار بينها وبين جمهور عريض من المثقفين والكتاب والصحافيين ، حول قضيتها ، وحول الأصولية ، وحول الأدب بصفة عامة ، وبنهايته ؛ اكتشف أغلبهم سطحية ثقافتها ، وجهلها التام بالإسلام الذي تدعي معرفته ، ثم بدأت وسائل الإعلام الألمانية تتحفظ في الحديث عنها . ولما قام المعهد الأكاديمي ببرلين بدعوتها لمدة عام كامل ؛ ثار غضب العديد من المثقفين الألمان ، وقام أحد الصحفيين [1] بكتابة مقال قدم فيه " جملة من الحجج والبراهين التي تثبت إثباتاً قاطعاً ، أن تسليمة نسرين لم تكن في أي يوم من الأيام كاتبة ذات شأن ، ولا مثقفة بالمعنى الحقيقي للكلمة ، ولا مناضلة صادقة وكل ما في الأمر أنها لجأت إلى الحيل والأكاذيب للحصول على المال والشهرة في بلاد الغرب . "

وقد حمل الكاتب على وسائل الإعلام الغربية ، وخاصة الألمانية ، واعتبرها مسئولة بالدرجة الأولى عن " هذه الفضيحة المخجلة "، حسب تعبيره ، وأورد ما يشير إلى أن وضع المرأة في بنغلادش مغاير تماماً للصورة التي قدمتها نسرين ، سواء من خلال كتاباتها ، أو أقوالها . وفي خاتمة مقاله ؛ طالب المعهد الأكاديمي بمراجعة قراره بخصوص دعوتها ، وطالب المؤسسات الثقافية بمقاطعة نسرين " التي تسببت في واحدة من أكثر الفضائح الأدبية التي عرفها العالم في أواخر هذا القرن! "

(المصباحي في الشرق الأوسط ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٦١٦٦)

وتقول آخر أخبار الكاتبة ؛ أن مبيعات روايتها قد وصلت إلى حوالي نصف مليون نسخة في فرنسا وحدها . ويعّبر إبراهيم عبد المجيد عن دهشته حيث أصبحت الكاتبة " سجينة للإعلام الغربي

---

[1] هو الكاتب الألماني المعروف بوركارد مولر أولريخ ، وقد تصدر مقاله الملحق الأسبوعي لجريدة (السوديشة زايتونج) في ٢٤ سبتمبر ١٩٩٥م . (المصباحي في الشرق الأوسط ، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م،ع٦١٦٦)

أكثر مما هي سجينة للفتوى ... بقتلها " حيث صرحت مؤخراً عن رغبتها في " تغيير بعض آيات القرآن الكريم " ويعلق على ذلك بقوله :

" وهكذا انزلقت السيدة تسليمة نسرين تحت ضغط الإعلام ، فبعد أن كانت كاتبة تنادي بالمساواة بين الناس في كل الأديان ، وفي الدين الواحد ، صارت تناطح الدين نفسه ، وهذه هي المأساة .. "

(عبد المجيد في العربي ،١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٤٣٣ ، ص ٩٢)

لهذا فإنه ينبغي على التربية أن تستخدم وسائط الثقافة من أجل توضيح أساليب الغرب في استخدام أمثال هؤلاء الكتاب ، وإثارة أمثال هذه القضايا من أجل التصدي للإسلام وللصحوة الإسلامية في ديار المسلمين ، وهذا ما يشير إليه محمد يحيى في حديثه عن سلمان رشدي وروايته التي تتصف بتفاوت كبير بين ظاهرها وباطنها ، فهي ظاهرة بالدعاية الضخمة التي وقفت ورائها ، وبالضجة التي أثيرت حول كاتبها ، والدفاع عنه من قبل الحكومات الغربية ، والهجوم الذي شن عليه من الجانب الإسلامي ، في حين هي مختفية من حيث كونها نصاً أدبياً ثقافياً .

والكتاب إنما يعبر عن ظاهرة موجودة في الغرب ، وفي بعض الدول الإسلامية ؛ وتتمثل في تسخير اللغة الأدبية من أجل التصدي للإسلام ، والصحوة الإيمانية . والاهتمام بهذه الرواية هو نفسه السبب في الاهتمام بنجيب محفوظ ، وروايته أولاد حارتنا وغيرهما من الأفلام والمسلسلات والمسرحيات ، التي تعالج ما يسميه الغربيون والعلمانيون بمشكلة التطرف الديني والذي يقصد به الدين الإسلامي وحده . (محمد يحيى ، د.ت ، ص ٥)

ويؤكد هذا الموقف المعادي للإسلام من قبل الغربيين ؛ الهجوم العنيف الذي شنته بعض الصحف الفرنسية على الطاهر بن جلون ، حينما أراد الاحتجاج على التكريم المبالغ فيه الذي حظيت به نسرين ، والذي لا يتناسب مع حجمها ككاتبة ، وقد بالغت الصحف في الهجوم عليه إلى درجة اتهامه بالانحياز للأصوليين . (المصباحي في الشرق الأوسط ، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥م ، ع ٦١٦٦)

كذلك ينبغي استخدام وسائط الثقافة المختلفة من أجل توضيح التناقض والازدواجية التي يتعامل بها الغرب مع قضايا المسلمين ومصالحهم . فهم يستميتون في الدفاع عن نسرين ورشدي وأمثالهما ، في الوقت الذي يصمتون – أو يعينون – تجاه ما يلحق المسلمين في أنحاء العالم ؛ من ظلم على أيدي أعدائهم .

ويشير إلى هذه الازدواجية المثقف الأسباني خوان غويتسولوا بقوله : " لقد لاحظت – كما لاحظ غيري – تعبئة كبيرة من أجل دعم سلمان رشدي ... ولكنني ... ... لم أقرأ أية مقالة مكتوبة من طرف نفس هؤلاء الكتاب الذين دافعوا عن سلمان رشدي فيما يتعلق بمسلمي البوسنة ، وهذا أمر جعلني أحس بصدمة . " (لقاء مع غويتسولوا في المستقلة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع٨٤)

وهو يرى بأن السبب الأساسي في هذه التناقض العجيب إنما يرجع إلى السلطة التي يتمتع بها أهم وسيط من وسائط الثقافة في هذا العصر ، وهو الإعلام ، حيث نجده يقول ما نصه : " في العالم الذي نعيش ، نلحظ أن دور الفعاليات الثقافية والفكرية يتراجع لأن هناك سلطة جديدة ضاغطة ، ويتعلق الأمر بسلطة الإعلام وخاصة الإعلام المرئي والمسموع ... ... " . (لقاء مع غويتسولوا في المستقلة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع٨٤)

د- الترويج المغرض لبعض المصطلحات :-

عمد الغربيون في سعيهم من أجل تشويه صورة الدين الإسلامي ، والإساءة لسماحته واعتداله ؛ إلى إقامة جدار فاصل بين أفراد شعوبهم الغارقة في المادية ، وبين تذوق عظمة الإسلام . فكان من بين الأساليب التي استخدموها لذلك ؛ الترويج لبعض المصطلحات بغرض إحداث التأثير النفسي السلبي تجاه الإسلام والمسلمين لدى المتلقين الغربيين . ومن بين هذه المصطلحات التطرف Extremism ، والأصولية Fundamentalism ، والإرهاب Terriorism .

فهذه الكلمات وغيرها مما يروج له من مصطلحات لها معانيها ، وملابساتها التاريخية والاجتماعية والثقافية لدى الغربيين وسوف نمثل لذلك بمصطلحي الأصولية والإرهاب .

١- الأصولية :

هذا المصطلح يحمل لدى الغربيين معنى " التجمد العقلي ورفض التجديد ، وهو مصطلح (نصراني أوربي) له ملابساته الاجتماعية والثقافية والتاريخية " . (طايل ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٩٦)

وكما هو واضح ؛ فإن هذا المصطلح لا علاقة له أبداً بالمسلمين . وبالنظر في تاريخنا ندرك ذلك يقيناً حيث لم نعرف لهذا المصطلح أصلاً لدينا ، لكن الغربيين بسبب تحاملهم على الإسلام والمسلمين ، يرون في كل صورة من صور الاعتزاز بالإسلام والامتثال لأحكامه ضرباً من الأصولية التي لابد من محاربتها والقضاء عليها .

وقد أشار إلى ذلك أنور إبراهيم نائب رئيس الوزراء ووزير المالية في ماليزيا بقوله : " ... كانت لي مناقشات مع بعض قادة الناتو[1] كجزء من عملي . والمحزن في هذا الأمر أنه لم تكن هناك أية محاولة لفهم ، أو إدراك مشكلات العالم الإسلامي إلا من خلال نظرتهم إلى الإسلام وتحاملهم

---

[1] نسبة إلى حلف الناتو أو حلف شمال الأطلسي ، وهو معاهدة تتوفر بمقتضاها قيادة عسكرية موحدة للدفاع المشترك عن ١٦ دولة غربية ، وتم تأسيسه عام ١٩٥٠ م /١٣٧٠ هـ بوساطة الدول المتحالفة بموجب معاهدة شمال الأطلسي التي نهضت بأعباء دفاعها المشترك عن ١٦ دولة غربية ضد أي هجوم محتمل من الإتحاد السوفيتي ، وتقع رئاسة المجلس في بروكسل ببلجيكا . (الموسوعة العربية العالمية ، ١٤١٦ هـ /١٩٩٦ م ، ج٩ ، ص ٤٧٨)

عليه ، فكل ما هو إسلامي بالنسبة لهم يعتبر أصولياً ، والحالة الإسلامية بالنسبة للسياسي الغربي هي التطرف بعينه " . (حوار مع أنور إبراهيم في المستقلة ،١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٧٦)

ولهذا وجدنا كثيراً من الساسة والمنظرين الغربيين ، يحذرون من الأصولية الإسلامية ويدعون إلى مواجهتها .

يقول ويلي كلاس أمين عام حلف الأطلسي : " إن الأصولية الإسلامية لا يمكن وصفها إلا أنها أخطر من الشيوعية " . (سلطان في مجلة البيان ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٨٨ ، ص ٧٣)

ويقول نيوت جنجرتش ، زعيم الكونجرس الأمريكي : " إن على أمريكا رسم سياسة واستراتيجية شاملة لمواجهة الخطر الإسلامي . " (سلطان في مجلة البيان ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م ، ع٨٨ ، ص٧٣)

ونجد زبجينو برجنسكي ، مستشار الأمن القومي السابق للرئيس الأمريكي ؛ يعترف بأن" الغرب يخشى بالفعل التوجهات النظرية والأصولية للعالم الإسلامي ، ويسعى إلى تشويه سمعته إلى أقصى حد .." (المسلمون ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٥٥٩)

وقد تعدى الأمر مجرد القول إلى الفعل ، حيث وجدنا قادة الصرب يقولون على رؤوس الأشهاد : " إننا نمثل سداً لأوربا المسيحية أمام المد الإسلامي الذي تمثله جمهورية البوسنة والهرسك . " ووجدنا كذلك فرانسوا ميتران يسر في أذن بيجوفيتش عبارته الشهيرة " لا تظن بأننا سنسمح بإقامة جمهورية (أصولية) !! في قلب القارة الأوربية .. !! " (الدعوة ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ع ٤٧ ، ص ٩)

وقد بذل الغرب كل جهده من أجل تحقيق ذلك كما شاهدنا وسمعنا .

وكما أشرنا قبلاً فإن الغرب لا يخلو من المثقفين والمفكرين العقلاء ممن يزنون الأمور بموازينها ، ويدركونها على حقيقتها ، ومن بينهم غويتسولوا الذي يفرق بين الرؤية الأصولية للدين ، وبين تطبيق هذه الفكرة بواسطة العنف حيث يقول في ذلك ما نصه :

> " الأصولية في نظري ظاهرة عالمية فهناك أصولية هندية (تهدم المساجد وتهاجم الديانات الأخرى) ، كما هنالك أصولية يهودية يمثلها المتطرفون والمستوطنون اليهود في الأراضي المحتلة، كما هنالك أيضاً أصولية إسلامية .
>
> ولكن ما يجب في نظري هو أن نضع تمييزاً وتفريقاً بين رؤية أصولية للدين وبين تطبيق هذه الفكرة بواسطة العنف . يجب وضع هذه الحدود بصفة واضحة ، ففي أوربا لا تراعى هذه الحدود بصفة واضحة . إذن فكل واحد يمكن أن تكون له رؤية خاصة للدين وللثقافة وللحضارة ، لكن لا يمكنه فرضها على الآخرين بالقوة والعنف ، وبذلك يجب نبذ التيارات المتطرفة ."

وهناك أخيراً مسيحية أرثوذكسية توجد بالأساس لدى بعض الصربيين ، وهي رهيبة ، كما ظهرت في حملات التطهير العرقي التي مورست ضد المسلمين إبان الحرب الأخيرة .

فالحديث كثيراً عن الأصولية الإسلامية رغم أن هناك أصوليات كثيرة ، فأعتقد أنه يجب الحديث عنها كلها ." (لقاء من خوان غويتسولوا في المستقلة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٨٤)

ومن ثم فإنه ينبغي على التربية أن تستخدم وسائط الثقافة في تعريف أفراد المجتمع الإسلامي والمرأة بخاصة ؛ بالمفهوم الحقيقي للأصولية ، وكيف يمارسه الغربيون واليهود ضد المسلمين ، وأثر تلك الممارسات على المجتمعات الإسلامية ، وخاصة المرأة التي عانت كثيراً من الاضطهاد والتعذيب على أيدي المتطرفين من اليهود وغيرهم .

٢- الإرهاب :-

هذه الكلمة صدرها الغرب إلينا كما فعل مع غيرها . وقد كانت تطلق في السبعينات من هذا القرن على المنظمات التي تمارس العنف ضد الأفراد والمنشآت والطائرات .. الخ ، للمطالبة بمطالب سياسية معينة ، كمنظمة (إيتا) التي تعمل على إنفصال إقليم الباسك[1] عن أسبانيا ، كما أنها استخدمت أيضاً ، وبصفة خاصة للدلالة على أعمال النضال للفصائل الفلسطينية .(طايل، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ص ٩٦)

لكن وفي أواخر الثمانينات ؛ استخدمت هذه الكلمة في وصف الإسلام بصفة عامة ، وذلك من خلال إساءة فهم المعنى الذي يشير إليه قوله تعالى:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال ، آية ٦٠)

فعمد الغرب إلى فصل الكلمة عن سياقها ، وسخر كل إمكاناته من أجل محاربة "الإرهاب" الذي يقوم به المسلمون من قبل المجتمع الدولي كافة . وفي ذلك يقول طايل :

" إن هدف التحالف الغربي الصهيوني من استخدام كلمة (إرهاب) في غير موضعها الصحيح ، وتسخير وسائل الإعلام العالمية للترويج لفكرة (التعاون) الدولي من أجل محاربة الإرهاب ، هو بمثابة حرب نفسية ، وإلقاء لطعم سام ، يكون من نتائجه أن ينفر المسلمون من واحدة من أعظم آي القرآن الكريم وأجمعها ، كما أن استخدام هذه الكلمة هو بمثابة التكنية عن إعلان الحرب على الإسلام والمسلمين ، دون

---

[1] إقليم الباسك : يقع على الحدود بين فرنسا وأسبانيا ، وكان سكانه ينقسمون إلى مجموعات محلية أو يحكمهم الفرنسيون أو الأسبان . وقد طالبوا بحكومة منفصلة منذ أواخر الستينات ، وتسبب ذلك في انتشار العنف ، ومنحتهم الحكومة الأسبانية حكماً ذاتياً عام ١٩٨٠ م /١٤٠٠ هـ (الموسوعة العربية العالمية ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م ، ج٤ ، ص ٦٤)

استخدام ألفاظ مستفزة ، فهو ردع للأمة الإسلامية عن طريق (الشك والغموض) .

(طايل ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٩٦)

ولم يكتف الغرب بالأسلوب الثقافي والنفسي للردع ، وإنما عمد أيضاً إلى استخدام أسلوب الاستعداء المباشر والمعلن ، ومن الأمثلة على ذلك :

- تصريح رئيس إسرائيل السابق (حاييم هرتصوغ) في مطلع عام ١٩٩٣م / ١٤١٤ هـ ، حين قابل رئيس وزراء بريطانيا (جون ميجور) حيث قال ما نصه : "إن التشدد الإسلامي قد أصبح يهدد بزعزعة السلام العالمي ".

- الاتفاق بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في إطار ما سمي بـ (غزة / أريحا أولاً) على محاربة ما سمي بـ (الإرهاب الإسلامي) .

(طايل ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٩٧-٩٨)

ومما يؤسف له أن كثيراً من القادة والمفكرين والإعلاميين قد انساقوا وراء هذه الدعوات فوجدناهم يؤيدون ويساندون الغربيين في محاربتهم لـ (الإرهاب الإسلامي) ، ويطلبون الدعم من أجل ذلك ، غير مدركين لخطورة ذلك على واقع المجتمع الإسلامي والمتمثل في " تحويل طاقة التدافع الكامنة في النفس البشرية - كما خلقها الله تعالى ومنحها هذه الخاصية - إلى داخل المجتمع ، بدلاً من أن توجه إلى دفع العدو الخارجي .. فتسود الفوضى ...) (طايل ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٩٩)

فالواجب يحتم توضيح أثر هذه الدعوات على المجتمع الإسلامي بصفة عامة ، وعلى المرأة المسلمة بصفة خاصة التي أصبحت في العصر الحاضر ، وفي كثير من بقاع العالم تواجه من العنت والاضطهاد الشيء الكثير بسبب هذه الدعوات وأمثالها . وأبرز ما تواجهه ؛ يتمثل في المناداة بتركها للحجاب واعتباره رمزاً من رموز الإرهاب .

ففي فرنسا انفجر الغضب على الإسلام والمسلمين بسبب الحجاب ، الذي رأت فيه فرنسا رمز تحد للحضارة الفرنسية . وهذا ما دعا (فيليب جونزاليس) رئيس وزراء أسبانيا إلى التعبير عن دهشته عبر التلفاز، حيث صرح : " بأنه مندهش لما يجري في فرنسا حول مشكلة ارتداء الحجاب الإسلامي ، إذ كيف تستطيع ثلاث فتيات يرتدين هذا الحجاب ، أن يعرضن للخطر الهوية الفرنسية . " (محمد الغزالي ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ١١٩ - ١٢٠)

وفي إقليم كيبك الكندي ، حيث يكثر العرب والمسلمون ؛ عمدت وسائل الإعلام العالمية والكندية إلى الربط بين الحجاب وأعمال العنف ، مما دعا منظمة الدفاع عن حقوق الإنسان في كيبك في دراسة لها بعنوان (التعددية الدينية في كيبك تحد اجتماعي) ، إلى الدفاع عن حق الطالبات في

ارتداء الحجاب في المدارس ، و لم تر فيه أي سبب للادعـــاء على مرتديته بأنهـــا (إرهابيـــة)[1] .
(المسلمون ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ع ٥٢٦)

بل نجد الأمريكي المسلم لويس فراخان[1] بعد أن زار عدداً من الدول الإسلامية ، يعـــرب عن رأيه في الإرهاب ، ويرد التهمة إلى مروجيها بقوله :

" إنني عائد الآن إلى أمريكا وأعود وأنا على وعي وإدراك تامين بأنه ما مـــن بلد آخر جلب على مختلف الأنظمة السياسية في العـــالم عنصـــر الاضطـــراب وعـــدم الاستقرار مثلما فعلت أمريكا ووكالاتها الاستخبارية .

فمسألة تعيين الإرهاب هذه تعتمد على من الذي يتهم من وما الموضـــوع .. إن أمريكا هي الآن بمثابة القوى العظمى فهي تبعاً لذلك تدعي لنفسها الحق في تصنيف الدول الصغيرة بمثل ذلك التصنيف... فتسمها بالإرهاب . ولكن أمريكا هذه لو دمغها الآخرون بالإرهاب الآن أو في أي وقت كان ، فهل تقبل أن تخضع لقوة القانون ؟

لقد دمغت أمريكا الدول الأخرى بالإرهاب كالسودان وليبيا ، وســـوريا ، وهي ليست إرهابية إلا إذا صنف دفاعها المشروع لتحرير شعوبها وتحقيق سيادتها بأنـــه إرهاب . "(لويس فراخان .. في مجلة الشاهد ، ١٤١٧هـــــ / ١٩٩٦م، ع١٠، ص ٢٠-٢١)

٣- الغزو الثقافي :

في حديثه عن الوضع المستقبلي للتردي الذي نعيشه اليوم ، يقول ضياء الدين سردار : " إننـــا أصبحنا الآن وإلى حد كبير ، تبعاً لمستقبل حضارة أخرى أجنبية . إن عملية استعمار المســـتقبل قـــد بدأت. فدارسو المستقبل الغربيون لا يتعبون أبداً من تكرار أننا نســـير نحـــو حضـــارة واحـــدة ذات مواصفات وخواص غر بية . وفي هذه الحضارة العالمية ، ستكشف المجتمعات غير الغربية شكلاً مـــن التبعية العضوية ، والاسترقاق الثقافي لم يشهد لهما التاريخ مثيـــلاً) . (الجـــابري ،١٤١٤هـــــ / ١٩٩٤م ، ص ٢١)

ونحن اليوم نعيش في عصر تحاول فيه الدول الأخرى فرض (هيمنتها الثقافية) مـــن أجـــل إحداث هذا (الاسترقاق الثقافي) للشعوب الأخرى ، مستخدمة في ذلك كل ما لديها من إمكانـــات ووسائل وأجهزة ومعلومات .

" وهذا ما أوضحته (الإستراتيجية الأمريكية بعيدة المدى) الـــتي أطلـــق عليـــها (البديـــل الديموقراطي) ، .. وهذا ما لخصه الرئيس الأمريكي الحالي (بيل كلينتون) .. في تصريحه يوم تنصيبـــه

---

[1] يجدر بالذكر الإشارة إلى أن غالبية سكان هذا الإقليم ينحدرون من أصل فرنسي . (المسلمون ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٥٢٦)

[1] زعيم جماعة أمّة الإسلام بأمريكا .

رئيساً في ٢٠ يناير ١٩٩٣م ، حيث قال ما نصه : " إن أمريكا تؤمن بأن قيمها صالحة لكل الجنس البشري ، وإننا نستشعر أن علينا التزاماً مقدساً لتحويل العالم إلى صورتنا (To transfer the world into our image) (طايل ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، من ص ٨-٩)

ويشير طايل إلى أن القيم الأمريكية المقصودة هي " القيم الليبرالية (اليهودية / النصرانية) التي صيغت ونمت في أوربا إبان ما يسمونه (عصر النهضة) ، وانتقلت إلى أمريكا مع المهاجرين ، فازدادت إغراقاً في المادية والتحلل الخلقي والعدوانية " (طايل ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٩)

ويعمد المروجون للثقافة الرأسمالية الغربية إلى القول بأن تعميمهم لها ؛ إنما هو من باب التفاعل الثقافي ، فقد جاء في الإعلان النهائي للمؤتمر العالمي الذي نظمته اليونسكو عام ١٩٨٢م /١٤٠٢ هـ ما نصه : "..... جميع الثقافات جزء لا يتجزأ من التراث المشترك للإنسانية ، وإن كل الثقافات متساوية في إطار الكرامة ..." (الأشقر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٢٣)

وهؤلاء حين يروجون لذلك لا يفرقون بين التفاعل الثقافي والغزو الثقافي .

فالتفاعل الثقافي : يكون بين جانبين ندين ، بحيث يعطي كل منهما ويأخذ بوعي ، واختيار ، وفقاً لمعايير مدروسة ويحتفظ في الوقت نفسه بهويته وقيمه . وهذا أمر مطلوب ومشروع لدينا .

أما الغزو الثقافي : فيكون من قبل طرف قوي لآخر ضعيف ، حيث يأخذ الأخير ولا يعطي ، وذلك من أجل ضمان أخذه لما لا يحتاج إليه أو ما لا ينفعه .

(القرضاوي ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص ٢٤٤)

ونجد أن التقنية الحديثة ، وبفضل انتشار المعلومات ووسائل نشرها ، تعمل على اختراق الحدود القومية ، مهددة بذلك الاستقلال الثقافي للأمم لتصبح الحدود وهمية .

وهي تحاول أن تعمم نموذجها الغربي للإنسان الذي يصفه أبو شعيرة بأنه " ....إنسان غير قادر على التحرر وتغيير قدره ، فإرادته وهويته مجرد كومة من اللحظات التلفزيونية المتتابعة المفرطة في السرعة والتكثيف . وذاكرته معطوبة بالكامل ليس فيها سعة للتفكير والتأمل والفهم والتركيز وحتى للخيال ، فكل شيء من هذا القبيل يقدم له على شكل وجبة جاهزة وممتعة .. " (أبو شعيرة في قضايا دولية ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٢٨٦ ، ص ٢٥)

فمستخدمي هذه الوسائل إنما يحاولون اختزال الإنسان إلى مجرد غرائز وشهوات ، من أجل ضمان (استرقاقه) وعدم تحرره ، وذلك يمثل " طغياناً " من نوع جديد حيث يعمل على إذلال الناس ودفعهم إلى الانحطاط دون ألم . وتنسحب هذه السلطة على المجتمعات النامية - بما في ذلك المجتمعات

الإسلامية – مُشَكِّلَةً غزواً ثقافياً يجعلها تدفع ضريبة مزدوجة ، ويحدث ذلك من خلال تقديم وسائط الثقافة للمتلقي نموذجين متلازمين :–

الأول : يمثل نمط الحياة الغربية – الجنة الموعودة – ومن خلاله يوعد إنسان العالم النامي بالرفاهية التي حققها لإنسان العالم الرأسمالي .

الثاني : يمثل العالم النامي باضطراباته وكوارثه الطبيعية وحروبه ، مما يعصف بثقافة إنسان العالم النامي الذاتية ، ويعمل على تدمير ذاتيته الشخصية ، ويجعله متطلعاً إلى بدائل وهمية عن واقعه البائس ، فيندفع وراء تقليد ما يشاهده . (أبو شعيرة في قضايا دولية ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٢٨٦ ، ص ٢٥)

" وقد أثبت علم نفس الجماهير كما أكدت الخبرة على أنه " من الممكن التأثير على الناس من خلال التكرار الملح لإقناعهم بخرافات لا علاقة لها بالواقع . وتنظر سيكولوجية وسائل الإعلام الجماهيرية إلى التلفاز على الأخص باعتباره وسيلة ، ليس لإخضاع الجانب الواعي في الإنسان فحسب ، بل الجوانب الغريزية والعاطفية بحيث تخلق فيه الشعور بأن الآراء المفروضة عليه هي آراؤه الخاصة " ، وبذلك تسهم وسائل الإعلام في تضليل الجماهير. (بيجوفيتش ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م ، ص ١٠٨)

ونجد أن هذه التبعية وهذا الاسترقاق لا يحدثان إلا في ظل غياب الوعي بالأهداف والغايات التي خلق من أجلها الإنسان ، مما يحدث لديه قابلية للغزو والاستعمار الثقافي والاعتقاد بكمال الآخر الذي يقتدي به ، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته حيث يقول في عنوان الفصل الثالث والعشرون : " في أن المغلوب مولع أبداً بالإقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده " . وهو يرى بأن السبب في ذلك يرجع إلى أن " النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه إما لنظرة بالكمال بما وقر عندها من تعظيم أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب ." (ابن خلدون ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص ٢٥٩)

وسوف نتحدث فيما يلي عن مؤتمرات المرأة وحقوق الإنسان على اعتبار أنهما من أبرز الموضوعات التي تمس المرأة ، والتي يحاول الغرب فرض سيطرته الثقافية على المجتمعات الأخرى من خلالها .

أ– مؤتمرات المرأة :–

احتكرت الأمم المتحدة قضايا المرأة من خلال المؤتمرات والندوات والملتقيات التي تعقد هنا وهناك ، بهدف الامتداد بالنموذج الغربي بكل أشكاله ومفاهيمه ليعم جميع دول العالم[1] . وقد عقد في

---

[1] رعت الأمم المتحدة سلسلة من الملتقيات بدءاً من عام ١٩٧٥م /١٣٩٥ هـ ، أعقبه عقد المرأة ثم عام الطفل ثم عام الأسرة ، وقد سارت متوازية مع مؤتمرات السكان ، وكان آخرها مؤتمر بكين الرابع للمرأة في سبتمبر ١٩٩٥م . وكل هذه المؤتمرات تمثل حلقات متتابعة من أجل تدشين الاتجاه النسوي (Feminisn) الذي بدأ منذ ما يزيد عن ربع قرن ، وهو يختلف عن الحركة النسائية التي

السنوات الأخيرة عدد من المؤتمرات التي شكلت صورة من تلك المحاولات ، حيث ركزت على الإباحية والشذوذ والفوضى الجنسية . وهذا ما حدا بإحدى مندوبات الهند في مؤتمر بكين الرابع للمرأة إلى القول بحدة : " هذا مؤتمر عجيب .. لا نسمع فيه إلا الحديث عن حرية الإجهاض ، وتنظيم النسل ، والصحة الجنسية ، بينما أطفالنا جائعون ولا يشربون مياهاً نظيفة ، ولا يذهبون إلى مدارس ، ويفتقدون الرعاية الصحية ، ولا يتحدث أحد عن ذلك .. إنه مؤتمر تنظيم النسل فقط . (المجتمع ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع١١٤٧ ، ص ٣٤)

لقد أدرك الوضع العلماني المسيطر في الغرب ، أنه لكي يضمن استمراريته في السيطرة فلابد له من إلغاء الدين الباعث على الثورة والرفض ، وإحلال مفاهيمه العلمانية ، لضمان ولاء الأجيال الجديدة له ، لمشاركتها إياه نفس الأفكار . وفي هذا السياق تأتي حركة (الفمترم)[1] النسوة العلمانية (كدين جديد) لا يطالب بمجرد الحقوق للمرأة ، بل بتغيير جذري وشامل يقلب المفاهيم ، خاصة الدينية التي ظلت البشرية تنظر إلى المرأة من خلالها . فهي تصور التاريخ البشري على أساس أن الرجال قد قاموا منذ وقت مبكر بقلب الأوضاع التي كانت تسيطر فيها النساء ، وتنادى بإعادة الأمور إلى نصابها ، وعودة النساء إلى مكانهن الطبيعي . (يحيى في البيان ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٩٣ ، ص ٩٦-٩٧)

والنوع المحايد[2] هو الغاية الكبرى من وراء الشعارات التي ترفعها الحركة النسائية العلمانية بدعوى تمكين المرأة ، وإكسابها النفوذ الاقتصادي ، وإلغاء التقاليد المعوقة لتقدمها ، ونشر التعليم الجنسي . وهي قد اتخذت طابع العالمية بسبب الفراغ العقدي الذي يشعر به المجتمع ، إضافة إلى أنها تضمن للمجتمع الغربي " إسقاط ذاته ، وبسطها على المجتمعات التابعة (الإسلامية ، والنامية). " (يحيى في البيان ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٩٣ ، ص ٩٩)

بدأت في مطلع القرن العشرين للمطالبة بحقوق للمرأة نسيت أو سلبت ، لكنها مشروعة سواء في الشرق أو في الغرب ، لكنها تطورت فيما بعد للمطالبة بحقوق مزعومة ، ومهدت بذلك لظهور الفمترم " الحركة النسوية العلمانية " التي تمثل عقيدة شمولية تطرح لكي تُفرض وتسود العالم كله ، وتحل محل العقائد والأديان والمذاهب (وضعية كانت أم غير وضعية) . " (يحيى ، في البيان ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٩٣ ، ص ٩٢-٩٥)

[1] الفميترم :Feminism هي " نظرية المساواة بين الجنسين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً . (يحيى ، في البيان ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٩٣ ، ص ١٠٣) [2] يقصد بالنوع المحايد " أن يكون المخلوق البشري مادة خاماً ، تخلو من الملامح والقسمات التي درجت البشرية على التمييز من خلالها بين النساء والرجال كنوعين مختلفين لجنس واحد ، لكل منهما أوضاع وأدوار محددة يقوم بها داخل الأسرة . " (يحي في البيان ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٩٣ ، ص ٩٧)

ويلاحظ وجود مدافعين وأنصار كثر لهذه الحركة في عالمنا الإسلامي ويتمثلون في "النخب العلمانية [1] ذات الهيمنة على مجريات شئون مجتمعاتنا ، وهي وأن كانت محدودة العدد إلا أن سيطرتها على مفاتيح مؤسسات الإعلام ، والتعليم والثقافة – بل والسياسة – تعطي لها نفوذاً يفوق حجمها بكثير ." (يحيى في البيان ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٩٣ ، ص ٩٩)

وأدهى ما في الموضوع ، أن الأمر لا يتوقف عند مجرد عقد المؤتمرات ، وإصدار القرارات بحيث يلتزم بها من أراد ، بل إن هذه القرارات والتوصيات تفرض فرضاً على الدول ، حيث تتحول إلى سياسات تلتزم بها الأجهزة الحكومية ، وغير الحكومية ، في جميع دول العالم . وتقوم الأمم المتحدة بالتأكد من تنفيذها ، ويساندها في ذلك الإعلام الدولي ، وشبكة المعونات الأجنبية التي تمثل أداة التدخل والتأثير في الدول الإسلامية في العصر الحديث ، إلى جانب المنظمات غير الحكومية التي تمارس نفوذاً قوياً على الحكومات المحلية بمستوياتها المختلفة من أعلى إلى أسفل ، والتي أصبحت تمثل "الذراع الأساسي للحكومة العالمية في فرض وإعمال كل السياسات الموضوعة في مؤتمرات المرأة والسكان ، وهذه المنظمات تضم نخباً نسوية علمانية منعزلة عن مجتمعاتها الإسلامية ، لكنها تستمد قوتها بفضل الدعم المادي والمعنوي الذي تتلقاه من شبكاتها الخارجية ، وهي أكثر ارتباطاً بالوضع العلماني الغربي منها بمجتمعاتها المحلية حيث تعمل فروعاً لها ، وتمارس نفوذاً لا يتناسب والحجم الحقيقي لأفرادها ، أو وزنهم الفكري . " (يحيى في البيان ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٩٣ ، ص ١٠١-١٠٢)

وهكذا يجد العالم الإسلامي نفسه مع حركة فكرية ، تسعى إلى نشر أفكارها بأسلوب التآمر الخفي وليس بوسائل الحجة والإقناع ، فتعمد إلى إجبار المجتمعات الإسلامية على تنفيذ سياسات لا تتناسب وتصوراتها الإسلامية ، وكما يقول يحيى ؛ فإن اللجوء إلى هذا الأسلوب المشبوه في الفرض ، يدل على ثقة مروجي هذه الأفكار من أنهم لو طرحوها على حقيقتها فلن تجد صدى لنداءاتها ، لذلك يعمدون إلى أسلوب الفرض . (يحيى في البيان ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٩٣ ، ص ١٠٣)

فينبغي الاهتمام بتوعية المرأة المسلمة المعاصرة من خلال وسائط الثقافة ؛ بحقيقة هذه المؤتمرات ، وحقيقة الاضطراب الثقافي والعقدي والحضاري الذي يعاني منه إنسان الثقافة الرأسمالية ، والذي يدفعه إلى محاولة فرض شذوذه واضطرابه على غيره من أفراد الأمم الأخرى ، وأن تعمل كذلك على تعريفها بالدور الذي يمكن أن تقوم به من أجل تصحيح هذا الاضطراب الذي أفرز ظلماً كبيراً على الإنسان بصفة عامة ، وعلى المرأة بصفة خاصة ، التي وقع عليها القسط الأكبر من الظلم في غالبية المجتمعات البشرية .

---

[1] صرح عضو مجلس الشيوخ الأمريكي البارز السناتور (هيلمز)في ٢٧ يوليو ١٩٩٥م /١٤١٥ هـ ، أن المؤتمر " تديره وتحدد أفكاره جماعة محدودة من النساء اليساريات (وهذا اللفظ من الاصطلاح الأمريكي يتضمن معاني العلمانية الملحدة) اللواتي يعملن لهدم قيم الأسرة وسائر التعاليم الأخلاقية . " (يحيى في البيان ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ع ٩٣ ، ص ٩٩)

كذلك ينبغي توجيه المهتمين بقضايا المرأة في العالم الإسلامي ؛ إلى أن بإمكانهم تناول نفس القضايا والموضوعات التي تثيرها هذه المؤتمرات ، من أجل تأكيد تميز الطرح الإسلامي عن غيره ، بدلاً من الهجوم عليها . وذلك لأن الإسلام ينظم أمور المرأة بطريقة أكثر إنسانية عن غيره من الأديان والفلسفات ، ونظرته إلى المرأة جديرة بالطرح أمام المحافل الدولية ، وفي الوقت نفسه ينبغي العمل على تحسين وضع المرأة في العالم الإسلامي التي أسيء إليها بمقتضى الأعراف والتقاليد المخالفة لما جاء به الإسلام .

ب- المناداة بحقوق الإنسان :

حقوق الإنسان من الشعارات التي يرفعها الغربيون دوماً ويعتبرون المناداة بها أحد أهدافهم التي يرون فيها سبيلاً يساعدهم - كما يقول طايل - " على تهيئة عقول وضمائر الأمم الأخرى لقبول فكرة سمو وتفوق أهل الشمال على أهل الجنوب ، وتبعية هؤلاء لأولئك ." (طايل ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٩٢).

وقضية حقوق الإنسان ، ليست في الأساس قضية غربية ، وإنما هي قضية مبنية أساساً على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، وهذا الإعلان عبارة عن وثيقة وفاقية صدرت عام ١٩٤٨م /١٣٦٨ هـ ، وهي تحمل مزيجاً من أفكار وقيم النظامين الليبرالي والاشتراكي إلى جانب بعض القيم الدينية العامة . ثم تأسست على هذا الإعلان مئات الإعلانات والمواثيق الدولية ، وكلها بلا استثناء كانت لصالح العالم الثالث . (حوار مع المنصف اللواتي في الحياة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ، ع ٢٢٥٠)

وقد أخذ الغرب يعمل منذ فترة طويلة من أجل تحقيق هذا الهدف ، ومن الإشارات الدالة على ذلك؛ التقرير الذي قدمه الدكتور (ارنست ليفر- Ernest Lever) مساعد وزير الخارجية الأمريكي إلى مجلس الشيوخ الأمريكي في عام ١٩٧٨م /١٣٩٨ هـ ، الذي صادق عليه المجلس ونشرته مجلة (بوليسي ريفيو Policy Review) في شتاء نفس العام .

وقد دعا ليفر إلى أن تصبح فكرة (حقوق الإنسان) أحد مكونات السياسة الخارجية الأمريكية، بهدف التدخل في شئون الدول الأخرى من خلال ممارسة الضغوط ، والإكراه المعنوي العميق ، لإجبارها على تغيير سياساتها الداخلية ومؤسساتها ، وعلاقاتها السياسية مع الدول الأخرى . وكان مما قاله في التقرير :

" ... ولن يحدث هذا إلا إذا شاركتنا المجتمعات الأخرى نفس قيمنا .. وعلى الولايات المتحدة أن تنصب نفسها حكماً على المجتمعات الأخرى وحكوماتها ، وأن تحدث في سياساتها الخارجية اضطرابات عند اللزوم .. وأحذر من أن تؤخذ فكرة (السيادة) وما ينبع عنها من صلاحيات واختصاصات داخلية مأخذ الجد .. فقد أصبحت فكرة السيادة هذه بمثابة العقبة النهائية

أمام استخدام فكرة حقوق الإنسان في مجالي السياسة الخارجية والسياسة الدولية . " (طايل ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ص ٧٢)

والواقع المعاصر يشير إلى تحقق أهداف الغربيين في المجتمعات الإسلامية ، لما أصبح عليه المسلمون اليوم - إلا من رحم الله - من انهزام نفسي ؛ جعلهم ينطلقون في تبعية عمياء للغرب ، وفي ذلك يقول طايل :

وعلاقة تبعية أمة لأخرى ، هي حالة من حالات الانهزام النفسي التي وضع لها العلامة ابن خلدون وصفاً وتبريراً ونتيجة ، " وشعور أمة بتفوق أمة عليها .. يجعل الخوف والانهزام يسكنان نفوس أفراد التابعين ، ويمنعهم من القدرة على الابتكار ، ولا يترك لهم سوى خيار (تعميق التبعية) ، ونبذ ثقافتهم الأصلية ، والجري لاهثين لالتقاط سقط متاع ثقافة الأمة التي يظنون أنها متفوقة عليهم . " (طايل ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ص ٩٢)

ونجد هذا قد تحقق في جري كثير من المسلمين وراء دعاوى المؤتمرات التي عقدت بهذا الخصوص ، سيما مؤتمرات المرأة التي أشرنا إليها آنفاً ، والتي أسفرت عن جري كثير من المسلمات المعاصرات وراء التفسيرات المحلية لمفهوم حقوق الإنسان لدى الدول الأخرى ، دون أن يتفهمن أن ذلك إنما يتماشى مع رغبات تلك الدول ومصالحها .

ومن الإشارات الدالة على ذلك ؛ أن مؤتمر بكين قد اهتم كثيراً بأمور الصحة المتعلقة بالنسل والأمراض الجنسية والمعدية والإجهاض التي يبلغ عدد المصابين بها ٤ ملايين حالة ، في حين أهمل الأمراض الاستوائية التي يتراوح عدد المصابين بها ما بين ٦٥٠ و ٨٥٠ مليون حالة خلال عام ١٩٩٤م/١٤١٤ هـ ، وذلك بحسب إصدارات منظمة الصحة العالمية . (رسالة الفاتيكان إلى أمين عام مؤتمر بكين ، في قضايا دولية ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٣٠٠ ، ص ٣٥)

فهذه المؤتمرات تهمل تماماً حقوق الإنسان في الدول الأخرى ولا تهتم إلا (بإنسانها) الذي ترعاه وتبذل جهدها من أجل توفير كل أسباب الراحة له .

ومن بين المؤشرات الدالة على ذلك ما ذكرته خديجة الترابي في حديثها عن الجهاد في كشمير ؛ حيث أنها تشارك في المؤتمرات النسائية العالمية والعربية من أجل التعريف بالقضية الكشميرية . وقد وجدت أن هذه المؤتمرات لا تعرف الكثير عن قضية كشمير " .... وللأسف هذه المؤتمرات تناقض نفسها ، حيث أنها تعمل باسم حقوق المرأة ، مع أن المشاركات فيها لا يعرفن أن سبب معاناة المرأة المسلمة في كشمير هو السياسات القمعية التي تتعرض لها من قبل الاحتلال الهندوسي . " (لقاء مع خديجة الترابي في عكاظ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ع ١٠٩٨٥)

ومن الشعارات التي يرفعها الغرب في مناداتهم بحقوق الإنسان (الدعوة إلى المحافظة على البيئة) ؛ وهو شعار مقبول و محبذ من المجتمع ، إلا أن الغربيين - وكما يقرر طايل - يستهدفون من ورائه السيطرة على الأرض ، وما فوقها وما تحتها ، بدعوى امتلاكهم تكنولوجيا المعلومات ، ووسائل التنبؤ والتحكم ، فهم بذلك الأقدر على الحفاظ على البيئة التي تفسدها تصرفات الأمم المختلفة ، وهم الأقدر على التصرف في الثروة الطبيعية والنباتات والمياه في الوقت الذي يصدرون فيه إلى الأمم الأخرى المبيدات والكيماويات التي تمثل حرباً حقيقية ضد الأحياء ... (طايل ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ص ٨٧-٨٨)

وأخطر دعاوى الحفاظ على البيئة تتمثل في التحكم في المواليد . (Birth Control) ، والذي يترجم بالخطأ على أنه تنظيم للأسرة ، حيث يصحب من باب التضليل ببعض الدعاوى الخاصة برعاية الأمومة والطفولة .

يقول طايل :

> " لقد صارت فكرة (التحكم في المواليد) ، أحد مكونات الصراع الثقافي العالمي ، فانخفاض نسبة المواليد لدى اليهود وفي أوربا وأمريكا والجمهوريات السلافية بالاتحاد السوفيتي (سابقاً) سوف تجعل هذه البلدان مجتمعات (مسنة) في مطلع القرن القادم .. أي أن المعولين فيها أكثر في نسبتهم من القادرين على العمل ، في حين أن بلدان الأمة الإسلامية - بنسبة مواليدها العالية - ستكون بمطلع القرن الميلادي القادم بلداناً (شابة) لديها قوة عمل تستطيع تشغيلها ، وتصدير بعضها إلى أوربا وأمريكا ، فتتزايد نسبة المسلمين هناك ويتواجدون في كل القطاعات الاقتصادية ." (طايل ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ص٨٧ - ٨٩)

فينبغي الاهتمام بتوجيه أفراد المجتمع الإسلامي بصفة عامة والمرأة بصفة خاصة إلى أهمية تحقيق التوجيه النبوي الكريم : " تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة "(ابن حنبل ، د.ت ، ج٣ ، ص١٥٨) ، وكيف أن التبعية العمياء لتوجيهات الغرب في الحث على تحديد النسل ؛ تخالف التوجيهات النبوية، إلى جانب أنها تخدم مصالح الغربيين .

ويحتج الغربيون في دعوتهم إلى تحديد النسل بنظرية مالتس[1] في السكان ، وهي نظرية خطئها الكثيرون .

---

[1] يعتبر توماس مالتس الذي عاش في القرن الثامن عشر ، أول من اهتم بدراسة الأزمة السكانية ، حيث خلص من دراساته في الموضوع إلى أن الموارد الغذائية تتزايد وفقاً لمتوالية حسابية : (١،٢، ٣ ، ٤ .....) ، في حين يتزايد السكان وفقاً لمتوالية هندسية : (١، ٢،٤، ٨، .....) ، ومن ثم فإنه سيأتي وقتٌ يزيد فيه حجم السكان أضعافاً مضاعفة عن الموارد الغذائية . الأمر الذي ينجم عنه مجاعات وأمراض وأوبئة وقد تعرضت هذه النظرية لانتقادات كثيرة ، أجمعت على أن مالتس قد نسي مقدرة الإنسان على التطوير التقني

فينبغي توضيح خطأ هذه النظرية ، والتي هي كما يقول عنها طايل : (محض هراء ، لأن الإنسان لم يستغل حتى الآن سوى القليل جداً من موارد الأرض ، كما أن الله – سبحانه وتعالى – لم يخلق الخلق عبثاً .) (طايل ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٩٠)

وهو سبحانه قد تكفل برزق مخلوقاته ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ (هود ، آية ٦)

كذلك ينبغي على التربية أن تؤكد على الإنسان ، باعتباره محور الإنتاج ومحور عملية التنمية ، فهو الخليفة الذي أوكل الله إليه مهمة اعمار الكون ، وهي مهمة لا تتحقق على أكمل وجه إلا بالعدد الكبير من البشر ، وهذا ما توصل إليه بعض المفكرين الغربيين ومنهم (كارل هاوس هوفر) الذي يعتبر أن من عوامل قوة الأمة واستمرارها أن يكون لديها " معدل عال من المواليد . " (طايل ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٩٠)

كذلك ينبغي تنبيه المرأة بخاصة والمجتمع الإسلامي عامة – عبر وسائط الثقافة المختلفة – إلى الأساليب التي يتبعها الغربيون من أجل تحقيق سياسة التحكم في المواليد في مجتمعاتنا ، حيث يعمدون إلى استغلال تقدمهم العلمي والتكنولوجي من أجل إمداد الدول الأخرى – بما فيهم نحن – بالأدوية والأمصال وغيرها ، من أجل خفض معدلات المواليد .

تقول خديجة سيف الدين الترابي مسئولة القسم النسائي بهيئة الإغاثة لمسلمي كشمير في لاهور بباكستان : إن المرأة في كشمير " تتعرض للعديد من المحاولات الرامية إلى قطع صلتها بالإسلام من خلال غزوها ثقافياً بالكتب الإباحية والدعاوى الفاسدة للاختلاط ، وتعرضها لعمليات الاغتصاب الفردي والجماعي فضلاً عن حملات تنظيم الأسرة التي تهدف إلى تقليص عدد سكان وادي كشمير المسلمين . وبالفعل نجحت هذه الحملات في خفض نسبة السكان من ٨٥% إلى ٦٥% . ومع ذلك ، فهناك حرص من قبل المرأة الكشميرية المسلمة ، على مقاومة هذا الغزو وعدم الاستسلام لأية محاولة لقطع صلتها بدينها وثقافتها ." (لقاء مع خديجة الترابي في عكاظ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ع ١٠٩٨٥)

وأهم ما ينبغي أن تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إليه هو سياسة الكيل بمكيالين التي تتبعها الدول الغربية فيما يتعلق بحقوق الإنسان ، بحيث تستخدم هذا الشعار كجزء من مصالحها وأسلحتها .

الذي يمكنه استخدامه في زيادة الإنتاج الغذائي ، وإحداث توازن بين النمو السكاني والغذائي .(القاسمي ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص ١٧)

فهي قد استعملته ضد الشيوعية لتدميرها ، ونجدها في الوقت الحالي تستخدمه بصورة "انتقائية وفقاً لمصالحها " فتطبقه في الدول الإسلامية بطريقة ، وفي الدول الأخرى الموالية لها – كإسرائيل – بطريقة أخرى . (لقاء مع المنصف اللواتي في الحياة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ع ٢٢٥٠)

٤– النظام العالمي الجديد :

وهذه فكرة ثقافية بالدرجة الأولى، ومفادها " انتهاء الانقسام في داخل الحضارة الغربية ، التي يصفونها بأنها (يهودية / نصرانية) وذلك بعد أن اندحرت الماركسية ، وأصبح على المعسكر (الليبرالي الغربي) بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ، أن يعيد تشكيل العالم على مقتضى قيمه.)" (طايل ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ص ٧٠)

وكما هو واضح فإن هذا النظام ليس له من العالمية سوى اسمه ، إذ الهدف منه هو التدخل في سيادات الدول وثقافاتها بالقوة . ونجد أن أول وأبرز إصاباته في عالم المسلمين هو التمكين لسيطرة اليهود ، وتهوين القيم الإسلامية ومحاصرة مؤسسات العمل الإسلامي . (حسنة في مقدمة السائح ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٢١)

وأخطر مراحل هذا النظام تتمثل في " التطبيع الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي مع اليهود ، فهذه المرحلة يمكن اعتبارها الصورة الأحدث للغزو الفكري المكشوف ... " حيث يقتضي اقتلاع الثوابت الدينية والوطنية ، ومحو الذاكرة العربية المسلمة وإلغاء مخزونها الثقافي والفكري ، وإيقاف الموارد الثقافية والتواصل والنقل المعرفي بين الأجيال تحت عنوان التجفيف وإعادة التثقيف ، والمقصود بذلك تجفيف منابع الدين ؛ بحذف الآيات والأحاديث النبوية التي تتناول اليهود وأخلاقهم ، ومسح الشخصيات التاريخية للأمة . (حسنة في مقدمة السائح ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ص ٢١)

فينبغي توجيه وسائط الثقافة المختلفة من أجل توعية أفراد المجتمع الإسلامي ، وخاصة المرأة بحقيقة النظام العالمي الجديد والعمل على تحصينهم ضد تيارات الغزو المختلفة بما يحفظ للأمة الإسلامية كيانها من الذوبان في الثقافات الأخرى .

كذلك ينبغي توجيه وسائط الثقافة ؛ بحيث توضح لأفراد الأمة الإسلامية حقيقة التدافع في الاجتماع البشري ، والذي هو سنة من سنن الخالق سبحانه وتعالى في هذا الكون ، فهو سبحانه وتعالى يقول :﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾. (الحج ، آيه ٤٠) .

ومن ثم ندرك أن الغزو الثقافي ليس شراً كله ، بل هو من المنبهات الثقافية والتحديات الحضارية الضرورية لإعادة شحذ الفاعلية ، واستعادة الذات ، وإنهاء حالة الاسترخاء والكسل ، واكتشاف الأسباب التي أدت إلى ما نزل بالمسلمين من عقوبات . فكما أننا بحاجة إلى معرفة الخير

لفعله ؛ كذلك نحن بحاجة إلى معرفة الشر من أجل الابتعاد عنه ، فلا يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية . (حسنة في مقدمة السايح ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ص ٢٣-٢٤)

ومن المهم جداً معالجة موضوع الغزو الثقافي ؛ باتزان وتعقل ، دون إفراط ولا تفريط ، بحيث نستفيد من التوجيهات القرآنية ؛ التي توصينا بأن نكون في غاية الحذر ، خاصة إذا ما كنا مستهدفين ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى :﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾

(النساء ، آية ١٠٢)

فالأمر يقتضي أخذ الأهبة ، و الاستعداد ، وفي نفس الوقت المهادنة ، ولكن ليس إلى درجة الغفلة التي تجعلنا قابلين لأن يغزونا الآخرون كما هو حالنا الآن .

٥ – تفاعل الحضارات :

في السنوات الأخيرة ظهرت نظرة سياسية معاصرة لدور الثقافة تدور حول (شكل عالم الغد بعد انتهاء الحرب الباردة ودخول العالم في وفاق ظاهري) . (مصطفى الفقي في المستقلة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، ع ١٤٣)

وقد وجد البعض في صراع الحضارات بديلاً للصراعات التي بدأت تختفي . حيث عمد بعض المفكرين الغربيين إلى التعبير عن مخاوفهم مما أسموه بالحضارات الشرقية والإسلام .

وقد تزامن نشوء هذه الفكرة مع اندلاع حرب الخليج ، حيث أعلن (صمويل هنتنغتون) عن رؤيته في مقالة له بعنوان : " صدام الحضارات " التي وجه فيها أنظار الغرب إلى أهمية أخذ الأهبة والاستعداد لصراع الحضارات الذي ستكون نتيجته الحتمية الحرب . ثم سار على دربه ، (فوكوياما) في كتابه نهاية التاريخ ، (غليون في ندوة مجلة الدبلوماسي عن حوار الحضارات والثقافات ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ع ٤ ، ص ٨-٩)

ويشير فهمي جدعان إلى أن هؤلاء المفكرين لا يهدفون إلا إلى تصعيد الرعب والخلاف والصدام مع الآخرين من أجل ضمان السيطرة والهيمنة ، وحماية المصالح ، متشبثين بمنطق (الصراع ، والبقاء للأقوى) ، ومن أجل إلحاق الهزيمة والفشل بكل المشاريع الحضارية والثقافية الأخرى . (جدعان في الشرق الأوسط ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٦١١٨)

وقد قوبلت هذه الأفكار بالنقد الشديد ، حتى من قبل المفكرين الغربيين ، ومن بينهم غويتسولوا ، الذي حينما سئل عن الأطروحة التي قدمها ودافع عنها هنتنجتون بأن الإسلام هو العدو الحالي والقادم للغرب أجاب :

" إنها سذاجة وفكرة سيئة ، فالغربي يبدو دائماً في حاجة إلى عدو ، تاريخياً ولأسباب جغرافية ، كان هناك صدام ومواجهات في أسبانيا أولاً ، ثم في البلقان مع الإمبراطورية العثمانية . مواجهات

ربحها الغرب آنذاك ، ثم وفي العقود الأخيرة كانت الشيوعية هي العدو ، ولكن تطورات السنوات الأخيرة وزوال الشيوعية قوض ذلك ، ومنذ ذلك الوقت بدأ البحث عن عدو جديد . وفي هذا الإطار تندرج الأطروحة الساذجة لهنتنجتون . "

ثم يضيف قائلاً بأن العلاقة بين الغرب والإسلام يجب أن يكون قوامها " ... الإحترام والاستفادة المتبادلان ، لا مركبات أو مشاعر الإحساس بالنقص . " (لقاء مع خوان غويتسولوا في المستقلة ، ١٤١٦ هـ/٥ ١٩٩م ، ع ٨٤)

وتقول ديان سنغرمان ، الأستاذة بقسم العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية بواشنطن :

" إن كتاب هنتنغتون مشهور في أمريكا وقد أثار اهتمام الناس ، لأنه يقدم وجهة نظر جديدة ، لكن الحذر منه واجب ، ومن فرانسيس فوكوياما وأمثاله . هؤلاء جميعاً نحن لا نرغب أن تكون لنا بهم صلة ، ونحن حين نجلس نتحدث عنهم فليس ذلك من باب الاحتفاء بهم . " (ندوة مجلة الديبلوماسي ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٤ ، ص ١٦)

ويؤكد الكثيرون على أن هنتنغتون لا يتحدث عن صراع بين الحضارات ، وإنما بين الأديان ، وكل ما في الأمر - كما يقول الإيراني (بيروز مجتهد زاده) :" هو أنه استعمل مصطلحاً مختلفاً ، فهو يستعمل مفهوم الحضارة كما يتفق مع تصوره هو . وهو بمعنى ما قد اصطنع وضعاً للناس ما لبثوا أن أخذوا معه يرددون ما يقول : تنافس الحضارات ، صراع الحضارات ... الخ . " (ندوة مجلة الديبلوماسي ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٤ ، ص ١٤)

ويتضح عدم وضوح الفكرة لدى هنتنغتون ؛ إذا ما علمنا أنه لا يتحدث عن الإسلام فقط ، بل عن الإسلام المتحالف مع الكونفوشية فهو - كما يقول د.(أنتوني سوليفان) : ".... يرى تحالفاً ما قائماً بين الإسلام والكونفوشية ، ولو أن أحداً فكر بهذا الأمر على هذا النحو فإنه سينظر إلى المسالة وفق صيغة الغرب ضد الآخرين . " (ندوة مجلة الديبلوماسي ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، ص ١٦)

ووسائط الثقافة في البيئات الإسلامية حينما تتناول هذه الفكرة وأمثالها مما يشيع في العالم ، فإنها تنبه الأذهان لما يجد في العالم من أفكار واتجاهات ، لكنها في الوقت نفسه يجب ألا تكتفي بذلك ؛ بل توجه وسائط الثقافة لديها من أجل مواجهة هذه الأفكار بالحجج والبراهين التي تدحضها . فصحيح أن هناك توترات في العالم ، لكنها ليست بسبب الأديان وإنما بسبب سوء الفهم بين الشعوب والذي يمكن إزالته من خلال التواصل والحوار .

يقول سكوت هيبارد ، مسئول برامج الأديان والأخلاق وحقوق الإنسان في معهد الولايات المتحدة الأمريكية للسلام :

" إنني أعتقد أن هذه التوترات التي تقوم بين الأمم ، إنما تنشأ وتتجذر في أرضية من الجهل الغالب . لأنها في الأصل ولحد بعيد نتائج للإعلام والرأي العام "، وذلك من أجل خدمة أغراض سياسية . (ندوة مجلة الديبلوماسي عن حوار الثقافات والحضارات ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ،ع٤ ، ص ١٣)

٦- الأمن الثقافي :-

ترتبط الثقافة بالأمن الداخلي للأمة ، من حيث أنها تؤدي إلى الوحدة والتماسك بين أفراد المجتمع . ولهذا وصف الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية بقوله :﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ (الأنبياء ، آيه ٩٢) .

أما من الناحية الخارجية ، وكما أشرنا سابقاً - فإن اختلاف الثقافات ؛ هو من سنن الله التي تحقق التدافع . قال تعالى :﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ . (هود آيه ١١٨-١١٩) .

ونجد الغربيين لا ينكرون تمايز الثقافات عن بعضها البعض ، بتمايز حضارات الأمم المنتمية إليها .. فلكل من الصينيين ، والهنود ، والمسلمين حضارة تتميز عن غيرها . فالغربيون لا ينكرون تميز الحضارة الإسلامية عن غيرها إلا فيما يتعلق بالحضارة الغربية . فهنا تبرز دعوى عالمية الحضارة وعالمية الثقافة .

أما السبب في ذلك فهو - كما يقول د.عمارة - أن أياً من تلك الحضارات لا تمتلك إمكانات المنافسة والتأثير خارج حدودها . فالفكر الغربي حريص على فرض ثقافته وحضارته على العالم الإسلامي ؛ لأن الثقافة الإسلامية هي الوحيدة التي تمثل تحد فعلي وحقيقي لمجتمعات الغرب .

(عمارة في المسلم المعاصر ، ١٤١٥ هـ/١٩٩٤ م، ع ٧٣ و ٧٤ ، ص ٧-٨)

ولهذا وجدنا الغربيين في السنوات الأخيرة ؛ يروجون لفكرة " تصادم الحضارات " ، إذ يعتبرون أن مركز التهديد للحضارة الغربية قد انتقل من الشيوعية إلى مواطن أخرى جنوبية .

فإذا ما أدركنا رغبة الآخرين في تصفيتنا ؛ فان الأمر يقتضي من التربية أن تعمل على توجيه أفراد المسلمين - ذكوراً وإناثاً - من أجل العمل على الحفاظ على الذاتية والهوية الإسلامية من أجل سلامة وأمن ثقافتنا الإسلامية .

ومن أجل الانطلاق نحو هويتنا الأصلية ، والانعتاق من الأطر الثقافية التي سجننا فيها الغرب ، فإنه يواجهنا في طريقنا اتجاهين :-

الأول : رفض ما جاء به الغرب بالكلية .

الثاني : الذوبان تحت شعار العالمية والأخوة الإنسانية .

والأول يمثل رجعية يجب أن نتخلى عنها ، لأنها السبب في تخلفنا وجمودنا ، عندما رفضنا أن نساير سنة الله في التغير والتطور . (عبد العظيم ، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣ م ، ص ١٤٩-١٥٣) ، وذلك لأن الثقافة المتوارثة غير كافية ، فلابد من فقه للدعوة ، ولأنظمة الإسلام ، ومعرفة للعصر ، وللمواقع المتقدمة للعمل الإسلامي المعاصر . (حوي ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م ، ص١٣٨) . **أما الثاني** ، فهو كلمة حق يراد بها باطل كما عرفنا مسبقاً ، ومن ثم فإنه لابد لنا من خيار ثالث ، والمتمثل في الإسلام على أصالته والذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم : (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ) . (مسلم ، د.ت ، ج١ ، الإيمان/٦٥ ، ص ١٣٠)

فالأمر يقتضي العمل على تحرير أفراد المجتمع الإسلامي من السلبية والانهزامية ، والإحساس بالضعف ، والعجز ، والكسل ، وتبرير التخلف ، والعمل من أجل الانطلاق على هدي من الإسلام ، والعودة من جديد خير أمة أخرجت للناس .

كذلك ينبغي العمل على توعية أفراد المجتمع الإسلامي ذكوراً وإناثاً ؛ بحقيقة الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر والذي يصفه عمارة بأنه : " واقع الاحتكاك والتدافع الثقافي والحضاري مع النموذج الغربي تحديداً ، ودون أي (آخر) سواه " ، وأن ذلك يقتضي منا " تحديد المعالم المميزة للنموذج الثقافي الإسلامي عن النموذج الغربي ؛ من دون أن يعني ذلك إنكار ميادين المشترك الإنساني العام في العديد من العلوم والمعارف التي لا تدخل حقائقها وقوانينها وثمرات معارفها وتجاربها في (المميز للذات الثقافية) وإنما تدخل في (الجامع) الذي تتفاعل فيه وتتشارك (الذوات الثقافية) للإنسانية جمعاء . (عمارة في الحياة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ع ١٢٢٢٤)

فمن خلال التربية يمكن تحديد النموذج الثقافي ، وتوضيح معالمه ، وتقديمه من خلال كافة المؤسسات التربوية المباشرة و غير المباشرة ، ثم تترك الحرية للمرأة المسلمة في الترجيح والاختيار من بين ما يعرض عليها على أساس من النموذج (المعيار) الذي قدمته لها التربية ، وأنشأتها عليه منذ البداية .

يقول عمارة :

> " إن (النموذج الثقافي) يكاد أن يكون ، بعد اختياره والانتماء إليه والولاء له ، المعيار الذي يحدد ويرجح (النماذج) التي يختارها الإنسان في العديد من المجالات والكثير من الميادين . فالثقافة التي صنعت هوية الإنسان هي الموجه لاختياراته لنماذج الأسوة ومناهج القدوة والمثل والمعالم التي تجعله يوالي هذا ويعادي ذاك ، وينشط لهذا المقصد ويعدل عن سواه ، ويضحي في هذا السبيل ولا يلتفت إلى ما عداه . و(النموذج الثقافي) هو المحدد (لنموذج المستقبل) الذي يسعى الإنسان إلى صنعه وتحقيقه في الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه . " (عمارة في الحياة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ع ١٢٢٢٤)

وينبغي أن يكون أساس النموذج الثقافي الذي تعرضه التربية هو العقيدة والقيم المنبثقة عنها ؛ بحيث تعمل في إطارها جميع وسائط الثقافة ولا تخرج عنها من أجل الحفاظ على أمن الأمة وكيانها .

أما الاحتجاج بمسايرة العصر ، والتفاعل مع الحضارات فإنما هي " فريضة تحيل الأمة إلى (قرد) يقلد الآخرين ، و (ببغاء) يردد ما يقولون دون أن يعلم له معنى . وإن الاحتجاج بمصلحة الوطن وهم . فما قيمة الوطن وأنت ضائع فيه ، مستعبد على أرضه ، تعيش لتأكل ، وتتمتع كما تتمتع الأنعام . " (طايل ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ١٠٨)

كذلك ينبغي على التربية أن تستفيد من الثورة الإعلامية التي أتاحتها التقنية الحديثة من أجل الحفاظ على الأمن الثقافي للمرأة المسلمة المعاصرة - وغيرها من أفراد الأسرة - التي تعيش في ديار المهجر ، والتي تواجه إمكانية فقدان الهوية بسبب العيش في مجتمع غير مسلم .

فالاستخدام الأمثل لوسائط الثقافة يمكن أن يفيد كثيراً في إعادتها من شباك الاغتراب والاستلاب .

والإسلام قد صاغ النموذج والمثال ووضع المعيار الذي يوضح السبيل لأسلمة الثقافة التي تصوغ نفس الإنسان المسلم ، وقد رأينا كيف أنه قد ضبط الأعراف وجعلها أحد مصادر التشريع رغم أنه لم يصغها ، وكذلك الحكمة التي هي " الصواب البشري " المتوصل إليه من خلال العقل البشري ؛ فقد جعلها الإسلام " مناطاً للتكليف الشرعي ، واعتبرها كالكتاب . " (عمارة في الحيلة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ، ع ١٢٢٢٤)

قال تعالى : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ . (البقرة ، آيه ١٥١) .

ومن ثم فإن علاقة الثقافة الإسلامية مع الثقافات الأخرى ينبغي أن تكون كما أشرنا سابقاً ؛ علاقة عدل متوازن دون إفراط ولا تفريط بحيث تقوم على الاختيار الحر والتكافؤ ، وبذلك تتميز الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات ، ويتميز إنسان الثقافة الإسلامية عن إنسان الثقافات الأخرى .

وعند ذلك يحدث ما يعبر عنه عمارة ؛ بنهوض النموذج الثقافي بدور المعيار حيث يقول :

" فعندما تكون العلاقة صحية وقائمة على الاختيار الحر وعلى التكافؤ بين الحضارات ، ينهض النموذج الثقافي بدور المعيار الذي يحدد نطاق "التفاعل والاستلهام " وحدود (التمايز والخصوصية) ، فتكون العلاقة الصحية والطبيعية بين (الذات) وبين (الآخر) ، في الميدان الثقافي . " (عملوة في الحياة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ع ١٢٢٢٤)

٧- أزمة إنسان الحضارة الغربية :-

أشار الباحث السنغافوري كيشور محبوباني ، الذي عمل لفترة ممثلاً لسنغافورة لدى الأمم المتحدة ؛ إلى أن غرور الغرب ونظرته الاستعلائية للدول الأخرى ، قد جعله يغمض عينيه عن حقائق واقعة بداخله ، و تتمثل في المشاكل الاجتماعية والسياسية ، وحقائق أخرى واقعة بخارجه ، وتتمثل في القيم الحضارية التي يمكن له اقتباسها من الحضارات الأخرى الموجودة في عالم اليوم . وإن هذا الموقف هو السبب في معاداة الحضارات الأخرى للحضارة الغربية .

ويضيف الباحث ، بأن مما يزيد الأمر تعقيداً ؛ سياسة الكيل بمكيالين - التي أشرنا إليها سابقاً ، وعدم التزام الغرب بما يدعو إليه من قيم .

وهو يرى بأن فشل الغرب في تطوير استراتيجية ناجحة للتعامل مع الحضارتين الإسلامية والصينية ؛ يعد مؤشراً على عدم أهليته لقيادة العالم حضارياً في المستقبل ، لما تبدى لديه من عوامل ضعف فادحة ، أهمها الانحطاط الأخلاقي ، والخواء الروحي ، وتفكك المؤسسات الاجتماعية ، حيث أنه ومنذ عام ١٩٦٠م/ ١٣٨٠ هـ ؛ زادت نسبة الأطفال غير الشرعيين ٤١٩% ، وزادت حالات الطلاق ٣٠٠% ، في حين لم تتعد الزيادة في عدد السكان ٤١% [١] . (مختار محمد في قضايا دولية ، ١٩٩٤م /١٤ ، ع ٢١٤٧ ، ص ٢٧)

ويرى محبوباني بأن الخلل الخطير في العقلية الغربية ، إنما يكمن في تجاهل هذه المشكلات ، ومحاولة تصدير الحضارة الغربية إلى الدول الأخرى ، على أساس أنها حضارة كونية ، في حين أن الواقع يؤكد أنه إلى جانب ما فيها من محاسن الحرية والديمقراطية ، فإنها محملة بقيم ومبادئ ستؤدي بالغرب إلى الانهيار . وهذه حقيقة لا يراها إلا من ينظر إلى الحضارة الغربية من خارجها . (محمد في قضايا دولية ، ١٩٩٤م ، ع ٢١٤٧ ، ص ٢٧) .

وهذه الأزمة التي يعيش فيها إنسان الحضارة الغربية ، هي ليست وليدة اليوم ، حيث أن التقارير تشير منذ زمن إلى معاناته .

ومن ذلك ما جاء في تقرير للأمم المتحدة بعنوان " الوضع في العالم عام ١٩٧٠ م" حيث جاء فيه ما نصه :-

" أن بعض الدول الأكثر تقدماً لديها مشكلات خطيرة في مجال الجنوح .. فبرغم تقدمها المادي ، لم تكن الحياة الإنسانية أقل مما هي عليه اليوم . وأن مختلف الأشكال من الجرائم الشخصية العامة - من

---

[١] لعل من أسباب قلة عدد السكان الغربيين ، ميلهم إلى تجنب الحياة العائلية الصحيحة المتمثلة في الزواج الشرعي والأسرة ، حيث يشير تقرير صادر من مكتب الإحصائيات والاستطلاعات السكانية في بريطانيا ؛ إلى أن الصورة الرسمية للحياة العائلية ، تبدوا وكأنها تتجه نحو اجتناب الزواج ، حيث أن سن الزواج يتأخر باستمرار ، وأن سبعة من كل عشرة يفضلون العيش معاً لمدة سنتين على الأقل قبل عقد القران . (الشرق الأوسط ، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م ،ع ٦٠٤٣)

سرقة وغش وفساد وجرائم منظمة -، تمثل ثمناً باهظاً يدفعه الإنسان من أجل وسائل الحياة العصرية والتقدم . " (بيجوفيتش ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١١٨)

ويشير علماء النفس إلى ما يهز ثقتنا في التقدم الذي حققته الدول الغربية ؛ حيث يتحدثون عن ظاهرة ملموسة في الدول الغربية ، وتتمثل في خلوها من المشكلات الاجتماعية التقليدية ، في حين تزداد فيها حالات الانتحار والأمراض النفسية ، والتي تتناسب طردياً مع مستوى الحضارة .
(بيجوفيتش ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ص ٢٢)

ونجد أن هذه النتائج هي مصداق لقوله تعالى :﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(الانعام ، آية ٤٤) .

فالله سبحانه وتعالى قد فتح على أصحاب الحضارة الغربية أبواب كل شيء لكن بغير بركة ولا طمأنينة . وهذا ما تبدو آثاره على إنسان الحضارة الغربية اليوم ، وهو مقدمة لنهايتها ، وهذا ما يراه ليس المنتقدين لها من الخارج فقط ، كما عبر محبوباني فيما سبق ، وإنما حتى العقلاء والنابهين من المفكرين الغربيين .

يقول جيان ديميكليس في حديث للنيوزويك الأمريكية عندما كان رئيساً للمجلس الوزاري الأوروبي : " ينبغي أن تحل أوربا مشاكلها ليصبح النموذج الغرب أكثر جاذبية وقبولاً من جانب آخرين في مختلف أنحاء العالم ، وإذا فشلنا في تعميم ذلك النموذج الغربي ؛ فإن العالم سيصبح مكاناً في منتهى الخطورة ." (عمارة في المسلم المعاصر ، ١٤١٥ هـ/١٩٩٤ م، ع ٧٣-٧٤ ، ص ٧) .

والمصير الذي تشير إليه الحضارة المعاصرة ؛ هو ذات المصير الذي لاقته الحضارات السابقة ، التي وصلت إلى درجة عالية من التقدم في مجال السيادة في الكون ، يرافقه انحدار في الجانب الأخلاقي ، تسبب في أن أجرى الله عليهم سنة الإفناء ، ولم يغنهم التقدم المادي عن الإرتكاس إلى أسفل سافلين .

قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

(غافر ، آية ٨٢-٨٥)

وقد أوضح الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أن العلم الخاص بالسيادة إنما هو قاصر على ظاهر الحياة الدنيا ، فإذا ما استغنى به الإنسان عن الوحي المترل لتحقيق العبودية ، ومن ثم الخلافة ، فإن ذلك سيؤدي إلى اندثار العلم والمدنية والعمران .

قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝٧ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ۝٨ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٩ ﴾

(الروم ، آيه ٧-٩)

فينبغي من خلال التربية تنبيه المرأة بصفة خاصة ، والمجتمع الإسلامي بصفة عامة ؛ إلى مهاوي الردى التي ينساق إليها إنسان الحضارة الغربية ، بسبب الحرية غير المنضبطة التي أتيحت لـــه في ظـــل التقدم الهائل الذي وصل إليه ، الأمر الذي أدى به إلى السقوط في شرك الشيطان ومـــن ثم وجدنـــاه عاجزاً عن السير في الأرض بالخير رغم عبوره أجواء الفضاء . وهكذا انتشرت في الغرب عصابـــات القتل والخطف والتخريب وزادت الجرائم الأخلاقية وتردى المجتمع في مهاوي الفساد .

وقد كان لوسائط الثقافة الغربية ، دور كبير في حدوث هذه النتائج ، ويشير إلى ذلك بـــوب دول مرشح الحزب الجمهوري ضد كلينتون الذي " اتهم ..... (هوليود) عاصمة السينما الأمريكية بأنها تفسد المجتمع بأخلاقها المتجهة للعنف والجنس ." ، وقد استغلت العديد من الجمعيات الاجتماعية والشبابية هذا الهجوم الرسمي لتنظيم حملات دعائية للتشجيع على العفاف وتأكيد قيم الأسرة ورعايـــة الأطفال ومساعدة الشباب في التخلص من الإدمان بالتوعية داخل المؤسســـــات التعليميـــة . [1] (المسلمون ، ١٤١٦هـــ/١٩٩٦ م، ع ٥٨٢)

فينبغي الاهتمام في تربية المرأة المسلمة المعاصرة بالتأكيد على الآثار السلبية للحضارة الغربيـــة على المرأة الغربية ، حتى لا تُخدع بمظاهر التقدم المادي الذي تعيش فيـــه المـــرأة في ظـــل الحضـــارة الغربيـــــة .

وهذه الآثار تشهد بها النساء الغربيات أنفسهن خاصة من منّ الله عليهن بنعمة الهداية فانضممن إلى الإسلام .

فهذه مريم جميلة تشير إلى أن الحضارة الحديثة قد استحدثت من الوسائل الكثير مما يواصل استعباد المرأة بشكل غير مباشر يجعلها تتوهم بأن حريتها وكرامتها تقاس بمدى ما تصل إليه من فرص للقيام بالأعمال والوظائف التي يقوم بها الرجل ، وكذلك بمدى ما تصل إليه من إظهار لأنوثتها وجمالها للرجل . فكان في ذلك استعباد لها ، بعيداً عن الحرية التي من الله عليها بها في ظل الإسلام . (جميلة ، د.ت ، ص ١٧)

---

[1] علق مايكل وايتر ، أحد أبرز أعضاء الحزب الجمهوري على الإحصائيات الأخيرة حول ارتفاع نسبة الجرائم بين المراهقين بأمريكا ، بأن هذا التدهور الاجتماعي والأخلاقي قد نتج عن إهمال الأزواج لأسرهم ، وزيادة نسبة الاعتماد على النساء ، وزيادة أعداد الأطفـــال غير الشرعيين . (المسلمون ،١٤١٦ هـــ/ ١٩٩٦م ، ع ٥٨٢) .

وتقول النمساوية أم أنفال : والتي تعمل معلمة في إحدى ثانويات فيينا :

إن ما تعيشه المرأة الغربية اليوم من هموم ومشكلات ، لم يأت من فراغ ، بل هو نتيجة حتمية لأسباب بدأت مع حركة التحرير ، حيث أن قادتها صوروا للمرأة أن الدين هو السبب في تقييد حريتها ، ولابد من الثورة عليه . وبذلك تحررت من العبودية لله ، لتقع في عبودية الرجل ، وتخلت عن علاقاتها الطبيعية معه ، واكتفت به كعشيق سرعان ما يخدعها ."[٢] (حوار مع أم أنفال في المجتمع ، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م ، ع ١٠٨٤ ، ص ٥٦)

٨- الاتجاه نحو المستقبل:

إن التغير والتطور سنة من سنن الله سبحانه وتعالى ، والتي تزايدت معدلات سرعتها في العصر الحالي ، وتعدت الأشياء المادية إلى الإنسان وعلاقاته بالكون وبالناس وبالأفكار والمعتقدات . فأصبح الإنسان ينام ؛ ليصحو على غير العالم الذي نام عنه ، وهو في الوقت نفسه مطالب بأن يتكيف مع هذا التغير .

وحين تجاوزت سرعة التغير معدل قدرة الإنسان على التكيف ؛ أصيب الأخير بنوع من الدوار أو الاختلال في التوازن ، وهو ما أسماه توفلر بـ " صدمة المستقبل " والتي يعرفها على أنها " ظاهرة زمنية من نتاج المعدل المطرد السرعة للتغير في المجتمع . وهي تنشأ من عملية التركيب لثقافة جديدة فوق أخرى قديمة . إنها صدمة للفرد في نفس مجتمعه ، وليس في مجتمع أجنبي . ومن ثم فإن آثارها أخطر وأسوأ . " (توفلر ، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤م ، ص ١١)

والاهتمام بالمستقبل ؛ أمر مغروس في الطبيعة الإنسانية ، وقد لازم الإنسان منذ وجوده على ظهر الأرض ، بل إنه يعتبر أحد مميزات الإنسان . فالحاضر ليس سوى نتيجة لأحداث الماضي . والنظر في تاريخ الأمم يشير إلى أن غلبة التعلق بالماضي ؛ إنما تحدث في المجتمعات الراكدة ، التي لم تتقدم أو التي همدت بعد تحرك ، في حين أن العكس هو الذي ينطبق على الأمم التي تتطلع دوماً نحو الأفضل حيث نجدها تبدع وتتطور . (زريق ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص ١٧-١٨)

والمتدبر لآيات القرآن الكريم ؛ يجد أنه ومنذ العهد المكي قد وجه المسلمين - ذكوراً وإناثاً - إلى الغد المأمول ، وإلى التغيرات التي سوف تحدث على المستويين المحلي والعالمي . ففيما يتعلق بالمسلمين أنفسهم ؛ نجد القرآن الكريم يشير إلى أن الدائرة سوف تدور على أعدائهم ، الأمر الذي

---

[٢] في بريطانيا هذا العام ؛ سجلت أرقام قياسية في حالات الطلاق مقارنة بالأعوام السابقة ، ووجد أن متوسط مدة الزواج أقل من عشر سنوات . وفي فرنسا أجرى المعهد القومي الفرنسي للإحصائيات دراسة كشفت عن اتجاه المجتمع إلى إقامة العلاقات الجنسية دون زواج والأمر الذي جعل علماء الاجتماع يشعرون بالقلق ؛ هو أن الناس باتوا لا يخافون الزواج ، ولكنهم يهربون من العيش سوية . (البريطانيون يفضلون الطلاق .. في الشرق الأوسط ، ١٤١٦ هـ /١٩٩٥ م ع٦١١٣)

يقتضي منهم التهيؤ وأخذ العدة لمواجهتهم . قال تعالى : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (القمر ، آية ٤٥) .

أما على المستوى العالمي ؛ فقد جاءت الآيات الكريمة تخبر بهزيمة الروم التي سوف يعقبها بعد فترة انتصارهم على أعدائهم . قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ (الروم . آيه ١-٢)

وقد كان التطلع نحو المستقبل هو التوجه الأساسي للمسلمين ، الأمر الذي ساعدهم على النهوض وإنجاز أفضل حضارة في التاريخ ، كانوا في ظلها أفراد خير أمة أخرجت للناس ، لكنهم بعد ذلك ركنوا لما أنجزه الأسلاف فتخلفوا ، وتسلم الراية غيرهم .

وهم حين ركنوا إلى الماضي ؛ لم يدركوا أن الماضي يدعم التماسك الثقافي ، لكن الاقتصار عليه والاستغراق فيه ظاهرة مرضية تحبس الإنسان عن النهوض ، واستشراف المستقبل . (حسنه ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، ص ٣٥)

ونجد الناس في المجتمعات الأخرى -المتقدمة - يحرصون على التخطيط للمستقبل القريب الفاني ، فنحن أولى بأن نخطط لمستقبلنا الخالد ، أي لما بعد هذه الحياة . وذلك لن يتحقق إلا من خلال إحسان التخطيط والتنفيذ لشئون هذه الحياة بما يحقق العلاقة التي يرتضيها الله سبحانه وتعالى بين الإنسان وبين الكون بكل ما فيه .

ومن ثم فإنه ينبغي من خلال التربية العمل على تأهيل المرأة المسلمة المعاصرة ؛ بما يكفل لها حسن التكيف مع العصر الذي تعيش فيه ، وتنمي لديها في الوقت نفسه الصفات اللازمة للعقلية المستقبلية ، والتي يعرفها زريق بأنها ، العقلية المتوجهة للمستقبل ، الواعية بمشكلاته والعاملة على الإعداد لمواجهته . (زريق ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص ١٩٧) سيما وأن الحاضر يشير إلى أن صورة المرأة في القرن المقبل سوف تكون معقدة ، وذات مستويات تقنية تحمل أبعاداً ومفاهيم وقيماً خاصة ، مما يستدعي محاولة استشراف تلك الصورة ، وتحديد أبعادها من أجل تحديد الأولويات تجاهها .

ويحدد زريق **ثلاث صفات** يرى بأنها تمثل أهم الصفات اللازمة **للعقلية المستقبلية** وهي :

١- الموضوعية والواقعية .

٢- الانتهاج العلمي .

٣- الالتزام الخلقي .

(زريق ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ص ١٩٧-٢٠٠)

ومن ثم فإنه ينبغي من خلال التربية العمل على تنمية هذه الصفات لدى المرأة وذلك على النحو التالي :

أ) الموضوعية والواقعية :

وذلك من خلال تأهيل المرأة بما يمكنها من النظر للأحداث والأمور من حولها كما هي في واقعها ، لا كما يصورها لها الآخرون . والموضوعية تتمثل في وزن الواقع بميزان الإسلام ، وهو الميزان العدل الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لأمة الوسط ، وهو أمر يحتاج إلى جهاد كبير للنفس بسبب ما تحويه نفس الإنسان من أهواء وشهوات ، وأماني نتيجة لما يرثه أو يستمده من بيئته .

وامتلاك المرأة المسلمة المعاصرة لهاتين الصفتين سوف يمكنها مما يلي :

١- إدراك العلاقة بين الحاضر ومشكلاته وتحدياته ، وبين الماضي باعتباره سبباً لهذا الحاضر .

٢- توقع المشكلات المستقبلية ، وعدم الانخداع بالأوهام والخيالات ، ومكافحة التضليل في كافة المجالات ، ومن ذلك وسائل الدعاية والإغراء التي قد تدفع بها إلى رؤية الأمور والأشياء على غير حقيقتها .

ب- الانتهاج العلمي :

وهذا يتحقق من خلال تعويد المرأة المسلمة المعاصرة على دراسة الواقع بالأسلوب العلمي النقدي الاختياري المنظم ، وهو الأسلوب العلمي الإسلامي الذي توصل إليه الغرب مؤخراً .

ج- الالتزام الخلقي :

بحيث توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى الالتزام بالقيم والمبادئ الإسلامية في جميع الأحوال .

وتكوين مثل هذه العقلية لدى المرأة المسلمة المعاصرة يحتاج إلى تخطيط رائد، ذو رؤية نافذة للمستقبل ، بحيث تستفيد من الماضي في بناء المستقبل ، ولا تقف عنده ، بل تسعى إلى تحقيق الأهداف بترتيب أولوي ، واستغلال للموارد المتوفرة ضمن الحدود المشروعة ، مع مراعاة ما قد يستجد من ظروف ، والتسلح بأحدث وسائل العلم من أجل ضمان العبور إلى المستقبل بأكثر الطرق أمناً ، وأكثرها فعالية .(زريق ، ١٣٩٧هـ / ١٩٩٧م ، ص ٢٠١)

ولوسائط الثقافة دورها في تعزيز دور التربية ، وذلك من خلال الإسهام في إجراء البحوث والدراسات التي تتناول مستقبل المرأة ومن ذلك :-

- نظرة المجتمع إلى وضع المرأة المسلمة في المستقبل .
- التحديات التي تواجهها المرأة المسلمة المعاصرة والتي يمكن أن تواجهها في المستقبل .
- وضع الخطط التي تساعد المرأة المسلمة المعاصرة على إزالة ما قد تعاني منه من مشكلات في المستقبل .

- تناول القضايا العلمية التي تؤثر على حياة المرأة في مختلف المجالات مثل ، التقنية العالمية وأثرها على حياة كل من الفرد والمجتمع .

ونجد أن مثل هذه البحوث والدراسات ، هي أمر مفروغ منه في الدول الغربية ، التي تعيش تخلفاً من نوع آخر، رغم تقدمها العلمي وهو ما أشرنا إليه سابقاً . وسبب هذا التخلف هو عدم الالتزام الخلقي الذي أدى بالمجتمع إلى كوارث اجتماعية مؤذنة بانهياره ، مما دعا العقلاء فيه إلى محاولة استقراء المستقبل من خلال الواقع ، من أجل تحقيق مجتمع أكثر أمناً واستقرارا .

ومن بين الدراسات التي تناولت هذا الموضوع ، الدراسة التي قامت بها كيتون ، وهي دراسة مسحية لعينة من النساء في كل من أمريكا واليابان ، وجنوب أفريقيا ، وإنجلترا ، ممن تتراوح أعمارهن ما بين ٢٥ و ٤٤ سنة ولديهن على الأقل بعض التعليم الجامعي .

وقد تناولت الباحثة في هذه الدراسة بعض الموضوعات ذات الأهمية لدى المرأة المعاصرة بهدف توضيح : كيف تصبح امرأة اليوم امرأة الغد . وتعترف الباحثة أن العينات في بحثها لا يمكن اعتبارها ممثلة لنساء العالم ؛ لكن دراستها يمكن أن تسهم فيما يلي :

- تقديم صورة تنبؤية عن نظرة المرأة المعاصرة للمستقبل .
- إشعار المرأة بأهمية مواجهة التحديات المستقبلية .
- الإسهام بفعالية في تشكيل وضع المجتمع في القرن الحادي والعشرين ، من أجل أن يصبح عالماً من الأمان والنجاح للجميع(Keton , ١٩٨٦,P.xx)

٩- المساعدات الدولية :

أدى تفتيت المسلمين إلى دويلات إلى تشتيت مقوماتهم الروحية وطاقاتهم البشرية في وقت نجد فيه دول العالم تسعى إلى التكتلات الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، وكانت النتيجة افتقار غالبية دول العالم الإسلامي على الرغم من ثرواتها الطبيعية والبشرية الهائلة ، واستتبع ذلك إهمال عمليات التنمية البشرية والمادية ومن ضمنها التعليم ، الأمر الذي أدى إلى انتشار الأمية وإهمال الرعاية الصحية وتفشي الأمراض وإهمال التنمية الزراعية والصناعية والاقتصادية . (النجار ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م، ص ٢٤)

ويزداد الحال سوءاً من خلال المؤثرات الثقافية التي تمارس ضغوطا هائلة على تفكير الأمة الإسلامية من خلال المشاريع التي تقام في الدول الإسلامية بغرض تطويرها وتنميتها والتي لا تخلو من أغراض خلقية ، أقلها شيوع النمط الغربي .

فمثلاً تقام في كثير من الدول الإسلامية جمعيات نسائية من أجل النهوض بوضع المرأة - خاصة الريفية - اجتماعيا واقتصاديا وذلك بالتعاون مع البعثات الأجنبية التي تدعمها . فإذا ما نظرنا إلى

نشاطات هذه الجمعيات ، وجدناه ينحصر في كل ما يدعم النمط الاستهلاكي ويسهم في إشاعة القيم الغربية ؛ مثل إحياء الحفلات الساهرة وصنع ملابس السيدات الأرستقراطيات والمتاجرة بالسلع التي تنتجها العاملات ... وأشباه ذلك. (خليل خليل ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ١٢٨)

وقد كان هناك دفاع شديد عن فكرة الجرامن بنك (Gramnn Bank) ، وهي فكرة تقوم على " إقراض النساء دون واسطة الحكومات بشروط أهمها عدم الزواج قبل سن الثلاثين ، وتحديد النسل بعد الزواج ، واستقلال المرأة الاقتصادي عن أسرتها" . وقد بدئ في تطبيق هذه الفكرة فعلاً في بنغلاديش حيث نفذها محمد يونس . (المسلمون ،١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م ، ع ٥٥٩)

ولا يخفى ما في هذه الفكرة من قضاء على فكرة الزواج المبكر والإنجاب والروابط الأسرية . ونجد أن المنظمات الدولية تقف وراء دعم هذه الأفكار ، حيث أذاعت قناة . New File التلفازية يوم الاثنين ١٤١٥/٥/٢٧هـ - ١٩٩٤/١٠/٣١م ، أن منظمة الأغذية العالمية قد قامت بمنح د. محمد يونس الجائزة السنوية الثامنة " جائزة نوبل للطعام " ، وذلك عن مشروعه هذا الذي - بحسب ما أذاعت القناة- دعم قيام النساء بمشروعات إنتاجية مثل شراء البذور والأبقار ، والتي مكنت العديد منهن من تحسين أوضاعهن وتسديد ديونهن . (World Net United States Washington, ، الاثنين ١٤١٥/٥/٢٧هـ - ١٩٩٤/١٠/٣١م .)

ونجد الدول الغربية تغفل دورها في تخلف الدول النامية حينما تفكر في تطوير هذه البلدان ، وتذهب في حديثها عن تنمية المجتمعات النامية بالتركيز على المرأة ، وأهمية القضاء على فقرها باعتبار أن عبء الفقر يقع عليها أكبر من غيرها .

بل إنها ومن أجل تأكيد التبعية لها تعمد إلى ربط مساعداتها للدول النامية بشروط ، تنطلق من التصورات الغربية للحريات والحقوق والديمقراطية ، والقيم ودور المرأة وتربية الأطفال والناشئة والعلاقة بين الجنسين وقضايا التعليم والإعلام وغير ذلك مما يستند استنادا مباشراً إلى القيم والنظم الغربية ... " (شبيب ، في قضايا دولية ،١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م ، ع ٣٠٠، ص ٤٧)

وحيث أن المنظمات غير الحكومية [1] في البلدان الإسلامية تتلقى معونات ومساعدات من الدول المتقدمة ، من أجل النهوض بالأوضاع الاجتماعية بصفة عامة ، ووضع المرأة بصفة خاصة ، فإنه ينبغي العمل من خلال وسائط الثقافة المختلفة ، على توعية المرأة المسلمة المعاصرة بحقيقة المساعدات

---

[1] تمثل المنظمات غير الحكومية ذراعاً أساسياً للحكومة العالمية في فرض وإعمال سياساتها في الدول النامية . وهي تمارس نفوذاً قويا على الحكومات المحلية بمستوياتها المختلفة من أعلى إلى أسفل . (يحيى في البيان ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٩٣ ، ص ١٠١-١٠٢)

والدعم الذي تتلقاه المؤسسات التي تعنى بأمورها ، لتكون على بصيرة من أمرها ، فـــلا تنجـــرف في العمل ضد مجتمعها حين تظن أنها تعمل من أجله .

لقد كانت جميع الدول الفقيرة ، وحتى عهد قريب مستعمرة من الدول الغنية التي عملت على استنزاف مواردها ، مما أثر على ثرواتها ، وعلى توازنات البيئة فيها ، و لم يذهب الاستعمار إلا بعـد أن خلف وراءه مواريث تزيد من ثقل التبعة ، وأهمها الحدود ، التي سببت الصراعات بـــين الـــدول ، فاستنزفت ما بقي لديها من موارد وبشر ، ومن ثم لجأت إلى الديون عن جهل ، وعدم شعور بالمسئولية بالنتائج المترتبة عليها . الأمر الذي أوصل بعض الدول ، إلى أنه قد بات عليها أن تدفع سنوياً ما يزيـد على كامل إنتاجها القومي الإجمـالي [1] . (مـا لـذي يـدور .. في مجلـة الشـرق الأوسـط ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ع ٤٨٤ ، ص ٢١)

أما الاستدانة ، فإنها تتم من صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي ، اللذين تم تأسيســهما في الأصل من أجل إعمار أوربا بعد الدمار الذي لحقها من جراء الحرب العالمية الثانية ، وقد نجحا في تلك المهمة ، لكنهما لم ينجحا في غير أوربا ، بل وصلت سياستهما إلى نتائج عكسية ، وكان مـــن أهـــم الأسباب لتلك النتائج :-

أ- محاولة تعميم السياسات التي طبقت في أوربا على حالات مختلفة .

ب--ازدياد خبرة وحنكة القائمين على هاتين المؤسستين في تحقيق نجاحات لم تكن من أهدافهما ذات يوم ، ومن ذلك أن صندوق النقد قد بدأ يحقق أرباحاً بمليارات الدولارات منـــذ عـــام ١٩٨٥م /١٤٠٥هـــ على حساب الدول الفقيرة .

ج-- ازدياد الشروط التي تفرضانها إلى درجة التدخل في كل صغيرة وكبيرة من سياسات الدول المدينة المحتاجة .

د- في حالة أوربا كانت هناك رغبة كبيرة بالمساعدة في حين أنه في حالة العالم الثالث فقـــد اختفـــت تلك الرغبة ، حيث يبدو أن الرغبة في إبقاء الفجوة قد حلت محلها .

هـــ- ضيق أفق حكومات الدول المدينة وعدم شعورها بالمسئولية وعدم تفكيرها بالمستقبل . (مـــا لذي يدور.. في مجلة الشرق الأوسط ، ١٤١٦هـــ/١٩٩٥م ، ع ٤٨٤ ، ص ٢٠-١)

---

[1] وصل حجم المساعدات التي منحتها الدول الغنية عام ١٩٩٢م إلى ٦٠ مليار دولار ، في حين أن الدول الفقـــيرة دفعت لأقساط وخدمة ديونها ما وصل إلى ١٦٠ مليار دولار . (ما لذي يدور .. في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـــ/١٩٩٥ م ، ع ٤٨٤ ، ص ٢٢)

ونجد أن معظم المساعدات تذهب إلى دول لا يمكن اعتبارها فقيرة بحال ، بل بسبب موالاتهـا للدول المُدينة سياسياً ، وأبرز مثال على ذلك أن ٣٠% من المساعدات الخارجية الأمريكية تذهب إلى إسرائيل ؛ التي يضاهي دخل الفرد فيها دخل الفرد في الدول الغنية . ثم تأتي بعـد ذلـك الأغـراض التجارية .(ما لذي يدور .. في مجلة الشرق الأوسط ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ع ٤٨٤ ، ص ٢٣)

وقد أخذت المساعدات في السنوات الأخيرة ، شكل المساعدات الطارئة أكثر من المسـاعدات بعيدة المدى . وأحياناً ما تصل متأخرة لتأخذ شكل الإغاثة رغم تكاليفها المالية المرتفعة ، والتي كـان يمكنها تلافي الكوارث أو التقليل من أثرها . لكن يزول العجب إذا ما عرفنا أن معظم المساعدات الـتي تصل بعد الكوارث غالباً ما تكون من أجل الدعاية السياسية والانتخابية تحت ضغط الرأي العـام في الدول المانحة . وفي حالات أخرى تكون لأغراض تجارية لا تخدم الفقراء .(ما لذي يدور .. في مجلـة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ع ٤٨٤، ص ٢٣)

ويتضح حجم التخريب الذي تمارسه هاتان المؤسستان ؛ من الإعلان البديل الذي أصدرتـه المنظمات الإنسانية غير الحكومية على هامش مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية في كوبنـهاجن في مارس عام ١٩٩٥م /١٤١٥ هـ ، الذي سجل على سياسات الدول الغنية والبنك الدولي ، وصندوق النقد الدولي عدم مراعاتهما لأحوال الطبقات الفقيرة ، عند فرض السياسات الـتي تقلـص الدعـم الحكومي عن السلع الرئيسية ، والخدمات الأساسية ؛ كالصحة والتعليم ، لتجعلها خارج متناول تلـك الشرائح . (ما لذي يدور .. في مجلة الشرق الأوسط ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ع ٤٨٤ ، ص ٢٣)

وقد تولى بعض المحللين الغربيين المنصفين والموضوعيين بيان خطورة هاتين المؤسستين ، ومـن بينهم المحللة الاقتصادية (شيريل بيير) التي أوضحت بشرح واضح " كيف ينصب شرك الديون عـن طريق أغنى الدول " التي تمتلك معلومات سرية عن اقتصادات الدول الأخرى لا سبيل لأحد غيرهـا إلى معرفتها ، وهي تقول عن صندوق النقد الدولي ما نصه :

" إن صندوق النقد الدولي هو أكبر قوة عليا حكومية في العالم اليوم ، إنه لا يملك سلطة إلا أن يحكم بها حلفاء الأمم المتحدة بسبب التحكم في موارد الثروة والشؤون الداخلية للدول المقترضة " ، وهي قد وجهت نصيحتها إلى الحكومات الوطنية بأن " تتعلم كيف تدير اقتصادها دون اللجـوء إلى صندوق النقد ومطالبه المهلكة . " (دور صندوق النقـد في المجتمـع ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٢١٦، ص ٢٢، ص ٢٥)

وفي المؤتمر العالمي حول أفريقيا " الذي عقد في نوفمبر ١٩٩٤م/ ١٤١٥ هـ، والذي نظمتـه مؤسسة (بادا) [١] برعاية وزارة الخارجية الهولندية بمدينة ليدن ؛ وجهت بعض الأطراف الحـاضرة ،

---

[١] (بادا) مؤسسة تعنى بالمحافظة على تنمية حقيقية في القرن الأفريقي . (المستقلة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ١٣٦)

ومن ضمنها أطراف أوروبية وكندية ، تماماً صريحة للمؤسسات المالية الدولية وعلى رأسها البنك الدولي ، وصندوق النقد الدولي اللذين وصفا بأنهما يمثلان " أدوات بائسة لتحرير سياسات الاستغلال الأمريكية والتطبيق القسري لمقتضيات النظام الدولي الجديد . "

وقد تناول المؤتمر موضوع (شبكة أزمة الديون) ، حيث أشار إلى أن الدول الأفريقية قد وقعت ضحية للنظام الاقتصادي العالمي المختل ، الأمر الذي جعل ديونها تصل إلى ما يقارب ثلاثمائة وخمسين مليار دولار ، تقف حجر عثرة أمام أية محاولة للنمو من قبل هذه الدول بسبب الفوائد التي تمتص عوائد اقتصادها . وقد صرح البعض بأن " المبالغ التي يقدمها الأغنياء للفقراء باليمين تعود إليهم بالشمال " ، وأن العملية ليست في جوهرها سوى احتيال مقنع يهدف إلى عرقلة الدول الأفريقية عن النهوض الذاتي . (المستقلة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ع ١٣٦)

فينبغي من خلال التربية الاهتمام بتوضيح حقيقة المساعدات التي تتشدق الدول الغنية بمنحها للدول المحتاجة لأفراد المجتمع الإسلامي والقائمين على مؤسساته إذ على الرغم من أن هناك مساعدات لا يختلف اثنان على إنسانيتها ، إلا أن غالبية المساعدات تتم تبعاً لأغراض تقف خلفها وذلك إنما يعتمد على طبيعة الدولة الممنوحة .

وأهم ما ينبغي أن التأكيد عليه ؛ هو أن هذه القروض والمساعدات إنما تُغرق المجتمع الإسلامي في أوحال الربا ، وأنه السبب الذي جعل المسلمين يخرجون عن أوامر ربهم وأحكام دينهم ، فاستحقوا بسبب ذلك ما هم فيه من تخلف ومعاناة ، لأن الله سبحانه وتعالى قد توعد المتعاملين بالربا بالحرب من الله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ... ﴾. (البقرة ، آيه ٢٧٨- ٢٧٩ ،)

كذلك ينبغي تنبيه أفراد المجتمع الإسلامي- ذكوراً وإناثاً -إلى الأغراض المشبوهة التي تقف وراء هذه المساعدات ، والتي تستخدم ستاراً لأعمال المخابرات والتجسس . (النجار ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ص ٨١)

وعند توضيح حقيقة الدور الذي قام - ويقوم - به الاستعمار ماضياً وحاضراً فإنه يجب التأكيد على العناصر التي هي خارج نطاق قدرة الغرب في فرض ما يريد ، وأهمية استثمارها استثماراً مفيداً ، وهي :

أ - التحول الجاري في الدول الإسلامية تجاه الإسلام .

ب- التحول الجاري في الدول الغربية تجاه الانفتاح على الإسلام .

(شبيب في قضايا دولية ، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م، ع٣٠٠ ، ص٤٧)

١٠ – صورة الإسلام ووضع المسلمين في الغرب:

في ظل الهجمات الشرسة التي تشن على المسلمين في أنحاء العالم ، فإنه ينبغي استخدام وسائط الثقافة المختلفة من أجل تعريف المسلمين – ذكوراً وإناثاً – بالأسباب التي تقف أساساً وراء هذه الحملات ، وبأوضاع المسلمين في ظل الدول الغربية .

وأول ما ينبغي التنبيه له ؛ مدلول كلمه مسلم لدى الغربيين ، والذي يتراوح بين السلبية والإيجابية ، وقد أشار إلى ذلك د.محمود زقزوق أستاذ الدراسات الشرقية ، وعميد كلية أصول الدين بالأزهر ، وذلك على النحو التالي :

أ– المدلول السلبي لكلمة مسلم: ومما يتضمنه هذا المدلول :–

١– الجمود والتقليدية في تناول قضايا الحياة .

٢– الشعب المنسوب إلى محمد ، الذي استولى على الجزيرة وحرم أهل الأديان حقهم .

٣– العنف السياسي والرغبة في التوسع .

٤– الجماعات المستسلمة ، الخمول التي لا تحب العمل ، بدليل التخلف الاقتصادي واعتماد بعض الدول على المعونات الخارجية .

ب– المدلول الإيجابي للكلمة: و مما يتضمنه هذا المدلول :–

١– المسلم صاحب دين ، محترم ، يحب التعايش والحوار .

٢– المسلمون أقوياء متحمسون لدينهم ، ولديهم الرغبة في التقدم والتحضر .

٣– المسلمون ساهموا في بناء الحضارة الإنسانية بقسط وافر، وتعرضوا لمضايقات واعتداءات الغرب.

(كلمة عربي أو مسلم.. في المسلمون ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٥٥٨)

ويلاحظ أن هذه الصورة الإيجابية غير معلنة إلا على ألسنة بعض الدارسين الذين يتسمون بالموضوعية ، ولكنها لا تترجم إلى تيار شعبي ، وإنما تسود المدلولات السلبية التي تجعل الغربيين يسيئون الظن بالمسلمين ويميلون إلى إلقاء التهم عليهم .

ومما ساعد على ذلك صورة المسلمين التي يعمد الغربيون على فرضها على ناشئتهم من خلال الكتب الدراسية .

وقد أشار إلى بعض الأمثلة المطروحة في الكتب الدراسية في أمريكا د.محمد عبد العليم مرسى فكان مما أشار إليه قضيتي القرصنة في شمال أفريقيا ، والصراع العربي الإسرائيلي ، وذلك على النحو التالي :–

أ- القرصنة في شمال أفريقيا :

في القرن التاسع عشر كانت هناك دول قوية في شمال أفريقيا ، وكانت تفرض مقداراً من الجزية (ضريبة) على السفن الأوربية والأمريكية العابرة ، إلى أن جاء الرئيس الأمريكي (جفرسون) ، وقرر عدم الدفع ، حيث أرسل أسطولاً بحرياً ، استطاع انتزاع موافقة الحكام على ألا تدفع السفن الأمريكية تلك الجزية . وانتهت القضية في الواقع ، لكنها لم تنته من كتب تدريس التاريخ الأمريكي حيث أصبح كل كتاب فيها يعرض القضية ، ويضيف عليها ما يؤكد ما كانت عليه دول شمال أفريقيا من قرصنة ، استطاعت البطولة الأمريكية الوقوف في وجهها .(مرسي في الشرق الأوسط ، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م ، ع٦٠٤٦)

ب- قضية الصراع العربي - الإسرائيلي :

فهذه القضية تقدم في الكتب الدراسية الأمريكية من وجهة النظر الإسرائيلية التي تعتبر أن اليهود هم أصحاب الحق . والأخطر من ذلك التعميم الذي ينسحب على الإسلام والمسلمين عند الحديث عن القوميين في كتب المواد الاجتماعية والتاريخ المعاصر خاصة . فعلى الرغم من أن روسيا أيدت قيام إسرائيل ، إلا أن بعض قادة الدول الإسلامية قد انخدعوا بفكرة مساعدة الروس لهم ضد إسرائيل ، في حين كانت القضية بالنسبة لهم أهدافاً ومصالح . لكن الكتاب يركزون على تأييد روسيا للعرب مع علمهم بكراهية المجتمع الأمريكي للشيوعية وللشيوعيين ، مما يقر في نفوس الأجيال الجديدة كراهية العرب .

والتلاميذ يتلقون هذه المعلومات وفي يقينهم أن العرب يمثلون الإسلام ، ومن ثم يعتقدون بموالاة المسلمين للشيوعية ، مما يبرر الحرب الإعلامية الأمريكية ضدهم . وتبرز خطورة الأمر في أن هؤلاء الطلاب يمثلون مواطني المستقبل من ناخبين وسياسيين . (مرسي في الشرق الأوسط ، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥م ، ع ٦٠٤٦)

والأمر نفسه نجده في المقررات الدراسية في فرنسا حيث ذكرت د. مارلين نصر في مؤلفها : (صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية)[1] . أن صورة العرب في كتب القراءة للمرحلة الابتدائية قد بدت " سلبية وخاملة ومتخلفة ، يتميز ذووها بالعداء تجاه الآخر على مختلف المستويات " وهم يمثلون بدو الصحراء في حين أن الفرنسيين يوصفون " بالتفوق والذكاء والرفعة ."

فهاتين الصورتين المتناقضتين تسهمان في إفشاء الشعور بالدونية بين التلاميذ ذوي الأصول العربية في حين تشيع الإحساس بالتفوق لدى أقرانهم من الفرنسيين . (نور الدين في مجلة الديبلوماسي ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ٤ ، ص ٤٤)

---

[1] الكتاب نشره مركزه مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ،١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م.

أما كتب القراءة للمرحلة الثانوية فهي تشير إلى العربي على أنه " قاتل بشجاعة في العصـــور الوسطى بالرغم من هزيمته المحققة ، وناضل ضد تحالف الطبيعة وسوء الحظ في المخيمات " وإلى جانب هذا تصف العرب بعديد من الصفات السلبية منها :

- الغزو والعدوانية والتطفل .
- الكسل والبطء والتراخي .
- الفشل والهزيمة والخضوع في كل مواجهة سيما مع الفرنسيين .

(نور الدين في مجلة الدبلوماسي ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع٤ ، ص ٤٤)

وبصفة عامة فإن صورة العرب في الكتب المدرسية الفرنسية هي صورة ماضوية ، أما الحاضر ، فلا يذكر منه سوى ما يتعلق ببعض المشكلات المثارة مثل مشكلة الهجرة والعنصرية ، وارتفـــاع أسعار البترول وعلاقة العرب بذلك: هذا مع الإغفال التام لدور الحضارة الإسلامية التي يوصف أبنائها بكل السمات السلبية ." كالسرقة والنهب والغزو والتهديد والتبعية للآخر ."

(نور الدين في مجلة الديبلوماسي ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٤، ص ٤٥)

وتسهم وسائل الإعلام بدور كبير في تشويه صورة العرب والإسلام وتكوين القناعـــة لـــدى الفرنسية بأن الأجنبي المسلم أو العربي " مجرم ، وعنيف ، ومشاغب، بل وإرهابي .... " وهم يركزون على شخصية المهاجر بصفة عامة والعربي المسلم بصفة خاصة في حالة وقوع أية جريمة وقد اعـترفت مجلة " الإكسبرس في عددها رقم ٢٨ الصادر في يناير ١٩٨٣م بأن " الفرنسيين يميلون إلى الشـك في الأجانب بسهولة واتهامهم دون قرائن ، كما أنهم لا يغفرون ما يعتبرونه حدثاً طارئاً وغير ذي بـــال إذا ما كان مقترفه عربياً. " (نور الدين في مجلة الديبلوماسي ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ٤، ص٤٤)

وبعد معرفة الأسس والتوجهات التي ينشأ على أساسها أفراد المجتمع الغربي ؛ يصبح من غـــير المستغرب أن يتعرض المسلمون للحملات الشرسة في كل مكان ، مما يؤكد أهمية توعية أفراد المسلمين - ذكوراً وإناثاً - بحقيقة الصراع بين الحق والباطل من خلال كافة المؤسسات التربوية .

والله سبحانه وتعالى يقول :﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ التوبة آية ٨)

وفي تفسيره لهذه الآية يشير سيد قطب إلى أن هذا الموقف يمثل الموقف الدائم للمشركين وأهل الكتاب مع المسلمين . فالمشركون في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ثم بعده ، و التتار في بغـــداد ، والشيوعيون في العصر الحديث ، والوثنيون في الهند ، وغيرهم ، كلهم عمل جهده من أجل التنكيـــل بالمسلمين حينما أتيحت لهم الفرصة . [1] (سيد قطب ، ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م ، مج٣ ، ص١٦٠٧)

---

[1] أنظر (سيد قطب ، ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م ، مج٣ ، ص١٦٠٩ - ١٦١٠)

وقد لمسنا آثار هذا الظلم الذي وقع على المسلمين في البوسنة وفي الشيشان ، وكذلك الحركات المتطرفة التي برزت في عدة دول أوروبية خاصة في فرنسا وألمانيا وروسيا وصربيا والتي ؛ إضافة إلى اضطهادها لمن يعيش في ظلها من المسلمين ، قد عمدت إلى المناداة بإعادة الغرباء إلى أوطانهم ، ادعاء بأنهم يمثلون الخطر القادم المتربص بهم .

وفي ذلك يقول رمضان محمد :

" ... وبذلك يطرح الغرب صيغة للصراع الثقافي يرى فيها الإسلام يمثل خطراً على البنية الغربية الفكرية ، ومصدر الخطر إنما هو الثقافة الإسلامية ، والمقصود بذلك صيغة الحياة اليومية للمسلم والتي تحرره من العبودية للأشياء ، وتحرر ذاته من ضغوط الحياة المعاصرة لينطلق بعقله في ارتياد آفاق جديدة على المستوى النفسي والروحي والكياني ."

(رمضان محمد في الشرق الأوسط ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٦٠٣٦)

وعلى التربية أن تبرز للمسلمين في كل مكان حقيقة الانتهاكات التي يتعرض لها المسلمون على أيدي أعدائهم ، والتي تزايدت كثيراً في الآونة الأخيرة فكان من ذلك :

أ- محاولة إحراق المركز الإسلامي في مقاطعة " باسيك " .

ب- حريق مسجد مدينة " سبرينغ فيلد " في ولاية أليوني من قبل مجهولين ألقوا بالكازولين بالداخل والخارج .[٢] (كلمة عربي أو مسلم.. في المسلمون ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م " ع ٥٥٨)

ج- بعد حادث أوكلاهوما ؛ قامت إحدى شركات المشروبات في أمريكا بفصل ٢١ موظفا من العرب من قسم المبيعات . وكانت الشركة قد قامت بتكريم هؤلاء الموظفين قبل ذلك لدورهم في إنجاح الشركة وزيادة عدد المبيعات .

وقد ظل المفصولون طوال مدة عملهم يعانون من التمييز الممارس ضدهم حيث لم يكن يسمح لهم بالاحتفال بأعيادهم الدينية أسوة بغيرهم من الموظفين اليهود والمسيحيين . بل وكثيراً ما كانوا يسمعون كلمات تسيء إليهم وكل ذلك قد بدأ في أعقاب حادث التفجير الذي وقع في مجمع مركز التجارة العالمية في نيويورك .(كلمة عربي أو مسلم في المسلمون ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٥٥٨)

د-بعد أكثر من ثلاث سنوات على مأساة البوسنة ؛ اتخذ مجلس الشيوخ الأمريكي أول موقف دولي منها ، في رفع الحظر عن تسلح الجمهورية . وقد تسبب تأخر هذا القرار في ترجيح كفة الصرب العسكرية . (الشرق الأوسط ، ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م،ع٦٠٨٦)

---

[٢] هذا المسجد حاولت المسلمة ، ياسمين ماركينسون ، وهي من المسلمين السود أن تصلي فيه ، فرشقتها ثلاث فتيات بالحجارة لرفضها الاستجابة لطلبهن بخلع الحجاب . (كلمة عربي أو مسلم .. في المسلمون ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م ، ع٥٥٨)

وقد علق محمد شاكر بيه وزير الخارجية البوسني على موقف الدول الغربية من مأساة البوسنة [1] بقوله :

" إن أكبر دروس الحرب في البوسنة ، هو أننا نعامل كمواطنين من الدرجة الثانية في لعبة الأمم ... وهذا المعيار المزدوج في التعامل هو درس حاسم على المسلمين ألا ينسوه . "(الشرق الأوسط ، ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م،ع٦٠٨٦)

هـ- طالت الحملة ضد الإسلام والمسلمين حتى الغربيين من الموضوعين ، اللذين أشادوا بسماحة الإسلام ، أو ممن أنعم الله عليهم بنعمة الهداية فدخلوا الإسلام .

ومن هؤلاء (روبرت كرين) سفير أمريكا السابق في الإمارات ، الذي مورست عليه بعض الضغوط في عمله بعد إسلامه ؛ حيث جرد من منصبه واعتبره غير جاد " فيما يهم الولايات المتحدة ." (جردوني من منصبي .. في الشعب ،١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ١٠١٦)

وهناك الكاتبة الألمانية آن ماري شيميل ، التي تبلغ من العمر ثلاثة وسبعين عاماً ، والتي تعتبر أحد رواد أدباء العالم في الحضارة الإسلامية . فهذه الكاتبة قد تم اختيارها لجائزة أفضل كتاب في ألمانيا باعتبارها رمزاً للتسامح الذي نجح في بناء الجسور بين الإسلام والغرب . إلا أن ذلك قد أثار موجة من الاستياء والغضب بين الكتاب في ألمانيا ، إلى الحد الذي دفع بنحو ١٥٥ أديباً وناشراً ومفكراً ، من بينهم تسليمة نسرين ؛ إلى توقيع رسالة مفتوحة إلى الرئيس الألماني يطالبونه فيها بحجب الجائزة عن الكاتبة . (حملة غربية .. في المسلمون ، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م ، ع ٥٥٩)

وقد أقام أصحاب دور النشر ومحلات الكتب دعوى مشابهة ؛ حيث رفضوا عرض الكتاب بها وبيعه . (طاهري في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م ، ع ٦١٤٣)

أما الأسباب التي تدعو أمثال هؤلاء الكتاب ، وغيرهم من غير المهتمين بالنقد الأدبي إلى الوقوف هذا الموقف فهي كما أوضحها طاهري :

أ-السبب الأول:- أن الكاتبة لم تفكر بكشف الحركات الأصولية في الحاضر ، ولم تطلع العالم على السبب الذي أدى إلى " تحول حضارة كانت رائعة في يوم من الأيام إلي ما هي عليه اليوم من فقر فكري وعنف سياسي " كما يدعون .

---

[1] يقول الباحث الأسباني غويتسولوا :

"إن ما حدث في البوسنة هو أن دولة شرعية معترف بها من قبل الأمم المتحدة ؛ إعتُدى عليها من قبل المتطرفين الصرب المدعومين من قوى خارجية ، والذين يمتلكون عتاداً ، في حين لم يمتلك البوسنيون أسلحة . وعوضاً عن أن تقوم المجموعة الدولية بتقديم المساندة والمساعدة ، فإنها تركتهم يواجهون مصيرهم لوحدهم . وما حدث يمثل عوده للبربرية ... لقد كان الذين دعموا الصرب يعتقدون بأن الصرب قادرين على كسب المعركة بسرعة لكن صمود البوسنيين جعل المجموعة الدولية على يقين بأهمية إنهاء المجزرة بأي شكل." (لقاء مع خوان غويتسولوا في المستقلة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٨٤)

وهم حين يقولون ذلك لا يدركون أن شيميل لا تهتم بالسياسة الإسلامية المعاصرة وإنما تكتب في التاريخ .

ب- السبب الثاني : وهو (جريمتها)الحقيقية ؛ رفضها الانضمام إلي الحملة المساندة لسلمان رشدي ، حيث أنها بدلاً عن ذلك تكيل المديح للأنظمة القمعية في العالم الإسلامي .

(طاهري في الشرق الأوسط ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦١٤٣)

ويجدر بالذكر أن نشير هنا إلى أن الرئيس الألماني وهو يمنح الكاتبة الجائزة ؛ قد امتدح دورها في مد الجسور بين الحضارات المختلفة ، وكان مما قاله : " لن نستطيع العيش معاً إذا لم نتبادل أطراف الحديث ، وعرفنا بعضنا البعض . لقد مهدت شيميل لذلك في علاقاتنا بالإسلام وعلمتنا كيف نمد الجسور مع حضارات أخرى " (حملة غربية .. في المسلمون ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م ، ع ٥٥٩)

فعلى المؤسسات التربوية أن توضح للمسلمين ذكوراً وإناثاً ؛ أن هذه الانتهاكات والحملات الشرسة التي تطال المسلمين والمتعاطفين معهم ، إنما تجد مساندة من قبل بعض التيارات السياسية والعقائدية من داخل المجتمع الإسلامي ومن خارجه .

وأبرز التيارات الداخلية تتمثل في الحركات المتطرفة التي عمت أرجاء العالم الإسلامي والتي تعمل تحت ستار الإسلام وباسمه ، والإسلام منها براء . فرغم أن هذه التيارات لا تمثل الصحوة الإسلامية ، إلا أنها ترفع شعارها ، مما أعطى إسرائيل وغيرها من الأعداء مجالاً لاستعداء المسلمين ، والخوف من صحوتهم . (الجسر في الشرق الأوسط ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ع ٦٠٣٧)

أما أبرز التيارات الخارجية فتتمثل في المخابرات الأمريكية والإسرائيلية . و هذا ما أكده المحامي الأمريكي (مايكل وارن) في لقاء مع مجلة المجتمع ، حيث ذكر بأن لديه قناعة راسخة بتدبير بعض القضايا والأحداث داخل المخابرات المركزية CIA ، والمباحث الفيدرالية FBI ، بمشاركة جهاز الاستخبارات الإسرائيلي (الموساد) ومن بين الأدلة على ذلك : " الهالة الإعلامية الضخمة التي صاحبت حادث تفجير مركز التجارة ، والتي استهدفت تأليب الرأي العام الأمريكي على المتهمين المحتملين ، ثم إلصاق التُهم بالإسلام والمسلمين .. وهو يرى بأن كل الدلائل " ... تؤكد أن هذه المؤامرة مدبرة من قبل أطراف صهيونية في نيويورك وتل أبيب . وأنها تهدف بالدرجة الأولى ؛ تشويه صورة الإسلام الناصعة حتى تظهر الصهيونية أكثر قبولاً في عيون الناس . " (لقاء مع مايكل وارن في المجتمع ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ،ع ١٠٧٨ ، ص ١٧-١٨)